

ملفات سرية



الحركة التحررية الكوردية

وصراع القوى الاقليمية والدولية

1975 - 1958

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة
الجزء الثاني

أيوب بارزاني



Editions Orient-Réalités, Genève

الحركة التحررية الكوردية 1975 - 1958 الجزء الثاني أيوب بارزاني

الهدف من هذا الكتاب هو سرد حقائق لشعبنا الذي حرّم من حقه المشروع في معرفة الأسباب الحقيقية لانتهيار الحركة الكوردية وكيف تصرف القادة في لحظات التاريخ الحاسمة. هذه الوقائع التاريخية الهامة طبعت بصماتها العميقة على جميع مناحي الحياة الكوردية ولأجيال متعاقبة، وتشكل جزءاً هاماً من تاريخنا الحديث الذي تعرض لتشويه واسع ومستدام.

يتناول الجزء الأول من الكتاب الحالي التطورات الداخلية المأطرة للانتفاضة الكوردية ورسوخها لأعوام، والجزء الثاني مخصص للعلاقات الدولية في أوج الحرب الباردة وعدم تناغم الوضع الداخلي للحركة الكوردية وعلاقتها الخارجية، حيث يدور صراع دبلوماسي هائل بين موسكو و واشنطن على منطقة الشرق الأوسط، وصراع مكمل بين عواصم الدول الإقليمية بغداد وطهران وتل أبيب وكيف تصرفت الزعامة الكوردية وسط هذه الصراعات ومع إدارة اللاعبين الدوليين والإقليميين وآخرين ممن أسهموا في بلورة هذا الصراع الذي انعكست آثاره على الحركة التحررية الكوردية بقيادة ملا مصطفى. وكل هذا مبني على أرشيفات حكومة الولايات المتحدة الأمريكية بشكل رئيسي وعلى ما تيسر لي من مصادر سوفيتية، إيرانية، عراقية، إسرائيلية وكوردية وشهادتي الشخصية على الأحداث في تلك الفترة.



Editions Orient - Réalités
Case postale 1150, CH-1211 Genève 1 - Suisse



9 782940 325030

ISBN: 9782940325030

الحركة التحررية الكوردية

وصراع القوى الاقليمية والدولية

1975 – 1958

أيوب بارزاني

الطبعة الرابعة مزيدة ومنقحة
الجزء الثاني

دار نشر حقائق المشرق – جنيف

Editions Orient-Réalités, Genève

تصميم الغلاف: صلاح الشمري
الطبعة الأولى: 2011
الطبعة الثانية: 2012
الطبعة الثالثة: 2013
الطبعة الرابعة: 2017 مزيدة ومنقحة
EAN: 9782940325030
ISBN: 978-2-940325-03-0

العنوان البريدي والالكتروني:
Email: shilo@genevalink.ch
Editions Orient-Réalités
P.O.Box: 1150
1211 Geneva 1
Switzerland

جميع حقوق الطبع محفوظة

الجزء الثاني

إجهاض ديناميكية المجتمع الكوردي
الاستقواء بالخارج
وافساد الجبهة الداخلية
مشروع الوراثة الهدام

أتقدم بالشكر الجزيل للأستاذ والمؤرخ والمناضل القدير الدكتور عصمت شريف فانلى لتلطفه بالسماح لي استخدام أرشيفاته ومناقشته، والدكتور ريبوار فتاح الذي زودني بالمصادر الجيدة والوثائق الهامة والدكتور عبدالمصور بارزاني للسماح لي بالاطلاع على مخطوطاته التي لم تطبع بعد، ولد (بادين) الذي أسعفني بعدد من الكتب المتعلقة بموضوع هذا الكتاب واهتمامه المتواصل إلى ان أنهيته، كذلك امتتاني وشكري لبروسك أسعد مترگه سوري الذي زودني بعدد من المصادر، وثم امتتاني وتقديري لأصدقاء آخرين في الوطن وفي المهجر، طلبوا أن لا أذكر أسمائهم خشية تعرضهم للاضطهاد.

أيوب بارزاني
آذار 2011 جنيف - سويسرا

"In a time of universal deceit, telling the truth is a revolutionary act." {George Orwell 1903-1950}

قول الحقيقة في زمن الخداع العالمي هو عمل ثوري
جورج اورويل (1950-1903)

"All truth passes through three stages. First, it is ridiculed. Second, it is violently opposed. Third, it is accepted as being self-evident."
{Arthur Schopenhauer.1788-1860}

تمرّ كل حقيقة بثلاث مراحل: أولاً تجابه بالسخرية، وثانياً تعارض بشدة وثالثاً
يرحب بها على أنها من البديهيات .
آرثر شوبنهاور (1860-1788)

«Anyone who has proclaimed violence his method inexorably must choose lying as his principle.» {Aleksandr Solzhenitsyn 1918-2008}

«كل من لجأ للعنف كوسيلة لبلوغ أهدافه، يتحتم عليه اعتناق الكذب كمبدأ.»
الكسندر سولجنتسن (2008-1918)

ملا مصطفى وصدام حسين اللاعبان في الميدان

في السياسة هناك لاعبان رئيسيين أو أكثر، وأي لاعب لا بد أن يأخذ في الحسبان نقاط قوته وضعفه إضافة إلى معرفة قوة وضعف وظروف خصمه، ونحن هنا بصدد دور (صدام حسين) ودور اللاعب المقابل (ملا مصطفى)، افعال وردود أفعال أحدهم بموازاة الآخر، وذلك لكي تتوفر للقارئ الحقائق التي تمكنه من فهم تكوينيهما الشخصي ورؤاهما في إدارة الصراع السياسي. وكما هو معروف فالاثنتان كانا يحتلان موقع القيادة في صنع القرار، ولذا من المهم ان نعرف مدى ادراكهما لحقائق القوة ومتمغيراتها في زمن الحرب الباردة وضمن إطار ثوابت الجغرافيا والتاريخ.

شهد العقد الاول من عمر الجمهورية العراقية أربع انقلابات عسكرية. فالسياسة في العراق عكست النظرة الداروينية، البقاء للأصلح، وظهر حزب البعث بعد عام 1968 كقوة سياسية مزودة بعوامل البقاء، في مثل هذا المحيط الذي لا يتجاوز عمر النظام سنتين وبضعة أشهر، ولذا كان التحدي الأول هو إيجاد نظام يعمر أكثر من المعدل الذي كان سارياً حتى عام 1968. والتحدي الثاني كان فرض نوع ما من الوحدة في بلد متعدد الهويات واللغات والأعراق والمذاهب. والثالث كيفية دمج وطنين في وطن واحد. والتحدي الرابع كان منع التدخلات الخارجية، إيران والولايات المتحدة الأمريكية بسبب التمزق الداخلي.¹

لقد واجهت المجتمعات والامم المتحضرة مشكلة تعدد القوميات واللغات بتبني حل النظام الفدرالي، أو تخويل الشعوب ممارسة حق تقرير المصير، بينما في العراق تحت حكم البعث، وفي مواجهة التحديات المذكورة، استغرقت الحلول القسرية طوال العقد الأول من حكم البعث. فكان تزويد الحكم بجميع "مضادات الانقلاب"، تبقيت الجيش والأمن والشرطة، وكانت النتيجة النظام الشمولي، والتحول من سلطة الحزب الواحد إلى سلطة الرجل الواحد.

The Future of Iraq. Liam Anderson & Gareth Stansfield. Palgrave.2004.

1
Page:49

عندما زار صدام حسين مع الوفد المرافق له كوردستان، ووقع مع ملا مصطفى ما سمي فيما بعد بـ (اتفاقية آذار) عام 1970، كان يبلغ من العمر 33 عاماً، كان ملا مصطفى يقترب من الـ (70) عاماً وله تجربة طويلة مع الحياة العشائرية، لكن كان ينقصه فهم المناورات السياسية العصرية والتقييم الصحيح لماهية هذا الرجل الشاب الذي أظهر مرونة غير عادية في القبول بمطالب الجانب الكوردي. إن الفهم الخاطئ لدى القيادة الكردية لماهية حزب البعث العربي الاشتراكي ولقاداته وللتطورات السياسية في بغداد، كان سبباً هاماً للنكسة التي ألمت بالشعب الكوردي عام 1975.

في واقع الأمر كان صدام حسين في موقف ضعيف، لكنه حول ضعفه إلى قوة ببيان آذار عام 1970، واستطاع ان يحول قوة ملا مصطفى بالترديج إلى ضعف، لكن ذلك لم يكن بسبب ذكاء صدام حسين، إنما بسبب ما ارتكبه ملا مصطفى من سلسلة أخطاء وسوء استخدامه للنصر وغياب الإحساس بالمخاطر التي تحدق بالشعب الكوردي وكفاحه المسلح. لم يعرف ملا مصطفى إلى أين يقود بالاتفاقية او إلى أين تقود به اتفاقية آذار، في حين كان صدام حسين يعرف أين يقود هو بالاتفاقية. أراد صدام حسين الاقتراب من قيادة الحركة الكوردية، وفق سياسة أعطي الآن كي تأخذ فيما بعد أضعاف ما أعطيت، ويعاني من مخاطر جادة في انهيار نظام حزبه. فقد كان الخوف من انقلاب عسكري وارد، كما حصل عام 1963. هنا كانت مهمة الشاب صدام حسين خلق الظرف المؤاتي للتفرغ إلى تصفية المعارضين داخل أجهزة الحزب والجيش والأمن والحكومة. من هنا تهدئة الجبهة الكوردية ولو إلى حين. لقد أعطى قادة الحركة الكوردية صدام حسين ما كان يريد - "الوقت" ليعزز سلطته - .

ملا مصطفى لم يكن بحاجة مثل صدام حسين لحماية نفوذه، فقد ترسخت الحامية العسكرية التي نوهنا عنها منذ سنين، ويعيش رئيس الحزب على الحدود مع إيران. ولم تكن هذه الحامية العسكرية التي تحولت من متحركة في البداية إلى ثابتة، وسميت بـ (مقر البارزاني)، هذه المؤسسة المالية والعسكرية كانت تحت نفوذ ملا مصطفى المباشر، فيها الخدم والحاشية والمقربون والندماء والشعراء، وتضم المكتب السياسي والمخابرات، ولم تكن مؤسسة لإدارة الحكم الذاتي ومرتبطة بالشعب لتصريف أمور المجتمع. إنما مرتبطة بملا مصطفى وعائلته، كانت موجودة بوجوده وتنتهي بنهايته، كان قد بناها ليتحصن في داخلها مع عائلته، وهي أعلى مؤسسة في الحركة الكوردية.

ولد صدام حسين في 28 ابريل 1937 في قرية العوجة التابعة لتكريت. قضى طفولة صعبة، إذ كان زوج أمه يضربه كلما رفض الصبي رعي الأغنام، تكفله خاله خيرالله الطلفاح عند بلوغه العاشرة، وكان الأخير معجبا بأدولف هتلر وبالعقيدة النازية. في بداية الخمسينات قرر خيرالله ترك قرية العوجة التي لم تعد تلبى طموحاته، فانتقل إلى بغداد ومعه صدام، وكان قد أمّ العاصمة بغداد عدد من التكرارته كتجار نشطين. رفيق صدام كان ابن خاله عدنان خيرالله، كان في نفس العمر، والأخير التحق بالأكاديمية العسكرية الوطنية العراقية ذات السمعة المدوية في الشرق الأوسط، في حين انضم صدام حسين إلى حزب البعث الحديث التشكيل. وبعد عامين أقترب أول جريمة اغتيال سياسية طالت أحد أقرائه من قرابة بعيدة. كان صدام يشعر بالتباهي كلما أعيد ذكر الحادث، وقد سجل ذلك في الكتب التي تناولت سيرته الذاتية.²

عبادة الأبطال لم يكن الشبه الوحيد بين البعثيين والعقيدة النازية، فالاثان آمنة بالهوية العنصرية والمؤامرات الشيطانية التي تحيكها الجهات الأجنبية، وأن الحرب هي أداة تطهيرية.

وفي سنّ الثانية والعشرين كان له دور في محاولة اغتيال عبدا لكريم قاسم أثناء مرور سيارة الأخير في شارع الرشيد. وبفضل المحاولة تمكن صدام حسين من الهرب إلى دمشق ومن ثم إلى القاهرة، وتزوج عام 1963 من ساجدة، ابنة خاله خيرالله الطلفاح وهو لا يزال في مصر.

بتحالف البعثيين مع الكولونيل عبدالسلام عارف، تمت الإطاحة بنظام قاسم، ولكي يتأكد الجميع من مقتل قاسم فقد عرضت جثته على شاشة التلفزيون العراقية، وهنا عاد صدام حسين على عجل للعمل مع النظام الجديد. إن شغف صدام بالتأمر وقابلياته في مجال التضليل السيكولوجي منحته مهنة حزبية جديدة تتعلق بتعذيب المعارضين في سجون حزب البعث الرئيسية مثل قصر النهاية.

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. 2
Kenneth R. Timmerman. Page:2-3.

شغل في نظام البعث عام 1963 الكولونيل عبدالسلام عارف منصب رئيس الجمهورية وأحمد حسن البكر منصب رئيس الوزراء وكلاهما من العسكر. كانت هذه أول تجربة بعثية في العراق في عملية الانقلاب وممارسة الحكم. اعتمد البعث في حكمه على الإرهاب والقتل والاعتقال، وهو أقرب إلى عصابة مسلحة متعطشة للدم والثأر من حزب متحضر يحترم كرامة الإنسان والمواثيق الدولية. ومليشياته لا تلتزم بأية قوانين أو أخلاق، مما جعل الحزب منبوذاً في المجتمع العراقي.

بعد الإعلان عن إبادة الشيوعيين العراقيين في اليوم الأول من انقلابهم الدموي على عبدالكريم قاسم، شن حزب البعث حملة عسكرية شرسة صيف عام 1963 في كردستان. فهاجموا القرى جواً وبراً ومارسوا سياسة الأرض المحروقة ولم يقيموا حرمة لأي قانون، فهدم المساجد والكنائس مدفوعاً بروح انتقامية وعنصرية. الحملة لم تدم طويلاً فقد قاوم شعب كردستان وفشلت الحملة العسكرية. وتلاشى تحالف البعث مع الجيش، فقاد عبد السلام عارف المحاولة الانقلابية الثالثة في حياته، وكالعادة ضد حلفاء الأمس، هذه المرة ضد الحليف البعثي.

تعكس الانقلابات في بغداد والصراعات داخل الجيش العنصر الدموي في صنع التغيير السياسي في المجتمع العراقي، فليس للسياسة وجود خارج العنف. عبدالسلام عارف اشترك في الانقلاب مع عبدالكريم قاسم لقلب النظام الملكي في 14 تموز عام 1958. ثم تحالف مع البعث للإطاحة بنظام عبدالكريم قاسم في 8 شباط عام 1963، وقاد الانقلاب على البعث في 18 تشرين الثاني/نوفمبر 1963. هذه الانقلابات ساهمت في تصعيد وتيرة العنف وجعلت من الإرهاب الوسيلة الوحيدة في إحداث التغييرات السياسية والبقاء في الحكم.

هرب صدام حسين من جديد والتجأ إلى سوريا، وكان على صلات وثيقة بأحمد حسن البكر الذي تم تعيينه عام 1965 وهو في المنفى كأمين عام للحزب، كما أن علاقة القرابة والولاء للبكر ساهمت في ردّ الجميل فعينه الأخير نائباً له.³

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. 3
Kenneth R. Timmerman. Page: 5-6.

منذ عام 1965 وحتى العودة من جديد إلى الحكم في 30 تموز 1968 كان صدام المنظم الرئيسي للحزب. فهو الذي حول البعث إلى جهاز قوي مدمر قادر على القيام بانقلاب عسكري والاحتفاظ بالسلطة. تبنى أسلوب تروتسكي السوفييتي وكوبلزا الألماني، وعاد إلى بغداد سراً حيث اشترى أسلحة وأستأجر منازل سرّية آمنة. كما أنشأ قواعد تدريب للمقاتلين البعثيين وأقام شعبة للأمن الخاص سمي بـ جهاز حنين، ومن أولى مهامه مراقبة الحزب والتعرف على المنشقين المحتملين وخلق ولاء شخصي صارم مبني على الخوف.

كان حزب البعث يتميز بتجمع المنتمين إلى نفس الطائفة أو نفس القرية أو المدينة أو العشيرة. ومن أهم هذه الزمر، التكرته المواليون للبكر وصادم حسين. والقول العربي المأثور: "أنا مع أخي على ابن عمي، أنا وابن عمي على جاري، أنا وجاري على الجميع" كان ذلك هو المنطق السائد لدى صدام حسين.

شكلت الممارسة في العمل السري الثقافة السياسية لصادم حسين، فقد زودته بحاسة قوية في النشاط السري المتقن. ورغم انه حول حزب البعث تدريجياً إلى حركة جماهيرية مستخدماً بنجاح مبدأ كوبلزا في الكذبة الكبيرة لتضليل الرأي الشعبي داخلياً وخارجياً الا أنه لم يتخل عن تركيبة الخلية السرية البعثية، تحسباً للاختفاء مرة أخرى، إذ سيكون بإمكانه الاعتماد على الخلية السرية الداخلية للحزب والموالية له بشكل كلي⁴. وتمكن من خلال هذه الخلية، سنوات فيما بعد، ان يبقى مختفياً عدة أشهر في جحر هياه له أنصاره بعد احتلال الحلفاء للعراق عام 2003، لكن القوات الأمريكية أخرجته من جحره وعرضت صورته على شاشات التلفزة العالمية وبدا انه يعيش عصر انسان الكهوف.

وعندما فشلت محاولة بعثية للإطاحة بنظام عارف، حاصرت السلطات الحكومية صدام حسين في منزل في بغداد وقبضت عليه وأودعته السجن. لكن بجميع المقاييس أعتبر وضعه في السجن كـ "ضيف" له إمتيازات، كان السخبط واسعاً تجاه نظام عارف وتمكن صدام حسين من كسب العديد من حراس السجن لقضيته فسمحوا للأصدقاء وأعضاء أسرته بزيارته وجلب الصحف والطعام ورسائل مشفرة من قريبه وظهيره

أحمد حسن البكر والأخير كان يتابع الوضع السياسي بدقة من الخارج. وفي إحدى الأيام زارته زوجته مع أول صبي مولود له وهي تحمل رسالة هامة جداً مخفية تحت حفاض الطفل فقرصت إبنها كي يبكي وهمست قائلة: "خذ الرسالة تحت الحفاض"، مد الوالد يده إلى داخل ملابسه وأخذ الرسالة الملفوفة الآتية من أحمد حسن البكر مفادها أن للبعث معلومات من أن الضباط الناقمين في الجيش يخططون لإنقلاب آخر ضد نظام عارف، وتذكر الرسالة أن هذه مناسبة ينبغي أن لا تغفلت من يد الحزب، كما احتوت على تفاصيل خطة الهرب من السجن.⁵

سعدون شاكر، صديق طفولته أيضاً تكريتي هو الذي نظم خطة الهرب من السجن، فقد أخبره حراس السجن المتعاطفون مع البعث ان صدام حسين سينقل إلى سجن آخر حيث الإجراءات الأمنية أكثر صرامة، فرتب إفلاته وتمثّل في مرور السيارة التي تقل صدام حسين بالتوقف في مطعم شعبي في شارع أبو نواس للغذاء ثم يطلب صدام السماح له بالذهاب إلى المغسل لقضاء حاجته ويعرج من الباب الخلفي لكي يلتقي بسعدون حمادي ويدخل سيارته الواقعة على مدخل الطريق، نفذت الخطة بنجاح وأختفي صدام حسين، وهكذا حقق جهاز المخابرات ألبعثي نجاحاً هاماً.⁶ وفي صباح 17 تموز 1968 ظهر صدام حسين في ساحة البلاط الجمهوري داخل دبابة مع لواء مدرع، ورغم انه لم يكن ضابطاً عسكرياً، لكنه كان يتمتع بحاسة عسكرية، ولاشك ان رفاقه ظنوا انه واحد منهم، في حين سيطر بعثيون آخرون على دور الإذاعة والتلفزيون والشرطة. في الحقيقة كان الانقلاب من صنع اثنين من المؤيدين السابقين للكولونيل عارف، هما الكولونيل عبدالرزاق النايف وإبراهيم داود، وركب البعثيون متن المحاولة بعرضهم الدعم من جهازهم السري لكي يتهيأوا لإستلام السلطة فيما بعد.

كان البكر وصدام حسين مصممان على عدم تكرار الأخطاء التي ارتكبوها قبل خمس سنوات، فقد كانوا على اعتقاد أن البعث لن يتمكن من الحكم بشكل ائتلاف مع الجيش، لذا كان أولى مهامهم هو التخلص من عبدالرزاق النايف والذي كان على رأس الضباط الثوريين وثم تركيع الجيش الحرون.

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. 5
Kenneth R. Timmerman. Page :7

Ibid. Page: 7 6

هنا نحن أمام عصابة تتمتع بامتياز بالقسوة وشعب غارق في الغيبوبة لاحول له ولاطول ينتظر تبوء العصابة سدة الحكم لينال تحت أقدامها الإذلال والخراب والموت.

العديد من التفاصيل عن الارتداد ضد الضباط ذكرها فيما بعد مفاخرأ، سعدون شاكر بسنوات عديدة، فقد أسهم مع كاتب سيرة صدام حسين، فؤاد مطر. فبتأييد من البكر رتب صدام حسين مشهداً في البلاط الجمهوري، إذ قبل عبدالرزاق النايف بسذاجة للذهاب إلى البلاط الجمهوري لوحده بعد الغداء، وبوصوله، يبدو أنه لم يشعر بأية نوايا خبيثة مبيته من الدعوة، إلتف سعدون شاكر مع عدد من حراسه الشخصيين في الممر وقبضوا على رجال النايف. وفي داخل البلاط أخرج صدام حسين مسدسه وبدأ يضرب عبدالرزاق النايف إلى ان إنهار الأخير وهو يقول منتحباً: "لدي أربعة أطفال لماذا تفعل بي كل هذا".

قال صدام حسين بلامبالاة: "أنت وأطفالك ستكونون بسلام إن قبلت مغادرة العراق وقبول وظيفة سفير".

بعد مناقشة قصيرة قبل النايف منصب تشريفاتي كسفير في المغرب، لكن بالنسبة لرئيس العصابة - رئيس العراق فيما بعد - لم يكن ذلك كافياً منه فقد أصرَّ صدام على مرافقته إلى مطار بغداد.

"تصرف بشكل طبيعي" همس صدام أثناء مرور سيارتهم في نقاط التفتيش العسكرية حيث يتواجد العديد من الحراس الموالين للنايف في هذه النقاط، تابع صدام: "لا تنس أن المسدس تحت معطفي".

راقب صدام حسين الطائرة وهي على وشك الإقلاع، يتذكر شاكر فيقول: نزلت الدموع من عينيه، لم تكن دموع التعاطف مع النايف" فجأة تذكرت أنه كان بإمكان طلاقة واحدة أن تقتل العملية كلها" هذا ما ذكره صدام فيما بعد: "كان هذا هو حكم القدر". لكن صدام حسين لم يكن من أولئك الذين يعتمدون على حكم القدر وحده، فقد أرسل رجال مخابراته او من الأمن العسكري لمراقبته أينما حلَّ وإفهامه أنه رجل

خطير لايسمح له أبداً بالعودة إلى الوطن. في النهاية، بعد عشر سنوات من بداية منفاه، إغتاله عملاء صدام أثناء مغادرة النايف شقته في لندن في شهر تموز 1978 ، لقد تعلم صدام حسين درساً جيداً الا وهو لاتعط خصمك فرصة ثانية.⁷

كان (الولاء الشخصي) و(بث الخوف) في أوساط الاصدقاء والاعداء عماد سياسته. ويقول عنه حامد الجبوري - وزير شؤون رئاسة الجمهورية والإعلام والشؤون الخارجية في عهد الرئيسين أحمد حسن البكر وصدام حسين - . وقد حاوره أحمد منصور في قناة الجزيرة (تاريخ الحلقة: 2008/6/2): " يقول الجبوري نصاً: "نعم، شوف، الخوف ليس فقط شخصياً، ليس هناك إنسان لا يخاف طبعاً لكنه ويشهد الله أنه ليس فقط أنا وإنما كل الشرفاء والناس المخلصين في حزب البعث وفي الشعب العراقي عموماً وفي القوات المسلحة كان هناك الخوف من الأساليب التي اتبعت، الأساليب التي اتبعت هي أنه أُلغيت الحكمة الربانية (.ولا تزر وازرة وزر أخرى). [سورة الأنعام:164] الشخص المغضوب عليه ليس فقط هو شخصياً يستهدف بالتصفية أو القتل أو كذا، من هذا القبيل وإنما تستهدف عائلته، يستهدف عرضه وشرفه، وهذه مسألة كبيرة جداً بالنسبة لمجتمعاتنا طبعاً ولكل المجتمعات بس مجتمعاتنا المحافظة، تُستهدف إلى حد الدرجة الرابعة وصدر قانون فيها".

بدأ حكم البعث الثاني مهزوزاً، فقد كان الجو السياسي في العراق عام 1968 مفعماً بالمكائد والمنافسات والعنف. ففي أقل من شهرين من المحاولة الانقلابية في 30 تموز، قام عدد من أنصار عارف وضباط من أنصار جمال عبدالناصر بمحاولة إنقلابية. وفي شهر تشرين الأول /أكتوبر أعلن نظام البعث أنه قضى على "مؤامرة صهيونية". وفي كانون الثاني/جانفير 1969 بدأت محكمة شعبية بمحاكمة 11 يهودياً عراقياً، كان ذلك بهدف حشد الجماهير ونيل دعمها ضد "عدو خارجي"، والحقيقة كان العراق غارقاً في تمزق داخلي عميق.⁸

كان هناك مرشحان آخران غير صدام حسين لخلافة البكر، صالح مهدي عماش وزير الداخلية على سبيل المثال، لكن صدام حسين بحكم قربه من البكر ومن ميشيل

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. 7
Kenneth R. Timmerman. Page : 8

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. 8
Kenneth R. Timmerman. Page: 9

عفلق تمكن من التخلص من جميع المنافسين، بعض منهم ماتوا والبعض الآخر تركوا القيادة. فحسب قول يفجيني بريماكوف مراسل صحيفة برافدا في الشرق الأوسط - وقد كانت احدى مهامه تحسين العلاقات بين موسكو وبغداد وثم تحقيق السلام بين الحركة الكوردية ونظام بغداد الجديد، يقول عن صدام: "كان حازماً، مندفعاً، شجاعاً وبالتأكيد إن (قلناها بشكل معتدل) مجرد من العواطف في اسلوب تعامله مع زملائه. وقبل ان يصبح صدام حسين شخصية كبيرة غير مألوفة في نظر الشعب العراقي، في الشرق الأوسط وفي العالم، لعب الجزء الكبير من الدور الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة الأمريكية. الأول مكنه لكي يصبح زعيم العراق، والثانية ساهمت في بلورة نظرتة للعالم موفرة القاعدة التي بنى عليها الكثير من سياسته الخارجية."⁹

حاول البعث تبديد صورته المروعة السابقة فركز أجهزته الدعائية في تمجيد الديمقراطية والحرية والتعبير عن نيته في تحرير فلسطين، وكانت الدول العربية خارجة من حربها الخاسرة عام 1967 ضد إسرائيل. كما حاول التقرب من الحزب الشيوعي الذي رفض الاشتراك في وزارة البعث. واشترك الكورد بأربع وزراء في البداية، اثنين محسوبين على فريق جلال الطالباني والاثنين الآخرين على فريق ملا مصطفى. كما حاولوا تهدئة إيران عن طريق سفيرها في بغداد وأن العراق يريد الاحتفاظ معها بعلاقات حسن الجوار.¹⁰

ويكشف القيادي في جهاز الأمن الكوردي (پاراستن) شكيب عقراوي حادثة هامة تظهر مدى رضوخ قيادة الحركة الكوردية للقرار الإيراني: "الثورة الكوردية كانت لديها خطة للهجوم على القطاعات العسكرية للجيش العراقي في منطقة راوندوز واحتلال المنطقة بقوة السلاح. وكان خطة الهجوم قد جرى الاعداد لها منذ شهر حزيران 1968 وقبل حصول الانقلاب العسكري في بغداد في شهر تموز 1968".

"كان شاه إيران قد وافق على الخطة.... وسمح بمرور السلاح والعتاد.... استمر التدريب لمدة ثلاث أشهر...وعندما بدأ موعد تنفيذ الخطة فإن شاه إيران منع تنفيذ

Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York.2009. P: 302

سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 249 10

الخطوة....." ويضيف شكيب وذلك في حالة تنفيذ الهجوم: "ربما كان سيؤدي إلى فشل وإنهاء حكم البعث لأنه كان في مهده ولم يكن قد استطاع تثبيت جذوره في ذلك الوقت".¹¹

كان الثنائي المعروف بكر - صدام، يسعون إلى تمهيد الطريق للاستيلاء على الجيش العراقي وبخطوات سريعة. فحدث انقلاب ضدهم كان يشكل كابوساً مخيفاً. فبدأوا بتصفية الجيش العراقي من العناصر المشكوك في ولائها للطاقت الحاكم وإحالتهم إلى التقاعد، وتعيين آخرين مواليين للسلطة مكانهم. وهنا نحن أمام قابليات صدام حسين التأميرية. إذ لم تهدأ محاولات الانقلاب والمنافسات الدموية داخل العصابة البعثية الحاكمة، بشقيها العسكري والمدني. والجدير بالملاحظة أن مدنياً - صدام حسين - هو مهندس تركيع الجيش العراقي وتخنيته أمام السلطة وتوحيشه ضد الشعب الكوردي، ومن ثم استخدم هذا الجيش كآلة قسر في ترسيخ حكمه الدموي على العراق خلال ثلاث عقود. جرى ذلك بداية في فتح دورات تدريب عسكرية من أعضاء ومؤيدي البعث، لم يكن للكفاءات دور، إنما الولاء لطاقت السلطة. معظمهم من خريجي الدراسات الثانوية، ويمنح بعد فترة التدريب رتبة نائب ضابط ثم يترقى إلى رتبة ملازم. إستمرت هذه الدورات ثلاثة أعوام وبالتدرج تم تبقيت الجيش المطعم بلفاح عنصرى يهيئه لارتكاب المجازر متى ما أمرت بذلك الطغمة الحاكمة.

وما أن أشرف عام 1969 حتى كان صدام حسين قد أكمل قبضته على جميع أجهزة الأمن والإستخبارات في العراق، منها جهازحنيين، جهاز الاستخبارات العسكرية المرتبط بوزارة الدفاع، مديرية الأمن العامة وبتأسيسها مجرم معروف هو ناظم كزار، قتله صدام حسين فيما بعد، وجميع أجهزة الشرطة العراقية كما دس خلايا وتنظيمات حزب البعث في جميع مؤسسات الدولة ومن ثم بدأ بـ (تبقيت المجتمع) لجمع المعلومات ومراقبة المواطنين.¹²

كانت مهمة البكر- صدام هو تأمين بقاء النظام، عن طريق إقامة (نظام شمولي) وتعاون الاثنان على مدى إحدى عشر عاماً. كان البكر يستقبل رؤساء الدول ويصدر

11 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز2007 . ص: 250

12 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز2007 . ص: 278

القوانين ويوقع على الاتفاقيات ويلقي خطاباً نارياً ضد اليهود والصهيونية والمؤامرات الخارجية والقضاء على الطابور الخامس وإعلاء راية القومية العربية.

صدام حسين كان ضالماً في قابلية تشخيص المنافسين المحتملين في المستقبل والقضاء عليهم قبل أن يشكلوا تهديداً لحكمه، مثلما يفعل الطبيب في عزل الخلايا السرطانية لمنعها من الانتشار. فاعتمد في البداية على جهاز البوليس السري (جهاز حنين) والذي توسع بعد العملية الانقلابية في 1968 وتحول إلى جهاز مخابرات، مهمته الأساسية تركزت على مراقبة جميع مظاهر الحياة في المجتمع العراقي مبتدئاً بالشيوعيين. وسلم الجهاز إلى صديق طفولته سعدون شاكر، ومن أجل إبقاء سعدون تحت الرقابة فقد عين صدام حسين أخوه برزان إبراهيم حسن التكريتي نائباً لسعدون.¹³ وأساس تعامله واختياره للناس هو "الولاء لشخصه" منذ بداية تسلقه قمة السلطة. هذا مايقوله عنه حامد الجبوري وزير شؤون رئاسة الجمهورية والخارجية والإعلام والثقافة في عهد (بكر وصدام) في برنامج شاهد على العصر لقناة الجزيرة في 2008/5/26.

كانت القسوة المفترطة من أبرز ملامح قادة البعث، وبالأخص صدام حسين وباعترافه هو¹⁴، ويشير سمير الخليل في كتابه «جمهورية الخوف» إلى تعدد مشاهد الإعدامات على مرأى من الجماهير، ففي عام واحد (1969) جرت الإعدامات في 20 شباط/فبراير، وفي 14 نيسان/ابريل، وفي 30 مايس/مي، و 21-22 أغسطس و 8 سبتمبر و 26 نوفمبر.¹⁵

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. 13
Kenneth R. Timmerman. Page: 9

14 الكلام التالي هو نص ما ذكره صدام حسين بلكنته القوية الواضحة أوائل الحرب مع ايران مخاطباً مجموعة من البعثيين لم يسجلوا كمتطوعين للقتال : يله حماية كل من مايطع اضربوه! أحد الحضور المفصولين ابتداءً بالهتاف «ماريد كلام ..ماريد كلام ..ماريد كلام الثورة الهه رجالها والهه قادتها والهه جماهيرها .. راح تطلعون انتوا مفصولين من الحزب .. قسماً بالله اللي أسمعهم همساً يحجي مع مواطن عراقي أو بعثي أله أطره بيدي أربع وصل! سمعتوا زين الى أن تقرر القيادة مصيركم .. يله اطلعوا أنعل الله على هالشوارب!....

«بس كل واحد يوكف بوجه الثورة. يصير ألف .. يصير ألفين... تلتلاف .. عشتالاف. أقصص روسوهم من دون ما ترجف شعرة وحدة مني أو يرجف قلبي عليه»..... صدام حسين 1978

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. 15
Kenneth R. Timmerman. Page:9-10



آية الله العظمى سماحة الامام السيد محسن الحكيم وشيركو عابد في منزل الإمام (شباط 1969)

عاشت الحوزات العلمية الشيعية ظروفاً في غاية الصعوبة في ظل حكم البعث ذي الطابع السني-الشوفايني، فقد تدخلت في شؤون المراجع ترغيباً وترهيباً لتطويعهم، واقحامهم في حربها ضد شعب كردستان، فطلبت سلطة البعث من آية الله العظمى سماحة الامام السيد محسن الحكيم اصدار فتوى يجيز شن الجهاد ضد الحركة الكوردية، لكن على عكس ماتوقعه البعث، أصدر الامام فتوى تحريم القتال ضد الشعب الكوردي في شهر كانون الثاني من عام 1969. ثم انتهج نظام البعث سياسة معادية للحوزة تمثلت في التصفية الجسدية للعديد من أشهر علمائها، كما استخدم الشيعة كوقود رخيص لحروب مقبلة لقي فيها مئات الآلاف حتفهم.

أثبتت الحركة الكوردية المسلحة صلابتها في المقاومة ضد حملات الجيش العراقي منذ عام 1961. ولم يكن في تفكير البعث حلّ آخر لها غير السلاح. وكان المجتمع الكوردي منقسماً على ذاته. كان عددٌ كبيرٌ من رؤساء العشائر الكوردية متعاونين مع حكومات بغداد، وكان جناح المكتب السياسي القديم أيضاً متعاوناً مع بغداد ويطبع جريدة النور ويعمل باسم الحزب الديمقراطي الكوردستاني. وكان البعث يبني آماله في محاربة الحركة الكوردية على تعميق الفتنة بين الكورد، (تكريد الحرب)، والبعث يغذيها بالمال والسلاح. وعندما تجدد القتال بداية عام 1969 ارتكب جيش البعث جريمة بشعة في 28 آب 1969 ضد أهالي قرية دوكان، هؤلاء ألتجأوا إلى كهف للاحتباء من الغارات الجوية، فقامت قوات من الفرقة الرابعة بتكديس الأخشاب والأعشاب الجافة في فوهة الكهف وأشعلوا النيران فيها، وعلى أثرها إختنق جميع من في الكهف من نساء وشيوخ وأطفال، بلغ مجموعهم 67 ضحية. كما ارتكب الجيش

البعثي جريمة أخرى ضد أهالي قرية (صوريا) المسيحية، فقد قامت فصيلة بقيادة الملازم الأول عبدالكريم الجحيشي بإطلاق النيران على أهالي القرية المسالمة فقتل منها 39 من أهاليها العزل. وجرت معارك عديدة على أثرها أكتشف البعث أنه غير قادر على إنهاء الحركة الكردية بالقوة فمال إلى سياسة الخديعة.

كان دعم الحزب الشيوعي العراقي للحركة الكردية سياسياً وعسكرياً، يقض مضاجع البعث ويشكل عاملاً سلبياً في بقائهم في السلطة، لذا ينبغي فسخ هذا التحالف. وقد أشار Kenneth R. Timmerman ان صدام حسين زار لأول مرة موسكو في شهر كانون الثاني 1970 على أمل الحصول على الدعم السوفيتي ووقف التأييد للحركة الكردية، لكن Aleksey Kosygin لم يذعن لطلبه، بل أصرّ على "وقف المذبحة ضد الاكرد العراقيين"¹⁶. بعدها بوقت طويل، خلال حديث مع عضو الكونجرس الأمريكي Stephen Solarz ذكر له صدام حسين بصدد عدم تجاوب السوفييت مع مصاعبه، كان ذلك بمثابة يقظة قاسية لنا: "كنا بالتأكيد شباب بعثيين... كنا في نزاع مع الشيوعيين، نزاع دموي بعض الاحيان. لكن احتفظنا بفكرة ان الاتحاد السوفيتي سيتصرف بشكل مختلف عما شاهدناه".

ومن هنا دخل صدام حسين في مساومات خارجياً ومحلياً لتغيير موازين القوى لصالحه.

في 20 كانون الثاني/يناير 1970 أعلنت إذاعة بغداد عن القضاء على محاولة انقلابية بدعم إيراني أعدم على أثرها 16 ضابطاً في الجيش العراقي. وشكل ذلك نقطة الانعطاف في سياسة نظام البعث، فسارع خطاه للتوصل إلى صيغة تفاهم مؤقته مع القيادة الكردية - ببيان 11 آذار 1970.

وبعد سلسلة من الزيارات التمهيدية بين البعث وقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، ومسعاي روسية، وصل في 12 كانون الثاني 1970 منطقة القيادة الكردية صدام حسين برفقة الدكتور عزت مصطفى والفريق الركن سعدون غيدان

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. 16
Kenneth R. Timmerman. Page: 11

والعميد الركن اسماعيل تايه النعيمي والعقيد الركن طارق توفيق، واجتمع صدام أكثر من ساعة مع ملا مصطفى في اجتماع مغلق، وهنا بدأت خطوات إعادة السلام المؤقت تتسارع. ففي 9 آذار عام 1970 وصل صدام حسين إلى منطقة القيادة الكوردية للتوقيع النهائي على اتفاقية 11 آذار.¹⁷

ولم يكن الهدف من التوصل إلى اتفاق مع الزعامة الكوردية غير كسب الوقت، وقد كان الطرف الكوردي مبتهجاً بالتوقيع على بيان آذار عام 1970 وأعتبر ذلك من منجزات الحزب العظيمة. ويعلق شكيب عقراوي على نقاط الضعف في بيان آذار عام 1970: "لم يجر تحديد نوع الحكم الذاتي الذي سيجري تطبيقه خلال الأربع سنوات" و "لم يسمح بيان آذار بتدخل هيئة دولية كالأمم المتحدة أو دولة صديقة للطرفين في الاشراف بصورة رسمية على تنفيذ البنود والاتفاقيات التي جرى التوقيع عليها بين الجانبين." و "لم يجر تحديد المنطقة الكوردية في البيان التاريخي وجرى ترك الموضوع للإحصاء السكاني الذي لم يتم اجرائه." ويضيف: "ومن الناحية القانونية فإن موضوع الحكم الذاتي لم يكتسب الصفة القانونية لأن الاتفاق بين طرفين حول الاتفاق في المستقبل على أمر من الأمور لايعتبر عقداً قانونياً."¹⁸



ملا مصطفى وصدام حسين مبتهجان للتوصل إلى حلّ عام 1970

- 17 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 269
- 18 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 295 - 296

أخذ الثنائي (بكر- صدام) منحى سياسياً بدل المجابهة المسلحة ولغة التهديد، وكانت هناك جملة من الإجراءات هدفها الوصول إلى الأهداف التالية:

التفاهم مع قيادة الحركة الكوردية حتى يتم عزلها عن إستلام المساعدات الخارجية الإيرانية.

وأيضاً سحب البطاقة الكوردية من أيدي شاه إيران.

وفي فترة السلام يتم شراء ذمم الكوادر السياسية والعسكرية في الحركة الكوردية ودس الجواسيس في صفوفها تمهيدا لضربها.

إيقاع الخلاف بين الحزب الشيوعي العراقي والديمقراطي الكوردستاني والتعامل معهما على انفراد.

التقرب من الحركة الكوردية لتسهيل إضعافها والقضاء عليها إما سياسياً أو عسكرياً أو بالوسيلتين معاً أو بالاعتقالات.

وتمكن البعث من خلال تبني سياسة نفطية وطنية حاسمة الحصول على دعم سوفيتي كامل، وإبعاد الأخير عن دعم الحركة الكوردية خلافاً للسياسة التقليدية السوفيتية التي دعمت الحكم الذاتي للأكراد في الماضي.

توفير الأموال من خلال تأميم شركة النفط الوطنية لتقوية نفوذ البعث داخلياً وخارجياً وتحقيق الاستقلال الاقتصادي وإيجاد مصادر مختلفة للحصول على السلاح والسلع خارج الكتلة الشرقية...

ولم يكن لدى القيادة الكوردية خطط مضادة لمجابهة مخططات صدام حسين. أما ملا مصطفى بعد بيان آذار فقد ركّز على عملية توريث المال والسلطة لابنه وتمزيق الجبهة الداخلية الكوردية وافتعال أزمات لا لزوم لها، وبنى كل آماله على الدعم الخارجي، دون فهم كاف لتعقيدات العلاقات الدولية في أوج الحرب الباردة، وشكّل ذلك عاملاً هاماً في فشل الحركة الكوردية كما سنرى.

قام صدام حسين باتخاذ الخطوات التالية:

عرض الإجراءات الاقتصادية وبالأخص في مجال النفط للاتحاد السوفيتي التفاهم مع القيادة الكوردية لكسب الوقت - أربع سنوات لتغيير موازين القوى لصالحه - .

كسب الحزب الشيوعي إلى جانبه والدخول معه في الجبهة الوطنية التقدمية

تأميم النفط

في نهاية عام 1969 وبداية عام 1970 بذل البعث جهوداً كثيفة لتعزيز سيطرته على العراق وترقية بغداد إلى مركز قيادي في منطقة الخليج وفي المشرق العربي، وقد عرف قادة البعث أن بلوغ هذه الأهداف السياسية والاقتصادية لا يمكن تحقيقها بمعزل عن الدعم السوفيتي. إضافة أن هناك مشكلة كوردية وموضوع تأميم شركات النفط الأجنبية العاملة في العراق، هذه المشاكل يعتمد حلها على تعاون الاتحاد السوفيتي، ومن هنا أيضاً التقرب من الحزب الشيوعي العراقي.¹⁹

كانت الشكوك المتبادلة من النوايا العدوانية بين حكام إيران والعراق يشكل الطابع الغالب للعلاقات بينهما بعد الإطاحة بالنظام الملكي الهاشمي في بغداد عام 1958، فقد كان لشاه إيران طموحاته في أن يصبح قوة ذات نفوذ كبير في منطقة الخليج الفارسي بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا الغربية، وشعرت بغداد بالحاجة إلى تحديث وتوسيع جيشها أمام طموحاته وخططه، كان البعث معادياً علناً "للغرب الإمبريالي"، والحل هو الحصول على السلاح المتطور من الاتحاد السوفيتي، حيث يمكن استخدامه ضد الأكراد وإسرائيل وردع شاه إيران من مواقفه المناوئة للعراق.

وبالنسبة للاتحاد السوفيتي، كانت علاقاته مع سوريا تفسح له المجال في أن يكون له دور في النزاع العربي الإسرائيلي، ومع العراق يكون له دور في منطقة الخليج الفارسي العربي.

لقد تم الحصول على الدعم السوفيتي بالتوقيع في إبريل/نيسان 1972 على اتفاقية أمدها 15 عاماً. اتفاقية الصداقة والتعاون بين موسكو وبغداد كانت على شاكلة النموذج المصري لعام 1971، وشمل الاتفاق ميادين واسعة من التعاون المتبادل

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 16-17 19

في السياسة والاقتصاد والثقافة وحقوق أخرى. الإشارة الوحيدة المباشرة للتعاون العسكري ورد في (المادة 8) : اتفق الطرفان على "تتسيق مواقفهما" في حالة وقوع تهديد للسلام. وفي (المادة 9) يعمل الطرفان على تعزيز "قدراتهما الدفاعية". ليس من شك أن المبادرة لهذه الاتفاقية لعام 1972 جاءت من بغداد، وهدفها الفوري كان تأميم الصناعة النفطية العراقية إضافة إلى تقوية نفوذ البعث داخلياً وخارجياً.²⁰

وكما ظهر فيما بعد، كان الاتحاد السوفيتي راغباً في احتضان دولة مهمة أخرى من دول العالم الثالث خلال اتفاق مماثل للاتفاقية التي وقعتها موسكو مع (الهند ومصر) ومن الناحية الاستراتيجية كان العراق وجمهورية اليمن الشعبية الديمقراطية الدولتان الوحيدتان في الخليج والجزيرة العربية أقامت علاقات متطورة مع الاتحاد السوفيتي، وهذا ما وسع من النفوذ السوفيتي في هذه المنطقة الحساسة. لقد ظهر العراق كدولة معادية للإمبريالية والاستعمار والصهيونية مما كان يتمشى مع خط الكرملين.

وعلى الرغم من وجود خلاف بين موقف بغداد وموسكو من إسرائيل، فالبعث يدعي أنه يعمل على إزالة إسرائيل من الوجود، وهذا لم يكن موقف موسكو، إلا أن هذا الخلاف كان قليل الأهمية في العلاقات الثنائية العملية، وقد اختفت تحت ضجيج الدعاية المعادية للإمبريالية والصهيونية في أجهزة إعلام البلدين. وداخلياً كانت موسكو تميل إلى منح الحكم الذاتي للأكراد والحرية السياسية للحزب الشيوعي العراقي، وأظهر البعث بعض التساهل في هذا المجال.²¹

كان هاجس صدام حسين هو كيف يسيطر على الجيش والحكومة بقبضة حديدية، ولذا أراد قادة البعث إقامة علاقات وطيدة مع الحزب الشيوعي السوفيتي، بغية الاستفادة من التجربة الطويلة للحزب في مجالات سلطة الحزب على الجهاز التنفيذي وداخل الجيش، ولم يلق هذا الموضوع الانتشار الواسع في كلتا العاصمتين، لكن الحزب الشيوعي السوفيتي لم يعارض مثل هذه العلاقة التنظيمية بين الحزبين.

22

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 18

Ibid. 18 21

Ibid. The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with 22

اتخذت خطوة المبادرة في استغلال الاحتياطي النفطى شمال الرميلة في شهر تموز/يوليو 1969، عندما وقع العراق والاتحاد السوفيتي اتفاقاً بموجبه يساعد الاتحاد السوفيتي تطوير حقل شمال الرميلة وإنشاء الصناعة النفطية العراقية. لم يخف الكرملين ارتياحه من هذا التحول، فمن خلال توسيع اقتصادهم الوطني سيعتمد العرب "بشكل متزايد وبثقة على الدعم الودّي للمعسكر الاشتراكي" وبالنتيجة "ستتوسع مجالات تبادل المصالح والتعاون بين العرب والبلدان الاشتراكية لتشمل القضايا الاقتصادية بما فيها الصناعة النفطية في العالم العربي". والاتفاقيتان اللتان وقعتا في شهري حزيران/يونيو و تموز/يوليو من عام 1969 بين العراق وموسكو، عكستا هذا المنحى، إضافة مثلت الاتفاقيتان "ضربة قوية لمصالح الشركات الاجنبية الاحتكارية" وبلغ مدى امتعاض الغرب ان اشارت ال Associated Press إلى اتفاقيتي عام 1969 بـ "الثمرة الاولى للسياسة الهادفة إلى تقوية النفوذ السوفيتي في الخليج الفارسي" ووجدت Izvestia ان "تضايق اليانكي امر مفهوم لان قلقهم ليس على التأثير الخيالي للاتحاد السوفيتي، لكن بسبب حقيقة بداية انهيار خططهم بالذات الهادفة إلى السيطرة على نفط العرب".²³

كان الاتحاد السوفيتي مهتما بتوحيد الجبهة الداخلية العراقية، وأشارت الصحافة السوفيتية إلى موضوع الاحتكارات الاجنبية ومخططاتها ومؤامراتها ضد الحكومة العراقية، فعلى سبيل المثال، في شهر نوفمبر 1971 كتب Pavel Demchenko في Pravda وهو من الملمين بشؤون الشرق الاوسط، عزا سبب تصاعد التوتر في المنطقة الكوردية ليس فقط إلى نقص في الاتحاد بين البعث والحزب الشيوعي العراقي والحزب الديمقراطي الكوردستاني، بل أيضاً إلى "مؤامرات القوى الامبريالية وشركات النفط وعملائهم". وزاد Demchenko ان الخلافات بين العرب والأكراد توفر الفرصة لهذه القوى للاحتفاظ بمواقعها في الاقتصاد العراقي وجنى الارباح من بتروله"²⁴

Bettie M. Smolansky. Page:18

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page.: 52

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 52-53

اضافة إلى التحذيرات من: "النوايا الامبريالية" واصلت الصحف السوفيتية التعبير عن ارتياحها من الخطة الاقتصادية العراقية الهادفة إلى تعزيز العلاقات الاقتصادية السوفيتية العراقية وتوسيعها. وعلقت ال Pravda على الخطة الخمسية الحكومية 1970 - 1974 معبرة عن دعمها للخطة و "مواصلة تعزيز برامج التصنيع والتقدم في مجال الصناعة الوطنية النفطية وبناء معامل البتروكيماويات وبناء البواخر وفروع أخرى مرتبطة بالطاقة في الصناعة الوطنية العراقية، كل ذلك كان موضع اطراء خاص، اضافة إلى الخطط التتموية الهامة في قطاع الدولة الصناعي".²⁵

وكانت موسكو مرتاحة تماماً من الموقف الرسمي للحكومة العراقية في مجال التعاون مع الاتحاد السوفيتي. ففي بداية اغسطس 1970 خلال زيارة صدام حسين إلى موسكو، تكلم القائد البعثي عن "امتنان العراق العميق للدعم السوفيتي العظيم لتطوير اقتصاد بلاده" وكان اكثر اطناباً في تعبيره عن تقدير الدور السوفيتي خلال زيارته في شهر فبراير 1972 لموسكو قبيل التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون الموقعة في شهر ابريل 1972 وما تبعته من تأميم شركة النفط العراقية. كانت الزيارة مهمة بشكل خاص لكون بغداد قد ضمنت التأييد السوفيتي بشأن قرار تأميم IPC وليس بعد ذلك التاريخ، ففي كلمته أثناء العشاء أشار صدام حسين إلى "التطور الهام في حقل التكنولوجيا والتعاون الاقتصادي بين البلدين" وأوضح اهمية المساعدة السوفيتية في "استخدام الثروة النفطية" وشدد على "الاهمية القصوى لهذه المشكلة في حياة شعبنا والذي قرر المطالبة بحقوقه المشروعة في صراعه مع الشركات الاحتكارية ولضمان حقوق السيادة على الموارد الوطنية". وزاد صدام حسين "انه من خلال العمل على تحقيق هذا الهدف، يعتمد العراق على قواه الذاتية وعلى الدعم من الاصدقاء وبشكل خاص من الاتحاد السوفيتي. هذه المساعدة نحن نقدرها تقديراً استثنائياً".²⁶

وعند دخول اتفاقية الصداقة والتعاون السوفيتية - العراقية حيز التنفيذ، كان هدف الجانبين توطيد مصالحهما وعلى إستعداد لعمل تنازلات بغية تحقيق اهدافهما

The USSR and Iraq, 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page.: 53

The USSR and Iraq, 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page.: 53

الأساسية. فقد جهزَّ السوفييت العراق بمعونات عسكرية هامة ودعموا العراق سياسياً واقتصادياً لإنجاح خطوة تأميم شركات البترول الغربية، وبالمقابل أبدى البعث الحاكم المرونة تجاه الأكراد والشيعيين، كما وفرت الحكومة العراقية للسوفييت تسهيلات محدودة جوية وبحرية، وقدمت لهم فرص اقتصادية ممتازة، وحصل كلا البلدان على فوائد جمة، ويفسر هذا استمرار الاحتفاظ في النصف الأول من عقد السبعينات بعلاقات جيدة عسكرياً وسياسياً واقتصادياً.²⁷

كان الاتحاد السوفيتي يؤيد بشكل لابس فيه مبدأ تأميم شركات النفط الغربية الكبيرة العاملة في بلدان العالم الثالث. المبادرة تأتي أولاً من حكومات البلدان النامية أنفسهم وثم تقوم الكرملين بعرض الدعم المعنوي كلما كان ذلك عملياً. على سبيل المثال أثناء عقد مؤتمر منظمة الدول العربية المصدرة للنفط في الكويت في آذار 1970، حثت (برافدا) المشاركين الضغط على حكوماتهم "لاستخدام واحد من أهم ثروات العرب لخير الشعوب العربية" وأفضل وسيلة لبلوغ ذلك الهدف هو "تأميم شركات النفط الأجنبية" وكان قد توصل المؤتمر الذي عقد في شهر تشرين الأول/أكتوبر عام 1970 لمنتجي النفط في الجزائر إلى نفس القناعة، نوقش فيه أيضاً ضرورة التوصل إلى صياغة "معادلة لخطة مشتركة ضد الاحتكارات" وأيدت (برافدا) ذلك وكتبت: "الهدف النهائي المتوخى من هذه الإجراءات هو التحرير الكامل لجميع المصادر الطبيعية للبلدان العربية من رساميل القوى الخارجية"²⁸

"لم يشك السوفييت من أن "نتائج النزاع بين شركات النفط الغربية والدول المصدرة للنفط سينتهي إلى تعزيز اتحاد الدول المنتجة للنفط، وسيؤدي إلى تطوير شروط يفقد فيها الكارتيل الامبريالي النفطي دوره في التأثير على عملية إمتلاك الشعوب العربية لنفطها .

عندما اتهمت بغداد في شهر مايس 1972 شركات النفط الأجنبية في العراق القيام بـ "نشاط تخريبي"، فقد أشارت الحكومة العراقية إلى أن خفض الإنتاج في شمال العراق حرم ميزانية الدولة من (L33 million) من الواردات خلال شهر آذار -

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 19 27

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 54-55 28

نيسان والأسبوع الأول من شهر مايس، وردّت السلطة على ذلك بتقديم إنذار لشركة النفط العراقية طالبة منها "زيادة استخراج النفط إلى الطاقة القصوى للأنايب" وبالتسسيق مع وزارة النفط والمصادر الطبيعية العراقية قدمت خطة بعيدة المدى لاستخراج النفط في العراق واتخاذ الإجراءات الكفيلة بتنفيذ الخطة.

وحسب مذكرته The New Times أعطت الحكومة العراقية مهلة أسبوعين للردّ، مع "احتفاظ الحكومة العراقية بحق اتخاذ الخطوة التي تراها ضرورية لحماية مصالحها المشروعة". وأشارت الصحافة السوفيتية بأن "الإنذار" و"المبادرة لاستخراج النفط بجهود الأمة نفسها هو مصدر سخط كبير للاحتكاريين". لاشك، كان هناك ترابط بين الحدثين الا وهو "تدشين حقل شمال الرميله والذي وقرّ للشعب العراقي فرص جديدة لنضاله ضد هيمنة الاحتكاريين الأجانب".

وتمشياً مع الخط السابق، أيدت الحكومة السوفيتية قرار التأميم الصادر في 1 حزيران 1972، وجاء في البيان المشترك في نهاية زيارة وزير الخارجية مرتضى سعد عبد الباقي لموسكو في شهر حزيران، أعلن الجانب السوفيتي عن كامل دعمه لإجراءات الحكومة العراقية وللنضال العادل للشعب العراقي الهادف لاستعادة حقوق السيادة على المصادر الطبيعية للبلاد لتطوير واستقلال الاقتصاد الوطني.

وقام السوفييت بحملة إعلامية واسعة تأييداً لقرار التأميم، فقد علقت The New Times على ماورد في Baghdad Observer من أن القرار "يشكل انعطافاً تاريخياً" بينما وصفت Pravda القرار بأنه "مؤشر على التصميم الكامل للحكومة والشعب العراقي لتعزيز استقلال البلاد سياسياً واقتصادياً والسير قدماً نحو التحولات الاجتماعية". ومع قرار سوريا في تأميم ممتلكات شركة النفط الوطنية IPC رحبت موسكو بالخطوتين واعتبرت ذلك "صفحة جديدة في نضال الشعوب العربية للسيطرة على كافة ثرواتها الطبيعية وترسيخ سيادتها الوطنية. وأخيراً فأن تأميم شركة النفط الوطنية له أهمية قصوى، لأنها لم تكن ببساطة "عقوبة اقتصادية ضد غطرسة الاحتكاريين، لكنها أيضاً تحدٍ سياسي للقوى الإمبريالية".²⁹

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 55 29

يقول بريماكوف في معرض تأميم النفط: "كان تأميم شركة النفط الوطنية يوازي في أهميته تأميم قناة السويس بالنسبة لمصر ولشعبها. تتبأ عدد من المعلقين الغربيين ان النظام الثوري العراقي سيقلى نفس مصير محمد مصدق الذي أمم صناعة النفط الايرانية عام 1951 (.....) وقد هددت شركات النفط الكبرى، كما فعلت قبل عقود من الزمن ضد شركة النفط الفارسية البريطانية، محاكمة كل من يجراً شراء النفط العراقي مدعية أن هذا النفط سلب منها بشكل غير قانونى".³⁰ ويضيف بريماكوف: "في الواقع لم يكن هناك تشابه مع إيران. فبدعم من الاتحاد السوفيتي، نجح العراق في إقامة صناعة إستخراج النفط بإشراف الدولة في شمالي الرميلىه وأبرمت عقوداً مع الاتحاد السوفيتي لتزويده بالنفط العراقي ومع ألمانيا الشرقية، بلغاريا، هنغاريا، بولندا، جيكوسلوفاكيا، كذلك فرنسا وإيطاليا".³⁰ ويزيد بريماكوف: " تقوى الموقف العراقي بالدعم السوري، وفي الوقت نفسه أمم جميع ممتلكات الـ (IPC) في الأراضي السورية وعقدت اتفاقية مع العراق بخصوص نقل النفط العراقي إلى الساحل المتوسط...."³¹

إن وضعنا خطوات التأميم في إطارها التاريخي، سنرى أنه رغم عدم وجود جدول زمني محدد لتأميم الصناعة النفطية في البلاد، لكنه حظي كمبدأ باهتمام جميع الزعماء الذين توالوا على الحكم في بغداد منذ عهد اللواء الركن عبدا لكريم قاسم، لم يكن البعث مستثنى من هذا المبدأ. فعندما وجهت L'Orient اللبنانية السؤال إلى نائب الرئيس صدام حسين في مجلس قيادة الثورة في 18/5/1971 فيما اذا كان العراق يتوخى تأميم شركات البترول الأجنبية، أجاب: " ليس هناك نظام في هذا العالم لا يعمل من أجل تحرير نفطه ويدعي بأنه قومي وتقدمي.... نحن لا نسعى إلى تحقيق جميع أهدافنا دفعة واحدة، لكن إن فشلنا في تحقيق ذلك في المستقبل، سوف لن يكون بإمكاننا تسمية أنفسنا بتقدميين".

هنا نجد أن صدام حسين يلعب أوراقه مع شركات النفط بحذر شديد، إذ ينبغي أولاً الحصول على أموال خارجية ومساعدات تكنولوجية وإيجاد أسواق لحماية العراق

Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 306 30

Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 306 31

من فرض المقاطعة من قبل شركات النفط الغربية العملاقة، كانت مثال رئيس وزراء إيران محمد مصدق في بداية الخمسينات تجربة ينبغي وضعها في الحسبان. ولجميع هذه الأسباب فقد حاولت بغداد قبل تأمين شركة النفط مقايضة بترولها لزبائن من الكتلة الشيوعية وبعض الغربيين مقابل البضائع والخدمات.³²

وكما توضح فيما بعد كان الاتحاد السوفيتي وفرنسا من القوى العظمى الأوائل الراغبين في تلبية حاجات العراق، فقد شعرت موسكو أن هناك فرصة نادرة لإضعاف بعض مصالح الغرب الاقتصادية في الشرق الأوسط وتقوية روابطها مع دولة عربية هامة في مجال النفط. وبعد التوقيع على وثيقة التفاهم في شهر ديسمبر 1967، وقع اتفاق آخر بين الطرفين في شهر حزيران 1969، وبموجب بنودها تسلم العراق مساعدات اقتصادية وتكنيكية سوفيتية بقيمة 72 مليون دولار للتقريب عن النفط واستغلاله في منطقة الحلفاويه في جنوب العراق.³³

أعقبت مبادرة حزيران 1969 اتفاق مماثل يوفر 70 مليون دولار إضافي لتطوير الاحتياطي في المنطقة شمال الرميثة الغنية بالنفط في جنوب العراق، وتديرها شركة النفط الوطنية العراقية، كلا القرضان يدفعان بالمقايضة مقابل النفط، هذا الإجراء وفرّ لموسكو أرباحاً اقتصادية هامة بعد ارتفاع أسعار البترول عام 1973.

واتخذ الاتحاد السوفيتي بين أعوام 1969 - 1972 خطوات أخرى لتمكين العراق استخراج وتكرير النفط وتم تشكيل الإطار الذي من خلاله تتطور العلاقات الاقتصادية الثنائية بالتوقيع على اتفاقية آذار لعام 1970، وتأسست بموجب الاتفاقية لجنة مشتركة دائمة "لدراسة توسيع العلاقات الاقتصادية والتكنيكية والتجارية بين البلدين" أمدها خمسة أعوام وقابلة للتجديد تلقائياً إلا إذا ألغيت من قبل أحد الطرفين.

Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 47 32

Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 47 33

ومن المبادرات الهامة جداً والتي نوقشت خلال هذه الفترة كانت اتفاقات إضافية لتطوير حقل شمال الرميلة وبناء خط أنابيب بطول 143 كيلومتر بينها وبين الخليج الفارسي حيث ينتهي في المياه العميقة للفاو، وبناء مصفياً في الموصل ومدّ أنابيب لربط بغداد بالبصرة واتفاق حول إيجار سفن لنقل البترول من شمال الرميلة إلى الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية بعد ان بدأ الإنتاج في ابريل/نيسان 1972... إضافة وسعت موسكو من حجم مساعداتها التكنيكية إلى شركة النفط الوطنية العراقية (INOC) لتشمل أجهزة للزلازل وحفر الآبار إلى إقامة مركز لتدريب الموظفين في الشركة.

في بداية عام 1975 بلغ التأثير السوفيتي في العراق أوجه، فالكميات الهائلة من السلاح الروسي كان يصل بغداد بشكل لم يسبق له مثيل، أسهمت في حلّ المسألة الكوردية، والعلاقات بين البعث والحزب الشيوعي العراقي كانت ظاهرياً على أحسن ما يرام، والشيوعيون كانوا يشغلون ثلاث مناصب وزارية ويتعاون الحزبان في الجبهة الوطنية التقدمية.

وحتى بعد تأميم شركة النفط الوطنية، استمرت بغداد في الاعتماد على السوفييت للمساعدات الاقتصادية والتكنيكية، ومقابل البضائع السوفيتية والخدمات كان العراق يسدد بالنقد أو المقايضة بالبترول، ومن وجهة نظر موسكو شكل ذلك وضعاً مرغوباً.

هذا الوضع المربح للكرملين لم يدم طويلاً، ففي نهاية السبعينات بدأ العراق ببطء لكن بثقة يفرض نفسه على سيده السوفييت، وعندما نلتفت إلى الماضي نتوصل إلى أن هذا الانعطاف في الأحداث أصبح ممكناً بسبب حادثين منفصلين لا رابط بينهما: ارتفاع أسعار النفط بعد حرب 1973 وهزيمة الحركة الكوردية ربيع عام 1975.³⁴

إن ارتفاع أسعار النفط الهائل وفرّ للعراق أموالاً طائلة مكنها من سدّ جميع حاجاتها العسكرية والاقتصادية، ليس فحسب لدى الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية إنما مع الغرب أيضاً. فانهيار المقاومة الكوردية حرّز العراق من الاعتماد الكلي على

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 25 34

السلح السوفيتي ومن الدعم السياسي الروسي المخطط لموازنة الدعم الإيراني والإسرائيلي والدعم الأمريكي غير المباشر للأكراد....

باختصار تجمعت عدة عوامل مثل الاستقلال الإقتصادي والنصر العسكري على الأكراد وتطبيع العلاقات مع طهران، مكنت بغداد متابعة مصالحها من غير إعطاء اعتبار كبير لرغبات موسكو. وفي ظل هذه الظروف، فقدت الجبهة الوطنية أهميتها السابقة بالنسبة للبعث، وحيث يشارك فيها الحزب الشيوعي العراقي مع البعث، ولم تثمر المساعي الروسية في رأب الصدع، فقد رفض البعث المساومة مع الحزب الشيوعي العراقي وتحول إلى القمع فأعدم 21 شيوعياً في شهر مايس 1978 بتهمة التآمر لقلب نظام الحكم، وأعقب ذلك أعمال قمع متواصلة، ولم يعد للحزب الشيوعي وجود كقوة سياسية عراقية هامة. كما إن مواضيع الخلاف التي أهملها البعث عمداً مع السوفييت في العقد السابق، عادت إلى الظهور لتبرز الخلافات في المصالح

الأساسية بين موسكو وبغداد. وبالنتيجة تدهورت العلاقات بين البلدين بشكل حاد لتصل إلى حافة القطيعة في الفترة الواقعة بين 1978 - 1980.³⁵

وفيما يخص المصالح السياسية والاقتصادية البعيدة المدى، فقد نجحت الحكومة العراقية في جهودها لتأمين الاسواق الغربية لبترونها بعد تأمين شركة النفط العراقية. ففي زيارة لصدام حسين، نائب رئيس مجلس قيادة الثورة، إلى فرنسا في شهر حزيران من عام 1972، تم التوقيع على اتفاقية أمدها عشر سنوات، يتيح لشركات النفط الفرنسية والتي كانت حصتها 23.75٪ من شركة النفط العراقية، أن تحصل على ما يعادل النفط المؤمّم. وأشارت اليومية الفرنسية (لوموند) إلى مفاوضات سرّية حول صفقة سلاح بحوالي (6 بليون فرنك فرنسي)³⁶ مقابل النفط، كان صدام يريد السلاح، وهذا ما لم ترفضه الحكومة الفرنسية والتي أصبحت شريكة في مشاريع صدام التسليحية. وفي تطور آخر زادت إيطاليا من حجم إستيرادها فوق المعدل الكلي 20 مليون طن لأمد عشر سنوات، وقع هذا العقد في شهر آذار عام 1972. ثم

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:25-26 35

The Death Lobby. How the West Armed Iraq. Houghton Mifflin Company. Ke - neth R. Timmerman. Page:13 36

تتالت عقود كبيرة اخرى مع البرازيل واسبانيا. ونتيجة لهذه الإجراءات، إضافة للعقود مع السوفييت والكتلة الشرقية، فقد استطاع العراق التخلص من التهديدات المحتملة للشركات الغربية العملاقة بفرض المقاطعة على بترولهِ.³⁷

كان من نتائج زيادة الإنتاج النفطي بعد تأمين شركة النفط الوطنية مصحوباً بارتفاع أسعار النفط في الأسواق العالمية، ان تمكنت بغداد من تبني مشاريع اقتصادية متطورة وبسرعة، ولم تقتصر العقود على الاتحاد السوفيتي او الكتلة الشرقية، انما تم التوقيع على عقود كبيرة مع الدول الغربية، ففي عام 1973 تفاوضت شركة النفط الوطنية العراقية مع الشركة الامريكية (Brown and Root) لإنشاء محطتين في المياه العميقة في الساحل الجنوبي ونصب انابيب تحت المياه لربط المحطتين مع مدينة الفاو، كما ان مجموعة من الشركات الالمانية الغربية نالت عقداً لإنشاء القسم البري من المشروع. وفي عام 1974 علاوة على مد خط أنابيب واسعة يربط المحطات الشمالية والجنوبية والغربية مع محطات الضخ، أخذت شركة ألمانية عقد بناء انابيب بطول 980 كيلومتر من كركوك إلى ميناء Dortyol التركي على البحر المتوسط، كما زودت اليابان الانابيب الضرورية لهذا المشروع، كذلك الانابيب بين بغداد والبصرة.

38

نظراً للزيادة الهائلة في ارباح مبيعات النفط والقروض التي منحها الدول الصناعية، أن تحقق ازدهاراً اقتصادياً كبيراً، فقد استلمت بغداد أكثر من 6 بليون دولار في عام 1974 فقط من صادرات البترول، وصرفت من هذا المبلغ 4.5 بليون على الاستيراد. لقد انغمس العراق في السوق التجارية العالمية للحصول على السلع والخدمات الضرورية استجابة للتطور والازدهار الهائل في العراق، نجم عن ذلك تغير اتجاه التخطيط التجاري للبلاد، في حين اعتمد العراق قبل 1974 وبدرجة كبيرة على التعامل بالمقايضة مع الاتحاد السوفيتي وبلدان اوروبا الشرقية، كان المستفيد الرئيسي عام 1974 وفيما بعد هي الدول الصناعية الغربية المتطورة، والسبب الرئيسي لهذا التحول يعود إلى توفر كميات كبيرة من العملة الصعبة انصبت

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:22-23 37

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:23 38

في خزينة الدولة من مبيعات النفط والى تفضيل الدولة العراقية للمنتجات الغربية ذات النوعية الجيدة.³⁹

أصبح العراق مركز جذب العقول الفنية العربية بالأخص من مصر، ومن الدول العربية كالمغرب وتونس والجزائر واليمن، كما أصبح النظام البعثي موضع اهتمام الحكومات العربية لوزنه الاقتصادي وامتصاصه لدرجة من البطالة في البلدان المذكورة، فقد تجاوز عدد الوافدين من البلدان العربية الثلاث الملايين وتمتعوا بإمكانيات جيدة لم توفرها لهم بلدانهم. كان البعث يريد من خلال سياسة فتح الحدود لتوافد العرب إلى إثبات نظريته الوحودية واعتبار العرب أبناء وطن واحد أينما كانوا، وأيضاً لإدخال تغيير ديمغرافي واسع بهدف طمس هوية الشعب الكوردي عن طريق الترحيل الإجباري من كردستان ومن خلال سياسة التعريب التي نفذت بعد انهيار الحركة الكوردية. مع العلم لو أخذنا الجانب الكوردي المتمثل في القيادة الكوردية، نرى منحى سياسياً مناقضاً لمصلحة العلاقات الكوردستانية، إذ عانى ممثلوا الكورد الذين إلتجأوا من الأجزاء الأخرى من كردستان إلى المناطق المحررة في كردستان - عراق، عانوا من الاضطهاد. فقد قتل بأمر من القيادة الكوردية المسؤول القيادي البارز في (حدك - إيران، سليمان معيني في 1968/5/15 وسلمت جثته إلى السافاك الإيراني، كما زادت الضغوط على سكرتير الحزب أحمد توفيق إلى أن غادر إلى بغداد ليقتله نظام البعث فيما بعد. كما قتل في 1971/6/6 سعيد إيلجي القيادي في(حدك- كردستان الشمال، ومرافقه محمد بكى بيد رفاقه القياديين وبعلم من قيادة (حدك- عراق)⁴⁰ وتم قتل د. شفان ورفاقه بأمر من قيادة الحركة الكوردية في 1971/11/26. أصاب الشلل نشاط الأحزاب الكوردية في كردستان الشرقية والشمالية. وكان ذلك موضع ارتياح السافاك الإيراني والميت التركي. ثم التقى لأول مرة مبعوثي ملا مصطفى ادريس والدكتور محمود في 1972/6/30 في واشنطن بمدير المخبرات المركزية ريتشارد هيلمز.

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:30

أضواء على الحركة الكردية في سوريا. عبدالحميد درويش. الطبعة الثانية، السلبيانية 2003. ص: 40
195 -194



د شفان مع زوجته وأطفاله على سواحل بحر إيجة، آب/أغسطس 1970 / أكجاي

عددا من أهم قادة (حدك) إيران و(حدك) تركيا الذين لجأوا الى كردستان المحررة، وعلى عكس ما كانوا يأملون، استخدمتهم قيادة الحزب الديمقراطي الكردستاني كأداة لبناء علاقات مع طهران وأنقره. يصعب تصور مدى انعدام القيم الثورية والوطنية في تعامل قيادة (حدك) عراق - مع كافة الأحزاب والحركات الكردستانية التحريرية في الأجزاء الأخرى من كردستان. والمأساة الكبرى لهؤلاء القادة الملتجئين الى كردستان المحررة، كانوا على قناعة من أن «قادة الثورة» هم مناضلون حقيقيون، وثوريون وابطال متفانين من أجل حقوق الشعب الكردي. ولم يعرفوا مدى تورط هذه القيادة مع السافاك الإيراني والميت التركي ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية ومع الموساد الإسرائيلي. كل ذلك يجري باسم «الكورد وكردستان»، لم يكن آنذاك قد اتضح بعد للشعب الكردي حقيقة «قياد الثورة الكردية».

لأعوام طويلة عانت زوجته الشابة بين تناوب الشك واليقين من بقاء زوجها على قيد الحياة، وعندما تيقنت من مقتله لم تعلم كيف ولماذا قضى عليه في كردستان الثورة وتحت نفوذ ملا مصطفى وحزبه. ونفس المعاناة بالنسبة لعائلة المحامي (سعيد ايلجي).

وبعد مضي حوالي أربع عقود على الجريمة، قصد «دارا» ابن الدكتور شفان - شباب بشوش ومهندس معماري مرموق - قصد كردستان في الجمهورية العراقية الفدرالية وحاول أن يعرف ما أمكن معرفته عما حصل لوالده، حيث لم تفارقه ذكراه، يحدوه الأمل في الوقوف لحظات صمت على حافة قبره أو بقعة الأرض التي تحتضن رفاته..... خاب أمله وعاد أدراجه الى استنبول.

والرسالة الجوابية التي أرسلها مسعود ملا مصطفى بتوقيع (رئيس إقليم كردستان) بتاريخ 2 تشرين الأول/أكتوبر 2013 يعدُّ (داراً) ببحث الأمور قريباً لم يعقبها أية خطوة عملية حتى بعد مرور مايقارب أربعة أعوام.

ومما يجدر ذكره كان (مسعود) رئيساً لجهاز الباراستن (الأمن) عندما قتل الدكتور (شفان) وقبله المحامي (سعيد ايلجي) العضو القيادي في الحزب الديمقراطي الكردستاني/تركيا.

سياسة (قبور طيّ الكتمان) لاتزال سارية المفعول وقد أضيف إليها آخرون. هؤلاء (أبطال بلا قبور) يستحقون كل التقدير والتبجيل من الامة الكردية قاطبة وقد عملوا على نهضة الشعب الكردي في أحلك ظروف القمع والاضطهاد القومي في تركيا وإيران.

أحمد توفيق هو الآخر يستحق كل الجهود للعثور على رفاته واعادته الى أرض كردستان.

ثم من الأهمية بمكان أن تسنَّ قوانين صارمة تحرم إخفاء الجثث. يصعب فهم تدني المشاعر والقيم الإنسانية الى مستوى قتل الأب وإخفاء موقع الدفن عن ابنه والعالم، مارست القيادة الكردية سياسة «إخفاء القبور» مع عدد آخر من رموز القادة الكرد الوطنيين، انه إصرار على الجريمة حتى فيما بعد الموت، فمن وراء إخفاء موقع الدفن، يريد الجان الهرب من حكم التاريخ وطمأنة الأثر في الذاكرة الجماعية للامة الكردية.

بينما السافاك الإيراني سلّم جثة (سليمان معيني) الى ذويه في مهاباد بعد أن قتلته قيادة (حدك) تلبية لمطلب سافاكي.

ونتج عن تدخل قيادة (حدك) في الشؤون الداخلية لكورستان الغربية - سوريا - المزيد من الانشقاقات والشلل في الكفاح الوطني. وحصل نفس الشيء للحركة الكردية السياسية في لبنان والتي كانت نشطة في صفوف المهاجرين الكورد.⁴¹

41 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها 1977 أوائل كانون الثاني. ص : 49 - 50

في واقع الأمر، سلكت قيادة الحركة الكوردية نهجاً لترضية دول الجوار وعلى حساب حماية "العلاقات الكوردستانية" في الأجزاء الأخرى المحتلة من كوردستان، منتهكة علاقات التضامن بين أجزاء كوردستان مقابل مساعدات مسمومة إنتهت إلى كارثة. ويشير أرشيف أمريكي في عهد الرئيس نكسون، أثناء لقاء أول وفد كوردي سافر إلى واشنطن والتقى سراً بمدير المخابرات المركزية (هيلمز) في 30 حزيران 1972 وبحضور الكولونيل ريتشارد كنيدي، طلب الوفد الكوردي المؤلف من الدكتور محمود عثمان وإدريس البارزاني: "نظراً لنفوذ الولايات المتحدة، بإمكانها السعي في المستقبل لإقناع إيران وتركيا من أن الحركة الكوردية في العراق ليس لديها أطماع في الأراضي أو طموحات سياسية فيما يتعلق بالشعب الكوردي في إيران أو تركيا. وحركة البارزاني تولى أهمية خاصة بالحكومة التركية، وقد رفضت الاخيرة الدخول في أية صلات مع أكراد العراق، رغم أن طلبة واحدة لم تطلق خلال العشر سنوات الماضية على الحدود المشتركة مع تركيا. بل العكس، حرصت الحركة الكوردية في الواقع حماية الأمن على طول حدود تركيا وايران مع كوردستان. وهذا يخلق الكثير من الأمن على الحدود التركية والايروانية مع عراق عدواني، سوف يكون موضع تقدير من الأكراد لو سعت الولايات المتحدة إقامة صلات مباشرة بين الأكراد والحكومة التركية، وعبروا عن إستعداد أكراد العراق التوقيع على أية ضمانان حدودية يرغب فيها الأتراك والايروانيون، وأن البلدين يمكنهما ان يكتبتا أية ضمانات يريدونها حول الحدود وسيوقعها الجانب الكوردي".⁴²

ويشير القيادي الدكتور محمود عثمان - عن المنحى الخطير الذي وصلت اليه علاقات التبعية مع إيران: " أرسلت هذه القيادة - يعني بها قيادة ملا مصطفى - مفارز من البيشمركه التابعين لها إلى داخل إيران للتعاون مع القوات الإيرانية في قمع بعض المقاومات المسلحة لمناضلي كوردستان إيران".⁴³

Archive concerning June, 1972 meeting between the Kurdish delegate and CIA the CIA director. 42

تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها 1977 أوائل كانون الثاني. 43
ص : 49 - 50

هدنة مع القيادة الكوردية [بيان 11 آذار 1970]

ومما يلفت النظر ان القيادة الكوردية حتى قبل التفاهم مع نظام البعث أفشت لقادة البعث سرّ وجود مؤامرة ايرانية ضد حكمهم، وكانت السلطات الايرانية قد أعلمت القيادة الكوردية بالمحاولة الانقلابية من قبل والتي كان من المفروض ان يقوم بها العميد الركن عبدالغني الراوي والمقدم الركن عبدالرزاق النايف المطرود من العراق كما أشرنا سابقاً. ولهذا الغرض دعا شاه إيران في شهر آب ملا مصطفى الحضور إلى طهران للتداول في شأن الانقلاب، حضر الأخير ومعه الدكتور محمود عثمان واشتركوا في المداولات والاجتماعات التي اشترك فيها المسؤولون الايرانيون، ويبدو ان شاه إيران كان يعلق الأمل على نجاح الانقلاب.

يذكر القيادي في جهاز (پاراستن = أمن حدك) شكيب عقراوي:

"وصل إلى مقر ملا مصطفى سمير النجم عضو القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي في 18 كانون الاول/ديسمبر 1969 ومعه عزيز شريف واللواء المتقاعد فؤاد عارف والتقوا بملا مصطفى في ديلمان، وكانت الزيارة تهدف إلى تهيئة الأجواء للبدء بمفاوضات جديدة. وأن حزب البعث قد قرر بدء صفحة جديدة وانه يعترف بقيادته والتفاوض معه لإيجاد حل للقضية الكوردية.⁴⁴ وقد أرسل ملا مصطفى دارا توفيق مع الوفد الحكومي إلى بغداد وأوصل رسالة شفوية من قائد الحركة الكوردية إلى قادة البعث مفادها: "ان القيادة الكوردية ليست عميلة لأية جهة أجنبية وانها تتصرف حسب مصلحة الشعب الكوردي وأن هناك كفاحاً يجري في كوردستان العراق لنيل حقوق الشعب الكوردي. وحسب أمر البارزاني عرض دارا توفيق على صدام حسين عن وجود مؤامرة ايرانية ضد الحكم. ورد صدام حسين مجيباً بأنه يعلم بوجود المؤامرة الايرانية بقيادة عبدالغني الراوي وأنه قد فسح المجال لمسعى المتآمرين بغية كشف جميع خطوط المؤامرة لمعرفة جميع المتآمرين وبعد ذلك سيجري القاء القبض على القائمين بها قبل موعد التنفيذ"⁴⁵

44 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره - أربيل. ص : 264

45 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره - أربيل. ص : 165

كانت المفاوضات تقترب من نهايتها بين بغداد وقيادة الحركة الكوردية في بداية شهر آذار عام 1970. هل كانت القيادة الكوردية مخترقة من قبل نظام البعث؟ هل كان صدام حسين على علم بما يجري من اتصالات بين ملا مصطفى خفية مع الطرف الإيراني؟ ولهذا كان لا يعارض المطالب الكوردية ولا يدع مجالاً لتملص القيادة الكوردية من التوصل إلى حل؟ نرى سخاءً غير معهود في شهر آذار من الطرفين الإيراني والعراقي لتلبية مطالب القيادة الكوردية، كانت هناك ما يشبه لعبة "جرّ الحبل" بين بغداد وطهران، ونجح البعث في لعبة الاستمالة على إيران. فقبل توقيع بيان آذار بأسبوع واحد، وصل إدريس نجل ملا مصطفى إلى طهران في 4 آذار 1970 وليس من شك كان الهدف الإيراني إفضال المفاوضات الجارية بين الزعامة الكوردية ونظام البعث، ويشير أرشيف أمريكي الى:

1 إدريس البارزاني، نجل زعيم التمرد الكوردي ملا مصطفى بارزاني، وصل طهران، إيران، في 1970/3/4 تلبية لدعوة من منظمة الأمن والمخابرات الوطنية الإيرانية (سافاك) لمناقشة مستقبل الثورة الكوردية، التقى كل من إدريس بارزاني، سامي سنجاري وأمير قاسم في 4 و 5 آذار بممثلي حكومة إسرائيل. شدد الإسرائيليون على استئناف الحرب في شمال العراق ووعدوا تزويد الكورد بمضادات الطائرات والمدفعية الخفيفة. طلب إدريس البارزاني مساعدات تشمل سيارات مدرعة وناقلات شخصية مدرعة. قبل الإسرائيليون تزويدهم بهذه التجهيزات. وفي الحديث الذي تلا، ذكر الإسرائيليون ان على ملا مصطفى البارزاني بذل جهود للإستيلاء على دبابتين عراقيتين على الأقل. لإستخدامها كغطاء، ووعد الإسرائيليون أنهم سوف يزودون دبابات إضافية مع طاقمها عن طريق إيران. قال إدريس البارزاني إنه يفضل ان يكون طاقم كل دبابة كوردياً وطلب تدريب الأكراد لإستخدام الدبابات. ووافق الإسرائيليون فوراً على الطلب.

2. في 6 آذار التقى ادريس البارزاني بالجنرال نعمت الله نصيري، رئيس السافاك. ناقش نصيري الخطط الإيرانية لزيادة المساعدات لملا مصطفى البارزاني وقلق إيران فيما يخص المفاوضات الجارية بين ملا مصطفى والنظام العراقي. ذكر نصيري أن إيران تدعم الخطة الإسرائيلية كاملاً لتجديد الحرب في شمال العراق، وان على إدريس بذل فائق الإهتمام بالمقترحات الإسرائيلية. وكان من المفروض

ان يلتقي إدريس البارزاني مع نصيري مرة ثانية في 7 آذار لمناقشات إضافية حول المقترحات الإسرائيلية.

3. خلال الشهر الماضي بلغت المساعدات المالية الإيرانية والإسرائيلية 1,000,200 دينار عراقي، أو ما يعادل 3,360,000 دولار أمريكي.⁴⁶

لأنعلم هل عاد الوفد الكوردي من إيران إلى كردستان والتقى بصادم حسين الذي وصل إلى مقر القيادة الكوردية في 9 آذار عام 1970. ووقع هدنة سماها الطرفان بـ "اتفاقية آذار".⁴⁷

إختارت القيادة الكوردية التفاهم مع بغداد، أو ربما لم يمنحها صدام حسين فرصة التهرب من توقيع بيان آذار. يقول شكيب عقراوي: "وفي الساعة 11:30 قبل منتصف ليلة 11/10 مارس 1970 وقع البارزاني وصادم حسين على اتفاقية 11 آذار 1970 والتي دخلت التاريخ كحدث مهم في تاريخ نضال الشعب الكوردي". ويضيف: "ومن شدة فرحه فان صدام حسين خرج من غرفة الاجتماع وأطلق اطلاقة من مسدسه بسبب استطاعته التوصل إلى الاتفاقية وأشار للبدء بالأفراح".⁴⁷

وضع الإعلان عن الاتفاق بين بغداد وقيادة الحركة الكوردية في 11 آذار 1970 نهاية مؤقتة لتعاون القيادة الكوردية مع إسرائيل وإيران. هنا تمكن صدام حسين أن يؤجل هذا التعاون ويحصل على 4 سنوات هدنة لتقوية جيشه. وليس من شك ان صدى الاتفاق كان محبباً لطهران وتل أبيب.

إنتاب الشاه القلق من الاتفاقية وكان ينظر إليها من خلال منظار الحرب الباردة وخطورة تقوية النفوذ السوفيتي في المنطقة. ففي اليوم الثاني بعد الإعلان عن اتفاقية آذار، أبرق السفير الأمريكي في طهران لواشنطن يقول: "إتصل رئيس الوزراء الإيراني (هويده)، وذكر أن الشاه كلفه البارحة مساءً، أي مساء 11 آذار 1970 الإتصال بي وتذكيري بمحادثات الشاه معي في 4 من شهر شباط (راجع البرقية) بشأن

ACQ(7 March 1970) Intelligence Information Cable TDCS DB 315/01044-70. 46

سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره - أربيل. ص : 269 47

التهديد السوفييتي العراقي للشرق الأوسط. كما أشارت إليه مخاوف الشاه من أن السوفييت حققوا الخطوة التالية في برنامجهم (مراجعة البرقية) بتشكيل إقليم اوتونومي لكوردستان العراقية. وقال ان البارزاني أخبر الحكومة الإيرانية بشكل بالغ السريّة قبل ثلاثة أيام أنه بقبول الحكومة العراقية لإقليم كوردستان الاوتونومي وجميع المطالب الكوردية الاخرى، لم يعد لديه أية ذريعة معقولة لاستمرار الكورد في الصراع ضد حكومة بغداد. وذكر هويده ان الشاه كان على حق وسابقا في تنبؤاته حول نوايا السوفييت والعرب الراديكاليين في مساعيهم للتغلغل في أجزاء أخرى من الشرق الأوسط. (مثل ليبيا، السودان، الصومال، اليمن الجنوبي، الخ) وكان على حق فيما يخص أهداف السوفييت في العراق. فإذعان بغداد أمام إصرار الكورد على مطلب الاوتونومي كان، حسب مصادر موثوقة، نتيجة مباشرة لضغط موسكو على بغداد.

2- يريد الشاه من أعلى الجهات الحكومية ان تعرف ان الاتفاقية بين الكورد والحكومة العراقية تطور خطير يزيد بشكل كبير التهديد في منطقة الخليج وفي الجزيرة العربية وذلك للأسباب التالية:

- أ - وكما بثتها هيئة الاذاعة البريطانية هذا الصباح ان الاتفاقية ستسمح "بانتشار حوالي 20000 من القوات العراقية في الخليج".
- ب - إنها توفر المزيد من الموارد والقدرات للعراق لأغراض تخريبية عديدة ضد دول الخليج الصغيرة.
- س - يتضح ان الحكومة العراقية هي تحت التأثير السوفييتي بسبب اعتمادها على الأسلحة السوفييتية وعلى معونات أخرى للبقاء.
- د - ستعبد الطريق للخطوة السوفييتية المقبلة، وهي تحويل اقليم كوردستان العراق المتمتع بالحكم الذاتي إلى دولة تتوسع في نهاية المطاف كي يكون لها حدود محاذية مع الاتحاد السوفييتي وهذا يمكنه من التغلب على الحاجز التركي الايراني الراهن والاندفاع المباشر في الشرق الأوسط. (مراجعة البرقية).
- ج - ولن يقوم السوفييت الآن بإثارة العواطف القومية القوية للشعب الكوردي في أوساط أكراد تركيا وايران للقيام بأعمال تخريبية من اجل إقامة دولة كوردية مستقلة مترامية.

3 - وطلب الشاه من هويده لكي يبلغنا بأن هذه التطورات في نظر الشاه جعلت تعاوننا مع ايران لتجهيز وتطوير قواتها المسلحة أكثر أهمية من ذي قبل، كي يتواجد الحد الاقل الضروري لتطوير قوة الردع قبل انسحاب القوات البريطانية من الخليج نهاية عام 1971. علاوة يأمل الشاه من ان هذه التطورات ستقود إلى اعادة النظر في أسعار الفائدة لمبيعات السلاح الخارجية ونظام الإدارة المالية للائتمان للدفعة التالية، بالأخص منح 75 ٪ دولار و 25 ٪ للائتمان الخاص للدفعة المقبلة، حيث لمست المصادر المالية الإيرانية أقصى الحدود.....⁴⁸

(.....)

حاول الشاه استخدام التهديد العراقي والاتفاق مع ملا مصطفى للضغط على واشنطن للحصول على المزيد من الأسلحة المتطورة، لقد حصل الشاه على مايريد رغم معارضة الكونغرس الأمريكي لمثل هذه الصفقات العسكرية الهائلة.

في 14 آذار، أعلمت الخارجية الأمريكية سفيرها في طهران بوجهة نظرها فيما يتعلق بالاتفاقية: "في حين نتفق على ان اتفاق التسوية المعلن بين العراقيين والأكراد أكثر إلزاماً من أية اتفاقية سابقة حتى الآن، الا اننا نتساءل عن مدى فترة الالتزام بها. فقراءة دقيقة للمواد الخمسة عشر من إعلان التسوية يظهر ان مسألة أساسية هامة بقيت دون جواب وهي إلى أي درجة ستتمتع المنطقة الكوردية بالحكم الذاتي. هذا بلا شك عنصر أساسي في أية اتفاقية دائمة، وان تطبيقها سيكشف وجود ثغرات جدية قاتلة. حتى وان لم تتجدد العمليات العدائية في مثل هذه الظروف الا اننا نعتقد ان هناك قلقاً خفياً لدى بغداد سيستمر لبعض الوقت بسبب إمكانية تجدها. لذا نشك في ان يتولد لدى الحكومة العراقية شعور بالتححرر لوقت طويل لتغيير نواياها ومواردها بعيداً عن الأكراد نحو إيران ومنطقة الخليج الفارسي. كما ان أي هدوء في هذا المجال سيشهد توظيف القوات في الاردن وسوريا بدل جنوبي العراق.⁴⁹

From the Embassy in Iran to the Department of State March 12, 1970 1335Z 48

From Departement of State to the Embassy in Iran March 14, 1970, 0039Z. 49

لم تتطابق وجهة نظر الإدارة الأمريكية مع ما ذكره الشاه من مخاطر مترتبة على الاتفاق بين الحكومة العراقية والحركة الكوردية. وتوافق الحكومة الامريكية على ان السوفييت لعبوا دوراً هاماً في تحقيق الاتفاقية، وان السوفييت مهتمون بإيجاد نفوذ بين الأكراد، الا ان ذلك ليس غاية أساسية يريدون تحقيقها في الوقت الراهن: "نشك في اية محاولة لخلق "ممر كوردي" في الوقت الحالي. فالقيام بهذا العمل لاشك سيثير أسئلة هامة بين أصدقاء السوفييت من العرب فيما يخص النوايا الحقيقية لأنهم سيقطعون إقليماً هاماً من دولة عربية. اضافة يبدو من غير المرجح مجازفة السوفييت بعلاقاتهم التي يراعونها بكثير من الاهتمام مع إيران وتركيا، فالشروع بمثل هذا المخطط الذي ورد في الفقرة 4، سيثير ردود فعل قوية من البلدين المذكورين.

"بالطبع نتفق مع الحكومة الايرانية في توجيهها العام في اعتبار ذلك تطوراً هاماً يستحق اهتماماً كبيراً وباستمرار. نقدر اهتمام الحكومة الإيرانية ونرحب بأية آراء إضافية منها:⁵⁰

فبما يتعلق بالحكومة الإسرائيلية، ذكر وزير خارجية تل أبيب لوزير الخارجية الأمريكي في 10 ابريل/ نيسان 1970 أن السوفييت لعبوا دوراً حاسماً في الاتفاق الكوردي العراقي. وحسب قوله: "وجد العراقيون أنفسهم بإصرار سوفيتي مضطرين رغماً عنهم للتوصل إلى حل للمشكلة الكوردية، وقد أكدوا أنهم يريدون السلام في مناطق قريبة من الحدود السوفيتية. المفاوضون العراقيون قالوا حرفياً للأكراد عليهم ان يقدموا شروطهم بشأن الاتفاقية ثم وقعوها دون الحاجة إلى المزيد من النقاش. وعزى الوزير الإسرائيلي ذلك إلى قوة النفوذ السوفيتي في العراق ومصر". وعبر عن وجهة نظره: "يتناوب الاهتمام السوفيتي التقليدي في الشرق الأوسط بين التغلغل في البحر الأحمر كمر إلى شرق أفريقيا ونحو الخليج الفارسي كمر إلى جنوب آسيا، وعندما يتعرضون إلى عراقيل في اتجاه، يتحولون إلى الممر الآخر..... وذكر انه كان قد الخ على Rusk ان على الولايات المتحدة ملئ الفراغ الذي يتركه الانسحاب البريطاني، لكنه تلقى رداً من أن الولايات المتحدة لا ترتبط بالتزامات المملكة المتحدة شرق السويس. وتبأ الوزير الاسرائيلي رفائيل، لسوانك Swank ان الضغوطات السوفيتية التي نتج عنها الاتفاق العراقي الكوردي هي بدايات الاندفاع

From Departement of State to the Embassy in Iran March 14, 1970, 0039Z.

50

السوفيتي الجديد لتحقيق المزيد من النفوذ في الخليج الفارسي.⁵¹

كان الجانب الامريكي مدركاً للهاجس الأمني القومي لدى طهران وتل أبيب، لذا شاب الموقف الامريكي التحفظ بصد ما ذكره رافائيل وزير الخارجية الإسرائيلي "ندرك ان لدى الإسرائيليين مصادر جيدة في الشأن الكوردي لكننا على اعتقاد ان رفاثيل بالغ في الدور السوفيتي في الاتفاق العراقي الكوردي الحديث....."⁵²

كانت المفاوضات قد بدأت في (ناوبردان) بحضور صدام حسين وأعلن في (بغداد) التوقيع على بيان آذار 1970. ولنسمع إلى ما يقوله المحامي جرجيس فتح الله وهو واحد من العارفين ببواطن الامور في الحركة الكوردية كيف كانت المفاوضات تدار بين الطرفين: "حمل الوفد الحكومي في طريقه إلى (ناوبردان) هدايا شخصية للرئيس وولديه ولكل عضو في المكتب السياسي وعضو في الوفد الكوردي المفاوضات تتضمن حلياً لنسائهم وأقمشة ومبالغ مالية فلم ترفض وكانت على تفايتها بداية مشئومة لتبرير هدايا وعطايا من نوع آخر."⁵³

ومسعود ملا مصطفى لا يخفي انبهاره بصدام حسين فكتب يقول "ليس بوسعي وأنا بصد هذا الحدث العظيم في تاريخ الشعب الكوردي أن اغفل الشجاعة والجدية التي أباها صدام حسين في هذا المجال ولا بدوره المركزي من الجانب الحكومي في اخراج هذا الاتفاق إلى حيّز الوجود".⁵⁴ هذه الكلمات بحق صدام حسين كتبت بعد ما أخذ صدام حسين بيد مسعود بعد طرد القوات العراقية من الكويت، حيث بداية التفاهم غير المعلن بين صدام حسين ومسعود ملا مصطفى والذي طال حتى سقوط نظام بغداد 2003، مانحا إياه المال والدعم السياسي والعسكري.

Telegram 54598 from the Department of State to the Embassy in Israel, April 14, 1970, 0109Z 51

Telegram 54598 from the Department of State to the Embassy in Israel, April 14, 1970, 0109Z 52

53 زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد. الطبعة الثانية. 1978. ص: 53

54 البارزاني والحركة التحررية الكردية. مسعود البارزاني. أربيل 2002. ص: 243

وفيما يخص المفاوضات وطريقة إدارتها، يقول جرجيس فتح الله: "لم تجر المفاوضات وفق الأصول المتبعة أعني ضبط المحاضر. وكانت أشبه بمجلس عشائري (عربي كوردي) حافل بكثير من عبارات الود والمجاملة والمزاح وتبادل النكات تدار خلاله أقداح القهوة والشاي بعدها ينتقل الجميع إلى قاعة الطعام وقد حفظ كل دوره التالي".⁵⁵



صدام والبركر مع نجلى ملا مصطفى و د. محمود عثمان. بغداد 1970

ويمضي إلى القول: "من مبادئ الحزب الديمقراطي الكوردستاني المسطرة في منهاجه، انه يُوجب العمل على إعادة الحياة الديمقراطية بشكلها البرلماني على نطاق القطر العراقي لأنه الضمان الحقيقي لتمتع كوردستان العراقية بحكم ذاتي صحيح، لكن أعضاء الوفد الحكومي رفضوا سماع أي اقتراح حول ما يدعى بالانتخابات العامة معللين ذلك بأنهم لم يصلوا إلى الحكم بهذا الاسلوب وإنما عن طريق ثورة (انقلاب) أطاحت بحكم رجعي عميل فاذا هم سمحوا بانتخابات عامة فإنهم لن يفعلوا أكثر من تسليمهم الحكم طواعية إلى الفئات الرجعية والعميلة التي اطاحوا بها بالقوة وبعد المخاطرة بأرواحهم. فأسرع الوفد الكوردي بالموافقة على هذا المنطق وطوي الاقتراح مثلما نشر واعتذر عنه بقوله ان هذا المبدأ في الحقيقة لم يدخل منهاج الحزب إلا لأغراض تكتيكية ولأسباب مرحلية وان الحزب البارتي هو كحزب ثوري بالأصل لا يؤمن بالديمقراطية اللبرالية وبيانتخاباتها". وهكذا أسقط شعار (الحكم الذاتي لكوردستان والديمقراطية للعراق)".⁵⁶

55 زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد.

الطبعة الثانية. 1978. ص: 50

56 ن . م . س . ص: 51

«ثم توالى التنازلات المبدئية. كان من منهج الحزب العمل على إنهاء مشكلة جنسيات الكورد الفيليين المستحقين بالولادة او الاستيطان وبحكم القانون فطرح مسألتهم هذه فأجاب الوفد الحكومي (القضية بسيطة جداً لا تحتاج إلى إدخالها في جدول الأعمال. فليقدم الحزب قوائم بأسماء المستحقين للجنسية إلى وزير الداخلية ليصدر بها قرارات متتابعة ولن ترفض أية حالة مستوفية الشروط القانونية). وقنع الوفد الكوردي بهذا الوعد فنصح من الخارج بأن الإقتراح الحكومي المطروح خال من ضمان قانوني...وبعد أقل من سنتين لإعلان بيان آذار تم طرد ثمانين ألف كوردي فيلي عراقي من البلاد شرطرة وصودرت ممتلكاتهم التي قدرت بأكثر من أربعين مليون دينار وكانت لطخة عار في جبين الحزب الذي تبنى مشكلتهم من الأول وضمن عليهم بالمساعدة الأخوية وهو في أوج قوته. عندما بدأت قوافل المطرودين المحمولين باللوريات تجتاز الحدود لم تقدم القيادة احتجاجاً عملياً ولم تنظم مظاهرات ولم تهدد بشيء ما.. أجل ظهر مقال شديد اللهجة في جريدة الحزب يندد بعمل الحكومة... بعد ان اجتاز آخر كوردي منهم الحدود فبدأ هذا المقال وكأنه مريثة تتلى على قبر ميت.»⁵⁷

وأرجىء بحث مسألة كركوك وخانقين وسنجار وكلها مناطق نفطية.

ويشير شكيب عقراوي إلى انه جرت في شهري أيار وحزيران 1970 الاستعدادات للقيام بالإحصاء وتم تشكيل لجنة وزارية في بغداد للقيام بالإحصاء، وتحديد المنطقة ذات الأكثرية الكوردية وشمولها بالحكم الذاتي، لكن المهيب أحمد حسن البكر طلب فجأة من البارزاني تأجيل موعد الإحصاء إلى إشعار آخر دون تحديد الوقت بالضبط وطلب بأن يكون الإحصاء في ربيع 1971 ووافق البارزاني وقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني.⁵⁸

ويعلق جرجيس فتح الله على نفس الموضوع: «بعد شهرين ونيف من التهيؤ للإحصاء القومي العام الذي سيقدر حدود منطقة الحكم الذاتي. فوجيء الرأي العام الكوردي بتأجيله إلى إشعار آخر (بسبق اتفاق بين القيادة والسلطة). لم ينشر تعلييل واضح مقبول حول هذا التأجيل لكن شاع في الاوساط الحزبية (بوحى من

57 ن . م . س . ص : 52

58 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره - أربيل. ص : 297-298

القيادة طبعاً) أن هذا التأجيل من مصلحة الجانب الكوردي الذي ستتوفر له امكانية الاستعداد للإحصاء بعد عودة النازحين بسبب الحرب إلى مناطقهم وبذلك تؤمن الأكثرية العددية. ليس ثم تشويه للحقيقة اعظم من هذا. فالنازحون على فرض وجودهم ليسوا غير قلة لا تغير في الميزان السكاني شيئاً والأكثرية كانت مضمونة في كل زمان ومكان.

قبل الإجراءات الحكومية التي شرعت بها الحكومة قبل التأجيل وبعده. كان يجب القيام بالإحصاء حالاً لاسيما وان السلطة كانت خلال الأسابيع القلائل التي تلت اعلان البيان تخشى (تحريك الماء) وإثارة نزاع جدّي حول اسس القضية قد يؤدي إلى القطيعة واستئناف القتال وهي بعد لم تكمل استعدادها للخطوة الثانية من المخطط الذي رسمته للقضاء على ثورة الشعب الكوردي....»⁵⁹

في واقع الأمر بقيت الثقة مفقودة بين الجانبين ولذا لم يكن هناك تجاوب جدّي بشأن تطبيق بنود بيان آذار من الطرفين، وبعد ما يقارب الخمسة أشهر وجه صدام حسين رسالة إلى ملا مصطفى ينتقد الأخير في عدد من تصرفاته المنافية لروح بيان آذار، ومن ضمن ما ورد فيها:

«.....المستفيد من بيان 11 آذار ليس الحكومة فحسب وإنما الشعب العراقي بمجموعه، لذلك فإن تطبيقه بكامل بنوده مسؤولية تقع على عاتق الطرفين واقصد بها الحكومة وحزب البعث من ناحية والبارزاني وحزب البارت وكل البيشمركه من ناحية اخرى.....»

«.... ومن أجل أن نسند الادعاء بالبراهين تجنبنا الاصرار على تسليم السلاح والإذاعة كشرط أول في الحوار والاتفاق وتجنبنا كذلك البحث في مواقع الجيش العراقي من جهة حاج عمران، لأننا ندرك نوع الشكوك والهواجس التي تنتابكم نتيجة هذا الطرح، لقد أدركنا من أن تأكيد حسن نيتنا في الوقت الحاضر والمستقبل تقع مسؤوليته الإجرائية علينا أكثر من سوانا ومن هذا المنطلق تعاملنا بسخاء في الحوار الذي نجم عنه بيان 11 آذار، لم نكن نرفض لكم طلباً ولم نصرّ على ما يثير في نفوسكم الهواجس والشكوك وكانت رغبتنا تنصب فقط على وضع التحديدات اللازمة التي من شأنها منع كل إلتباس في العلاقات المقبلة.»

59 زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد. الطبعة الثانية. 1978. ص: 56-57

«لقد تم الاتفاق على ان يجري تسريح الفرسان وجماعة جلال الطالباني بشكل متوازن مع تسريح البيشمركة الفائزين عن العدد المتفق عليه (6 آلاف) على أن يكون هذا العدد حرساً للحدود، ومع ذلك فقد سرحناهم جميعاً وجمعنا الأسلحة منهم في فترة لا تتعدى الشهر الواحد، ووعدناكم شفهيّاً على أن نغلق جريدة النور خلال شهرين إلى ثلاث أشهر وفعلنا ذلك قبل ان يمضي شهر واحد على بيان 11 آذار.»

ثم يمضي في رسالته ليوضح أنه على علم بما يحصل لدى ملا مصطفى من خفايا وتناقضات:

«أيّها الأخ...» الأعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى» ولكن «آثار الأقدام تدل على المسير». فهل من عاقل يحمل نوايا غير شريفة ونظيفة ويجرد نفسه من القوى المساندة أو الاحتياطي أو القوى الرديفة مهما كان وزنها أو نوعها. لقد سحبنا الجيش إلى أماكنه الاعتيادية من أكثر المناطق وسرحنا الفرسان وجماعة جلال، والأصح لم يقف الأمر في حدود تسريحهم وإنما وصل حد معاداتهم بسبب الصيغة المهينة التي جرى بموجبها سحب الأسلحة منهم وتسريحهم، وأبقينا على الأسلحة والإذاعة لديكم ولم تسرحوا من القوة الاساسية للبيشمركة ولم تفقدوا من قوتكم بل زاد احتياطكم وتوفرت لديكم مواقع وفرص جديدة للعمل فلماذا كل هذا الشك - وماذا خسرتم أيها الأخ لكي يبلغ بكم الحذر درجة الشك. ولماذا لانشك نحن، في الوقت الذي تتحسس من اتصالنا برؤساء الفرسان حتى بصفتنا حكام وبصفتهم مواطنين لا حول لهم ولاقوة، وعندما نقطع صلتنا بهم تستدعيهم إلى كلاله وتصرف لهم الأموال والسلاح وتقربهم منك... وتتهم البعض بالجاسوسية لإيران كمحمد رشيد لولان وتحذرنا من الاصرار على ارجاعه إلى مكانه السابق بإعتبار أنّ ذلك المكان يوفر له فرصاً جيدة للاتصال بإيران، وبعد ذلك تكتب لنا كما ورد في ملاحظاتك التي حملها المحافظ إلينا - حول صرف مبالغ للسيد محمد رشيد لولان. تتهم جلال طالباني وابراهيم احمد ومجموعتهما بالتجسس وسوء الأخلاق ونسمع بالفترة الاخيرة بالإتصالات الجارية بينكم وبين جلال وإبراهيم احمد في العراق ولندن من أجل إقتاعه بالعودة إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني، بماذا تفسر كل هذا أيها الأخ.

أخي أبا إدريس... أرجو ان لا يفهم من كلامي اننا ضد التصافي وضد فكرة توحيد الأكراد وإنهاء كل الضغائن بينهم، وانما على العكس من ذلك إذ قد طرحت معكم وطرحنا جميعاً على الاخوان من الحزب الديمقراطي الكوردستاني خلال الحوار وبعد بيان II آذار رغبتنا الاكيدة في تناسي الاحقاد فيما بينكم وتجميع كل الاكراد ضمن قيادتكم وباتجاه الحرص على تطبيق بيان II آذار، ولكن اعتراضنا ينصب على هذا التناقض في التقييم والمواقف.... جاسوس وعميل منحط خلقياً حينما يكون مع السلطة التي هي سلطتكم وأنتم جزء منها... ووطنى وشخص مخلص بعد فترة عندما ترضون عليه.

إن هذا التقييم المتناقض يوحي للكثيرين من أن الأمر ليس تناقضاً بالتقييم وإنما الرغبة في تطويق هذه العناصر لحملها على ان تكون في موقع يؤمن لكم في المستقبل مقاتلة السلطة بهم، ولا أعتقد أنّ من المصلحة ان يتولد لدى المواطنين هذا التصور عن سلوككم الذي نحرص أن يكون تقييمه من قبل عموم المواطنين جميعاً عرباً واكراداً بأنه خير معبر عن الحرص على تطبيق بيان II آذار واستبعاد أي احتمال بعودة منطلق القوة محل الحوار الأخوي الهادىء....

لعل ما يثير الاستغراب هنا هو سرعة انهيار الجانب الكوردي بالمناصب والمال والامتيازات الحكومية، ويقول جرجيس فتح الله معلقاً: "ان السلطة نجحت ايما نجاح في الاختبار النفسي الذي اخضعت قيادة الحزب والثورة له. فمن جملة الرشاوى التي قدمتها السلطة للقيادة انها اعفت السيارات الخاصة التي يستوردها اعضاء اللجنة المركزية من الرسوم فتسابق بعضهم على الشراء ثم البيع مستفيدين من فرق السعر الكبير. وباع احد الوزراء عضو المكتب السياسي سيارته هذه واشترى بثمنها بيتاً. كان ذلك اوسع من ان يكتف عن قواعد الحزب وعندما اضطرت القيادة إلى معالجة الموقف واتخاذ قرار لوقف هذا التهافت انبرى احد اعضائها بطلب تأجيل العمل بالقرار إلى حين اكمال معاملة سيارته الواردة من الخارج".⁶⁰

60 زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد. الطبعة الثانية. 1978. ص: 55-56

قام عدد من أولاد أحمد آغا الزبياري بمحاولة لاغتيال إدريس، فقد تعرضت سيارته ليلاً في 6 كانون الأول/ديسمبر 1970 إلى النيران، أي بأقل من عام على صدور بيان آذار، أثناء مرورها في إحدى شوارع بغداد، لم يكن إدريس موجوداً داخل السيارة، وجرح مرافقه (حميد برواري)، ولا يزال يعاني من الشلل، وكان والده قد أرسله لتقديم التهاني بمناسبة عيد الفطر المبارك إلى القيادة البعثية. وقدمت السلطة الجناة إلى المحكمة.

وتعرض ملا مصطفى والدكتور محمود عثمان في 29/ أيلول 1971 لمحاولة اغتيال محكمة نجوا منها بأعجوبة

ومن المدهش حقاً أن يجد البعث طريقه مبلطاً لمحاربة الحركة الكوردية إلى حدود لم يصدقها في البداية، فقد كان البعث يتوقع ان يجابه جبهة كوردية متراسة قوية ومخلصة للمبادئ، فيبدل أن يجد "تماسكاً وجد تفككاً. توقع ان يجد اتحاداً في الرأي فوجد انشفاقاً فكرياً"⁶¹

وليس ادل على ذلك من "التصرف الغريب" لرئيس الحزب ملا مصطفى نفسه الذي انعكس على القضاء على وحدة العائلة البارزانية وفتح المجال لنمو روح العداء بين أولاده هو، إلى حدود الحقت بالقضية الكوردية أفدح الأضرار وصبت مباشرة في مصلحة النظام البعثي.

لقد تفشت المحسوبة والمنسوبة بشكل صارخ في صفوف الحزب الديمقراطي الكوردستاني وغابت المحاسبة عن التجاوزات اللاقانونية التي قام بها بعض المنتسبين إلى الحزب والثورة باسم الحزب والثورة. ويعلق الاستاذ جرجيس فتح الله على هذه الظاهرة: "كان على القيادة ان تتدخل لوقف هذه التجاوزات بنفس الصرامة التي كان عليها ان تتدخل لوقف تعديت الحزب الحاكم باسم السلطة. الا انها ظلت مكتوفة اليدين في الحاليتين. احياناً كانت تخرج أصوات هامسة حول مرتكبي الجرائم من معسكر الثورة خلاصتها انهم من المقربين إلى رئيس الحزب وانه يبسط عليهم حمايته. ان صحت هذه المقولة وإذا قبلنا بها فأية حجة يمكن ان تقدمها القيادة لإغفالها واحدا من اهم مبادئ الحزب ومقوماته ومصادر قوته في الماضي وهو مبدأ النقد الذاتي العلني لسياسة الحزب العامة ولتصرفات الاعضاء صغارهم وكبارهم وتطبيق العقوبات الانضباطية بحقهم."⁶²

61 ن . م . س . ص : 58

62 زيارة للماضي الغريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم. السويد.

تهيئة الجيش العراقي

جرى تزويد العراق بالأسلحة السوفيتية بعد الإطاحة بالنظام الملكي الهاشمي عام 1958، بعدها إستلم العراق في نهاية أعوام الستينات الدفعة الثانية من السلاح السوفيتي، وتابعت موسكو في أواسط عام 1971 تزويد العراق بـ (110 طائرة مقاتلة MIG-21) ومقاتلات (SU-7) وأكثر من 20 مروحية ومدربين، كما تزود العراق بين 100 إلى 150 دبابة وشاحنات بلغ عددها 300 وحوالي 300 مدفعاً ميدانياً وراجمات صواريخ. وبعد التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون إستلمت بغداد (SA-3) صواريخ أرض - جو SAM، و (Tu22) قاصفات ذات المدى المتوسط (الاولى من نوعها في ذلك الوقت) والاولى التي تسلم خارج الاتحاد السوفيتي واوروبا الشرقية، وصواريخ (Scud) ومقاتلات (MIG 23) الأكثر حداثة خصت بها العراق وحده خارج الاتحاد السوفيتي. ليس من شك أن تزويد الجيش العراقي بهذا السلاح المتطور عززت كثيراً قدرات السلاح الجوي العراقي، وأخيراً زودت موسكو العراق بكميات كبيرة من المدرعات، مدافع، صواريخ وقوارب للدوريات (Osa) وقوارب التوربيدو (P.6).⁶³ ومن الناحية العسكرية أولى صدام حسين جهوداً كبيرة لتعزيز قدرات الجيش العراقي لخوض حرب كوردستان. وعندما توضحت الخطوط السياسية الجديدة في مواقف البعث والحركة الكوردية بداية عام 1974 زار بغداد فجأة وزير الدفاع السوفيتي في 23 آذار، المارشال Andrei Grechko وفي حينها أشارت الصحافة الغربية لهذه الزيارة المفاجئة بأنها تعكس رغبة موسكو للتوسط في النزاع مع الكورد حيث كان الاتحاد السوفيتي يحتفظ بعلاقات جيدة معهم. لكن هذا التوقع لم يكن صحيحاً، ففي شهر آذار من عام 1974 كان الاتحاد السوفيتي متأكداً من موقف ملا مصطفى الموالي لإيران والولايات المتحدة الأمريكية. ففي نظر السوفييت، إن الدعم الغربي لملا مصطفى يهدف إلى إضعاف نظام حليف لموسكو إن لم يكن إسقاطه، وأن المجابهة بين البعث والحركة الكوردية ستحصل قريباً. لذا فوصول وزير الدفاع السوفيتي إلى بغداد كان هدفه إظهار الدعم السوفيتي الكامل للحكومة العراقية. وقد علقت Pravda على الزيارة بأنها تعكس اهتمام وزير الدفاع السوفيتي

الطبعة الثانية. 1978. ص: 58

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page:19 63

بـ "الإجراءات التي اتخذتها الحكومة العراقية لتقوية أو أصر الوحدة الوطنية وسيادة الدولة ووحدة أراضيها". هذا التصريح يشير بوضوح إلى اهتمام السوفييت في الاستعداد العسكري للعراق، وظهر بسرعة أن كميات كبيرة من السلاح الروسي المتطور أخذ يتدفق إلى العراق في النصف الثاني من عام 1974 وبداية عام 1975، وكان من بينها صواريخ سكود أرض أرض وطائرات الميغ (23s) علاوة، انعكس الاهتمام السوفيتي في السماح باستخدام الطيارين السوفييت لأداء مهمات القصف فوق كوردستان عند بدء خريف عام 1974 وبداية عام 1975. هذه الهجمات الجوية نفذت خلال الطائرات القاصفة (Tupolev-22) سلمت للعراق قبل بدء حرب أكتوبر مع إسرائيل عام 1973، وأيضاً خلال طائرات الميغ (MIG23s) التي وصلت العراق حديثاً. لأنه في ذلك الوقت لم يكن أي طيار عراقي قد تدرّب على استخدام هاتين المقاتلتين. إن استخدام الطائرات والطيارين السوفييت قدم دليلاً ملموساً في الدعم السوفيتي للجهود الحربية ضد الأكراد.⁶⁴

كان ردّ فعل ملا مصطفى على المساعدة السوفيتية للعراق هو مناقشة الدول الغربية "التدخل لوقف النفوذ الروسي في العراق من خلال مساعدة الكورد معنوياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً" ⁶⁵.

كما شكلت وزارة الدفاع العراقية في نهاية عام 1974 فرقة المشاة الثامنة في مدينة أربيل وعين العميد الركن طه الشكرجي قائداً للفرقة، وهو من المعروفين بعدائه للشعب الكوردي إذ يصرح علناً بإبادته.⁶⁶

تغيير في المواقف: السوفييت والقيادة الكوردية

منذ الإطاحة بالنظام الملكي العراقي في 1958، دافع الاتحاد السوفيتي بشكل متواصل عما وصفه بـ "الحقوق الكوردية المشروعة في الحكم الذاتي ضمن الدولة العراقية" وتجسد هذا في الموقف الذي تبناه الحزب الشيوعي العراقي، ففي تقرير نشرته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي في آذار/مارس 1962 جاء فيه: "لا

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 89

Ibid: 90 65

سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. مطبعة مناره - أربيل. ص : 371 66

يبقى للديمقراطية معنى إلا إذا توفرت الضمانات لتمتع الأكراد بحقوقهم القومية وإدارة شؤونهم، ويمكن تحقيق هذا فقط من خلال الحكم الذاتي" استخدمت هذه الصيغة لتعني "تكون الشؤون الإدارية لهذه الأراضي في أيدي مجلس تشريعي ينبثق منه المجلس التنفيذي المسؤول أمام الشعب".

وكان الاتحاد السوفيتي هو أول من زود الحركة الكوردية بالمال منذ أواخر عام 1961 بإعانة قدرها 360 000 دولار سنوياً (حوالي 120 000 دينار عراقي) وثم زاد من هذه المخصصات في عام 1969 لتصل إلى نصف مليون دينار، واستمرت هذه الاعانة إلى عام 1972.⁶⁷ كان العون المالي السوفيتي محسوباً ومحدوداً بحيث وقف حائلاً لحدود معينة أمام تفشي الفساد داخل القيادة الكوردية الفاقدة المناعة أمام المال، وحافزاً لإنماء المصادر الذاتية. وكلها كانت تصل مباشرة ليد رئيس (حدك). لم يوافق الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي على مزاعم بغداد من أن الثورات الكوردية السابقة ضد الحكومة العراقية المركزية كانت نتيجة مؤامرات أجنبية، بل كانت نتاج "الاضطهاد القومي إلى أقصى الحدود"، لذا إن الطموحات الكوردية هي موضع اهتمام السوفييت والحزب الشيوعي العراقي، علاوة إن الحكم الذاتي لكوردستان العراق يعزز التآخي العربي الكوردي ضد الإمبريالية والرجعية المحلية ويرسخ الديمقراطية ويضمن الاستقلال الوطني ويساهم في التقدم الاجتماعي، وعلى العكس فإن أية محاولة لاضطهاد الكورد بالقوة الغاشمة سوف تكون عاملاً مساعداً لمؤامرات الإمبريالية والقوى الرجعية للنيل من وحدة الشعبين".

وكانت موسكو قد اعتبرت خطة الدكتور البزاز لعام 1966 والتي اعترفت بحق مشاركة الأكراد في الإدارة في مناطق سكناتهم والتي تكفل لهم تطوير التعليم باللغة الكوردية في مدارس المنطقة، إنها "خطوة في الاتجاه الصحيح" لكن ظهر فيما بعد أن نظام عبدالرحمن عارف لم يكن جاداً في تنفيذ الإصلاحات الموعودة.

كانت القيادة الكوردية متشككة من نوايا البعث بعد ان عادوا إلى الحكم من جديد في 17 تموز 1968، وشاطر المحللون السوفييت نفس المشاعر، ففي تعليق على الدستور المؤقت الذي تبنته الحكومة العراقية في شهر سبتمبر 1968، انه "غير محدد" فيما يتعلق بالحكم الذاتي وهذا من شأنه ايجاد الحيطة من قادة الحركة الكوردية التحريرية، ومما يثير الاهتمام هو ماورد في اعلان الحكومة العراقية من تأييد للوحدات العسكرية الموالية للطالباني في القتال الجاري مع قوات ملا مصطفى المعروفين تحت اسم بيشمركه.

67 البارزاني والحركة التحررية الكردية. الجزء الثالث. مسعود البارزاني. أربيل 2002. ص: 395

وعندما كثفت السلطات البعثية من إجراءات التعسف ضد الكورد، اتخذت موسكو موقفاً صريحاً مؤيداً لملا مصطفى. ففي سلسلة من المقالات الهامة والتي عكست موقف الحكومة السوفيتية، كتب مراسل Pravda الصحفي الروسي Evagenii Primakov مكرراً موقف التعاطف التقليدي لنيل الحكم الذاتي، وأوضح انه يعكس وجهة النظر الكوردية مبرراً ذلك بأن الحجج الكوردية مقنعة، وذكر أيضاً بأن بعض حجج الطرف المعارض (الحكومة العراقية) هي أيضاً صحيحة. وأستشهد على سبيل المثال بقول أحد الزعماء العرب لم يكشف اسمه: "على الاقلية القومية ان لا تحاول إيجاد الضعف داخل العالم العربي في وقت نحن نخوض صراعا صعبا ضد الإمبريالية وإزالة آثار العدوان الإسرائيلي". لكن هذه حجة، بالنسبة لبريماكوف في صالح أهمية إيجاد "حل سلمي نهائي لمشكلة شمال العراق والتي ستخدم مصالح العرب والكورد على حد سواء".

بقي موقف الكرملن من القضية الكوردية دون تغيير طوال عام 1969، وثمرت الدعاية السوفيتية الخطوات التي اتخذتها الحكومة العراقية "لتنشيط الاقتصاد العراقي بتعزيز قطاع الدولة وإضعاف موقف الإمبريالية، بالأخص في حقل انتاج النفط". كما عبر الاتحاد السوفيتي عن دعمه لعدد من الإجراءات مثل فتح جامعة كوردية في السليمانية، وإحداث محافظة دهوك واستثمار الأموال لتطوير اقتصاد مناطق الشمال، لكن المشكلة الأساسية وهي منح الحكم الذاتي للأكراد بقيت دون حل. وجد بريماكوف ان هذا موضع أسف، "لأن مضي الوقت دون محاولة جادة لإيجاد معادلة مرضية للطموحات القومية للسكان الكورد ضمن إطار الدولة العراقية ستصب في مصلحة العناصر المتطرفة لكلا الطرفين".

كانت الاتصالات تجري بين البعث وملا مصطفى للوصول إلى تسوية للمسألة الكوردية طوال عام 1969، وكان السوفيت مساهمين في هذه المساعي، وكانوا راغبين في دفع الطرفين، بغداد والأكراد نحو التفاهم. انعكس اهتمام موسكو بإيجاد حل عاجل في مقال هام ظهر في Pravda معلقاً على محاولة الانقلاب الفاشلة ضد حكومة البعث في 21 كانون الثاني 1970 "إن التمرد كان من صنع العناصر الرجعية المتطرفة والذين تلقوا الدعم من المخابرات الأمريكية وقوى خارجية أخرى" هذا ما كتبه بريماكوف، ويقصد بالقوى الخارجية الأخرى إيران. وذكر أيضاً أن الهدف الرئيسي للانقلابيين هو "نسف الحوار الكوردي العراقي والذي كان يسير نحو النجاح". وأضاف "ان الرغبة في الحيلولة دون إيجاد حل للمشكلة الكوردية هو

مفبرك من الخارج ومصمم على إبقاء العراق ضعيفاً في وقت تخوض الشعوب العربية صراعاً صعباً ضد الإمبرياليين"، وأكد على "الأهمية القصوى لإيجاد حل سلمي في الشمال بالنسبة للدولة العراقية ولقضية العرب بشكل عام" وختم بريماكوف "ان الاتحاد السوفيتي وقف دوماً إلى جنب الحل الديمقراطي السلمي لهذه المسألة ذات الأهمية القصوى".⁶⁸

قبل بيان آذار 1970، كانت الحكومة السوفيتية على اعتقاد بأن تسوية الخلافات بين القوميتين في العراق يتطلب ليس فقط تسوية وقتية محدودة التأثير، إنما تحتاج إلى إيجاد حل راديكالي يمس جذور المشكلة الكوردية، وعلقت الـ Pravda داعمة التوجه الذي عبّر عنه صدام حسين في مقابلة صحفية مع بريماكوف في كانون الثاني 1970:

"الاعتراف بوجود الأمة الكوردية في العراق إلى جانب الأمة العربية هي نقطة بداية العمل، هاتان الأمتان موحدتان في الأرض ولهما قدر مشترك..... يجب إيجاد معادلة دستورية تؤكد الحقوق القومية الكوردية... نحن لا نريد حلاً ارتجالياً، علينا التوصل إلى تسوية للمشكلة الكوردية في العراق بشكل دائم كي لا تعاني الأجيال القادمة بسبب عدم حلها."

أيدت الكرملن بحماس بيان آذار 1970، وذكرت الصحافة أن الشعوب السوفيتية كانت دائماً توصي بالحل السلمي الديمقراطي لهذه المسألة ذات الأهمية الفائقة للعراق. ففي برقية رسمية في 17 آذار 1970 من رئاسة السوفييت الأعلى Nikolai Podgorny و Aleksei Kosygin رئيس الوزراء السوفيتي عبّرا عن قناعة الكرملين بـ "أن هذه الاتفاقية الهامة ستساهم في ترسيخ الوحدة الوطنية والصداقة بين الشعبين الشقيقين في الجمهورية العراقية". وان موسكو تتطلع إلى "أن يساهم بيان آذار في تسهيل اتحاد جميع القوى التقدمية في جبهة وطنية موحدة في البلاد".⁶⁹

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 70-69

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 74-73

كتب Evagenii Primakov يقول: بين أعوام 1966 - 1970 ربما كنت الممثل السوفيتي الوحيد الذي كان يقابل ملا مصطفى بشكل منتظم.... "في بعض رحلاتي كان يرافقتني بعض من الدبلوماسيين السوفييت مثل Pouvalyuk Viktor و Oleg Peresytkin لكن ثقل المهمة كان على عاتقي، مراسل برافدا . لقد عملت كل جهدي لأقامة الجسور بين الطرفين.....". إلتقى لأول مرة بملا مصطفى أثناء حكم عبدالرحمن عارف في ديسمبر 1966"عانقني البارزاني قائلاً "إن الاتحاد السوفيتي بمثابة أب لي". وقال انه يرحب بمساعي الحل السلمي لكن لا يثق ببغداد حيث أقام المتطرفون معارضة قوية تحول دون تطبيق الحكومة بنود الهدنة التي وافق عليها الطرفان.....". وكان يؤكد "أنه حتى لو طلبت الحكومة العراقية ان ننصل سوف لن نقبل بذلك".⁷⁰ وقبل الإعلان عن بيان أذار كان بريماكوف وعزيز شريف في ضيافة ملا مصطفى، ويكتب بهذا الصدد مشيراً إلى حادثة تتم عن ظل العلاقات مع إيران: "ثلاثتنا تغذينا سوياً وتقاسمنا زجاجة كونيكا إيرانية (نعم إيرانية). كان البارزاني منفتحاً وكثير الكلام واقترح أن نشرب نخب الشعب الروسي والاتحاد السوفيتي. وبتملق ذكر لنا أن المقترحات السوفيتية لعبت دوراً كبيراً في إقناعه دخول المفاوضات مع نظام بغداد وقال "مجرد الموافقة على المناقشة يمكن ان يعزز موقف الكورد والحزب الديمقراطي الكوردستاني".⁷¹

كما تطرقت الصحافة السوفيتية إلى دور الحزب الشيوعي العراقي "البناء" و "صراعه الميرير من اجل التوصل إلى حل سلمي وديمقراطي في الشمال" كما أشارت بشكل غير مباشر إلى دور الاتحاد السوفيتي في تحقيق التسوية بالإشارة إلى تصريحات الدكتور محمود عثمان إلى ال Pravda "إن الاتحاد السوفيتي الصديق أيد الحل السلمي للقضية الكوردية وبالأخص حث على الحوار للوصول إلى النتائج الضرورية لضمان المصالح القومية للعرب والكورد".⁷²

إن الأطراف الأربعة المتنافسة: الاتحاد السوفيتي، حزب البعث الحاكم (صدام حسين) والحزب الديمقراطي الكوردستاني (ملا مصطفى) والحزب الشيوعي

Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus 70
330 - Books Group. New York. 2009. P: 329

Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus 71
Books Group. New York. 2009. P: 333

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie 72
M. Smolansky. Page: 74

العراقي، كل واحد منهم يسعى إلى تقوية مركزه. فالطرفان، صدام وملا مصطفى كانا يسعيان إلى الحصول على الدعم السوفيتي لتقوية مركزيهما في العراق. وكانت موسكو تحاول التوازن بين هذه الأطراف لترسيخ نفوذها في البلاد، لكن سياسة التوازن هذه انهارت في النهاية لصالح البعث بسبب عدة عوامل، منها: مالت الحركة الكوردية كاملاً نحو إيران والغرب وبدون تحفظ، ارتفاع أسعار النفط بعد حرب أكتوبر عام 1973 والأهمية الاستراتيجية للعراق في الصراع مع الغرب والولايات المتحدة الأمريكية. ولذا وجد الاتحاد السوفيتي نفسه داعماً للحل الذي فرضه البعث على الأكراد عام 1974، كما ساعد السلاح المستورد من الاتحاد السوفيتي في هزيمة ملا مصطفى عام 1975، مع علم السوفييت إن هزيمة الحركة الكوردية سيقبل من اعتماد بغداد على الكرملين. وبالنسبة لبغداد كانت كوردستان تمثل مصدراً مالياً هائلاً لوجود النفط. وقد ازدادت أهميتها بعد الارتفاع الكبير في أسعار النفط. وعلى الأمد الطويل لم يكن بمقدور موسكو التحكم في الأحداث، فاضطرت إلى المصادقة على الحل الذي فرضته بغداد.⁷³

يمكن وصف الدور السوفيتي في نهاية الستينات والنصف الأول من السبعينات، كما يقول Oles M. Smolansky بالدور "المؤثر في تسهيل الحماية"، حيث زودت موسكو المصادر الكافية اللازمة لحكومة بغداد لقتال الكورد بصورة أكثر فاعلية من قبل، لكن المبادرات والتخطيط كان يأتي من الحكومة المركزية، وهذا يعني ان العراقيين هم الذين مارسوا بشكل رئيسي التحكم في الأحداث. إن الأهداف التي توختها موسكو من دورها في العملية ليست واضحة. فلو أخذنا دقائق الوضع السائد، كذلك الحالة الذهنية للقيادة الحاكمة في الكرملين في زمن الحرب الباردة، ربما كان التدخل السوفيتي يشكل حلقة واحدة ضمن سلسلة من الحلقات الأخرى لممارسة "التأثير" من خلال إلزام الحكومة العراقية كدولة زيونة بتبني مواقف معينة ضمن عملية الصراع بينها وبين الولايات المتحدة الأمريكية. ما يشير الاستغراب في المسألة كلها هو أنّ واقع ما حصل لم يكن نتيجة خطوات اتخذتها القوى العظمى، ولا حتى خطوة مباشرة من الطرف العراقي او الجانب الكوردي الذي أنهى المسألة الكوردية، بل بسبب قرار من شاه إيران بوقف المساعدة عن الحركة الكوردية كجزء من عملية التقرب من العراق وفق ما نص عليه اتفاق عام 1975 بين بغداد وطهران، وتذرع

القيادة الكوردية بالاتفاق فوراً لكي تبرر نهاية الحركة الكوردية. مما جعل الميزان يميل لمصلحة بغداد. ويحل المسألة الكوردية استطاع البعث أن يتخذ خطوة أخرى باتجاه تعزيز سيطرته الداخلية على العراق والقضاء على نفوذ الحزب الشيوعي العراقي وانفراده بالسلطة. ومن وجهة نظر سوفيتية أن صدام حسين بدأ بالابتعاد عن السوفييت حال شعوره بأن سيطرته كاملة على جهاز الدولة العسكري والأمني والحكومي عقب وضع البكر تحت الإقامة الجبرية في 17 تموز 1979 بمناسبة ذكرى الانقلاب البعثي.⁷⁴

والجدير بالذكر انه حتى في الأعوام الأولى للنفوذ السوفيتي الهام، لم يقبل البعث بان يتمتع الحزب الشيوعي العراقي بوضع متساو معه، لكنه أبدى نوعاً من التسامح بالمشاركة في الوزارة، ومما يجدر ذكره هو إن البعث كان دائماً يعتبر مثل هذه التنازلات إجراءات وقتية، حتى قبل التمتع بالاستقلالية التامة وتعزيز سلطته الداخلية وامتلاك جميع مصادر الحكم.

ومما أدهش السوفييت هو تفاوض صدام حسين مع شاه إيران وتوقيع اتفاقية الجزائر في 6 آذار عام 1975. دون توسط السوفييت او استشارتهم.⁷⁵ وينطبق نفس الشيء على شاه إيران، فهو لم يهتم بردّ فعل واشنطن أو تل أبيب عندما وقّع على اتفاقية الجزائر.

تمتع العراق في هذه الفترة بحرية اتخاذ القرارات، ورغم إن العراق لا يبعد جغرافياً عن الاتحاد السوفيتي كثيراً، لكن كان زعماء الكرملين يدركون منذ زمن بعيد ان الغرب لن يقبل بفرض إرادته على العراق بالوسائل العسكرية وذلك بسبب الأهمية الاستراتيجية للبتروول في الشرق الأوسط وحساسية الغرب الفاتئة من تدخل سوفييتي يهدد تدفق البترول، مما جعل أي تهديد عسكري روسي بالتدخل في المنطقة أمراً بالغ الخطورة. وكان العراقيون يدركون هذه الحقيقة، فاستغلوا استغلالاً جيداً هذا الواقع لصالحهم. هنا نحن أمام حالة ميزت العلاقة بين بغداد وموسكو بواقع ينتفي

Russia & The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Perseus Books Group. New York. 2009. P: 309 74

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 283 75

معه التدخل العسكري. ومن هنا محدودية التأثير من جانب قوة عظمى على دولة زبونة.

وكما هو متوقع، فإن تراكم الثراء المالي الهائل في أيدي البعث، خلال التحول في اقتصاد البترول العالمي في أواسط السبعينات وهزيمة الحركة الكوردية في آذار عام 1975، جعل ميزان العلاقات العراقية السوفيتية يميل لصالح العراق. ودون خشية من السوفييت لم يتوان البعث في سحق الحزب الشيوعي العراقي بوقت أبكر مما كان يتوقعه بالأصل. لم يكن البعث غافلاً قط في تحقيق أهدافه في السيطرة الكاملة على العملية السياسية في العراق، فأسرع بإعدام نخبة من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي، طبعي احتجت موسكو بقوة، لكن في النهاية لم يكن لدى موسكو غير خيارين، إما دعم رفاقهم العقائديين، لوربما دون تحقيق نتيجة، وعلى حساب إغضاب البعث، أو يبلعوا المهانة على مضمض، تاركين رفاقهم أعضاء الحزب الشيوعي العراقي لمصيرهم. فالسوفييت بعد جهود مضية لكسب البعث لسنوات، اختاروا الخيار الثاني.⁷⁶

وهكذا خسر الاتحاد السوفيتي ورقة الحركة الكوردية والحزب الشيوعي العراقي واحداً تلو الآخر لصالح الحليف البعثي وعلى حساب مصالحه البعيدة المدى. وأيضاً خسرت الحركة الكوردية والحزب الشيوعي العراقي الدعم السوفييتي لصالح البعث، ونال البعث ما أراد.

لكن مالذي جعل الحزبين (حدك) و (حشع) وهما الأقرب أحدهما من الآخر من حيث المعاناة على يد البعث، يتنافران ويتصارعان ويتحالفان بمعزل عن الآخر مع نظام اعتبراه دكتاتورياً، فاشياً، دموياً، مناهضاً للممارسة الديمقراطية والحريات العامة؟ كانا قد ذاقا على يده البطش والتنكيل عام 1963! ووافقا على مكاسب آنية [بيان 11 آذار عام 1970 بالنسبة للحزب الديمقراطي الكوردستاني] والدخول في [الجبهة الوطنية العراقية بالنسبة للحزب الشيوعي العراقي في 17 تموز 1973] مكاسب قابلة للمصادرة متى ما أراد البعث؟ ليس من شك ان الجانبين افتقرا إلى الحنكة السياسية

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 284 76

والاستراتيجية الصحيحة على المدى البعيد . فاستغل ذلك البعث بشكل قضي في النهاية على الاثنين .

وعندما أعلن البعث من جانب واحد مشروع الحكم الذاتي عام 1974 وقاطعه الطرف الكوردي، كانت الحكومة العراقية قد ضمنت تأييد موسكو لموقفها وخسر الطرف الكوردي حليفين هامين: الاتحاد السوفيتي والحزب الشيوعي العراقي . وتبنت موسكو حجج الحليف البعثي فيما يخص أسباب رفض القيادة الكوردية لمشروع الحكم الذاتي الحكومي، فقد أشارت The New Times إلى الدافع الحقيقي لموقف ملا مصطفى مستشهداً بأقوال أحد المعارضين له في الوزارة العراقية، "في السنوات الأخيرة تشكل حلف من الرجعية المحلية ومن القوى الإمبريالية" ومن مؤشراتنا معارضة الحزب الديمقراطي الكوردستاني للجبهة الوطنية، فتح الحدود مع إيران وتصريحات عن قبول "المساعدات من أية جهة كانت، ضمنها الولايات المتحدة وإسرائيل"، وعروض لـ "ضمان التنازلات للأمريكيين في حقول النفط الغنية في كركوك". لم تجد The New Times هذا الموقف مبعث غرابة "النقطة الأساسية هي أن معظم القادة الكورد يشكلون العنصر الإقطاعي من البرجوازية وانهم مهتمون بمصالحهم الشخصية مما يدفعهم إلى مقاومة الإصلاحات التي تقوم بها بغداد".⁷⁷

وردّ صوت كوردستان أن موقف موسكو جارح للعلاقات الأخوية بين الشعب الكوردي وشعوب الاتحاد السوفيتي، وحملت الإذاعة حكام بغداد والذين يدعمونهم مسؤولية الإساءة إلى العلاقات العربية الكوردية، وذكّرت الكرملين أنه في الماضي، عامل البعث الحزب الشيوعي العراقي بقسوة متميزة. "كيف يتمكن حزب البعث بماضيه الإجرامي أن يتحول إلى بان الاشتراكية في العراق؟ وتسائل راديو صوت كوردستان. "إن تصور أحد أن هذا التحول ممكن إنما يرتكب خطأً تاريخياً كبيراً، لن يغفر له الشعب".

وكان ردّ راديو موسكو بصدد رفض قانون الحكم الذاتي "لقد إختار الجناح اليميني في الحزب الديمقراطي الكوردستاني طريق خداع الشعب الكوردي وإثارة حرب أهلية"

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 88 77

وبعملها هذا فقد تجاهل الحزب حقيقة ان تنفيذ القانون ... مرتبط تماماً بالمصالح الحيوية للعراق ومستقبله كدولة مستقلة ذات سيادة".

وباستمرار الخلاف، ركّزت الصحافة السوفيتية اهتمامها على خطين متوازيين: "تزايد عزلة العناصر الرجعية في الحركة الكوردية" وعلى "عودة الحياة الطبيعية إلى المناطق المحررة".⁷⁸

ليس من شك أن القيادة الكوردية كانت تمثل مصالح الإقطاع الكوردي ويشمل حتى حماية مصالح المرتزقة الإقطاعيين، وهذا يشكل واحداً من أهم التناقضات في مسار قيادة الحركة التحررية الكوردية. "قيادة رجعية تقود حركة تحررية" أيدت الجماهير شعارات الحركة التحررية وهي تجهل رجعية قيادتها، ووقع عبء التضحيات على كاهل الطبقة الفلاحية، في حين كانت القيادة في خدمة الإقطاع وتبنت زيفاً شعارات الحرية والتقدم والديمقراطية وخدمة الفلاحين، لكن ذلك لا يغير من حقيقة أن شعباً حرّم من حقوقه القومية، له حسب المواثيق الدولية الحق في التمتع بحقه في تقرير مصيره بنفسه. هنا أيضاً تأتي القيادة الكوردية بالمصائب لشعب تدعى انها تمثل مصالحه. وانجرت موسكو إلى دعم حكومة بغداد خدمة لمصالحها وخلافاً لشعاراتها المتمثلة في الدفاع عن حقوق الشعوب المضطهدة والمستعمرة. "عندما تيقن السوفييت من نوايا ملا مصطفى وانه انحاز كاملاً نحو إيران، إسرائيل والولايات المتحدة الامريكية، أخذ السوفييت موقف تأييد حكومة بغداد. ولم يكن اتخاذ هذا الموقف سهلاً وبدون ألم، اذ كان يعني التخلي عن سياسة متبعة منذ سنوات وأثبتت جدواها، وحتى عندما تقرر تأييد بغداد ضد الكورد، فإن السوفييت امتنعوا لفترة طويلة سحقت الحركة الكوردية حتى بعد ان أعلن ملا مصطفى بوضوح عن موقفه المناصر للغرب. ربما كان موقف موسكو إنعكاساً لمخاوف راودتها من تقديم مساعدة كبيرة من الغرب وإيران للأكراد، فاندلاع نزاع مسلح في المناطق الشمالية قد يؤدي إلى انهيار النظام البعثي الصديق في العراق. ففي حالة كهذه فإن القيادة الجديدة في بغداد قد تجر البلاد بعيداً عن الصداقة السوفيتية وتقترب أكثر من الدول العربية المعتدلة مثل مصر وحتى مع القوى الغربية".

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky with Bettie M. Smolansky. Page: 90 78

في نظر بعض المحللين أن قرار كرملين بتأييد البعث في مواجهته (حدك) جاء بشكل رئيسي نتيجة مبادرة ملا مصطفى، فقد أوجدت سياسته أرضية مشتركة سوفيتية وعراقية أزاء القضية الكوردية. وقد ظهر أن محاولات موسكو مع ملا مصطفى والحكومة المركزية كانت بلا فائدة. وحتى عندما تصرف الطرفان المتنازعان باعتدال في الفترة بين 1970 - 1973، لم يكن ذلك نتيجة الضغط السوفيتي، بل كان نتيجة قرارهم المستقل المؤقت في عدم رغبتهما في حدوث مواجهة عسكرية في شمال العراق.⁷⁹

[حشع] و [حدك] يفترقان

قبل الاقدام على الاطاحة بنظام عبدالرحمن عارف، طلبت قيادة حزب البعث في حزيران 1968، وهي القيادة المرتبطة بميشيل عفلق، والتي كان الحزب الشيوعي العراقي يعتبرها يمينية، اللقاء بقيادة (حشع) للبحث في الوضع السياسي.⁸⁰ التقى مكرم الطالباني باحمد حسن البكر، وأتضح ان البعثيين مقبلون على القيام بانقلاب عسكري ويطلبون التعاون مع (حشع) وقالوا انهم جادون ويريدون جواباً. ويقول العضو البارز في (حشع) الدكتور رحيم عجينه:

"حصل هذا وكانت دماء الشهداء من ضحايا مجازر وجرائم البعث في شباط 1963 ماتزال ندية لدى كوادر الحزب وجماهير الشعب والثقة مفقودة بهذا الجناح من البعث، هذا من جانب، ومن الجانب الآخر كنا قد انتهينا لتونا من اجتماعات الكونغرس الثالث الذي حرّم التعاون مع البعث اليميني."⁸¹

وبعد نجاح الانقلاب في 17 تموز 1968، تسلمت قيادة الحزب الشيوعي العراقي رسالة من البكر يطلب فيها اللقاء مجدداً مع (حشع) وزاره مكرم الطالباني في القصر الجمهوري "وهنا على نجاح عملياتهم، وتحدث البكر عن سعادة حزب البعث لحصوله على فرصة ثانية لإثبات وجوده وتطبيق برنامجه. وقال ان سعادتني ستكون اكبر لو اني

The USSR and Iraq. 1991 Duke University Press. Oles M. Smolansky & Bettie M. 79
- 98 Smolansky. Page: 97

الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكونز الأدبية . ص: 93 . 80

الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكونز الأدبية . ص: 94 . 81

دخلت القصر الجمهوري وأنت (يقصد مكرم) على يساري والبعثي على يميني.⁸²

ثم تطورت اللقاءات مع قيادة حزب البعث بشكل منتظم، مع مواصلة القمع والإرهاب واغتيال الشيوعيين، "كما حدث في الهجوم على اضراب عمال الزيوت النباتية والتجمع الجماهيري في ساحة السباع في بغداد في شهر تشرين الثاني 1968، ويقول رحيم عجينة: "وقد علمنا من المشاركين في هذا التجمع ان صدام حسين كان هو الذي قاد الهجوم على التجمع".⁸³

كان الحزب الشيوعي العراقي حزباً جماهيرياً لكنه لم يستفد من هذه الجماهير لتقديم قضيته والمسك بزمام الحكم. وهنا تبرز ظاهرة هامة وهي انه ليس للجماهير وزن في بلد يعتمد على القوة والقسوة. كان (حشع) يملك الجماهير الواسعة، والبعث لا يملك قاعدة جماهيرية، لكن أسلوبه كان التسلق عن طريق الانقلابات، فنجح في استلام السلطة بينما فشل الحزب الشيوعي العراقي وأصبح فريسة للضربات المميته للبعث وبتوقيت يختاره قادة البعث، في حين لم يكن أمام قيادة (حشع) غير ردود فعل لا تتناسب مع القمع الذي مارسه البعث ضدهم.

يقول رحيم عجينة: "لم يكن قادة البعث يطبقون نشاط الحزب وصلاته الجماهيرية، وكان مهمهم ان يقلصوا قوة الحزب التنظيمية ونفوذه إلى الحد الأدنى ان لم يستطيعوا القضاء عليه. وكانوا يدركون عدم استطاعتهم تغييب الحزب عن الساحة العراقية، فلجأوا إلى الاعتقالات المنهجية وبيّن فترة واخرى وكلما شعروا ان الحزب قد اتسع في تنظيماته او في توزيع صحافته السريّة. وفي احدى لقاءاتنا مع طه الجزراوي، عامر عبدالله وانا، أثرنا هذه الملاحظات التي تتناقض مع اقوال البعث عن سعيه لاقامة علاقات طبيعية مع الحزب.

لم يخفى علينا موقفهم وأوضح انهم، كحزب سياسي، عملوا في ظروف العمل السريّ قبل اليوم ويدركون ان للحزب مطابعه وجريدته وانه يسعى لتوزيع هذه الجريدة ويعقد اجتماعات ويتصل بالجمهور. ولكننا، البعث عندما يقع في ايدينا دليل على مثل هذا النشاط لا يمكننا ان نسكت عليه وسنعتقل كل من يقوم به. ثم تناول ورقة ورسم

82 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينة . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 94 .

83 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينة . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 96

عليها دائرة وقال اننا نسمح للحزب الشيوعي ان ينشط داخل هذه الدائرة فقط، واذما ما حاول الخروج منها فإننا سندفعه إلى داخلها.⁸⁴

ويقول عجينة "الحزب الديمقراطي الكوردستاني اتفق مع البعث في بيان آذار وبدأت جريدته (التآخي) تنشر موضوعات لاقتسام الهيمنة على النشاط السياسي انطلاقاً من ان البعث امتداد للحزب الديمقراطي الكوردستاني في جنوب ووسط العراق والاخير امتداد للبعث في كوردستان".⁸⁵

الواقع كان البعث يعرف كيف يدغدغ خيال قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ويجرهم إلى حيث يريد ويخلق ثغرة يتواصل اتساعها مع الحزب الشيوعي العراقي إلى حد القطيعة، وبذلك استطاع البعث ان يضعف الحركة الكوردية عسكرياً، اذ كان للمشاركة الشيوعية في الجبهة ضد البعث أثر كبير في نيل بعض أهم الانتصارات العسكرية قبل بيان 11 آذار لعام 1970. لذا لم يكن ابعاد الحزب الشيوعي عن المشاركة في الحركة الكوردية نقطة ضعف سياسية فحسب إنما أيضاً نقطة ضعف عسكرية. كما أصبح الحزب الشيوعي العراقي فريسة سهلة لضربات البعث فيما بعد، وهكذا نرى ان المستفيد الاول هو نظام البعث الدكتاتوري. في الواقع كانت إيران وحكومة البعث في بغداد تسعيان لدق أسفين في علاقة (حدك) و(حشع) ويبدو ان قيادة الحزب الديمقراطي مالت إلى العداة مع الحزب الشيوعي العراقي ترضية لطهران وحليفاتها، وكتب سكرتير الحزب الشيوعي العراقي (عزيز محمد) رسالة إلى ملا مصطفى في 2 كانون الاول 1973 : "..... ولكن يؤسفني - أيها الأخ العزيز - أن أخبركم بأن مجهوداتنا في هذا السبيل، وشعورنا بالمسؤولية الوطنية والقومية والتاريخية لم تقابل من قبل بعض الإخوان في قيادة (حدك)، ليس فقط بموقف ايجابي، أو المعاملة بالمثل، وإنما استغل سكوتنا الإعلامي وحرصنا الشديد على منع ترددي العلاقة بين حزبينا، لأغراض التماذي في محاربة حزبنا الشيوعي والاستمرار في ملاحقة أعضائه ومؤازريه في كوردستان. فان حملة الاعتداءات على رفاقنا ومنظمات حزبنا في معظم المناطق الكوردية وبمختلف الأشكال والأساليب وخاصة في الأرياف مستمرة ولاتزال... وتصلنا يومياً أخبار موثوقة مقلقة بعمليات سوقهم من المعتقلات التي كانوا قد زجوا فيها إلى معتقلي "قصرى" و "رايات" حيث تمارس هناك بحقهم شتى وسائل التعذيب لإجبارهم على التبرؤ من الحزب الشيوعي، وتقديم المعلومات عن علاقاتهم ونشاطاتهم وأسراهم الحزبية.

84 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص : 97

85 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص : 109

كما اننا لم نتلق لحد الآن رغم مطالبنا المتكررة والملحة جواباً عن مصير رفاقنا الأثني عشر الذين سبق وان غادروا الوطن بعلم من مسؤولي (حدك) وعادوا إلى كوردستان بعلمهم أيضاً، واختطفوا من قبل البعض منهم منذ أكثر من ثلاثة أشهر". ويرد عليه ملا مصطفى برسالة مجاملة بتاريخ 5 كانون الأول 1973، لكنه لم يذكر له شيئاً عن مصير الشيوعيين الذين تم تصفيتهم جميعاً. كانت جريمة ليس لها لزوم على الاطلاق.

كان البعث يتطلع ان يكون حاكماً على الأمة العربية كلها، فبالنسبة للقيادة البعثية، هناك ثلاثة تيارات أساسية في العالم: البعثي والناصرى والشيوعي عدى الرأسمالية. فالناصرية انتهت بهزيمة حرب الأيام الستة، والغرب الرأسمالي والولايات المتحدة الامريكية لن يدع التيار الشيوعي يتحكم في أي بلد من العالم العربي، لذا فان التيار المؤهل هو التيار البعثي الذي سيتولى الحكم ليس فقط في العالم العربي، انما هو تيار قيادي للعالم الثالث بأسره مقابل المعسكر الشيوعي والرأسمالي.⁸⁶

عقد المؤتمر الثاني للحزب الشيوعي العراقي في كوردستان المحررة وأطلق عليه "مؤتمر هندرين" وهو اسم معركة لعب فيه الانصار الشيوعيون دوراً بارزاً في الستينات. كان موقع المؤتمر على سفح جبل كاروخ في منطقة رواندوز.⁸⁷

في هذا المؤتمر جرى تعديل موقف الحزب الشيوعي العراقي من "تحریم التحالف مع البعث" وهو الموقف الذي أقره كونفرنس الحزب الثالث في 1967، إلى العمل على "التحالف معه" ومع القوى السياسية الاخرى اذا ما توفرت مستلزمات التحالف.⁸⁸ بعد ان علم البعث بهذا المؤتمر، اشتدت حملاته الارهابية على كوادر ونشاط الحزب الشيوعي العراقي، وظهرت أيضاً بوادر تشديد حملة الارهاب بعد فترة وجيزة من اتفاق الحكومة البعثية مع ملا مصطفى في 11 آذار 1970.⁸⁹

86 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 101

87 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 102

88 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 103

89 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 103

التقى رحيم عجينة بمرتضى الحديثي - قيادي بارز في حزب البعث - في شهر آب عام 1971 والذي طلب منه مواصلة الحوار والعمل للوصول إلى اتفاق خاصة: "انا ندخل معركة مع شركات النفط المتعنتة، ويجب على القوى الوطنية أن توحد نشاطها في هذه المعركة الوطنية الكبرى".⁹⁰

وردّ عليه عجينة انه يتوجب وقف حملة الارهاب فوراً والتي شملت كوادر ومظمات الحزب الشيوعي واطلاق سراح جميع المعتقلين. ردّ مرتضى الحديثي: "ان الحملة ستتوقف فوراً وقد اتخذت القيادة قراراً بذلك".⁹¹

ومن أجل حشد القوى الوطنية لنيل معركة التأميم فقد طرح البعث مشروع للتحالف الوطني وطلبوا من القوى السياسية الانضمام اليه. وكان حزب البعث قد نظم من قبل حملة واسعة من الاجتماعات الجماهيرية تحت شعار "أنت تسأل والبعث يجيب" قام بها صدام حسين. وفيها تم "عرض وجهة نظر البعث وشروطه للتحالف مع القوى السياسية العراقية. وتتلخص الشروط في" الاعتراف بثورة 17 - 30 تموز وبحزب البعث كحزب ثوري واحتكار حزب البعث للعمل بين القوات المسلحة واحتكاره للعمل الجماهيري وموضوعة الحزب القائد".⁹²

بدأت فترة من تخفيف الارهاب على الحزب الشيوعي العراقي، وأعتبرت قيادة (حشع) المشروع البعثي اساساً صالحاً للحوار مثلما هو معروف وبدأ الحوار حوله في شباط 1972 حتى تم الاتفاق عليه في 16 تموز 1973.⁹³

قدم المشروع إلى الحزب الديمقراطي الكوردستاني الذي كان له خمسة وزراء في حكومة البعث، لكنه اتخذ موقفاً سلبياً مؤكداً على جوانب الخلاف في رده على المشروع.

ويعلق الدكتور رحيم عجينة على عدم انضمام الحزب الديمقراطي الكوردستاني

بما يلي:

"لكن الحزب الديمقراطي الكوردستاني رفض ان يدخل في محادثات ثلاثية حول الجبهة في الوقت الذي كان يشترك فيه بخمسة وزراء في الحكومة. وبذا توفرت للبعث فرصة في ان يتحاور مع كل حزب لوحده. وفي تصوري ايضا لو كان الشيوعي

90 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينة . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 110

91 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينة . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 111

92 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينة . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 111

93 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينة . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 111

والديمقراطي الكوردستاني سوية على طاولة المفاوضات لخرجنا ببرنامج أفضل من الذي تم الاتفاق عليه بين البعث والحزب الشيوعي...."

ويمضي إلى القول: "المعلومات التي توفرت لدي والاستنتاجات التي توصلت لها جعلتني اميل إلى ان الحزب الديمقراطي الكوردستاني لم يكن متحمسا ولا راغبا في ان يسمح للحزب الشيوعي بالقيام بدوره الكامل خشية مما سيعنيه ذلك في كوردستان، وقد يكون البعث والديمقراطي الكوردستاني متقاربين في وجهة نظرهما في عدم السماح للحزب الشيوعي ان يكون فعالا وذا نفوذ في البلاد. ان هذه العلاقة غير المتينة بين الديمقراطي الكوردستاني والشيوعي، على الرغم من الارضية المشتركة التي يقف عليها الحزبان والتعاون الكفاحي بينهما على مدى سنين طويلة، أضرت كثيرا بالحزبين والحركة الوطنية عموما والحركة الكوردية على وجه الخصوص وأسهمت في تعزيز دكتاتورية البعث و ثم دكتاتورية صدام حسين⁹⁴

كانت قيادة (حدك) تقترب أكثر فأكثر من ايران وحلفائها، واحسن شهادة تمنح من الولايات المتحدة الامريكية وايران هي شهادة معاداة الشيوعية، وربما من هذا المنطلق قامت قيادة (حدك) باعتقال وقتل 12 شيوعياً كانوا عائدین من الاتحاد السوفيتي، ويصف الجريمة رحيم عجينة بـ "النكسة الكبيرة التي أصابت العلاقة مع (حدك). في حين يقول عنها الدكتور محمود، العضو البارز في المكتب السياسي لـ (حدك): "استخدام الارهاب ضد الشعب في السنوات الاخيرة وكذلك ضد منتسبي القوى الوطنية العراقية الموجودة في كوردستان بشكل منافي لمصلحة الشعب الكوردي مثل اغتيال 12 شيوعياً من تنظيمات اللجنة المركزية واثنين من القيادة المركزية من قبل امرهيز زاخو (عيسى سوار) ويعلم قيادة البارزاني⁹⁵ كما تكدرت العلاقات مع (حدك) عندما سعى جهاز (حدك) الأمني منع منظمات الحزب الشيوعي من النشاط في مناطق اعتبرها محرمة على الشيوعيين⁹⁶.

94 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص : 112
95 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها . أوائل كانون الثاني 1977
ص . 24
96 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص : 113

ومن جانب البعثيين كان الضغط يزداد خلال فترة المفاوضات الثنائية مع (حشع)، وهذه المرة لم يكن عن طريق الارهاب وانما بسبب ماقاموا به من اجراءات مثل عقد معاهدة تعاون وصداقة مع الاتحاد السوفيتي والاعتراف بوقت مبكر بالمانيا الديمقراطية واخيراً ماحققوه من انجازات في معركة النفط وتأميمه.⁹⁷

وازداد الضغط على (حشع) بعد توصل حزب البعث في سوريا إلى تحالف جبهوي مع (الحزب الشيوعي السوري) واطراف اخري وحصل منها على تنازلات للاعتراف بقيادة البعث السوري للعمل الجبهوي في سوريا، الأمر الذي دفع البعثيين في العراق إلى التأكيد على نفس المكاسب في تحالفهم مع الحزب الشيوعي العراقي.⁹⁸

كان الاجتماع الحاسم بين وفدي الحزبين في يوم 15 تموز 1973 حضر هذا الاجتماع من البعثيين: صدام حسين . شبلي العيسمي . على غنام، نعيم حداد وطارق عزيز . ومن جانبنا - يذكر رحيم عجينة - حضره: عزيز محمد، عامر عبدالله، مكرم الطالباي، مهدي عبدالكريم ورحيم عجينة، وبقيت نفس القضايا المعلقة وأحيلت إلى قيادة الحزبين.⁹⁹

التقى رحيم عجينة بمحمد محمود عبدالرحمن (سامي وكان يشغل منصب وزير شؤون الشمال) وطرح موضوع الجبهة معه وذكر الأخير ان "قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني ماتزال عند تحفظاتها حول وجود مجلس لقيادة الثورة وصلاحياته وعلى قضية الحكم الذاتي المتدهورة. وأثار تحفظاً يلفت النظر ذلك ان مشروع الاتفاق هو ذو محتوى طبقي. فهو يتحدث عن اصلاح زراعي في كوردستان، ومثل هذا التوجه ضد مصالح الحزب الديمقراطي الكوردستاني في الوقت الحاضر."¹⁰⁰

كان ملا مصطفى قد حول الحزب إلى مطية للأغوات أي بالاحرى أخضع مصالح الحزب لمصالح الأغوات المفضلين لديه. كانت "ثورة" تخشى من الاصلاح الزراعي

-
- | | |
|--|-----|
| الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 114 | 97 |
| الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 115 | 98 |
| الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 115 | 99 |
| الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 115 | 100 |

ووقودها الطبقة الفلاحية، هذه الظاهرة تكشف مدى الغبن الذي عاناه الفلاح الكوردي على يد قيادة لم تكثر بتضحياته الجسام.

ويذكر (رحيم عجينة): "كان (حدك) يريد ان الجبهة يجب ان توقع بين الحزبين الرئيسيين اولاً البعث وحدك، ثم بعده توقع على الاتفاق الاحزاب الاخرى"

جري توقيع ميثاق العمل الوطني في 17 تموز 1973 بين عزيز محمد وأحمد حسن البكر.¹⁰¹

وفي نظر عجينة ان البعث كان مصمماً على اخراج حشع من ساحة العمل السياسي.

كان هدف البعث من وراء هذا الاتفاق:

دفع الحزب نحو موقف تابع ومؤيد وداعم

تجريدته من مواقفه الجماهيرية بتشريع قوانين تعالجه بالتعسف وبالإرهاب ان دعت الضرورة لذلك واذا حاول حشع كسر الطوق المضروب عليه.

الاستفادة من مكانة حشع بين الجماهير باعتبار ان دخوله في جبهة مع البعث هو تزكية للأخير على المستوى الجماهيري، تلك الجماهير التي كانت تنظر للبعثيين بعدم الثقة والكرهية بسبب تجربتها السابقة معه، وبشكل خاص من انقلاب 1963.

ابتغوا الاستفادة من امتدادات حشع العربية والعالمية لتغيير وتجميل صورة البعث لدى تلك الدوائر.¹⁰²

ويقول عجينه: "لايخامرني شك من ان قيادة حزب البعث كان لديها مخطط لشق صفوف القوى التي تمتلك ارضية للعمل المشترك فيما بينها والانفراد بها كل على حدة، واعتقد ان مثل هذا المخطط كان يشكل خلفية الاتفاق لاسيما وان جواً من التوتر نشأ وتعمق بين البعث وحدك."¹⁰³

ويعلق صلاح الخرسان على التفاهم الذي جرى بين السلطة البعثية والحزب

101 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 115

102 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 116

103 الاختيار المتجدد . د . رحيم عجينه . الطبعة الأولى 1998 . توزيع دار الكنوز الأدبية . ص: 116

الشيوعي العراقي وتأثيره على قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني: "وكرِد على مشاعر العزلة التي إنتابته بسبب انتقال الشيوعيين إلى صف النظام أخذ البارتي يطالب ونكاية بالحزب الشيوعي العراقي "أن يقتصر الحوار بشأن الجبهة بين من يمثل القوميتين الرئيسيتين في العراق أي البارتي والبعث" في حين كان البارتي يلح على النظام في مفاوضات آذار 1970 بضرورة إشراك الشيوعيين فيها.¹⁰⁴ وثم يضيف:

"ولم تقتصر ردود فعله عند هذا الحد وإنما قرر توجيه ضربات محسوبة إلى الحزب الشيوعي العراقي وعلى دفعات، وصدرت الأوامر باعتقال مجاميع من الشيوعيين وإخفائهم وتم التنفيذ بقيام أحد القادة العسكريين للثورة وهو عيسى سوار البارزاني أمر هيز زاخو باختطاف 12 طالباً شيوعياً أنها دراستهم حديثاً في الاتحاد السوفيتي، وكانوا في طريق عودتهم من سوريا إلى العراق عن طريق زاخو وذلك في آب 1973، حيث تمت تصفيتهم إضافة إلى اثنين آخرين من أعضاء تنظيم الحزب الشيوعي العراقي - القيادة المركزية - وذلك بعلم الملا مصطفى البارزاني الذي كان "يعتقد بأن هذه المعركة الجانبية قد تكون مفيدة لأنه كان يتصور انها ستؤدي إلى أن تهتم الولايات المتحدة الامريكية بالثورة أكثر وتقدم لها المزيد من المساعدات". كما شن جهاز الباراستن حملة إعتقالات طالت العديد من الشيوعيين الأكراد وخاصة المعلمين منهم في مناطق زاخو والشيخان ومناطق أخرى من بادينان.¹⁰⁵

بهذا المسلك الخالي من الشعور بالمسؤولية التاريخية تجاه مستقبل الحزبين، تأزمت العلاقات بين (حدك) و (حشح) إلى حد وقوع مصادمات مسلحة بينهما نهاية عام 1973 خدمت مصالح البعث مباشرة. ويذكر صلاح الخرسان:

"وعلى أثر ذلك شنت قيادة الثورة الكوردية حملة شاملة ضد تنظيمات الحزب الشيوعي العراقي والتي كانت في تداخل مع تنظيمات البارتي في عموم المناطق الكوردية مما أجبر الشيوعيين اللجوء إلى المناطق الخاضعة لسيطرة النظام ولم

104 التيارات السياسية في كردستان العراق. 1946 - 2001 . صلاح الخرسان. الطبعة الاولى 2001 . مؤسسة البلاغ. بيروت . ص : 202 - 203

105 التيارات السياسية في كردستان العراق. 1946 - 2001 . صلاح الخرسان. الطبعة الاولى 2001 . مؤسسة البلاغ. بيروت . ص: 203

تقتصر حملة البارتي على الحزب الشيوعي العراقي - اللجنة المركزية - فقط وإنما شملت التنظيمات الماركسية المناهضة للسلطة أيضاً فقد قام على عبدا لله عضو المكتب السياسي للبارتي ومحافظ السليمانية بتسليم خمسة من أعضاء جيش التحرير الشعبي وهو تنظيم ماركسي يؤمن بالكفاح المسلح إلى سلطات النظام أوائل عام 1974 والتي قامت بإعدامهم وبانتهاء تلك الحملة الضروس تركزت القطيعة بين الحزب الشيوعي العراقي - اللجنة المركزية وقيادة الثورة الكوردية والحزب الديمقراطي الكوردستاني.¹⁰⁶

ليس من شك أن قيادة (حدك) كانت تعمل من أجل الحصول على الدعم الخارجي وما يفرضه ذلك من شروط، والحزب الشيوعي العراقي متأثر بالموقف السوفيتي الودي تجاه نظام البعث ولا يتمكن من تبني موقف معارض لموسكو. لكن لماذا لم يلجأ الجانبان إلى الحكمة وبعد نظر للحيلولة دون وصول الأمور إلى حدّ المجابهة المسلحة والتفكير في مستقبل العلاقات المتبادلة بين (حدك) و (حشع)، خاصة أن النظام البعثي لا يؤمن جانبه كما توحى بذلك التجارب السياسية للحزبين؟ هنا نحن أمام قصر نظر سياسي واضح جلب الكوارث وبوقت قصير فيما بعد للعراق برمته وبشكل خاص لكوردستان. لقد أدت التحالفات مع الخارج الى نوع من التبعية، أفقدت الحزبين "استقلالية القرار السياسي".

لعل أكثر ما يثير الانتباه في مجال [صراع الأحزاب في العراق] هو أن فكرة الوطن والمواطنة لم تترسخ، فقيادة الأحزاب (البعث) (حدك) و (حشع) كانوا يبحثون عن انتصارات حزبية، والفرق كبير بين انتصار قضايا الشعوب الجوهرية وبين انتصار حزب على الأحزاب الأخرى. فنجاح (البعث) لم يعكس نجاح المجتمع، فقد احتكر البعث جميع امتيازات الحكم من المال والقوة والنفوذ السياسي. في حين لم يتعمم المجتمع بالممارسة الديمقراطية والحريات وحفظ الكرامة الإنسانية والعدالة في توزيع الثروات الهائلة في العراق. فنجاح دكتاتور يعني سقوط الديمقراطية وإذلال الشعب، وعاش المجتمع العراقي في ظل البعث حياة القطيع وانقاد لأهواء قادته المغامرين الذين أقحموه في حروب مدمرة أنهكت العباد وهدمت البلاد.

106 التيارات السياسية في كردستان العراق. 1946 - 2001 . صلاح الخرسان. الطبعة الأولى 2001 . مؤسسة البلاغ. بيروت . ص: 203

هزيمة الانتصار

(الإجهاض)

1975 – 1970

ليس من شك أن النضال السياسي عندما يتكلل بالنجاح يوفر زخماً هائلاً من الإمكانيات المادية والطاقات المعنوية لتحقيق الأهداف التي ناضل من أجلها الشعب بالكثير من نكران الذات. ولنرى ماذا عملت القيادة الكوردية بعد الإعلان عن بيان 11 آذار عام 1970 بـ «انتصارها» حيث وقعه الطرفان، قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي وقيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، وسط تطويل وتزوير الجانبين دام أسابيع. ولو افترضنا أن صدام حسين وملا مصطفى كانا قائدين حضاريين يؤمنان فعلاً بالمبادئ الديمقراطية ويعملان على ترسيخ أسسها في المجتمع لخير شعبيهما وللأجيال القادمة، لكان بيان 11 آذار عاملاً مساعداً للسير قدماً في ديمقراطية المجتمع وإزدهاره مجنباً إياه النزعة الفردية في الحكم والحروب الهدامة، وكان من الممكن أن يمثل ذلك نقطة انعطاف كبيرة في دولة نفطية شرق أوسطية تتجه نحو التنمية الاقتصادية والمساواة في توزيع ثروات البلاد واستقرار في نظامه السياسي الخاضع لإرادة شعبها. كان من الممكن ان يتحول النظام العراقي إلى نظام يشبه النظام الكندي حيث يضمن حقوق القوميتين الرئيسيتين، تلك الناطقة باللغة الإنكليزية والكيبك الناطقين باللغة الفرنسية، كذلك ضمان حقوق القوميات الأخرى، الآشوريين والكلدانيين والتركمان. لكن من سوء الحظ سار الاثنان في طريق آخر مناقض لأسس الديمقراطية واحترام إرادة الشعب في التعبير عما يراه مناسباً لمستقبله ومستقبل الأجيال القادمة. لقد كانت النزعة الدكتاتورية في عموم الشرق الأوسط هي الطاغية بامتياز وأحزابه ستالينية المنحى والرجعية تتحكم باسم التقدمية والاشتراكية، والمصالح العائلية والقبلية تتغذى بلبوس القومية.

لقد استغل الاثنان، صدام حسين والشاب وملا مصطفى الذي ناهز السبعين عاماً، بيان آذار كل لمصلحته وبطريقة مختلفة عن الآخر. فصدام حسين على عكس ملا مصطفى، كان في مرحلة تسلق سلّم السلطة، وكان يحتاج إلى التظاهر بالمبادئ القومية، كالوحدة والحرية والاشتراكية ومعاداة إسرائيل والامبريالية ودعم الطبقة

الفقيرة في المجتمع. ولم يكن بعد في قمة السلطة، في حين كان ملا مصطفى في قمة السلطة، وحاجته إلى التظاهر بالمبادئ قد انتهت.

صدام حسين كان يعرف إلى أين هو ذاهب بعد بيان آذار. كان يتقدم مرحلة بعد مرحلة وبشكل مدروس ويحقق الانتصارات. كان يعرف ان قوته تكمن في باطن التربة، في منابع النفط في كوردستان ومناطق العراق الجنوبية. ويمكن استغلالها في كسب المجتمع العراقي وبناء علاقات اقتصادية مع الكتلتين الشرقية والغربية.

ملا مصطفى لم يعرف إلى أين يذهب بعد بيان آذار 1970. لم يعرف ان [بتروله] قوته تكمن في توحيد الشعب الكوردي والالتصاق الصادق بآماله وتبني سياسة تقدمية وتخليص الكورد من بقايا الاقطاع الكوردي وبناء حزب تقدمي ثوري يعمل على تثبيت قيم العدالة والمساواة والتحرر ونشر العلم لتقدم المجتمع. كان همه البقاء في قمة السلطة وتوريثها والعمل على تحقيق (مشروعه العائلي) الغير معلن معتمداً على تقوية الإقطاعيين والمرترقة واحتكار أموال الحركة الكوردية، وهذا يتطلب إجهاض المجتمع من أصحاب الكفاءات القيادية. كان يتراجع ويهدم ما بنته الحركة بتضحيات أبناء الشعب الكوردي خلال عقد من النضال الشاق، كانت الجماهير تتطلع نحو التقدم والانفتاح والعدالة، في حين كانت القيادة الكوردية في حركة تراجع وانغلاق، ولم يكن هناك انسجام بين رغبات القيادة، والتي توقف نشاطها ضمن مشاريعها العائلية، وطموحات المجتمع الكوردي خاصة الانتلجنسيا الكوردية. وشاب مواقف ملا مصطفى "تفوق واضح" لم يطور استراتيجية للأمن القومي أو حماية الحركة من تغيير مفاجئ في الموقف الدولي او في موقف الدول الداعمة للحركة. وتبنى سياسة "الاستقواء بالخارج" و"هدم الجبهة الداخلية" واتبع سياسة واضحة المعالم تهدف إلى خلق "مجتمع عاقر" لا يلد غير المتملقين والمنصاعين، حيث تبقى القيادة حكراً على أولاده المفضلين فقط، وبهذا سدّ الطريق أمام بروز قيادة مؤهلة. وبمنح ولديه الصلاحيات الكاملة وهما لا يزالان دون مستوى النضوج السياسي¹⁰⁷، أصبحا

107 سلّم ملا مصطفى لولده مسعود كامل السيادة على جهازالأمن، دون تعليم ورغم صغر سنه وقلة تجربته، يروي (ديفيد كرون حدثاً ذا مغزى كبير، خلاصته أن (ميرخان) وهو الاسم المستعار لـ (مسعود نجل ملا مصطفى) حسب ما أكده لي شخصية كوردية ترددت على اسرائيل بمهام كلفته القيادة الكوردية ولا يزال حياً، قال مسعود لديفيد كرون فجأة ان الضرر الذي يلحقه المستشفى الذي اقامه الاسرائيليون اكثر من جدواه، فقد تناهت انبأؤه الى العراقيين، فاصبح بؤرة للمشاكل. يقول ديفيد كرون: «شعرت بالدم يغلي غضباً في عروقي، وقلت: ان منافعله هو لمصلحة الاكراد واذا كان المستشفى قد اصبح مثارا لمشاكلهم، فان الامر

فوق الحزب. وتحجرت العقلية السياسية وانتشر التسبب كما فقد الحزب اصالته وتطوره الطبيعي بسبب الأغلال التي فرضها على القيادة السياسية لتبقى في خانة الطاعة. ولم يدع التركيبة القبلية لقوات الأنصار الكوردية (بيشمركه) تنفتح ولو قليلاً على نظام جيش ثوري عصري. لقد هيمنت العقلية القديمة بثقلها على جميع مناحي الحياة في المجتمع الكوردي ومنعت أي انفلات خارجها. وفي النهاية انحصر كل شيء في يد عائلة واحدة. كما إنه لم يعبأ بحجم التحديات الخطيرة التي تواجه الشعب الكوردي وتربص الأعداء بالحركة الكوردية.

لقد سبق ملا مصطفى صدام حسين بالانفراد بجميع القرارات المصيرية بأعوام في منطقة كوردستان، بينما كان صدام التكريتي يقطع مراحل تسلق السلطة بتأنٍ ثم انفرد بالقرارات المصيرية بعد عزل أحمد حسن البكر في 16 تموز عام 1979. ولقد أدى استئثار كلاهما بالقرارات المصيرية إلى كوارث وطنية هائلة. وتراجعت تيارات التقدم الديمقراطي والحريات العامة في المجتمع الكوردستاني والعراقي بشكل عام.

استغل صدام حسين السنوات الأربع - هدية القيادة الكوردية له - التي أعقبت بيان آذار لتقوية نفوذه ونفوذ حزب البعث العربي الاشتراكي بجهازه الأمني والعسكري. وتمثل ذلك في تصفية الخصوم في الداخل وعلى نطاق واسع، وبناء جيش قوي وتبعيته، ووضع قوى الأمن والشرطة تحت قيادته. بناء تحالف وقتي مع الحزب الشيعوي العراقي لتسهيل ضربه، وضرب الحركة الكوردية وشراء ذمم العديد من المسؤولين الكورد. وبعد تأمين النفط، زادت إمكانات السلطة المالية موفراً لها القدرة على التأثير خارجياً وداخلياً. كما عقد اتفاقية صداقة مع الاتحاد السوفيتي لتأمين حاجات الجيش العراقي للسلاح المتطور. في حين كان ملا مصطفى يعيش قمة السلطة ويعمل على توريثها لابنه بدافع عاطفي محض ودون استشارة أحد، كما تضاعفت نزعته الفردية بشكل خطير.

بسيط للغاية، سأطوى الخيام، واخذ الأطباء معي الى اسرائيل.» حاول مسعود تهدئته قائلاً انه لم يقصد ذلك، بيد انني كنت مصرّاً على رأيي فحتي المعروف يجب ان نضع له حدوداً. طوينا الخيام، والمعدات وأخذت معي الاطباء الى طهران ومن هناك الى اسرائيل. وكان على الاكرد ان يطلبوا بصورة افضل كثيراً، بعد ذلك، كي نقبل بفتح مستشفى جديد.» شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ص : 227

إن ما تبقى لديه من المدة في قيادة الحركة الكوردية من بيان آذار وحتى سقوطه في آذار عام 1975 كان عبارة عن افتعال أزمات داخلية - لالزوم لها على الإطلاق - صبت مباشرة كما سنرى في مصلحة النظام الدكتاتوري ولشخص صدام حسين الذي تمكن من استغلال هفواته لصالحه. كلاهما عملا على بناء سلطة الحزب الواحد بمركزية شديدة، وخلق الولاء الشخصي وممارسة سياسة الترهيب والترغيب لنيل الطاعة المطلقة، كانا هما صاحبا الأمر والنهي في اتخاذ القرارات المصيرية، رغم جعل السلطة المركزية جماعية الشكل وكلاهما اعتمدا على القمع والتسلط. واشترك كلاهما في الهيمنة العائلية على مؤسسات الحزب والحكم. واعتمدا على "القوة والمال".

وفي كلا الحالتين ساد الصراع داخل دائرتي الأسرة والعشيرة، وإستخدم السلاح والمال لنصرة ملا مصطفى وصدام حسين وفريقيهما المختار من الأبناء والحاشية. ومثاله الصراع بين الأخوان غير الأشقاء برزان ووطبان وسبعوي مع آخرين من العائلة الحاكمة. كذلك الصراع بين حسين كامل وصدام حسين وغيرها من الصراعات التي قام بها عدي وقصي وآخرون داخل العائلة. كما هو الحال مع ملا مصطفى الذي دخل في صراع لا لزوم له ضد ابن أخيه عثمان شيخ أحمد، وضد ولديه عبيدالله ولقمان والقتل الجماعي لعائلة محمد آغا ميركه سوري وهم من أخواله. كانت ظاهرة "الاستبداد" في كردستان والعراق - قيادة صدام حسين لحزب البعث العربي الاشتراكي وهو حزب يرفع شعار القومية، وقيادة ملا مصطفى للحزب الديمقراطي الكردستاني وهو حزب يدعي بالقومية أيضاً، كلاهما ينتميان إلى أسر فقيرة وانتهيا بامتلاكهما لملايين الدولارات بممارستهما لمهنة "الدفاع عن القومية". الاثنان أوجدا بممارساتهما خلافاً سياسياً وأخلاقياً في كيان المجتمع نتج عنه الاستسلام والعجز التام في مقاومة نمو وسيطرة حكم المستبد المنفرد بالسلطة. وكلا الحزبين (البعث العربي الاشتراكي والحزب الديمقراطي الكردستاني، لا علاقة لهما بالديمقراطية غير الجانب الاعلامي الذي مارسه أجهزة الاعلام الخاضعة لمزاج الحاكم المطلق الصلاحيات.

بعد اتفاق آذار برز نجم ملا مصطفى كقائد قدير تمكن من تحقيق الحكم الذاتي لكوردستان - عراق - وتكلفت الحركة الكوردية بقيادته بـ "النصر"، الذي اعترفت

به الحكومة العراقية بتوقيعها على بيان الحادي عشر من آذار عام 1970. كانت الدعاية الحزبية تشدد بقوة على هذا المنحى وتكررها في الصحافة وعلى الأثير للشعب الكوردي. ولو فرضنا أن ملا مصطفى استقال مباشرة تاركاً مرحلة ما بعد آذار لآخرين مؤهلين لقيادة الشعب الكوردي، لكان ذلك أفضل وقت للاستقالة ولبقي بطلاً في المجتمع الكوردي لا يعادله أحد في القرن العشرين، لكن شهوة السلطة العارمة لا تؤمن بالتوقف عند الشيخوخة بل تتعداه إلى فرض عملية التوريث للأبناء مهما كلف الثمن. والهدم لايهمه طالما يدفع ثمنها الشعب الذي يشكل صفرأ في حسابات القيادة.

أبلغت الحكومة العراقية بعد الإعلان عن بيان 11 آذار، جميع رؤساء المرتزقة الكورد المتعاونين معها بنهاية التعاون معهم ضد الحركة الكوردية. فأعلن عن المصالحة الوطنية بين الحركة الكوردية بقيادة ملا مصطفى والأكراد من أنصار الحكومة العراقية. وشمل التصالح جميع أغوات المرتزقة العريقين وأعضاء المكتب السياسي القديم بقيادة إبراهيم أحمد. لقد مثل عودة هؤلاء جميعاً لمقابلة ملا مصطفى في مقره كاعتراف بفشل ممارساتهم وأن ملا مصطفى كان على صواب.

أصبح ملا مصطفى شخصية معروفة في الصحافة الخارجية وذاع صيته في كافة أجزاء كوردستان. كما خصصت الحكومة العراقية مساعدات مالية معينة له. وفي نفس الوقت لم تنقطع المساعدات الخارجية من الدول التي ساعدت الحركة الكوردية في مقاومتها لانظمة بغداد، لكنها تقلصت. وقع ملا مصطفى في وهم انتصار بيان آذار، فزاد ذلك من شحنات نرجسيته إلى حدود تولدت لديه أوهام قاتلة فيما يخص قابلياته السياسية أفقدته الاحساس بالتحديات والمخاطر التي تحاصر الشعب الكوردي، وفي النهاية قاد شعبه إلى حضيض الفخ الذي نصبه الأعداء.

لقد أصبحت الحركة الكوردية واقعاً ملموساً في الساحة العراقية والشرق أوسطية وكتبت عنها الصحف العالمية.

لكن كيف كان حال الحزب الديمقراطي الكوردستاني بعد بيان آذار عام 1970؟ وضع قوات الأنصار الكوردية (البيشمرکه)؟ وضع بارزان؟ وهي الاعمدة التي بنيت عليها الحركة الكوردية المسلحة.

كما ذكرنا لم تبق قوى كوردية أخرى مع الحكومة، فقد تم حلها وأجريت مصالحة مع قيادة الحركة الكوردية.

إن مايلفت النظر هو أن معظم السياسيين الكورد المشتركين في الحركة الكوردية، ضمنهم الدكتور محمود عثمان (أمين سرّه) الشخصية الأقرب إلى ملا مصطفى، كذلك سامي (محمد محمود عبدالرحمن) لم يشيروا إطلاقاً إلى عامل مهم جداً ألا وهو العامل العاطفي في صياغة الموقف السياسي لملا مصطفى، خاصة بعد عام 1970. يستغرب المرء هذا الغياب في تحليلاتهم واستنتاجاتهم السياسية رغم أنهم تعاونوا عن قرب مع ملا مصطفى في النضال السياسي! فبدون فهم هذا الجانب من شخصيته يستحيل فهم مواقفه، ترى هل هو الخوف؟ أم أن ملا مصطفى تمكن من إخفاء نواياه عنهم بمهارة إلى حد ما نجح في تضليلهم جميعاً؟ أم أنهم لم يستوعبوا هذا الجانب من شخصيته؟

في حالة النصر يبرز القائد على حقيقته، إذ ليس لديه حجج التهرب من تنفيذ الوعود التي قطعها للجماهير المناضلة. فهو في سدة الحكم والإمكانات متوفرة لتحقيق العديد من أمانى الجماهير والمناضلين الذين أسهموا في تحقيق النصر. والشعب أعطى ثقته التامة له، هنا نحاول وضع أعمال ملا مصطفى على المحك. فقد تحول إلى شخص غريب عن أتباعه المخلصين الذين بنوا انتصاراته. فالجانب الرجعي فيه بدء بالظهور علنا وأدار ظهره لرفاق السلاح وللروادع الوطنية والاخلاقية وللشعارات التي رفعها (حدك) طوال مرحلة الكفاح الشعبي المسلح.

كان من الممكن في المجتمع الكوردستاني، تحويل بيان 11 آذار إلى حركة شعبية واسعة ومنظمة، تقدمية المنحى و ضد الرجعية الكوردية العميلة والقيم البالية في المجتمع الكوردي وبناء نظام أكثر عدلاً اجتماعياً وتوفير الثقافة والعلم في المجتمع كذلك تحويل الحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى حزب نموذجي وتقدمي وديمقراطي صادق مع الشعارات التي رفعها، يجسد مصالح الجماهير العريضة بفلاحها وعمالها وكسبتها ومنتفئها. في حين حولها ملا مصطفى إلى مطية للأغوات وللقوى الرجعية والمرتزقة بعد أن انحرف هو عن المسار الوطني.

بقي ملا مصطفى مرتاباً دائماً وخائفاً من "حالة السلم" السائدة بعد بيان 11 آذار وامكانية استغلال (جناح في المكتب السياسي) للحزب الديمقراطي الكوردستاني لهذه الحالة لتقوية نفوذه وكان يخشى من تقويض قبضته على الحزب، لذا عمل على لجم الحزب بحبال أكثر غلاظة مما كان سائداً في زمن القتال وبأسلوب ابتزازي مناقض لدستور الحزب علناً.

وفيما يخص بارزان فقد إختلق الحجج لضربها والقضاء على قيمها الروحية خاصة أن الطريق كان معبداً أكثر بغياب الحارس (شيخ بارزان) بداية عام 1969. وأنه يمكن شراء ما تبقى من العائلة البارزانية وكسبهم إلى جانبه عن طريق الرشوة أو الابتزاز. كان ملا مصطفى يري العقيدة البارزانية واخلاقتها الخاصة تربط ولاء الجماهير البارزانية بشيخ بارزان وبرنامج الروحي المعادي لظلم الأغوات، لذا أراد هدم هذا التراث لكي يحول ولاء الناس إلى شخصه، وثم يفتح المجال لعملية التوريث المبنية على العاطفة لابنه مسعود محاطاً بالمرتزقة كما سنرى.

اعتمد ملا مصطفى على الطبقة الاكثر انتهازية ورجعية في المجتمع الكوردي في تنفيذ مخططه رغم معاداتها التاريخي للحركة التحررية الكوردية ولا وطنيتها السافرة ومحاربتها للقوى القومية التقدمية. هنا نرى أخطر ظاهرة الا وهي استغلال نفوذه لخدمة متطلبات وتوريث السلطة لولده مسعود الأكثر التصاقا عاطفياً بالمرتزقة، وتعكس هذه الظاهرة المنطلق الفكري لقائدها. كان شديد الكره للثقافة والعلم، ويفضل على الدوام الأغوات في تولى المسؤوليات العسكرية أو حتى منح الأميين المنصاعين ووظائف رفيعة في قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني للجم دور المثقفين فيه. ولم يهتم بنوعية المشاركين في الحركة، بل بمدى الطاعة والانصياع لشخصه، بينما كان يحارب المؤهلين ويبعدهم عن الوظائف الحساسة.

ففي السابق كان يمنع البارزانيين من الانخراط في الحزب منعاً باتاً فاستخدم البارزانيين بين أعوام 1963 - 1965 في ضرب الحزب إلى ان استسلم الحزب لإرادته ، كما مرر علينا في الفصول السابقة من هذا الكتاب. وبعد أن تمت سيطرته الكاملة على الحزب وتطويع المكتب السياسي، أخذ يستخدم القوات الحزبية منذ عام 1970 لضرب بارزان إلى أن قضى عليها.. ولم تكن لا الاولى ولا الثانية من مصلحة الحركة

الكوردية، إنما كان ذلك من منطلق مصلحته الفردية والعائلية لاغير. وقد ساعده في ذلك امتلاكه القوة المسلحة واحتكاره المال، لقد استخدم أسلوب "الرشوة" على أوسع نطاق وكان ذلك وبالأعلى على المجتمع الكوردي والقضاء على منظومته الاخلاقية وافساد شخصيات عديدة.

ولنركز كيف قرر مهاجمة بارزان والقضاء عليها، لقد استخدم الوسائل التالية لبلوغ هدفه: المال. الابتزاز والدعاية المكثفة. لقد كان من صلب استراتيجيته أن يتقمص ما يريد هدمه، فباسم حماية بارزان قام بهدمها، وتحت شعار إنقاذ الحزب الديمقراطي الكردستاني قام بهدم هذا الحزب وتحويله إلى أداة طيعة في خدمة مصالحه ومصالحه عائلته.

كان مخطط ضرب بارزان موجوداً حتى قبل إعلان بيان 11 آذار، لكن بسبب ظروف الحرب الصعبة ووجود شيخ بارزان في الحياة وصعوبة مهاجمتها علناً بسبب ولاء البارزانيين لعقيدتهم، فقد تبنى أسلوب الخديعة والرشوة وخلق الفتن وسياسة فرق تسد. أما بعد بيان آذار فقد أمار اللثام عن وجهه كاملاً ولنتر الوقائع:

بعد بيان آذار عام 1970 وتحت شعار المصالحة الوطنية، قام هو والرهط المحيط به، بشكل أكثر صراحة مما كان في الماضي، بخلط الأوراق، وإيجاد تشويش فكري هائل في المجتمع. تركّز مشروعه في إزالة الخطوط الواضحة الفاصلة بين المرتزق والبيشمركة، بين المناضل العريق والملتحق الجديد، بين المكافح النزيه وبين المتملق الانتهازي، بين آغا ساعد الحركة الكوردية طيلة أعوام القتال وبين آغا مرتزق حارب الحركة الكوردية وعاد مباشرة بعد بيان 11 آذار بعد ان أغلقت جميع الخيارات أمامه. كانت هذه الخطوة تهدف إلى تغيير نظرة الناس وأخلاقهم وإيجاد معايير جديدة في المجتمع، لكي يقبل بكل ما لا يتلائم مع قيم الكرامة والكفاح والوطنية، أي تحويل الشعب إلى شعب يقبل بالانحطاط والذل وهيمنة قيم المال في مجتمع كان لا يزال بحاجة ماسة إلى القيم الثورية وأخلاق التضحية والإيثار. وكل هذا تمهيد لخطوة لاحقة أخطر، الا وهو تسييد القوى الرجعية الكوردية في المجتمع وفي قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وفي بارزان. فأعاد النفوذ إلى أخوال مسعود من المرتزقة، وهنا أصبحوا مدعومين من قبل قائد الحركة الكوردية نفسه، وكان

هذا مناقضاً لما هو معلن، فالفرق هائل بين المصالحة الوطنية وهذا يشمل العفو عن المرتزقة وفسح المجال لهم بالعودة إلى قراهم والبدء بحياة عادية كسائر الناس. في حين عمل ملا مصطفى العكس تماماً، فهو لم يسمح لهم بالعودة إلى قراهم فحسب، إنما فرض المرتزقة كقادة على الشعب الكوردي، وفي ذات الوقت عمل على إهانة وتذليل القادة الحقيقيين لقوات الأنصار الكوردية (بيشمركة) وإرغامهم على الانحناء أمام المرتزقة. هنا نحن أمام انقلاب في شخصيته لا يمكن ان نمّر بها مّرّ الكرام. إنها عملية إجهاض كاملة لما حققه أبطال الحركة الكوردية بتضحياتهم الجسام طوال عقد من النضال وبفضل بطولاتهم ولد بيان آذار عام 1970.

كانت سياسة ملا مصطفى تتلخص في (أعمل ماتشاء) لكن على الدعاية الإستمرار في الضرب على الوتر الايجابي وهذا يحقق النجاح في المجتمع الكوردي الغارق في السذاجة.

حاول عدد من الوجهاء من العائلة البارزانية ومن خارجها تذكيره بخطورة هذا الانزلاق وردعه، لكنهم اصطدموا بجدار كثيف من العناد، لم تكن السمعته تهمة إنما السلطة. وأصبح مصير الشعب الكوردي مرهوناً بالمزاج العاطفي لرئيس الحزب. وكان هذا غريباً من شخصية رفعه الشعب الكوردي إلى أعلى مقام وعمره يقارب السبعين عاماً، انقلب على قيم ومبادئ الحركة بصورة مكشوفة، ولم يعير اهتماماً لانعكاسات أعماله على الجانب الحكومي واستغلالها لهفواته الكبيرة. كان يعمل بإصرار على الانحدار بالمستوى الأخلاقي للشعب وذلك من خلال زرع قيم الانتهازية والنفاق والخضوع المطلق والتقاعس والاعتماد على الغير. وعمقت السياسات التي كان يمارسها الشعور بالمهانة والحقارة لدى الناس، وقضت على الشعور الذاتي بالكرامة والاعتزاز. ويرينا المثال التالي هذا النمط الهدام من سلوك القيادة.

حسو ميرخان دولمرى، كان قائداً مسؤولاً عن جبهة عقرة- شيخان، والحق يقال كان نزيهاً يؤدي واجبه الوطنى دون كلل أو ملل. عرف عنه اللين والحوار الهادىء مع من اختلف معهم وسعى خلال أعوام الستينات إلى اختراق جبهات المرتزقة ومحاورتهم لاقتناعهم بالعودة إلى الصف الوطنى. وكانت جبهته مهددة عسكرياً طوال أعوام القتال من قبل المرتزقة تحت إمرة أغوات الزيبار ومرتزقة آخرين من بادينان.

ودارت المعارك معهم في فترات مختلفة، قتل فيها العديد من البيشمركة. كان حسو ميرخان دولمري في مرحلة القتال قبل بيان آذار يثق بملا مصطفى ويعتقد باخلاصه لقيم الثورة ومعاداته للظلم!



بكر زيوكي وحسو ميرخان. عقرة 1994

وكان قد رافق مع شقيقه سليمان ميرخان، ملا مصطفى إلى الاتحاد السوفيتي عام 1947 حيث تعلم الروسية وتلقى دروساً في السياسة والتاريخ، كما شارك شخصياً مع شقيقه حاجي ميرخان في معظم المعارك التي حصلت في جبهات بادينان. وكان شقيقه سليمان ميرخان، قد لقي مصرعه في إحدى المعارك، وكان صديقاً شخصياً لي.

كانت خطط تأهيل المرتزقة لتبوء القيادة تحاك ضمن "الدائرة المغلقة" فاستدعى ملا مصطفى حسو ميرخان دولمري للمثول أمامه ووجه له الأمر وهو مكفهر الوجه: "من الآن فصاعداً أنت تحت إمرة زبير محمود آغا خال مسعود، طاعته واجبة عليك، هو منذ الآن القائد العام لمنطقة عقرة وشيخان"

مثّل هذا الانقلاب في موقف ملا مصطفى المفاجيء أكثر من صاعقة ليس فحسب بالنسبة لقائد جبهة عقره وشيخان حسو ميرخان دولمري، وإنما لكل وطني غير داخل الحركة الكوردية. فقد قاتل حسو ميرخان دولمري هؤلاء المرتزقة طوال عشرة أعوام، وهاهو يجني ثمار نضاله المرير من قائد الثورة بالانحناء أمام مرتزق عريق. هذه كانت طريقته في إقناع أفراد الشعب بأن الاخلاق الوطنية الرفيعة لاتجدي وأن عليهم التحلي بخلق الحاكم والدوران معه أينما دار، إذا أرادوا لشؤونهم الحياتية ألا تتعثر كثيراً، كان من صلب سياسته مع المجتمع الكوردي إيجاد أناس بلا كبرياء أو كرامة، وهذه أخطر مرحلة يصلها (زعيم القوم) لإدامة حكمه وتوريثه لأبنائه، على عكس القائد التاريخي الحقيقي الذي ينمى في مجتمعه قيم النضال والتحدي والاخلاص والتعاون وعدم قبول الذل.

رفض حسو ميرخان دولمري أوامر رئيس الحزب والقائد الأعلى لقوات البيشمركه قائلاً:

"إن هذا سيؤثر على سمعتك الشخصية لدى أوساط الشعب الكوردي عموماً وبالأخص بين البيشمركه، فهؤلاء لديهم إنطباع آخر عنكم، هذا أمر لايقبل به أولئك الذين ناضلوا وضحوا خلال أعوام الثورة ولايقبل به من له ضمير"

كان الاجتماع شديد التوتر وكان هناك منطقتين متعارضتين، منطلق قائد الثورة المنتصر ببيان II آذار، حيث اعتبر نفسه حرّ في عمل كل ما يريد ومعني من كل التزام وطني، ومنطق حسو ميرخان، البيشمركه منذ بلوغه الثامنة عشر من العمر. أنظر إلى كلا التوجهين المتناقضين، في الواقع لم يكن حواراً وإنما فرض الأوامر:

<p>منطق حسو ميرخان دولمري آمر قاطع عقره-شيخان</p>	<p>منطق ملا مصطفى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد الأعلى لقوات الأنصار، الپيشمركة»</p>
<p>تفادى توريث أولاده لخلافته، وحدّر البارزانيين من الانقياد الأعمى وراء من يدعى من العائلة تمثيل بارزان وقيمها الروحية زوراً. ولم يكن لديه امتيازات اقتصادية، وعند وفاته عام 1969 لم يخلف أموالاً</p> <p>إن هذا سيؤثر على سمعتك الشخصية لدى أوساط الشعب الكوردي عموماً وبالأخص بين الپيشمركة، فهؤلاء لديهم إنطباع آخر عنكم هذا أمر لا يقبل به أولئك الذين ناضلوا وضحوا خلال أعوام الثورة ولا يقبل به من له ضمير حتى بين عامة الناس.</p> <p>هناك الآلاف من الذين ضحوا في سبيل حياة حرة كريمة ووعدهناهم نحن بصون كرامتهم واحترام نضالهم، ولهم حقوق علينا وماتريدونه الآن هو معاد لأهداف الثورة وقيمها، ولم يناضل الشعب الكوردي لكي يحكمهم من جديد قوى الجاش. هؤلاء أيديهم ملطخة بدماء الشعب لقد ناضلت الجماهير لكي يزول حكمهم.</p>	<p>إستقبل بملامح ساخطة حسو ميرخان: أنا أعرف ماهو صالح للجميع وماهو مضر، وعليك أن تطيعني في كل شيء، من الآن فصاعداً أنت تحت إمرة زبير محمود آغا، طاعته واجبة عليك، هو منذ الآن القائد العام لمنطقة عقرة وشبخان. المنطقة كلها تعود له</p> <p>الرئيس في حالة عصبية، يهدد بالعقوبات: (.....كلمات نابية (.....) وتحقير ويتوعد بصوت عال وبدا على حركاته واحمرار وجهه وإرتعاشه وكأنه يريد أن ينقض عليه ضرباً. لا يريد الاستماع إلى ما يقوله حسو ميرخان ويقطع كلامه بعبارات نابية، لا تتلائم مع نضال حسو ميرخان ودوره القيادي في الجبهات منذ عقود، يصرّ على إبداء حسو ميرخان الطاعة المطلقة لخال مسعود.</p> <p>الرئيس في ذروة العصبية: هل أنت أعمى..؟ هل جننت...؟ لقد فقدت عقلك. ألا تعلم أنه خال مسعود! كلمات نابية.... ووعيد.....¹⁰⁸</p>

108 أجابه ملا مصطفى بصيغة من دُهل كلية لأنه (حسو ميرخان) يتجاهل هذه الحقيقة الساطعة
مثل الشمس، وكيف لا يركع أمامها!

<p>. أنا أعرف أنه خال مسعود لكنه كان جاشاً شديد العدا للثورة، يمكنكم تقديره في السرّ ومنحه الهدايا، لكن تعينه رسمياً كقائد هو أمر في غاية الخطورة ولن يقبل به سكان المنطقة.</p> <p>تّه زبه ني (كلمة إحترام) إن هذا الموقف لايليق بنضالكم ولابسمعتكم، الناس لهم إنطباع آخر عنكم، سيصيبهم يأس كبير عندما يعرفون موقفكم هذا. الجماهير المناضلة تريد إقتطاف ثمار نضالها وتضحياتها، ولاتقبل بتقديم ماحققته بدمائها إلى مرتزقة كانوا حتى الأمس يلاحقوننا في جميع الجبهات وأعدتوا على الناس.</p> <p>جاش له تاريخ من الاعتداءات وأيديه ملطخة بدماء الپيشمرکه وأهالی القرى الفقراء، هل هناك حاجة لإفساد سمعته، كلا.</p> <p>حسو ميرخان يرفض إبداء الطاعة وتنتهي المقابلة. ويصبح زبير محمود آغا بين عشية وضحاها (آمر قاطع عقره-شيخان) وبحماية مباشرة وغير مشروطه من ملا مصطفى ومسعود.</p>	<p>إنك تريد الإساءة إلى سمعة خال مسعود..... لن أقبل منك هذا. وهدد شقيق حسو ميرخان بالضرب والسجن ووجه له كلمات نابية..... وشتائم ووعيد</p>
--	---

في واقع الامر كان ملا مصطفى قد بدأ بتغيير البنية الاخلاقية للمجتمع الكوردي عن طريق افساده وفرض قيم التملق والنفاق والخنوع منذ سنين، هذا المثال يعطينا صورة واضحة لرجل مناضل (حسو ميرخان) يأبى التحلي بقيم الفساد والاذلال ورئيس مصمم على اخضاعه لنفوذ المرتزقة.

كان اذلال حسو ميرخان اهانة لكل من رافق ملا مصطفى إلى الاتحاد السوفيتي.
اذلالاً لمسيرة 1947 بالذات.
ولجميع الانتصار الذين حملوا السلاح دفاعاً عن كرامة الشعب الكوردي (البيشمرکه) الذين شكلوا قاعدة الحركة الكوردية منذ عام 1961.

حاجي جه مي، واحد من أشهر البارزانيين، سمي باسم جده حاجي جه مي الذي لاقى مصرعه نهاية القرن التاسع عشر وهو يدافع عن أراضي بارزان ضد الغزاة، وقد أشرنا إليه في كتاب (بارزان وحركة الوعي القومي الكوردي)، عرف عنه صلابه الأخلاق والاخلاص لعقيدته وله حرمة كبيرة في الوسط البارزاني، ارتبطت بصداقة حميمة مع حاجي جه مي، في حاج عمران، إقترب مني وطلب ان نمشي لوحدها، كان شديد السخط على ملا مصطفى، قال ولاتزال كلماته ترنّ في أذني، وبلا شك كان يمثل ضمير البارزانيين المخلصين لمبادئهم، لم يذكر ملا مصطفى بالاسم:



حاجي جه مي وزوجته الروسية فالانتينا

« إن عمك جرّدنا من كل ما كنا نفتخر به . نضالنا المرير، ضحايانا، مبادئنا، لم يعد لنا كرامة، لقد جرّدنا من كل ما كنا نفتخر به ونعتز، لقد هدم كل شيء..»
وعندما سألته هل من الممكن القيام بعمل لوقفه؟
قال:

«لقد نفذ إنقلاباً حقيقياً ضدنا، وسوف يقدمون على قتل كل من يعارضهم، لم يعد هناك شيخ بارزان، لقد انتهى كل شيء لصالح المرتزقة، ولم يبق لنا غير المهانة».

وفي لقاء آخر بعد ان انهارت الحركة الكوردية يذكر حادث آخر وبمرارة واضحة، كيف ظهرت لدى القائد نزعة التملك الطاغية التي هي مكروهة في القيم البارزانية، ذكر لي حاجي: «استدعاني ملا مصطفى وأوصاني أن أذهب لشراء بعض الأراضي. تألمت وقلت له: «إنكم تتذكرون في الماضي وفي السنوات الأولى من عمر الثورة، عندما كنا في تحرك دائم في أطراف مناطق السليمانية، كنتم تقولون لنا باستغراب: «هنا كل شيء يعود للشيخ، هذا حقل الشيخ، هذا بستان الشيخ، هذه مزرعته وهذا أرض الشيخ.» ألا تعتقدون أننا نسير في نفس الاتجاه؟ كلامي هذا لم ينفذ، فاختار آخرين لتنفيذ المهمة.

ويمضي هذا الرجل الصادق مع نفسه ومبادئه: «لم أصدق أن يتغير ملا مصطفى في السنوات العشر الأخيرة من حياته إلى هذا الحد. كان الذي أوحاه لنا عن شخصيته في الماضي، هو الكفاح ضد الظلم وعدم قبول المهانة ونصرة الفقراء، لقد أصبح معادياً لشخصيته القديمة، صعب التعرف عليه وأن ملا مصطفى اليوم هو نفس ملا مصطفى أمس. كان التناقض مذهلاً. لم أكن أنا ولا الآخرون يتوقعون أن يطرأ عليه تغير بمثل هذه الجذرية. حتى انه كان يرفض استلام رسائل من المناضلين القدامى، ويعارض ذلك بقوله: «إذا كنتم لا تثقون بأبنائي فإنكم لن تثقوا بي.» لقد استطاعت الزمرة المحيطة به إجراء تحويل مدهش في شخصيته، وتحول إلى شخص يختلف تماماً عن الشخص الذي عرفناه في الماضي.»¹⁰⁹

شخصية بارزانية أخرى، إنه حسن خال هه مزه، هو الآخر أيضاً التجأ إلى الاتحاد السوفيتي وعرف عنه الاخلاص والنزاهة والنضال الدؤوب، قال لي :

«كنا نعتقد لسنوات أنه (يعني ملا مصطفى) ثابت لا يتزعزع عن المبادئ، وهنا كان تقييمنا الخاطيء عنه، ها نحن ندفع ثمن هذه الثقة العمياء، لقد خسرنا كل ما عملناه طوال هذه السنوات، نعم خسرنا كل شيء، خسرنا ديننا ودياننا وكل ما عملناه ذهب أدراج الرياح.»

ملاحم الحزن والخيبة العميقة كانت بادية على ملاحم هذا المناضل العريق.

109 لقاء ب (حاجي جه مي) الملقب (حاجكي جه مي) في 11 . 7 . 1984 . في المنفى الإيراني.

دون أدنى شك كان ملا مصطفى قد سقط معنوياً قبل سقوطه الفعلي الصاعق عام 1975.

لم يكتف رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني عند هذا الحدّ، إنما، عندما أرسل زبير محمود آغا رجاله إلى قرية (هه رنى) لجمع الضرائب من الفلاحين كما اعتاد على ذلك في العهد الملكي، أي قبل عام 1958 - هذه المرة باسم الثورة الكوردية - قاوم عدد من فلاحي القرية هذه المبادرة التي أوحى بعودة نفوذ أغوات المرتزقة إلى المنطقة، لكن كان ملا مصطفى لهم بالمرصاد، فأرسل حراسه يهددهم بالقتل وأشد التتكيل إن قاوموا إرادة زبير محمود آغا. فما كان منهم غير الرضوخ مكرهين وقد أصابهم خيبة أمل كبيرة.

هنا نحن أمام ظاهرة غريبة، فروح المقاومة ضد الظلم والتعسف التي كانت الدافع الأقوى لإندلاع الحركة الكوردية وديمومتها، نرى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني يدمرها ويقضى على قيم الكرامة والعدالة، مخلفاً جيلاً خنوعاً يقبل بالانحناء أمام كل من له سطوة أو مال. لقد نجح في سياسة خلق "معايير جماعية جديدة" كانت مسؤولة إلى حد كبير عن الهزائم العسكرية عام 1975 وتفشي الفساد وقيم المرتزقة في المجتمع الكوردي. فقيادة الحركة الكوردية التي كانت تتوسل بالجماهير لمواصلة الكفاح وبذل التضحيات للوصول إلى النصر وحيازة القوة والسلطة ارتدت على أمانى هذه الجماهير، والشعارات التي رفعتها جرى التحول نحو عكسها. أما النظام السياسي الذي تم بناؤه فهو كناية عن سلطة فردية لا تخضع في معظم الأحوال لقانون أو مراقبة أو محاسبة.

ثم تابع الرئيس انقلابه على القيم الثورية والتقدمية، فأجبر أولئك القلة من الزيباريين الذين التحقوا بالحركة الكوردية وخدموا في الجبهات، وقاوموا ظلم الأغوات المرتزقة، أجبرهم ملا مصطفى على العودة إلى حضيرة الآغا وأمرهم بالطاعة لزبير محمود آغا. لقد شعر هؤلاء البيشمركة بهول المكيدة، لكن ما من مفرّ، فالرئيس مصمم كل التصميم على المضي قدماً في مخططه الوراثي، مهما قيل عنه أو مهما كان الثمن. وقد علّق أحد هؤلاء قائلًا: "إن القرارات تصدر من بيت محمود آغا الزيباري وليس من مقرّ ملا مصطفى". ومن ناحية أخرى قام الفريق

الذي استقطبهم في مقره من النصابيين والمنافقين والذين يتقنون الحذلقه والتزلف، ولديهم الاستعداد دائماً لعمل الموبقات وارتداء ثوب الشرف والعفاف ببث الدعاية الشفهية لصالح ملا مصطفى مثل "إنه يرى المستقبل البعيد ونحن عميان لانرى الغد" و "كل مايقوم به لا يخلو من حكمة لاتصلها عقولنا القاصرة" إنه الراعي ونحن القطيع، "ما أسعدنا عندما يكون الراعي هو ملا مصطفى". وعلق أحد الناقدین "إنه راع يناصر الذئب".

والغريب هنا، كشف هؤلاء القلة من الزيباريين المناضلين ديمومة العلاقة الخفية بين زبير محمود آغا والحكومة العراقية. لكن ملا مصطفى لا يستمع وأبى بعناد رؤية الحقائق المعروضة أمامه، فكان يمتعض من كل كلمة ليست في صالح زبير محمود آغا أو محمود آغا نفسه. فكم الجميع أفواههم وعرفوا أن الرئيس لا يريد الاستماع إلا إلى الأكاذيب فيما يخصهم. كان قد ضحّ ثقافة التملق والنفاق في شرايين المجتمع الكوردي.

لكن سرعان ما حاول زبير محمود آغا إغتيال عدد من الپیشمرکه القدامى، وقدم هؤلاء لملا مصطفى الدليل القاطع، لكنه لم يحرك ساكناً، لقد بدا للكثيرين أن ملا مصطفى هو الذي إلتحق بهم وليس العكس. كان يكره الحقيقة ويخاف المشورة ويرفض ان يرى في المرأة ما يرى، وعندما فاحت رائحة فضائح العلاقة بين زبير محمود آغا وجهاز المخابرات العراقي وأصبح حديث الناس همساً خوفاً من رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني، لجأ القائد العام لقوات الأنصار إلى التحايل على شعبه، فقام باتخاذ إجراء في ظاهره عقاب وفي صميمه تقوية نفوذ المرتزقة في كوردستان. وحوّر رجال الحاشية المأجورة بخبث، الفضيحة إلى مديح وتعظيم للرئيس الذي ينزل العقاب حتى بخال مسعود من أجل كرامة الشعب والوطن، لكن في واقع الأمر كان الإجراء عبارة عن تقوية نفوذ مسعود عن طريق توسيع نفوذ أولاد محمود آغا الزيباري. وكان الإجراء عبارة عن نقل - وليس فصل أو سجن - زبير محمود آغا إلى منطقة (قلعه دزی) بينما عيّن في منطقة عقره - شيخان شقيق آخر لزبير. أي توسيع نفوذ المرتزقة ليشمل منطقة عقره - شيخان وبشدر. وأرغم حسو ميرخان ژارژوكي على الطاعة لزبير محمود آغا. إن مثل هذا الاستهتار بالقيم الوطنية والثورية وبهذه الدرجة من اللامبالاة، لا يمكن القيام به إلا عند انهيار ارادة المقاومة

الداخلية في المجتمع وإفساد القيم الوطنية وفرض "ثقافة الصمت لتفادي ضياع الرزق". لم يشكل المكتب السياسي المدجّن للحزب أو الشريحة المثقفة الهزيلة أو قوى الأنصار المسلحة رادعاً لمواقف ملا مصطفى اللاوطنية. لقد أصبحت الوطنية سوطاً تستخدمه القيادة الفاقدة لأي علاقة مع أمني شعبها لادامة سيطرتها، بعد تعرض المجتمع الكوردي خلال الستينات إلى اجتثاث عميق لجذور وعيه الثوري والوطني والانساني.

كل ذلك دليل على انهيار المجتمع الكوردي واستسلامه كما حصل فيما بعد للمجتمع العراقي بأسره في ظل حكم صدام حسين.

لقد أصيب نشاط الحزب الديمقراطي بالشلل في منطقة عقره-شيخان وهرب المسؤول الحزبي غازي مزوري إلى عقره، وتعالّت الشكاوى، نتيجة حكم المرتزقة من اقرباء ملا مصطفى، لكن بما أنهم كانوا على علم بموقف ملا مصطفى المؤيد (للمرتزق المدلل زبير) فانهم لم يقوموا بتقديم الشكاوى بل قبلوا الإهانة على مضض.

في واقع الأمر عندما كان خال مسعود (زبير) مرتزقاً لدى الحكومة العراقية، كان عليه مراعاة بعض الحدود التي لاتسمح له بالتمادى بعيداً في الاعتداءات، لكن عندما عينه ملا مصطفى بعد بيان آذار قائداً وزوده بحوالي "ألف بندقية من نوع برنو"¹¹⁰ زادت صلاحياته، والامكانات المالية تسلم اليه مباشرة ودون محاسبة. او مسائلة من السلطة الكوردية. لابل كان ملا مصطفى يحميه ويعاد الذين لايقبلون الإذلال والانحناء له - ووصلت الامور إلى أغرب ما يكون، إذ كتب صدام حسين نفسه لقائد الحركة الكوردية يقول وضمن الخروقات لبيان آذار كما يراها الجانب الحكومي، يذكر في النقطة (16) مايلي:

: "لابد ان أبين ان المعلومات المتوفرة لدينا ومن أكثر من مصدر أن زبير الزبياري قد أساء اساءات بالغة إلى سمعتكم وسمعة الدولة بتجاوزات متكررة على المواطنين

110 347 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل. ص:

في محافظة نينوى نأمل أن تضعوا حداً لها.¹¹¹

على أكثر تقدير كان صدام حسين على علم بدوافع ملا مصطفى غير المعلنة في إطلاق العنان لخال مسعود بأن يكون فوق القانون، وربما لا تخلو ملاحظته من الإيحاء المبطن بأنني أعرف دوافعك الحقيقية. !! لم يعر ملا مصطفى اهتماماً لا من الأصدقاء ولا من الأعداء في تقوية نفوذ الإقطاع الكوردي الارتزاقى. فالعاطفة لاحتجاج إلى مبررات العقل أو إلى القيم الوطنية والثورية. تصبح العاطفة في ظروف كالتي مرّت بها الحركة الكوردية أداة تدمير للمسيرة كلها... من سوء حظ الحركة الكوردية أن يكون هذا الشخص في قمة هرم السلطة السياسية والعسكرية والمالية. وفي الرسالة المنوه أعلاه يظهر صدام حسين نفسه أكثر تقدمية من قائد حركة التحرير الكوردية!

ومن المفارقات الهامة التي تدعو إلى التساؤل، ان قيادةً تدعى النضال التحرري من أجل إنقاذ شعب من الاضطهاد القومي وقاعدة هذا النضال الأساسية هي طبقة الفلاحين، تكون قيادتها معادية للإصلاح الزراعي إلى حدود ينبهه صدام حسين نفسه -الغاصب للحقوق القومية الكوردية - في رسالة موجهة إلى رئيس (حدك) يقول له:

"أيها الأخ لم يكن خط النضال القومي الكوردي بأحسن من خط النضال القومي العربي ولم تخلو صفوفه من العناصر المخربة والمتواطئة كما ظهرت في صفوف النضال القومي العربي. مما يستوجب إعادة النظر في تقييم تلك العناصر بضوء مهام المرحلة الحالية التي تلت بيان II آذار والتي تختلف بشكل كلى عن المرحلة التي سبقته مستفيدين من نضال شقيقكم الشعب العربي ومتجنبيين النكسات المريرة التي مني بها في الفترة الواقعة بين عام 58 و 1968... إن الإقطاعي الذي قاتل في صفوفكم أو في صفوفنا قبل صدور بيان II آذار، مهما تكن دوافعه، فلم يكن من بينها أن يخسر الأرض التي يملكها، كما حصل من قانون الإصلاح الزراعي الأخير الأمر الذي يفرض علينا ودون تردد أن نقصيه عن صفوفنا أو على الأقل ان نعيد النظر

111 رسالة وجهها صدام حسين في 8/1/ 1970 الى ملا مصطفى. ويبدء رسالته ب «الأخ العزيز أبا إدريس»

في ترتيب مواقعه بحيث لا يؤثر على ملامح المسيرة الحالية، والشخص المتواطىء الذي كان النضال القومي بحكم ظروفه القاسية، أو لأي سبب من الأسباب لم يحن الوقت لمطاردته وتطهير الحركة منه لكي تتسجم هذه الحركة مع السلطة المركزية ومنطلقاتها مع الحزب القائد في السلطة المركزية، حزب البعث العربي الاشتراكي. أرجو أن لا يفهم كلامي هذا التدخل في الشؤون الداخلية لحركتكم وإنما أردت بروح الحرص والأخوة والمسؤولية المشتركة التنبيه إلى ذلك فحسب.¹¹²

كان مسعود فرحاً بهذا المنحى المعلن لوالده فهو يحقق حلمه في تدمير من لا يرغب فيهم في حين يبقى هو مختفياً وراء والده. وعندما منحت الحكومة الأردنية زمالات إلى طلبة أكراد، اختار ملا مصطفى ابن محمود آغا زيباري، بدل ابن شهيد. أما إدريس فقد كان ممتعضاً ويصرح عند الثقة عن قلقه تجاه الموقف الصريح لوالده المنسجم مع مصالح المرتزقة وأن "هذا المنحى سيؤدى بنا جميعاً إلى كارثة". لكنه لا يجراً على المعارضة الصريحة. إذ كان يعرف مدى تصميم والده على المضي في خطته والتي لارجعة فيها.

وتستدعي الخطة الخفية، هدم التركيبة العائلية برمتها، وهنا يبرز الصراع بين الأبناء ويدور في الحقيقة حول السلطة والمال والوراثة، تتغص في مراحل لاحقة بغطاء السياسة والوطنية والخيانة... فانفجر الصراع علناً بين الأب والابن البكر عبيدالله. استدعى الأب ولده، متهماً إياه بالعمل على القيام بانقلاب ضده (ضد ملا مصطفى) وبالعلاقة مع نظام بغداد، فحصل شجار شفهي بينهما، وعندما همّ عبيدالله بمد يده إلى حزامه لاجراء مقدحة لاشعال سيجارته، انتاب الأب الخوف منه ظاناً أنه سيخرج مسدسه، فاستتجد بالحرس لايقاف عبيدالله. عندها قال له عبيدالله، مالفائدة من علاقة بين الأب والابن وصلت إلى هذه الدرجة من انعدام الثقة. إنني لا أحمل مسدساً، أريد اشعال سيجارتي بهذه القداحة.¹¹³

112 رسالة وجهها صدام حسين في 1/8/1970 الى ملا مصطفى. ويستهل رسالته بـ «الأخ العزيز أبا إدريس»

113 هذا ما سمعته من أحفاد ملا مصطفى شخصياً ولايزالون قيد الحياة



من اليمين عبيدالله وفي الوسط ملا مصطفى ثم لقمان إلى اليسار

تمت القطيعة بين الأب والابن، وأمر الأب توقيف عبيدالله، وفي واقع الأمر كان عبيدالله يشكل الخطر الأكبر على عملية الوراثة. كان أكثر ثقافة من والده وأقرب إلى الحياة العصرية ويتمتع بدهاء أبيه، لذا كان التخلص منه أمراً في غاية الأهمية... بتواطؤ من الحرس غادر عبيدالله ولجأ إلى بارزان عند عثمان، لكن ملا مصطفى أصّر على تسليمه وإلا فإنه سيزحف على بارزان بالقوات الحزبية. وهنا غادر عبيدالله والتجأ إلى الحكومة العراقية. هنا نرى الأب يختار الحلول اللامسؤولة، ويوفر لصادق حسين فرص ذهبية لاستغلال النزاعات العائلية لصالحه. ومع هذا لم يتوان من تحميل الحكومة العراقية تهمة خلق الانقسام بين أبنائه... فعندما التقى بوزير الخارجية العراقية وعضو القيادة القطرية لحزب البعث مرتضى الحديثي، في بداية شهر ديسمبر 1971، لأمه لوماً لاذعاً على موقفهم من عبيدالله¹¹⁴ وأنهم يتبعون سياسة تمزيق عائلته، في واقع الأمر كان يتهم بغداد على سياسة كان هو نفسه يمارسها تجاه العائلة البارزانية وبالأخص تجاه أولاد شيخ بارزان...

لقد نافق المسؤولون الكورد في مدح وتعظيم ملا مصطفى ووضعوه فوق كل نقد بحيث أصبح هو نفسه معتاداً على معصوميته. فهو غير مسؤول عما حصل من سلبات قاتلة، والمنجزات كلها بفضل حكمته وعبقريته. ولقد انعكس هذا حتى في التصرفات العائلية وعلاقاته مع أبنائه. فهو عندما أجهز على وحدة أبنائه وأقربائه بسبب انحيازه المطلق لعواطفه فان الخطأ ليس منه وإنما من الآخرين، من البعثيين

سنوات المحنة في كردستان. شكيب عسراوى. تموز 2007. مطبعة منارة - أربيل. ص: 322

أو من طيش أبنائه وأقربائه! فهو لا يخطيء أبداً! وحتى كارثة 1975 التي حلت بالشعب الكوردي، الخطأ هو أن أمريكا خانت، واسرائيل خانت وخان الشاه الحركة الكوردية... الزعامة الكوردية لا تخطيء!

وفي حين لم يطرد صدام حسين واحداً من أقاربه ويلتجئ إلى ملا مصطفى، جميع الذين طردهم ملا مصطفى تلقفهم صدام حسين، الأول يطرد والثاني يتلقفهم ويقتلهم فيما بعد. كان أحدهم يكمل مهمة الآخر في القضاء على بارزان، قيمها ومنظومتها الروحية وتصفية جسدية لقاطنيها إلى حدود الإبادة الجماعية. أما أولئك الذين لم يطردهم ملا مصطفى من البارزانيين فقد فضّل اعتقالهم وأمر بقتلهم جميعاً، لأنه كان يعتبر إفلاتهم من يده خطراً كبيراً على عملية الوراثة، لذا لم يعط الفرصة لصدام حسين لقتلهم. ونعني بهم إبادة عائلة محمد آغا ميركه سوري، ضمنهم البطل فاخر ميركه سوري. لقد جعل عداء الاثنيين لبارزان يتبينان موقفاً موحداً أزائهما، كل بطريقته ولغاياته، ليس من شك أن موقف ملا مصطفى العدائي من بارزان كان في صالح الحكومة العراقية والمرترفة الذين استبشروا بنهاية الوحدة البارزانية، ولم يكن ذلك في صالح الحركة التحررية الكوردية. ورغم انه كان يسمى نفسه ويوقع رسائله بالبارزاني، لكن في واقع الأمر لم يعد ملتزماً بقيم بارزان فحسب إنما حاربها بضراوة وحقد.

هذا القائد الذي رفعه الشعب الكوردي إلى مقام "الرمز"، وقد تجاوز السبعين عاماً من العمر، بدا رصيده المخترن من القوة أو الحكمة أو الثقافة أو روح الحرص على المكتسبات الوطنية، أو حتى السمعة الشخصية، أو ابداء الحد الأدنى من احترام رفاق النضال وتضحياتهم، قد نفذ، بحيث لم يعد كافياً حتى الحفاظ على وحدة أولاده، والفضائح العائلية واحتكاره لميزانية الثورة أفقدته الهيبة الشخصية وامست ظاهرة الاختلاس والفساد المالي أموراً لا يعاقب عليها أحد، واستمر في سوء تقدير وتقييم الأوضاع دون اكتراث بالنتائج، وتدنت بشكل خطير حساسيته ولأمبالاته تجاه المشاعر العامة والمخاطر المحدقة بالشعب الكوردي، كما تكررت نوباته العصبية بوتيرة أسرع، وقاده إعجابه بشخصيته إلى اغترابه عن جذور مجتمعه وتكثيف شحنات استبداده.

بعد هروب ابنه عبيدالله التفت ملا مصطفى إلى تدمير بارزان بشكل مكشوف. كان كما قلنا قد آمنَ جانب محمد خالد في عملية توريث مسعود عن طريق تزويجه من ابنته "تحالف مؤقت" إذ بعد أن نالوا غرضهم منه، انقلب مسعود على نسيبه عام 1993 وهدده بالقتل إن تجاوز عتبة بيته.... لكن بعد عام 1970، لم يؤيد عثمان البارزاني موقف ملا مصطفى الموالي للمرتزقة، وأعرب علناً عن استغرابه الشديد من هذا الانقلاب في شخصيته. وهنا ركز ملا مصطفى على معاداته وتدميره ومارس سياسة فرق تسد بين أبناء شيخ بارزان. وخلق الذرائع لضرب عثمان مستخدماً (شقيقه) محمد خالد كأداة تمزيق، ومظهراً للناس بأن الصراع هو بين شقيقين وليس له صلة بها. وقال ملا مصطفى لمحمد خالد:

"إننا نرى من الصالح العام أن تكون أنت الرئيس لمنطقة بارزان لأنك الأخ الأكبر عمراً في العائلة ونحن نقدم لكم كل الخدمات والدعم". لم يكن يؤمن بهذا المنطق، إنما استخدمه لإيقاع الفرقة، لأنه نفسه لم يعمل في عملية اختيار وريثه بهذا المنطق، فسد الطريق أمام إدريس الأعقل والأذكي والأكبر عمراً، لكي يفرض مسعود كوريثه من منطلق عاطفي محض.

كانت هذه كافية لإثارة حفيظة عثمان الذي لم يكن سياسياً ولم يع مدى التآمر عليه، وقد هاله كيف نسي ملا مصطفى سنوات التعاون معه في أوقات الخطر الماحق في جبهات القتال. ثم ضيق الخناق على عثمان مجرداً عليه قوات حزبية كبيرة ودخل بارزان بهذه القوات، فطرد عثمان مع عدد من رجاله والتجأ الأخير إلى صدام حسين في شهر حزيران من عام 1974 وقد لاقى حتفه مع ولديه عام 1983 على يد صدام حسين. ويعلق الدكتور محمود عثمان: " ولم يذهب البارزاني نفسه ولا أبنائه في يوم من الأيام إلى إحدى الجبهات ولم يخططوا أصلاً لأي هجوم منظم ولا لتسديد أية ضربة حاسمة ولا لحرب الأنصار وذهب البارزاني مرة واحدة فقط إلى الجبهة وكانت تلك إلى بارزان لطرد الشيخ عثمان البارزاني وجماعته.¹¹⁵ ليس من شك أن صدام حسين كان مرتاحاً تماماً من سلوك ملا مصطفى الذي يخدم نظام حكمه، وربما كان يشكره في قرارة نفسه! ويعلق مؤلفا كتاب (مستقبل العراق)

115 تقييم مسيرة الثورة الكوردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها. كانون الثاني 1977. الحزب الديمقراطي الكوردستاني. اللجنة التحضيرية؛ ص: 36

Liam Anderson & Gareth Stansfield على فشل ديبلوماسية الزعامة الكوردية: "بعد ان بدا في الظاهر ان الأكراد ضمنوا حقهم في الحكم الذاتي في كردستان، وقد حققوه بجهود مضيئة، اذا بهم يفقدونه، وبسهولة تغلب عليهم صدام حسين في اللعبة السياسية، مرغماً ملا مصطفى "الخالد" نحو انسحاب مبكر"¹¹⁶

هنا رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني يوقع الفتنة بين الأخوين (محمد خالد - عثمان) خدمة للمشروع العائلي ذو الأولوية في ذهنه، وهذا ما كانت تتمناه بغداد والمرتزة الكورد- ويهدم معادلة الحكم التي حددها شيخ بارزان بحكمة، فقد كانت الأمور المتعلقة مع الحكومة العراقية يديرها محمد خالد، والشأن الداخلي يديره عثمان. والحقيقة كانت هذه المعادلة ناجحة وجنبت الاحتكاك بين الأخوين. لكن كان ملا مصطفى يعرف جيداً أن عثمان ضد تحالفه مع المرتزة، فانتقد علناً سلوك ملا مصطفى المناقض لقيم الثورة وقيم بارزان. هنا قام ملا مصطفى بالاتصال باعضاء العائلة البارزانية ووزع عليهم المال (رشوة واضحة) لتاليهم ضد عثمان، وتقديم الموضوع على أسس لاتمت بما هو معلن بصلة. فقد كان يقول أن للأخ الأكبر الحق في تبوء القيادة في بارزان (أي محمد خالد المقتنع بخطط ملا مصطفى اللاطونية) والأخ الأصغر يجب أن يطيع الأخ الأكبر. أي إنه كان يريد تجريد عثمان من كل صلاحيات لكي يزيح عن طريق التوريث العقبة البارزانية. لقد بلغت قوة الرشوة أن ترك عثمان حرسه الشخصي (أحمد وسمان) وعينه ملا مصطفى حارساً لديه.

تضايق عثمان من تهديدات ملا مصطفى بالزحف على بارزان بالقوات الحزبية، فاتصل عثمان بالحكومة العراقية للوقاية منه، نجد هنا قلة حيلة عثمان وذكاء ملا مصطفى للاقاع بخصومه، فاتهمه بالعلاقات مع حكومة البعث وبالخيانة¹¹⁷. ولكي يزيد الفتنة استدعى عبد المهيمن، وهو ابن شقيقة عثمان لكي يقود قوة ضدّ خاله عثمان. أي اشعال نار الفتنة بين العائلة الواحدة. لم يكن ذلك ضرورياً ولم يكن من مصلحة الحزب أو الشعب الكوردي اشارة الفتن في وقت كانت المصلحة الوطنية تتطلب الوحدة الكوردية لارغام بغداد على تنفيذ بنود اتفاقية آذار، ولو أراد

The Future of Iraq. Liam Anderson & Gareth Stansfield. Palgrave Macmillan. 116
2004. Page: 168.

117 مما يجدر ذكره وتحت ذريعة الحفاظ على نفوذه ووحدة العراق من الخطر الإيراني والاتحاد الوطني الكوردستاني طلب مسعود المساعدة العسكرية من صدام لإحتلال أربيل وتسليمها لحزبه عام 1996.

ملا مصطفى استقرار كوردستان، لتجنب كل ذلك بسهولة وبدون اتعاب، لكنه افتعل الازمات والخصومات لتحقيق اهدافه الخفية والمتعلقة بعملية التوريث. كان يعمل بالعاطفة ولا يعير للمنطلق الوطني قيمة عندما تتعارض مع عواطفه.

برر ملا مصطفى هجومه على عثمان بعبارات بعيدة عن الواقع، فكان يقول للبارزانيين، (وهذا ماسمعه شخصياً) : "إن عثمان يريد أن يقذف بنفسه من علو شاهق وأنا امنعه من ذلك، هل يعقل أن لا يريد عم خير ابن أخيه؟" في حين كان عملياً يرفع من شأن زبير محمود آغا الذي عاداه في جبهات القتال العديدة ويبرزه كقائد للبيشمركة، وفي الوقت نفسه يعادى بكل طاقاته عثمان الذي امدّ مراراً الحركة بالمقاتلين سراً للقتال في الجبهات المهددة، خلال الاوقات الصعبة. وفي الوقت ذاته قرر ملا مصطفى ترفيع خال مسعود، فشكل له قوة مؤلفة من ألف شخص وخصص له المساعدات المالية وتسلم اليه تماماً كما كان حاله عندما كان في سلك الارتزاق للحكومة العراقية. الاسلوب هو هو فالقيم السائدة في كلا الحالتان هي قيم الارتزاق.¹¹⁸

في اليوم الثاني لمغادرة عثمان إلى الحكومة العراقية، حضر فرامرز بياني وقابل ملا مصطفى في بارزان أمام شهود عيان، في 4 حزيران عام 1974، كنت أنا ضمنهم، يلتمس عطف الرئيس بعدم طرد العوائل والأطفال من بارزان، قال بلهجة مستجد:

"إنهم لا يحبون مغادرة هذه الأرض، هم يريدون البقاء في منازلهم، وليس للنساء والأطفال ذنب فيما حصل".

كانت قضية إنسانية محضة لاتمت للسياسة بصلة، الا أن ملا مصطفى خلافاً لقوانين حقوق الإنسان وللمواثيق الدولية، ودون رحمة ابى إلى طردهم متذرعاً بحجة لا اساس لها من الصحة، بل أراد بها التصل من مسؤوليته التاريخية في إفتعال أزمة لالزوم لها:

" ليس هذا من اختصاصي، هذه الأمور تعود لمحمد خالد فهو رئيسنا ونحن نطيعه". كان هذا رده على فرامرز بياني.

118 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عزاوي. تموز 2007 . مطبعة منارة - أربيل. ص:309

والحق يقال وجدته فرحاً بما حصل، دون اعتبار للجانب الانساني. تم طرد الأمهات والأطفال من أرضهم ومنازلهم فاتجهوا إلى الحكومة العراقية. وفيما بعد، كثيرون من هؤلاء لقوا حتفهم في مخيم (قوش ته به) عام 1983 عندما طوقت دوريات الجيش العراقي منازلهم وقبضوا على جميع الذكور من البارزانيين وأبيدوا في صحاري جنوب العراق، كما ظهرت الدلائل بعد سقوط نظام صدام حسين. ليس من شك سيكون القائد مدمراً لمجتمعه إن نمت فيه صفات الكراهية والحقد لغايات شخصية بدل حبّ وتقدير شعبه.

وقد مارس صدام حسين نفس السياسة الهمجية على نطاق واسع في طرد النساء اللاتي التحق أزواجهن أو أولادهن بالحركة الكوردية أثناء حربه ضد إيران في الثمانينات من القرن الماضي.

حدث آخر بعد الهرب إلى إيران عام 1975، ذكرتسى بملاحظة هامة للصحفي البريطاني دافيد أدمسن عن شخصية ملا مصطفى، "إنه يأبى أن يتعلم" فقد كان يعيش في عزّ هزيمة آذار عام 1975، في كرج ولم تغيره حقائق الحياة الماثلة أمامه، فيما يخص معاناة الشعب الكوردي. والحادثة التالية تعكس شخصيته الخطيرة واللامبالية بالنتائج.

بعد إعلان الهزيمة بعدة أيام من توقيع اتفاقية الجزائر في آذار عام 1975 فضل لقمان (ابن ملا مصطفى) عدم الاستسلام لحكومة بغداد واختار ترك منزله وما يملكه والالتحاق بوالده الذي التجأ إلى إيران. وبعد مسيرة طويلة شاقة وصل نقده -إيران- مع جميع أفراد عائلته، لكن وجوده في كرج لم يكن مقبولاً ويفسد عملية الوراثة واحتكار الارث المالي حسب المخطط الخفي.

كانت الحكومة العراقية في ذلك الوقت ترسل رسائل أو بعثات عن طريق وزراء أكراد لحث اللاجئيين الكورد في إيران على العودة إلى العراق وأنهم سوف يعاملون باحترام، وكان لقمان قد تلقى رسالة من شقيقه عبيدالله يطلب فيها عودته إلى العراق. لم يكن له ذنب في توجيه الرسالة من عبيدالله، كما جاء المقدم عزيز عقراوي والتقى بالعديد من اللاجئيين الكورد في مناطق إيران، وهو وزير بلا وزارة يطلب من اللاجئيين العودة إلى العراق.

وعندما علم ملا مصطفى بوصول الرسالة من عبيدالله إلى لقمان طلب حضوره إلى طهران، وعند وصوله، كان ملا مصطفى في مجلس يضم شخصيات من السافاك الإيراني وعدد من أعضاء المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكردستاني، في هذه الجلسة أطلق العنان لحالة عصبية غير سوية، فبدل الانتظار إلى أن يغادر الضيوف ثم يلتقي بابنه على انفراد ويطلب منه عدم الاهتمام بالرسالة التي تدعوه العودة إلى العراق، ودون أدنى شك كان الابن يطيع والده وتنتهي القصة بلا ضجة، لكنه أخذ يرتجف غضباً ودون احترام للجالسين أو لابنه أو حتى لنفسه، فقد صب جام غضبه على ولده لقمان وأخذ يشتم ابنه ويتقوه بألفاظ غير لائقة به وسط ذهول الحاضرين. كان قد أصبح أحادي النظر، لا يرى إلا جانباً محدداً من القضية، "الجانب الشخصي" وما عدا ذلك لم يهتم لا بالشعب المنكوب ولا بالوطن الضائع. كان قد أغلق جميع القنوات المتعلقة بالقضية الوطنية من اهتماماته وابقى قناة واحدة مفتوحة على الدوام -قناة العاطفة- لا يتعامل إلى من خلالها. كان في معركة مع أولاده غير المنسجمين مع خطط الوراثة الخفية، الهم الوحيد الذي لازمه حتى وفاته في واشنطن عام 1979. كانت المشكلة معه أنه استمر يتصرف كزعيم أوحده للشعب الكوردي - كان قد قبل الهزيمة أمام الشاه وصادام حسين، لكنه لم يقبلها مع الشعب الكوردي - في حين ركز طاقاته الباقية على توريث المال والزعامة لولده مسعود.

أصيب الابن (لقمان) في صميم كرامته، نهض وقال، لقد تركت كل شيء لالتحق بك، وها أنت تعاملني بهذا الشكل، وداعاً. وما ان نهض من المجلس ووصل الشارع، أوقف أول سيارة تاكسي وطلب من السائق التوجه إلى السفارة العراقية.

حصل ارتياح كبير من جراء مغادرة لقمان إلى السفارة العراقية ونقله إلى بغداد، إذ شكل هذا نصراً لمشروع الوراثة.

وذكر لقمان لعدد من أصدقائه -فيما بعد - لو أن والده أنجى به جانباً وأشبعه ضرباً لقبول بذلك. لكن اهانتته أمام رجال السافاك أمر لم يقبل به. فاتجه إلى السفارة العراقية في طهران على أمل الحصول على جواز سفر وفي نيته اللجوء إلى بلد أوروبي، فإذا بالسفارة العراقية تضعه في طائرة وتعيده إلى العراق. ليس من شك أن صدام حسين استبشر بموقف ملا مصطفى هذا حيث يقدم له خدمات مجانية.

قتل صدام حسين لقمان بعدة أيام من مقتل شقيقه عبيدالله عام 1980. كما قتل صدام حسين أربعة من أحفاد ملا مصطفى وابناً ثالثاً (صابر) عام 1983.

وكما أشرنا في فصل سابق، بموت إدريس قبل الأوان والمفاجئ عام 1987 لم يبق ولا واحد من أولاد ملا مصطفى من طرف زوجاته البارزانيات، وحسم الصراع الداخلي لصالح أولاد وأحفاد محمود آغا الزبياري. واستولوا على المال والسلطة العشائرية والحزبية كاملة، حسب المشروع الخفي!

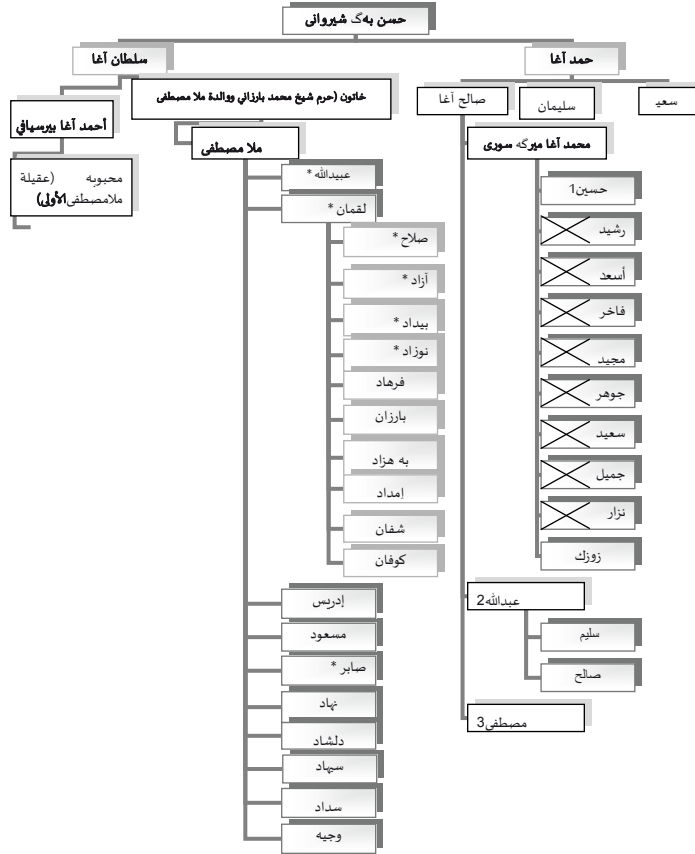
من الصعب فهم موقف ملا مصطفى من تمزيق عائلته وتوفير الفرصة لواحد من أكبر خصومه - صدام حسين - في تنفيذ مخططه ضد الشعب الكوردي، حين كان بإمكانه تفادي ذلك بسهولة لو تبني موقفاً وطنياً يأخذ في الحسبان مصالح الشعب الكوردي الأساسية ومصالح عائلته جليها. ولعل التفسير الأكثر قرباً للحقيقة هو أنه كان على عكس الانطباع الذي كونته الدعاية الحزبية المضللة في مخيلة الشعب الكوردي، كان في الواقع ضيق الأفق، والعاطفة تتحكم فيه بامتياز واضح، وزاد المرض منحى تحكم العاطفة في مواقفه إلى حدود خطيرة للغاية، فقد ظل يتصرف كقائد وحيد للشعب الكوردي ويحتفظ بكل أموال الحركة الكوردية. واستمر في ارتكاب الأخطاء المدمرة منذ بيان 11 آذار مروراً بسنوات الهزيمة بعد عام 1975 وحتى النهاية. هنا نرى ان حالة الانتصار عام 1970 عززت مساوئه وضاعفت من دكتاتوريته وواصل نفس المسلك الخطير خلال سنوات الهزيمة حتى وفاته.

كان المال - يقدر بعشرات الملايين من الدولارات في حوزته - لم يشكل هيئة من النزهاء لتحميلهم الامانة و لتفادي حكم التاريخ عليه بالاستحواذ على هذه الأموال خاصة إنه قاد نضال الشعب الكوردي إلى الهزيمة والمهانة. لم يفكر في ذلك فقد بقي قائداً منتصراً يعطي لنفسه حق اتخاذ القرارات التي تخص مصير الشعب الكوردي من زاويته الضيقة والتي كانت وبالأعلى على الامة الكوردية.

إن سلوك ملا مصطفى هذا كان مسؤولاً إلى حد بعيد في تدهور روح القتال والتضحية بين صفوف البيشمركه عند تجدد القتال مع نظام البعث في عام 1974.

ثم جاء دور ابادة عائلة محمد آغا ميركه سوري وهم من اقربائه تمهيداً لعملية الوراثة.

الجدول التالي يرينا صلة القرابة بين ملا مصطفى وعائلة محمد آغا ميركه سوري.



- العلامة (*) تشير إلى الأشخاص الذين قتلهم صدام حسين من أبناء وأحفاد ملا مصطفى. وعلامة الضرب الكبيرة (×) تشير إلى الأشخاص الذين قضى عليهم ملا مصطفى من أقربائه.
1. حسين استشهد وهو يقاوم تقدم جحافل البعث لإحتلال بارزان صيف عام 1963.
 2. عبدالله أصيب بجرح في معركة (مه زنى) وكان بصحبة محمد صديق- شقيق شيخ بارزان- عام 1945.
 3. مصطفى في نهاية العشرينات مات غرقاً وهو يحاول عبور النهر على رأس قوة لحماية بارزان ضد هجمات الأعداء

كان ملا مصطفى يولي أهمية فائقة للتجسس في المجتمع الكوردي، ويعتبرها عاملاً مهماً للإحتفاظ بالسلطة. وهكذا عين ابنه مسعود مسؤولاً عن جهاز الأمن (باراستن)، في هذه المهنة تختفي الأخلاق لتفسح المجال للسلوك المكيافيلي والإنحطاط الخلفي والخبث. وعندما قتل في أربيل جميل محمد آغا ميركه سوري بأمر من مسعود في 14/2/1971، أرسل ملا مصطفى ولديه (إدريس ومسعود) لتعزية والد المقتول محمد آغا ميركه سوري، إذ بقيت ماهية القتلة مجهولة لعدة أيام بعد عملية الإغتيال. فقد كان ملا مصطفى وأولاده يعتقدون إن هوية الجاني ستبقى مجهولة ولا يمكن كشفها، ولذا ممكن أن يلعبوا دور "المعزي" أيضاً. وبعد تقديم التعازي إلى محمد آغا ميركه سوري، نيابة عن والدهم وعن أنفسهم، قدم (مسعود وإدريس) إلى ريزان حيث التقيت بهم. وذكر لي مسعود: "لو كنا نحن القائمين بعملية قتل جميل، هل يعقل أن نأتي ونقدم التعازي لوالده محمد آغا ميركه سوري؟ كلا، لو كنا فعلنا ذلك لما قمنا بتقديم التعازي لعائلته". صدقته كاملاً إلى أن اثبتت الاحداث عكس ذلك بوقت قصير.

لكن سرعان ما إكتشف فاخر ميركه سوري هوية القاتل، فواجه ملا مصطفى وقال له، وهذا ما ذكره لي فاخر شخصياً:
قلت لملا مصطفى:

لابأس فقد علمنا كيف قتل أخي حسين عام 1963 ولماذا - أبدى حسين مقاومة بطولية في مقاومة الجيش العراقي والمرترقة خلال الحرب البعثية الأولى لتفادي احتلال بارزان إلى ان أستشهد - لكننا لانعرف لماذا قتل جميل؟ سنكون شاكرين لو علمنا السبب؟



الصورة من اليمين حسين محمد آغا ميركه سوري استشهد وهو يدافع عن بارزان عام 1963
الصورة من اليسار وهاب آغا جنديان، محمد آغا ميركه سوري وأحمد مصطفى كانياالنجي في سجن
الموصل (1950\$)

سعيد، شقيق فاخر أخذ ثأر شقيقه بقتله عميل مسعود في الباراستن، أي الشخص الذي أمره مسعود بقتل جميل. فأعتبر ملا مصطفى ومسعود ذلك بمثابة تحدٍ صريح لهم. فتم زج كل عائلة محمد آغا في السجن. لكن السبب الحقيقي كان من وراء معاداة مسعود ووالده لعائلة محمد آغا، تكمن في خوفهم من حصول تحالف بين عبيد الله وفاخر ميركه سوري، واعتبر ذلك بمثابة كارثة لمشروع التوريث.

كان فاخر قد اكتسب شعبية كبيرة أثناء القتال في جبل هندرين وتحريره من احتلال الجيش العراقي له. ولم يكن ذلك ليروق لملا مصطفى، كما كان الأخير يعرف موقف فاخر السلبي من المرتزقة من أخوال مسعود، فقد كان فاخر يريد التعامل معهم كباقي المرتزقة دون امتيازات بسبب كونهم أخوال مسعود، ومن هنا كان فاخر لايميل إلى مسعود الملتصق عاطفياً بأخواله. كان فاخر أقرب إلى إدريس من الناحية

الفكرية. لكن بالنسبة لملا مصطفى كان القبول بزعامة المرتزقة من أخوال مسعود هو محك أساسي، فمن لا يقبل بقيادة زبير محمود آغا يعتبر معارضاً لمسعود، وينبغي تصفيته أو ابعاده أو الاسائة إلى سمعته أو تحطيمه بوسيلة ما. ثم إن احتمال ايجاد تحالف مع عبيدالله شكّل هاجساً مخيفاً لدى ملا مصطفى ومسعود، ومن هنا قام بآبادة من بقي من اخوته ووالده بوقت قصير قبل الهرب إلى إيران.

وعن مناخ التنافس العام داخل العائلة الحاكمة، يقول سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكوردي في لبنان جميل محو: "تكفي وشاية كاذبة واحدة لأن يجرح صاحبها إلى أعماق السجون".¹¹⁹

وهو نفسه أصبح ضحية بريئة في أجواء التآمر والأحقاد الدفينة السائدة في مقر ملا مصطفى.

يذكر جميل محو عن بداية انطباعه حول ملا مصطفى - عن بعد - ومتأثر بالدعاية الحزبية المضللة:

«كنت أعتبره أقدس إنسان كوردي ظهر على وجه الأرض».¹²⁰

وبعد التقرب تتكشف الحقائق:

كان جميل محو لا يعرف تفاصيل الأجواء المسمومة داخل عائلة ملا مصطفى، ويتعامل مع جميع أبناء ملا مصطفى باحترام لأنهم أبناء القائد. لكن العلاقة مع عبيدالله كانت نذير شؤوم بالنسبة له، فقبض على جميل محو لصلاته العادية بعبيدالله. وهذا يكشف مدى الذعر الذي انتاب الوالد وولده من عبيدالله:

التقى جميل محو بمسعود في 1971/5/24 وقال لجميل محو: «تعاونك مع عبيدالله خيانة عظيمة بحق الثورة ولانغفرها لك». وقال إدريس «صحيح إنه أخونا الأكبر إنما يشتغل لغير صالحنا وهو الآن مسجون وتحت المراقبة الدائمة من قبل والده البارزاني».

ردّ جميل محو: «لماذا لم تتبهونني إلى ذلك».

119 مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكوردي.

1982. ص: 184

120 ن م س : ص : 57

ثم استدعي جميل محو للمثول في 1971/5/28 أمام ملا مصطفى، هذه اللقاءات تكشف كيف تتغطى الخلافات العائلية بغطاء الثورة والوطنية زوراً. أخذ ملا مصطفى يشتم ويرتجف غضباً:

"كذا إين كذا.. أنت خائن جاسوس أنت تشتغل ضد الثورة..... أنت تتعاون مع عبيد الله." "جميل محو ينفي ويطلب الدليل للتهمة....."¹²¹ ولدهشته أمر ملا مصطفى وهو في غاية العصبية بسجنه، فأودع سجن خان السيء الصيت.

وفي السجن إلتقى بفاخر(بطل معركة هندرين)، أراد الأخير التخفيف عن آلامه وطلب منه الخروج قليلاً من زنزانتهم لاستنشاق الهواء، وعلموا أن عبيد الله أفلت من قبضة حراس والده وهرب إلى بارزان، كان ذلك في 1972/6/6.¹²²

لم تنفع جهود شخصيات سياسية لبنانية معروفة في إطلاق سراح جميل محو من سجنه اللاقانوني. استدعى جميل محو للاجتماع في 1972/7/24 بنجل ملا مصطفى، إدريس:

جميل محو: لماذا لا تكشفوا أمام الرأي العام الكوردي سبب احتجازكم جميل محو وماهي التهمة التي وجهت اليه؟ لماذا لا تحاكموه إذا كانت هناك إدانة أو أدلة ضده؟ أنا مستعد أن أقف أمام محكمة الثورة للمحاكمة.

إدريس: أنت رجل خطير نخاف منك أكثر من السلطة العراقية، وأخذ يهاجم بقسوة عبيد الله الذي شوه سمعة العائلة البارزانية بخياناته كما وإنك أنت يا جميل محو الذي ذهب ضحية بل كبش المحرقة في سبيلنا وفي سبيل الصراعات الداخلية، قلت له:

طالما تعرف اني ذهبت ضحية خلافاتكم فما ذنبي أنا؟ أجا، نخاف إذا أفرجنا

121 مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. 1982.. ص: 163 - 164

122 مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. 1982.. ص: 167

عنك بأن تتحالف مع أختينا عبيدالله وتشتغلان ضدنا.¹²³

هاجس التنافس العائلي لتأمين عملية التوريث كان ضاغطاً بقوة على عقلية قائد الثورة ونجله مسعود، فحتى في أحلك الظروف حيث إنهارت الحركة الكوردية، كان الهاجس الأول ليس مصير الشعب الكوردي، إنما كيف يحقق مشروعه العائلي، فعند هزيمة القيادة الكوردية في آذار عام 1975، وقد أيدت عائلة محمد آغا ميركه سوري ودفن البعض منهم في حفرة جماعية مع أغلالهم، إلتقى ملا مصطفى في منفاه الإيراني في مدينة (نغده) في شهر أبريل/نيسان بجميل محو وقد تخلى حراس السجن عن واجبات الحراسة ليلوذوا بالفرار، فخرج جميل محو من زنزانته وتابع خطى الهاربين إلى إيران. جاء اليه ملا مصطفى بهاجسه الوحيد والأهم:

"أريد منك شيئاً واحداً يا جميل ومقابل هذا الشيء ادفع لك ماتريده من المال. قلت له : ماهو هذا الشيء الذي تريده منى سيدي، قال بعد لحظة من الصمت، وكان الملا مطرق الرأس. إذا كان بمقدورك ان تقتل ابني عبيدالله فأنا على استعداد لأن أدفع لك المبلغ الذي تريده.

فلما سمعت منه ذلك، أخذتني قشعريرة إذ لم أكن أتوقع أن أسمع ماسمعه والله الشهيد على ما أقول. فبقيت صامتاً لا أقوى على الكلام ولم أرد عليه بجواب."¹²⁴

في النهاية وبمساعدة السفارة اللبنانية في طهران عاد جميل محو إلى بيروت وكتب مذكراته عن المعاناة طوال سنوات اعتقاله في سجون العائلة الحاكمة وتهمته الوحيدة كانت مبنية على شكوك ساورت ملا مصطفى ونجله في حصول تعاون بين جميل محو و عبيدالله!! كتاب جميل محو يحكي معاناته ويستخدم أحياناً لغة جارحة تجاه من اعتبرهم مسؤولين عمّا لحق به من غبن.

طبيعي لم يكن يعرف ملا مصطفى أن أمنيته هذه سيحققها له صدام حسين بعام واحد بعد وفاته في إحدى مستشفيات الولايات المتحدة الأمريكية. فقد قتل عبيدالله

123 مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. 1982. ص: 207 - 208

124 مذكراتي داخل سجون الثورة الكردية. جميل محو سكرتير عام الحزب الديمقراطي الكردي. 1982. ص: 253

عام 1980 و ثم قتل ابنه الثاني (لقمان) بعد عشرة أيام من اختفاء عبيد الله، و ثم قتل ابنه الثالث (صابر) في عام 1983. ثم قتل صدام حسين أربعة من أحفاد ملا مصطفى هم: صلاح، آزاد، بداد ونوزاد، ثم أباد آلاف البارزانيين عام 1983.

في الوقت الذي كان ملا مصطفى يهدم جبهة الكورد الداخلية كان يعتقد إنه قوي خارجياً وهذا هو المهم في نظره. وكما سنرى، أن الاستقواء بالخارج وهدم الجبهة الداخلية لم يمنع سقوطه عام 1975. كان لايبالي بما يشعر به الشعب الكوردي، أو رفاق النضال من سلبيات خطيرة في شخصيته، فهو ماسك بزمام الحكم، يقتل من يريد والمساعدات الخارجية - المال والسلاح - تصل اليه مباشرة.

ماتبقى من عمره أي منذ بيان آذار عام 1970 وحتى وفاته عام 1979، كان الجانب المدمر في شخصية ملا مصطفى هو الأبرز والفاعل. كان كثير الشتيمة، يشتم بلا سبب وجيه، ويتهم تقريباً جميع أعضاء مكتبه السياسي ومعاونيه بالعمالة والسرقات. إن ما أشار إليه شيخ بارزان من وجود نزعة الهدم فيه قد تحقق كاملاً كما تحقق ما شعر به الصحفي البريطاني David Adamson الذي حاوره لساعات، وقد أيدته في ذلك الصحفي الفرنسي كريس كوتشيرا قائلاً: "أحد الصحفيين الذين امسكوا بدقة، سيكولوجية هذه الشخصية المعقدة - يعني ملا مصطفى - قال عنه "إنه يرفض أن يتعلم، والذي يبعث أكثر على الأسف أنه ربما يحس بذلك" لقد أدعشه خيالاته والى حدود معينة نبيل شخصيته، لكن هذا الصحفي لم يتمالك إلى التأكيد على وجود "شيء هدام وسلبي في داخله"¹²⁵

وعن حالة الحزب الديمقراطي الكوردستاني وتحويله إلى مطية لقوى التخلف، نستشهد بواحد من داخل البيت الحزبي وعلى دراية تامة بالخفايا، إنه القيادي المعروف، الدكتور محمود عثمان، يقول:

" لقد ظهر تصرف جديد من قبل هذه القيادة (التي لاتؤمن بالحزبية أصلاً) بعد بيان آذار حيث بدأت بمد نفوذها مباشرة إلى داخل الحزب (لعلمها بأن الحزب سوف يلعب دوراً مهماً في هذه المرحلة) وذلك بفرض بعض العناصر عليه وكان هذا واضحاً في المؤتمر الثامن 1970 حيث دخل إدريس ومسعود قيادة الحزب وفرضت

عناصر لاحتزبية على هذه القيادة ولضمان تطبيق ذلك جلبت بشكل غير شرعي إلى داخل قاعة المؤتمر الكثير من العناصر غير الحزبية وبدرجة اخذوا يشكلون حوالى ثلث المندوبين.¹²⁶

وكما هو الحال مع الأنظمة الدكتاتورية، يلعب جهاز الأمن دوراً رئيسياً في بقاء النظام الدكتاتوري فيقول الدكتور محمود:

"بعد بيان آذار ولحد انتهاء الثورة اخذ مقر البارزاني عن طريق جهاز الباراستن والنفوذ الشخصي تدس بعناصر موالية له في صفوف الحزب وذلك لإضعافه واضعاف أي دور يمكن ان يلعبه كجهاز قيادي في الثورة وأخذت الصلاحيات تركز في يد العناصر العسكرية وعناصر الباراستن المطيعة دون نقاش لمقر البارزاني وكانت قيادة البارزاني تفضل العناصر غير المثقفة وغير القديمة في الحزب والثورة على غيرها وتوسع مجال التقدم أمامها وذلك لكي تضمن طاعتها لها وهكذا أخذ دور الحزب ووجوده في الثورة يضعفان يوماً بعد يوم وعلى جميع المستويات."¹²⁷

في حين يذكر جرجيس فتح الله وهو من الملمين بما كان يجري وراء الكواليس الحزبية فيقول حول نتائج انتخابات المؤتمر الثامن المنعقد في تموز 1970 ".... وضعت الاسس لتدهور سمعة الحزب الجماهيرية وتطعيم اللجنة المركزية بعناصر خائفة والاصرار على ابقاء العناصر الضعيفة السابقة."¹²⁸

وفي الواقع كان كل شيء يحدد من قبل شخص ملا مصطفى، لكن بصورة لا ينكشف، بل يروج له مرتزقة الإعلام الشفهي والمكتوب العكس، انه ضد تقديم قائمة بأسماء من يريد هو أن ينتخبوا، وعندما إفتتح المؤتمر الثامن في تموز عام 1970 وقف هو منبهاً المندوبين بأنهم أحرار في اختيار من يريدون للقيادة ولم تكن هذه غير لعبة جعلت الانتخابات عرضة للتزوير بأمر من القائد وعلى أوسع نطاق، ومن الملاحظ

126 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها. كانون الثاني 1977. الحزب الديمقراطي الكردستاني. اللجنة التحضيرية. ص: 17

127 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة. ص: 17 - 18

128 زيارة للماضي القريب. ستوكهولم - السويد. دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 65

أن التزوير أصبح مبدأ من مبادئ القيادة العائلية للحزب في جميع الانتخابات التي خاضها الحزب بقيادة نجل ملا مصطفى (مسعود) وعلى نطاق الشعب الكوردي بعد عام 1991 . ولنلق نظرة على مرض التزوير المزمّن والمفضوح أثناء المؤتمر الثامن في تموز عام 1970:

يقول جرجيس فتح الله:
"كانت هناك فعلاً قائمة يقوم بترويجها فريق من أعضاء القيادة وبموافقة الباقين . مع الإيحاء (بالقول الصريح أحياناً) بأنها موضع رضى البارزاني نفسه بدليل وجود اسمي ولديه (ادريس ومسعود) فيها".¹²⁹

ويمضي إلى القول:
"وقال واضعو تلك القائمة (التي لم يكن ثم منافس لها) في تبرير تضمينها بعض العناصر الأمية الجاهلة التي لم يسبق لها العمل السياسي أنّ هؤلاء هم من قادة البيشمركة الذين أبلوا بلاءً حسناً في أثناء المعارك وقد فقدوا مراكزهم العسكرية بعد البيان وبحلول السلام في الوقت الذي كان يتعذر اسناد مناصب حكومية لهم وسيكون ضمهم إلى القيادة (تمثيلاً للبيشمركة) فيها فضلاً عن كونه تعويضاً لهم ومكافأة".¹³⁰

ويمضي ليقول:
"وكأن ذلك لم يكن بكاف . إذ عمدت القيادة إلى خرق نظام الحزب الداخلى بقبولها أعضاء جددا في الحزب عشية انعقاد المؤتمر ليس إلا لأن هؤلاء (الأعضاء الجدد) سيغدون بعد يومين او ثلاثة أعضاء في اللجنة المركزية الجديدة . في حين يقضي نظام الحزب بعدم جواز ترشيح عضو الحزب نفسه إلى اللجنة المركزية ان لم يمضي على عضويته سنتان على الأقل".¹³¹

129 زيارة للماضي القريب . ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر . ص: 66
130 زيارة للماضي القريب . ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر . ص: 66
131 زيارة للماضي القريب . ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر . ص: 66 - 67

ظاهرة التزوير في الحزب الديمقراطي الكوردستاني جزء لا يتجزأ عن عقلية القيادة، إنه مرض مزمن ومستعص على الحل، وقد حصل تزوير في ظروف انتخابات حزبية لا خطر فيها على نفوذ ملا مصطفى، كما جرى أثناء المؤتمر الثامن في تموز 1970. وهذا يزيل أي عجب من حملة التزييف الواسعة في اقليم كردستان بعد عام 1991.

ويزيد جرجيس فتح الله حول ظاهرة تفشي التزوير المفضوح:

"فعندما أصرّ المندوبون على حرية اختيار مرشحيهم وملئوا القائمة بأسماء من يدركون أهليته ومن يريدون رأيت القيادة الا ان تتدخل فتزور النتائج عن طريق رشوة قارئى الأسماء ومسجليها بوعدهم بالمنصب، انكشف بعض هذا التزوير عندما خرجت نتائج الاحصاء بعدد متساو من الأصوات لكل من ادريس ومسعود خشية ان يحرز احدهم صوتاً واحداً أكثر من الآخر فيخل ذلك بنظرة المساواة التي كان ينظر بها الجميع إلى الأخوين. مجاملة تافهة خرجت عن طور المعقول ووجب التساؤل الحاد". ويضيف "حاز كلاهما - إدريس ومسعود - 450 صوتاً بالتمام والكمال" ويضيف "وجاءنى أحدهم واراني ورقة كتب عليها بخطّ عرفت صاحبه منه حق المعرفة. وفيها هذه العبارة "راجعنى في بغداد لأسجل لك منزلاً"¹³²

هنا ينطبق مانسب إلى ستالين من قول: «الذين يدلون بأصواتهم لا يقررون شيء، الذين يفرزون الأصوات هم الذين يحددون كل شيء».

حورب الدكتور محمود بضاوة، ويقول عنه جرجيس فتح الله:

"لأدري ان كان في نية ثلاثي القائمة توجيه ضربة اخرى لمحمود عثمان في الانتخابات. لكن يبدو أنهم عجزوا عن التمادى في التزوير بحقه اذ كان المندوبون مصرين عليه ورغم اغفال اسمه في عدد كبير من الاوراق والدعاية التي نشرت ضده، لم يكن بالوسع اغفال اكثر من حوالي مائة صوت اعطيت له وبدا الـ 375 صوتاً المسجلة له تحدياً كبيراً لمن أضمر له سوء..."¹³³

كانت هذه هي حالة الحزب الديمقراطي الكوردستاني بعد بيان آذار وقبله أيضاً.

132 زيارة للماضي القريب . ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص: 67

133 ن م س . ص: 68

هنا يتضح أن حزباً كهذا غير قادر على مواجهة التحديات الجسام التي كانت تواجه الشعب الكوردي. إنّ الاحتفاظ بالسلطة والمال وتركيزهما في يد عائلة واحدة شيء، أما تنظيم ثورة شعبية على أسس عصرية، ديمقراطية وتقدمية لنيل الحقوق القومية فهو شيء آخر يختلف تماماً.

أما عن حالة قوات البيشمركة، يذكر الدكتور محمود عثمان:

”...كان فرض المسؤولين من غير الكفوئين والجهلة على القوات المسلحة مستمرا ولذلك بدأت العلاقات بين البيشمركة وبعض هؤلاء تتحول تدريجياً في كثير من الأحيان إلى ماهو شبيه بالعلاقات بين الإقطاعيين ومن يتبعهم وازدادت المحسوبة والمنسوبة وأخذ المسؤولون يعيشون عيشة مرفهة بالنسبة إلى إمكانات الثورة بينما لم يصل هذا الترفيه إلى صفوف البيشمركة وهذا الموضوع أضعف حماس البيشمركة في القتال حيث تولد لديهم شعور بأنهم هم الذين يضحون وأما المكاسب فهي للمسؤولين الذين يعيشون بشكل مرفه في المواقع الخلفية، وان هذه الظاهرة كانت واضحة جداً في حرب سنة 1974 ولم تتخذ الخطوات من قبل القيادة لمعالجتها لان قيادة القوات المسلحة (مقر البارزاني) كانت هي أيضاً دائماً خلف الجبهات وتصدر الأوامر دون ان تراقب التنفيذ او تزور إحدى الجبهات لتطلع على مايجرى فيها.....“¹³⁴

بعد بيان آذارحصل مباشرة تصعيد أكثر وضوحاً في ظاهرة التمتع بالمال والملذات والمناسب، وفي مقر ملا مصطفى، البعيد عن خطر الجبهات، برزت ظاهرة ”الكروش الكبيرة“ والفساد. كان هناك في واقع الأمر عالمين منفصلين تماماً. عالم البيشمركة العادي المضحى والرابض على خطوط جبهات القتال يعاني من ضنك العيش، وعالم القيادة الكوردية المدنية والعسكرية التي تعيش حياة رفاة وزيارات إلى الخارج وتآكل من أجود الطعام وتعيش حياة ترف، محاطة بالخدم والخدمات والحراس. في واقع الأمر كان مقرّ ملا مصطفى أكثرهم بعداً عن أجواء القتال وأكثرهم تمعناً في البذخ المالى وتتوفر فيه أشهى الأطعمة حيث تصلهم يومياً من أسواق إيران.

134 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها. كانون الثاني 1977. الحزب الديمقراطي الكردستاني. اللجنة التحضيرية. ص: 28

ويقول جرجيس فتح الله حول ظاهرة الفساد المتفشية بعد عودة القتال عام 1974:

"وجلس معظم القادة الحزبيين والأمين العسكريين في المؤخرة او احتماوا في كهوف جبلية آمنة تتوفر فيها أسباب الراحة والحماية يحيطون أنفسهم ببطانة من الطفيليين ويستعين بعضهم على قضاء الوقت بمعاقرة الخمر والتمتع بخير الطعام وكل منهم ينتظر نوبته للسفر إلى ماوراء الحدود للاجتماع بأهله وقضاء إجازة طويلة هناك. ولم يكن لديهم عمل في الجبهة الا نقل أنبائها إلى المقر والمراكز المسؤولة بشكل مضلل بعيد عن الحقيقة لاعطاء صورة مطمئنة براقة عن الوضع العسكري."¹³⁵

"سرى شعور اللامبالاة والانحلال الخلقي في معظم القادة العسكريين وكان مقدراً لها طبعاً ان يتسرب ويتفشى في صفوف البيشمركة (أفراد الجيش الثوري الكوردستاني) لقد أمسى داء قتلاً فيه امتص كل حماسته ومعنوياته خلال أعوام 1970 - 1974 وأصاب بالشلل قوته القتالية التي أكسبته فيما مضى شهرته العالمية ووقعت الرعب في قلوب اعدائه. فأنطوت اسطورة البيشمركة فعلاً. اذ بعد ان كان هذا المقاتل الجريء يسترخض حياته، صار يضمن بقطرة واحدة منها وبعد ان كان يعد التعب والجوع حلية وشرفاً وينافس اخوانه فيها ويفاخر بهما، غدا يحاسب أمره بجرأة وبحرص البخيل على مقدار ما يناط به من واجب وعمل وما يعطى من مال او ارزاق مقارناً بما يعطى للآخرين ولا يتردد في انتهاز الفرصة ليتهرب من الواجب....."¹³⁶

سياسة القيادة الكوردية وقفت ضد تغيير أو نقل القادة العسكريين من مناطق بادينان، وكان هذا منافياً لعملية تجديد الروح القتالية وتطوير تكتيك أكثر عصرية، وتمشياً مع التغييرات في الميزان العسكري بين بغداد والحركة الكوردية، فمنذ عام 1961 - 1970، أبقى ملا مصطفى القادة العسكريين المواليين له شخصياً في

135 زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله .ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص:91

136 زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله .ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر. ص:91

وظائفهم. فرض سياسة "الجمود" في بادينان، كل قائد في منطقته بمثابة الحاكم المطلق الصلاحيات. وكلهم من الطائعين والمنصاعين. لكن بعد بيان آذار إنقلب نحو الأسوء، فقد فرض التغيير في التركيبة القديمة الجامدة بإجراءات مذلة للبيشمركة وللمحاربين القدماء في منطقة عقرة-شيخان ومناطق أخرى، كان - وكما نوهنا- فرض الأغوات المرتزقة كقادة حلوا محل القادة القدامى الذين ناضلوا وضحوا، وبهذا تراكمت السليبات ضمن صفوف البيشمركة وانعكست في تدنى الروح القتالية عند بدء المعارك في صيف عام 1974. ذكر لي إدريس مراراً من أن هذه السياسة كانت من ضمن أهم الأسباب الداخلية لانهايار الحركة الكوردية عام 1975.

كانت القيادة الكوردية تعيش في غفلة من كل ما يتعلق بمصير الشعب الكوردي فلم يكن لديها "خطة عسكرية تواجه بها الهجوم العام الذي شنه نظام الحكم العراقي عام 1974 ولم يخطر ببالها ان تهيء خطة بعد بدء الهجوم الا اذا اعتبرنا الدفاع في وجه هجوم خطة. ولذلك مني الجيش الثوري الكوردستاني بهزائم سريعة متلاحقة واقدم على انسحابات بدون مبرر او داع ذهل لها العدو نفسه حتى وظنها احياناً خدعة عسكرية".¹³⁷

طبيعي في ظروف الفساد الأخلاقي لم يكن أحد يتوقع ان يدافع عن الحركة الكوردية المرتزقة الذين عينهم ملا مصطفى قادة، لقد أتت سياسة ملا مصطفى اللاوطنية ثمارها كاملة أثناء قتال عام 1975. وقد سمعت شخصياً بيشمركة وهم يقولون، هل نقاتل لكي يسلط علينا ملا مصطفى المرتزقة؟ كانوا يشتمون أنفسهم إن صوبوا طلقة واحدة إلى صدر العدو.!

لقد انتقل عدوى إِدْخار المال من قمة القيادة الكوردية إلى عدد كبير من القادة العسكريين الذين كانوا في الماضي قدوة في التضحية والإيثار، فالناس على دين ملوكهم. يشير جرجيس فتح الله إلى منطقتين استراتيجيتين كانتا مسرحاً لهجومين عراقيين كبيرين فيقول حول قاطع زاخو وهي تحت إمرة عيسى سوار:

137 زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله ،ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر.

"تألفت القوات التي حشدتها الحكومة من لوائين (ما بين 3000 و4000 جندي وضابط) تساندها مدفعية ودبابات وغطاء جوي. في 28 من نيسان 1974 شرع في العملية بقصف ارضي وجوي كثيف على مواقع الپيشمرکه دام حوالي ست ساعات وتلاه تقدم لرتل الدبابات بلغ إلى فم المضيق. عندها توقف الرتل في زحفه خشية وجود ألغام مزروعة فيه او مواجهة صواريخ خارقة الدروع. وهو سلاح كان يملكه الپيشمرکه وقتذاك. وكان هناك حوالي ألف وخمسمائة من الپيشمرکه وهم (هيز زاحو) انتشروا في مواقع ممتازة ويخط دفاعي على جانبي المضيق. وفضل أمر هذه القوة (عيسى سوار) ان يبقى في زاخو وان ينيط القيادة الميدانية بشخص يدعى (حاجي قادو). وقد عرف الپيشمرکه هذا الشخص رئيساً لشبكة التهريب. وساعد عيسى سوار الأيمن في عملياته المالية السرية غير المشروعة ووكيله في عقد الصفقات الخارجية والداخلية.

ووجد الپيشمرکه في الهجوم الحكومي فرصتهم للتعبير عن سخطهم ونقمتهم على كل ما حصل خلال السنوات الماضية فقد تخلوا عن المضيق إلى آخر رجل من تلقاء انفسهم ومن دون أمر او إطلاق رصاصة واحدة. تركوا مواقعهم الحصينة وانسحبوا إلى الخلف وبقي المضيق متروكاً ليس فيه احد طوال أربع وعشرين ساعة والقوات الحكومية تتهب التقدم نحوه ولا تدري بانسحاب المقاتلين الكورد. وساد هدوء وانعدمت الحركة. وعند حلول الظلام ارسلت قيادة القوة الحكومية مفرزة من المرتزقة الزيباريين بقيادة (لطيف زيباري) المعروف ب (لطو) للاستطلاع. فتقدمت المفرزة ودخلت المضيق ثم عبرته باتجاه زاخو حتى باتت على مسافة نحو خمسين كيلومتراً من المدينة وهنا قوبلت برشقات نار من سريتين للپيشمرکه فبادلتهم اطلاق النار برهة ثم انسحبت لتبلغ القيادة بخلو المضيق من المدافعين فتقدمت القوات الحكومية واحتلت المضيق ثم دخلت مدينة زاخو دون عائق وكانت قوات الپيشمرکه وقيادتها قد اخلت المدينة وانسحبت إلى الشمال الشرقي باتجاه العمادية.

تم التوصل إلى هذه التفاصيل بعد ان بلغت أنباء هذا الانسحاب الغبي المقر العام وقيادة الحزب التي بادرت بالإيعاز بتشكيل لجنة تحقيق سرية تسترت تحت عنوان: لجنة رفع المعنويات في صفوف الپيشمرکه" وغايتها الأساسية تقصي أسباب انسحاب الپيشمرکه من غير مقاومة.

تألفت اللجنة من أعضاء لجنة الفرع الأول للحزب (نجم الدين اليوسفي وملا صالح حاجي وشعبان سعيد) وباشروا تحقيقاً سمعوا فيه إفادات عدد كبير من أفراد الپيشمرکه (هيز زاخو) وتم تدوينها وارسالها إلى المقرّ وكانت اجاباتهم صريحة ولم يتعمدوا إخفاء ما إعتمل في انفسهم: رفضنا القتال انتقاماً من (عيسى سوار) . أجل: قبل آذار كنا نقاتل واستظهرنا على الجيش عدة مرات. وفي آذار عينوا هذا الرجل (المقصود عيسى سوار) أمراً لوحدتنا برتبة عسكرية وجعلونا حرس حدود، فكان يستولى على رواتبنا ومخصصاتنا من الأرزاق لبيعها . وقد إضطّر أكثرنا خلال هذه السنوات إلى ان يشتغل عمالاً وفلاحين لسدّ حاجات عائلاتنا المعاشية.¹³⁸

كان عيسى سوار صورة مصغرة لقيادة ملا مصطفى، وعند وصول تقرير اللجنة إلى المكتب السياسي ومقرّ البارزاني، :«بقي (عيسى سوار) أمراً للهيز المنهزم حتى نهاية الحركة المسلحة.»¹³⁹

ثم يتابع جرجيس فتح الله ليقدم مثلاً آخر عن فساد القيادة العسكرية، (فارس باوه) من أكثر معتمدي ملا مصطفى، كان أمياً ورغم ذلك أتى به ملا مصطفى إلى اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني، وظهر فيما بعد انه كان قد باع نفسه إلى السلطات العراقية أثناء فترة الهدوء في بداية السبعينات، فيقول:

«وفي الأول من أيار بدأت القوات الحكومية بالهجوم في جبهة سهل اربيل (ده شتي هه وليير) وتقدمت في (بستانه) حتى بلغت المنطقة التي يهيمن عليها (دربندي گوومه سبان) وهي منطقة مضيق جبلي بين مدينتي كويسنجق واربييل. وهذا المضيق كان تام التحصين. وهو مفتاح منطقة واسعة، يدافع عنها (الهيز) المسمى باسمه وكانت قيادته بيد (فارس باوه) منذ زمن بعيد. وهو الآن فضلاً عن ذلك عضو اللجنة المركزية للبارتي. نسجت حول قائد هذا الهيز وحوله قصص وبطولات وموفقيات كبيرة سالفة وكانت قواته قد جهزت مؤخراً بسلاح متطور هو مدفعية ضد الدبابات من طراز (ب 10) وهو أحدث سلاح خارق للدروع في حينه.

138 زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله .ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر.
ص: 108 - 109 - 110 - 111

139 زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله .ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر.
ص: 110

لم يكن هناك من سبيل لاكتساح المنطقة إلا بالاستيلاء على المضيق. وكان من المتوقع ان يمنى الجيش في محاولته اجتياز العقبة بهزائم متلاحقة وخسائر جسيمة اعتماداً على شهرة القائد وتاريخ الهيز المشرف. الا ان حقيقة ما حصل هو أن القوات الحكومية المتقدمة نحو المضيق لم تواجه أية مقاومة. لم يكن في المضيق خفر او حراسة ليلية وكان الجميع يغط في نومه ولافكرة لأي احد بتقدم او زحف (الأ واحداً). ووقعت المدفعية الجديدة غنيمة بيد الجيش ولم يمض على وصولها غير عشرة أيام ولم تطلق منها قذيفة واحدة وتشتت شمل هيز ده شتي هه ولير، ولم يعد له أثر.

تبين فيما بعد ان (فارس باوه) كان غائباً عن الموقع - في واقع الأمر كان ذلك متعمداً، التعليق من الكاتب - وانه أناط القيادة بالذي يليه فيها وهو (صابر شيخ جامي) وهذا هو (الواحد) الذي أشرنا اليه كان يعلم بموعد تقدم الجيش فقد سبق للسلطة أن اشترته من خلال عمليات شراء الذمم الواسعة التي مارستها مع رجال الثورة خلال سنوات 1970 - 1974.¹⁴⁰

لم يخطوا جميع القادة العسكريين البارزانيين خطى فساد قيادتهم، فعلى سبيل المثال بقي علي خليل وهو ابن خليل خوشفي، مخلصاً في نضاله وسلوكه الشخصي ولم تغيره اغراءات الزعامة والمال وبقي يعارض مصالح الأغوات ويخشى نفوذهم السلبي على مسيرة الحركة الكوردية واحتفظ بشعبية كبيرة في منطقتة في بادينان بالاخص في أوساط البرواريين. ويقول عنه جرجيس فتح الله:

"في الهجوم العام صمد هيز دهوك بقيادة (علي خليل خوشفي) وبقي إلى الاخير يردّ هجمات القوات الحكومية في (كه لى دهوك) ولم يتقدم الجيش العراقي شبراً واحداً حتى صدر الأمر بالانسحاب وإلقاء السلاح إثر الاتفاق في الجزائر عام 1975.¹⁴¹

140 زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله ،ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر . ص: 111

141 زيارة للماضي القريب . جرجيس فتح الله ،ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر . ص: 111 - 112

استدراار الاهتمام الأمريكي

"أن مبدأ عدم التدخل ساري المفعول
في العراق، ليس فقط تجاه المشكلة الكوردية
وإنما سارٍ على جميع الأطراف"
ديبلوماسي أمريكي في بيروت
لحبيب محمد كريم
1971/11/2

كانت ديبلوماسية الحركة الكوردية محكومة بالعامل الجغرافي العازل، ولم يكن هناك احتمال تلقي المساعدات من الطوق المعادي تركيا أو سوريا بين أعوام 1970 - 1974. بينما كانت القيادة الكوردية تتلقى المعونات العسكرية والمالية بشكل خاص من إيران. لكن على طول خط العلاقة مع إيران تبنت القيادة الكوردية موقف المستجدي بشكل واضح. لقد نشأت فرص كان من الممكن فرض شروط لصالح الحركة الكوردية على إيران، مباشرة بعد التوقيع على معاهدة الصداقة بين العراق والاتحاد السوفيتي، فقد كان الشاه في موقف قلق ولم تكن لديه ورقة ضغط على الحكومة العراقية غير الحركة الكوردية. لا نستبعد أن شعر بها القادة الكورد، لكن بدل الإصرار على علاقة موزونة تخدم القضية الكوردية وبوجود ضمانات مكتوبة من إيران، مالت إلى تكرار الطلب من الشاه والسافاك الإيراني، بمساعدتها لبناء روابط مع الولايات المتحدة الأمريكية. وهذا ما وافق عليه الشاه لأنها عديمة التكلفة.

وكانت الولايات المتحدة قبل طلب الشاه من الرئيس نكسون نهاية مايس 1972، غير مستعدة لبناء هذه العلاقة، إذ لم تكن لها مصلحة. وما يجدر ذكره، جميع هذه الدول التي قدمت العون لقيادة الحركة الكوردية، كانت تحرص بشدة على الاحتفاظ بسريّة العلاقة، مما يعطيها مجال التنصل بسهولة. فقد تطورت علاقات الزعامة الكوردية من السافاك الإيراني إلى الموساد الإسرائيلي وثم إلى الـ C. I. A. الأمريكي. لم تتمكن القيادة الكوردية بناء علاقات ديبلوماسية راسخة تليق بحركة تحرر وطنية مع الحكومات لا من الكتلة الشرقية ولا من الكتلة الغربية.

واصل الاتحاد السوفيتي دعمه المالي والسياسي المحدود للحركة الكوردية منذ عام 1961، واستمرت حتى عام 1972. ثم زيدت لتبلغ مليون دولار في عام 1972. وانقطعت بعد الاصطفاا السياسي الجديد، وتحول القيادة الكوردية إلى المعسكر الغربي علناً. والجدير بالذكر هو ان المساعدات المالية السوفيتية المدروسة للحركة الكوردية لم تعط مجالاً للزعامة الكوردية إظهار نزعة الفساد الكامنة فيها وافسادها للمجتمع. لكن ما أن استلمت القيادة الكوردية الأموال من إيران في منتصف الستينات، ظهر عليها الفساد بصورة واضحة. جاء الدعم السوفيتي من منطلق أن القومية الكوردية قومية مضطهدة ولها حقوق مشروعة يجب تحقيقها، وهذا سيحول دون استغلال الحركة الكوردية من قبل الدوائر الامبريالية لأغراضها الخاصة، مما يجعل العراق دولة قوية في مواجهة القوى الإستعمارية والعناصر الرجعية في المنطقة وهذا في صالح السوفييت. في حين كان الدعم الإيراني والأمريكي يهدف استنزاف الطرفين، الحكومات العراقية الموالية للسوفييت والحركة الكوردية وقطع الطريق أمام الهيمنة السوفيتية، وحيث تتمكن إيران فرض التنازلات على بغداد في قضايا الحدود المشتركة ومشاكل الخليج الفارسي.

كان البحث عن المال هاجس القيادة الكوردية، وكانت تقوم بالبحث تماماً على شاكلة المتسولين، لم يكن رئيس الحزب يعرف أسلوباً آخر للحصول على المعونات، ويذكر يفجيني بريماكوف، مراسل برافدا والذي تولى مسؤولية وكالة المخابرات الروسية الخارجية، وأصبح وزيراً للخارجية، وثم تولى رئاسة الوزارة الروسية، يذكر مايلي: "قبل مغادرتي، التقيت بصدام حسين في بغداد في 22 كانون الثاني/جانفير 1973، وهو الذي حثني على زيارة البارزاني، وقال ان الزعيم الكوردي لن يفهم لماذا لم أزره بعد ثلاث سنوات من الزيارات المتقطعة للعراق، وإنه من مصلحتنا أن لا يشعر بأن الاتحاد السوفيتي تخلى عنه، هذا ماقاله لي صدام حسين، وأضاف "نحن نقدر عالياً تأثيرك عليه." وفعلاً غادر بريماكوف إلى كوردستان وقد هبّأوا له طائرة إلى كركوك ثم تنقله مروحية إلى منطقة راوندوز لمقابلة ملا مصطفى. ويمضي بريماكوف: "كانت الحكومة العراقية قلقة بشكل خاص (لا بد من الاعتراف، كرملين أيضاً كانت قلقة) للعلاقات المتنامية مع نظام ايران - عملت الولايات المتحدة الكثير لتقويتها"¹⁴². وكانت هناك مؤشرات موثوقة لزيارات إلى تل أبيب من قبل مبعوثي

142 انطباع بريماكوف غير صحيح، لم تكن واشنطن راغبة في اقامة العلاقة مع الحركة الكوردية.

البارزاني. فإسرائيل في مسعاها لاستغلال المشكلة الكوردية في العراق لإضعاف خصمها أرسلت أموالاً ضئيلة إلى الحركة الكوردية، عندما سألت البارزاني مباشرة حول طبيعة العلاقات مع شاه إيران، ردّ: طرقت باباً وطلبت رغيف خبز، ولم يعطوني شيئاً [يعني بغداد] ماذا ينبغي علي عمله، هل أبقى جائعاً حتى الموت؟ بعدها طرقت باباً آخر. من الذي يلام؟ أنا أو الذي طردني؟¹⁴³

وجاء في كتاب جونثان راندل الصحفي الأمريكي ما قاله ملا مصطفى: "إنه ذلك الضرير الذي يقعد على أبواب المساجد ليتصدق عليه المصلون عندما يخرجون من المساجد بعد إنهاء الصلاة". لكن المشكل ان هذا الشخص الذي يجمع الأموال باسم شعب بأكمله، ما أن يحصل على هذه الأموال حتى تصبح ملكاً شخصياً له، وتصرف حسب الأهواء، وبتحريم كل مسألة أو شفافية أو حتى مناقشة الموضوع، وهنا مكن الآفة الكبرى في افساد البنية الاخلاقية للمجتمع الكوردي.¹⁴⁴ فالمكتب السياسي واللجان الأخرى العسكرية التي تعتمد مالياً على رئيس الحزب، لا تستطيع معارضة سياساته الخاطئة، فالاعتماد المالي يقضي على استقلالية القرار أزاء مانح المال. وركز رئيس الحزب بقوة شديدة منحى حرية التصرف بالأموال دون مساءلة، وهذا ما كان سائداً ومدمراً في كوردستان بين أعوام 1964 - 1975، ثم تكرر نفس النموذج بعد عام 1991 والى يومنا هذا.

بذلت القيادة الكوردية جهوداً للتقرب من الولايات المتحدة الأمريكية منذ زيارة أول صحفي أمريكي (دانا آدمز شمدمت) لمعاقل الحركة الكوردية عام 1962، لكن بلا نتيجة.. ويشير أرشيف حوار أمريكي مؤرخ في 1969/5/29 عنوانه: (التهديد الكوردي لمنشآت نفط كركوك، الدعم الإيراني والإسرائيلي للأشوريين) يدور الحوار بين Zaya Malek Isma'il, Sam Andrews, William Yonan, Rodger P. Davies, Bryan H. Baas والأخيرين يمثلان الجانب الأمريكي، ذكر أندروس انه هو وإسماعيل زارا إيران

إنما قامت بذلك إرضاء للشاه وبالبحاح منه بعد ختام زيارة نكسون لموسكو وتوقفه في طهران حيث التقى نكسون بالشاه في 30 - 31 أيار عام 1972. (تعليق من المؤلف)

Russia And The Arabs. Yevgeny Primakov. Basic Books A Member of the Pe - 143
seus Books Group. New York.2009. P: 336

144 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها. الحزب الديمقراطي الكردستاني. اللجنة التحضيرية. ص: 63 - 64

في بداية شهر نيسان عام 1969، و ثم ذهب إلى كوردستان واجتمعاً بملا مصطفى في 20 - 23 نيسان 1969 ولديهم رسالة من ملا مصطفى إلى وزير الخارجية روجرز كتبت بالعربية، وستسلم الرسالة بشكل رسمي برفقة شفيق قزاز الممثل الكوردي في واشنطن بعد اسبوع، يقول الأرشيف:

"يريد ملا مصطفى إعلامنا بأنه تحت الضغط من أتباعه لمهاجمة منشآت النفط. والأكراد سيعطون أهمية جدية لهذا في المستقبل. والأمر المنطقي هو ان البترول يأتي بالمال للحكومة العراقية وبه يشتري السلاح لمهاجمة الأكراد. وأجاب أندروس على سؤال من Bryan H. Bass قائلاً لا يريد ملا مصطفى أي شيء مقابل اتفاق عدم مهاجمة منشآت النفط. أراد ملا مصطفى فقط ان نكون على علم. وقال أندروس بالتأكيد يتطلع بارزاني إلى الدعم من أي مكان كان. وأضاف: "ان ملا مصطفى قال إنه يرغب ان يرى كوردستان وقد أصبحت الولاية 51.¹⁴⁵

هذه الزيارة إلى كوردستان اقتضت إجازة من الشاه ويبدو ان ممثلي الآشوريين في المجلس رتبوا هذه المهمة. هدف الزيارة إلى كوردستان كان لمعرفة أوضاع الآشوريين في الأراضي الكوردية.

لعب الشاه دوراً رئيسياً في بناء علاقات محددة وسريّة فيما إعتبرته القيادة الكوردية خطأً علاقات هامة مع الحكومة الأمريكية، ولم تفرق بين دور وكالة المخابرات المركزية (C. I. A) ودور الحكومة الأمريكية وبتراًسها رتشارد نكسون ودور الكونغرس، وتسبب ذلك في نشوء ثقة مفرطة بالذات رغم عدم وجود دلائل جدية لهذا الدعم. وهنا لا بد من تقصي نمو وتطور هذه العلاقة الخطيرة بين زعامة تتظاهر بقيادة حركة تحررية ووكالة المخابرات المركزية المعروفة بمعاداتها للحركات التحررية في العالم ودعمها لأنظمة دكتاتورية شمولية ضمنها أنظمة منطقة الشرق الأوسط.

قبل وقوع محاولة الاغتيال الفاشلة التي تعرض لها ملا مصطفى في 1971/9/29، كلف ملا مصطفى المحامي (زيد عثمان 47 عاماً) بالاتصال بالأمريكيين، ويشير

Memorandum of Conversation, Washington, May 29, 1969. Archives RG 59, 145
Central Files 1967-69, PET IRAQ.

أرشييف أمريكي مؤرخ في 16 تموز 1971 مرسل من السفارة في بيروت إلى الحوار الذي أجراه زيد عثمان مبعوث ملا مصطفى حيث قال: "إن حلم البارزاني هو التعاون مع الولايات المتحدة" و "يريد ان تعرف أمريكا أن الأكراد رفضوا طلبات الحكومة العراقية القيام بأعمال عدائية ضد إيران، ولم يحرضوا أكراد تركيا ضد حكومتهم ولم يتدخلوا في شؤون تركيا." و"البارزاني مستعد للتشاور مع حكومة الولايات المتحدة في جميع الامور السياسية لتطبيق السياسة الامريكية والقضاء على جميع العناصر المعادية لأمريكا في مناطق نفوذه." و يرغب ملا مصطفى: "إقامة علاقة سرّية مع الولايات المتحدة لكي يتلقى منها "النصائح" بشأن توجيه العمل الثوري ضد نظام بغداد و"في حالة القبول فان البارزاني سيرسل إلى واشنطن إدريس البالغ 27 عاماً وهو من أكفأ أبنائه الستة، إنه لا يتكلم الانكليزية بالشكل المطلوب، لكن سيرافقه زيد عثمان¹⁴⁶ هذا وكان زيد عثمان قد قابل الملك الفيصل قبل ذلك.

أبرقت السفارة الأمريكية في بيروت 1971/10/3 إلى وزارة الخارجية، نسخة منها إلى طهران، بشأن لقاء حصل في 1971/11/2 مع حبيب محمد كريم¹⁴⁷، وكان يشغل منصب السكرتير العام للحزب الديمقراطي الكوردستاني، والأخير جاء يطلب الدعم من الولايات المتحدة ويستفسر من أنه لم يرد أي جواب من الولايات المتحدة بشأن عدة طلبات سابقة قدمها ملا مصطفى خلال وسطاء في طهران وبيروت لنيل المساعدة ضد حكومة بغداد، كان الردّ، أن مبدأ عدم التدخل ساري المفعول في العراق، ليس فقط تجاه المشكلة الكوردية وإنما سارٍ على جميع الأطراف، كما يشير الأرشيف إلى انه وعلى ضوء سياسة الولايات المتحدة، فإن مثل هذه اللقاءات غير مثمرة، وربما تولد آمال زائفة وسوء تفاهم في المستقبل.¹⁴⁸

وفي تقرير للسافاك في نهاية شهر نوفمبر عام 1971 ذكر: "أن حكومة الجبهة الوطنية العراقية ستكون معادية للمصالح الإيرانية والأمريكية." ويضيف: "ان الزعيم

Airgram 222 from the Embassy in Lebanon to the Departement of the State. 16 146
July 1971.

بعد إنهيار الحركة الكردية في آذار عام 1975، عاد حبيب محمد كريم عن طريق القاهرة الى بغداد. (تعليق من المؤلف)

Telegram 9689 From the Embassy in Lebanon to the Department of State, 148
November 3, 1971

الكوردي ملا مصطفى البارزاني هو الشخص الوحيد الموجود حيث من خلاله ممكن تنظيم عمل فعال ضد حكومة الجبهة الوطنية." وبعدها يشير التقرير إلى الروابط المشتركة بين العراق وموسكو وممارسة الضغط على القيادة الكوردية للانضمام إلى الجبهة، وكان السافاك الإيراني يرى في هذه التطورات مؤشراً على تقدم النفوذ السوفيتي وتعزيزه في العراق مما يخلق مصاعب لإيران ودول الخليج، ونتيجة لهذه التطورات فقد طلب السافاك مجدداً العون الأمريكي ضد نظام البعث العراقي، وتتضمن مساعدات مالية وتجهيزات عسكرية ودعم سياسي، وكل هذا يتمحور حول ملا مصطفى.

كما ورد في رسالة أخرى للسافاك في 15 آذار عام 1971 موجهة إلى ال C. I. A تقول: "طلب البارزاني من السافاك إعلام الحكومة الأمريكية انه عند استمرار وتيرة الأحداث الحالية، فإن العراق سيتبوأ نفس مكانة الدول الأوروبية الشرقية التابعة للاتحاد السوفيتي، وكررالسافاك الطلب من الولايات المتحدة تقديم المساعدة للبارزاني لمنع تشكيل حكومة الجبهة الوطنية في العراق، وبمعنى آخر منع تشكيل حكومة يطغى عليه النفوذ الشيوعي." ويمضي اقتراح السافاك الى: "يمكن شحن المساعدة سراً خلال [.....] لايعلم بها عدا ملا مصطفى". ويقول الأرشيف الأمريكي: "ان مطالب مماثلة قدمت إلى حكومة الولايات المتحدة من قبل السافاك نيابة عن ملا مصطفى خلال عقد من الزمن. [.....]."

كان التقييم الأمريكي للعلاقات السوفيتية العراقية في بداية عام 1972 لا يشير إلى مخاوف كبيرة من هذه العلاقة. رغم ان الاتفاقية العسكرية المبرمة في شهر سبتمبر عام 1971 هي الأوسع حيث يتجاوز ثلث أرباع بليون دولار حجم المساعدات العسكرية السوفيتية للعراق.¹⁴⁹ كما ان الموقف السوفيتي فيما يتعلق بسيطرة إيران على جزر الخليج مؤشر على نقص في القدرات السوفيتية في التأثير وحرصها على الإحتفاظ بعلاقات جيدة مع إيران. وتقول البرقية: "نتفهم القلق الإيراني فيما يخص الاتفاق السوفيتي العراقي الجديد للتزود بالسلاح، بسبب حماقة وطموحات العراق في الخليج، لكننا لنعتمد ان السوفييت زادوا من مساعداتهم العسكرية للعراق كجزء

Telegram Department of State 12737. To the Embassies in Iran, the United Kingdom and Soviet Union, January 22, 1972. 149

من سياسة عدوانية في الخليج هدفها إيران. لكن في حالة زيادة الاستثمارات، قد يجد السوفييت أنفسهم أقل ميلاً نحو المجازفة بعلاقاتهم مع العراق وبالتالي أقل قدرة على مقاومة الضغوط العراقية للحصول على المزيد من المساعدات العسكرية والاقتصادية. برأينا، ان الاتفاقية العسكرية هي من أجل إرضاء بغداد ولا تمثل تهديداً للشاه.¹⁵⁰ وتشير البرقية إلى أن ميزة السياسة السوفيتية هي العمل مع طرفي الشارع وهي ليست مقتصرة على إيران والعراق إنما يتابعون نفس السياسة الخطرة في كلا اليمينين...

وجدت القيادة الكوردية أن الوضع مناسب لمحاولة جديدة لنيل الاهتمام الأمريكي من خلال إظهار الضغوط السوفيتية للانضمام إلى حكومة الجبهة الوطنية. يعتقد البارزاني "ان الحركة الكوردية العراقية والشعب العراقي في خطر حيث يتعين عليه الإذعان الأ في حالة استلام معونة من خارج العراق. ونجم عن هذا ان البارزاني يخطط مجدداً ارسال مبعوث لإعلام حكومة الولايات المتحدة حول قلقه ولترتيب زيارة إلى الولايات المتحدة لكي يتمكن البارزاني شخصياً القيام بمناشدة من أجل قضيته. وقد أشار البارزاني إلى انه سوف لن يوقع أي اتفاقية مع حزب البعث العراقي طالما لم يقيم موقف الولايات المتحدة تجاه قضيته."¹⁵¹ وفي الوقت ذاته كان السافاك الإيراني يعلم السفارة الأمريكية في طهران بتزايد النفوذ السوفيتي في العراق والطلب بمساعدات أمريكية لقلب نظام البعث وتشكيل حكومة من اللاجئين العراقيين مقرها في شمال العراق تحت حماية البارزاني. لكن الممثل الأمريكي إكتفى برداً أنه سوف يرسل هذه المعلومات إلى المركز."¹⁵²

هذه المساعي لم تثمر حتى منتصف عام 1972، ولننظر إلى الأرشيفات الأمريكية والتي تلقي الضوء على مساعي القيادة الكوردية المتواصلة لنيل الحظوة لدى الولايات المتحدة الأمريكية.

ibid 150

Memorandum from the Chief of the Near East and South Asia Division of the 151
C.I.A (Waller) to the Assistant Secretary of state for Near Eastern and South Eastern Asia
Affairs (Sisco), Washington, March 9, 1972.

Memorandum from the Chief of the Near East and South Asia Division of the 152
C.I.A (Waller) to the Assistant Secretary of state for Near Eastern and South Eastern Asia
Affairs (Sisco), Washington, March 9, 1972.

في واقع الامر كانت وجهة نظر الولايات المتحدة الأمريكية، قبل التوقيع على معاهدة الصداقة والتعاون مع موسكو، فيما يخص الخطر العراقي لم تتفق مع وجهة نظر الشاه. إذ اعتبرت واشنطن أن العراق لايشكل تهديداً وأن السوفييت لن يضحوا بمصالحهم مع الشاه من أجل بغداد. كما أعتبر الأمريكيان ان العراق بطيء في تطبيق الأساليب العسكرية الحديثة، ورغم قدرة الجيش العراقي الحفاظ على الأمن الداخلي، الا انه غير قادر على مقاومة هجوم من تركيا او ايران، كما ان محاولة البعث في تطويع الجيش لسلطته والتصفيات الجسدية للضباط غير المواليين، جعلته ضعيفاً. كانت واشنطن على علم بإنشاء السوفييت تجهيزات لملاحقتها في الميناء العراقي ام القصر، وتعرف بأن السوفييت غيرراضين عن حليفهم العراق الذي لم يتوصل لصيغة سلام مع الحركة الكوردية وعدم تسديدها لديونها. لكن واشنطن كانت مقتنعة من أن وقف القتال مع الاكراد يقوى العراق ويمنحه حرية التصرف في الخليج، لكن حتى بعد وقف القتال بين الحركة الكوردية وحكومة البعث، فإن تصميم الأخيرة على الاحتفاظ بالسلطة كاملة كان مؤشراً على أن عدم الاستقرار في العراق سيستمر. هذا رغم عدم استساغة واشنطن لسياسات بغداد، الا انها كانت ترفض تقديم المساعدة للأكراد. وربما كانت واشنطن ترى العراق بلد الفوضى والانقلابات الدموية وان النظام البعثي قد ينهار بفعل النزاعات الداخلية بين الأعضاء المتنافسين على السلطة داخل الحزب.

كان صدام حسين يدرك المخاطر التي تواجه النظام الجديد، وقد نجح في تعزيزه بتوقيعه على ماسمي ببيان II آذار 1970 حيث كان الهدف الأساسي هو التفرغ للقضاء على المعارضين في الداخل وترسيخ قبضة البعث على أركان الحكم ثم ضرب الحركة الكوردية.

أرشيف أمريكي آخر مؤرخ في 1972/3/20 يقول: "بعد زيارة صدام حسين التكريتي لموسكو في شهر شباط، حاولت الحكومة البعثية العراقية الاتصال بالزعيم الكوردي طالبة منه التوقيع على "الميثاق الوطني" وبعد عدة أيام في 1972/2/28 وصل مقر ملا مصطفى البارزاني وفد سوفيتي مؤلف من أربعة دبلوماسيين، ومثل وصولهم حدثاً بالغ الأهمية، أعضاء الوفد كانوا:

RUMANYTSEV, of the International Department of the CPUSSR.

FIODOROV, who was presented as no. 1's assistant. A person of the same name is

servng in the Soviet Embassy in BAGHDAD and the two might be identical.

AZAROV, First Secretary in the BAGHDAD Embassy.

KHAJIEFF, not identified.

قدموا المقترحات التالية:

على الأكراد توقيع الميثاق الوطنى والانضمام إلى الجبهة الشعبية بقيادة حزب البعث وسينضم الشيوعيون العراقيون إلى الجبهة.

سوف يقيم السوفييت مركز ارتباط مع الأكراد مزود بجهاز للإتصالات W/T في مقر ملا مصطفى يكون واجبه الحفاظ على الإتصالات وحماية البارزاني. ودعى البارزاني لزيارة الاتحاد السوفيتي وأعطيت له ضمانات سلامته. وعدوا البارزاني بالدعم السوفيتي إذا ما قبل المقترحات المذكورة.

ويمضي الأرشيف الأمريكي إلى القول: "من الممكن ان تكون الخطوة السوفيتية ذات أبعاد جيوسراتيجية هامة، من المحتمل ان يكون هدفها تحرير الجيش العراقي من اجل أهداف عسكرية سياسية في منطقة الخليج الفارسي وتوجيهه ضد المصالح النفطية في المنطقة".

فرغم جهود الزعامة الكوردية في إرسال مبعوثيها للاتصال بالسفارات الأمريكية: الوفد الأشوري وحبيب محمد كريم وزيد عثمان المحامي، ودعم هذه الجهود من قبل السافاك الإيراني، الا أنها لم تثمر، كما يشير إلى ذلك أرشيف أمريكي أرسل من طهران في آذار 27 عام 1972. يقول الأرشيف:

"طلب منا السافاك الإيراني مجدداً [.....] وبالحاح تقديم المساعدة عن طريق [.....] إلى الزعيم الكوردي ملا مصطفى.

خلال السنوات العشر الماضية تلقينا نفس المطلب ورفضناه. كذلك البريطانيون تجنبوا التورط. الإسراثلليون ربما يدفعون للبارزاني مبلغاً مهماً شهرياً. وعندما يأتي الملك حسين إلى هنا قد يطلب تدخل الولايات المتحدة [.....].

ثم يشير الأرشيف إلى أن السوفييت يضغطون على ملا مصطفى والأكراد كي ينضموا إلى حكومة الجبهة الوطنية العراقية والتي تضم الشيوعيين والناصريين والأكراد بقيادة حزب البعث العراقي، ثم يضيف: "هدف التحرك الإيراني هو القيام

بمحاولة ثانية لقلب الحكومة البعثية وتقليص فرص تعزيز الدور السوفيتي في العراق، وهناك تقارير تشير إلى مساعي سوفيتية للتوصل قريباً لاتفاقية مع العراق مشابهة لتلك الاتفاقية الموقعة مع مصر.

"وزارة الخارجية ووكالة المخابرات المركزية يميلان إلى تضادي التدخل، فأية مساعدة قد يحتاجها البارزاني هي تماماً ضمن امكانات إيران وإسرائيل لتبليتها. ليس هناك اطلاقاً شيء يحتاجونه منا عدا توريطنا. وعامل آخر هو أن حظوظ النجاح ليست في صالح الأكراد. كذلك تدخلنا لأول مرة في هذه الظروف يمكن ان يعتبرها السوفييت عملاً موجهاً ضدهم.

لذا أرى شخصياً ان نأى وكما فعلنا في السابق عن التدخل. لكننى أرى أن تكونوا أنتم على علم بسبب العامل السوفيتي".

ويشير أرشيف آخر مؤرخ في 29 آذار 1972 بتوقيع ريتشارد هيلمز، يشير فيها إلى المساعي الكوردية لنيل الدعم الدولي لمواجهة العلاقات العراقية السوفيتية: "بعث الزعيم الكوردي ملا مصطفى مبعوثاً (خلال شهر آذار 1972 للاتصال بالحكومات الاردنية والأمريكية للمساعدة، - زيد عثمان - ولدعوة رئيس الوزراء السابق الجنرال عبدالرزاق النايف للاشتراك في حكومة عربية كوردية في الشمال. قال المبعوث أن البارزاني يعتقد ان الغرب لن يتجاهل المؤشرات الحديثة عن تقوية العلاقات السوفيتية العراقية... أثناء محادثاته في الغرب، وعبر عن أمله في استلام جواب ايجابي على عدد من الطلبات:

استمرار الحوار السياسي.

منح مساعدات مالية.

تجهيز محطة بث اذاعية وتدريب لإشغالها.

التعاون مع المخابرات الكوردية ويرأسها مسعود. و

منح بعض الزمالات للأكراد للدراسة في الجامعات الغربية.

ثم يشرح مبعوث ملا مصطفى الوضع العام في العراق، العلاقات التي تتطور بين موسكو وبغداد ومعاهدة الصداقة التي بحثها صدام حسين أثناء زيارته لموسكو في شباط عام 1972، والضغط السوفيتي على الأكراد لتوقيع الميثاق الوطني مع البعث العراقي والحزب الشيوعي العراقي....

3" [.....] قال ان هذه التطورات حاصرت الكورد في زاوية، إن وافقوا على الميثاق الوطنى مع الحزب الشيوعي العراقي وحزب البعث، سيكون من المستحيل الفك منها فيما بعد، بالأخص مع حجم الدعم السوفيتي لحكومة البعث في بغداد. وإن رفض الكورد القبول، عليهم مواجهة توقعات تجدد القتال. وبينما كان السوفييت يضغطون على الكورد للانضمام، كان الايرانيون يبذلون أقصى جهودهم لإقناع الكورد بعدم الإنضمام. طلب الايرانيون من ادريس البارزاني ابن ملا مصطفى، أن يرسل لهم قائمة باحتياجاتهم الحالية من المعدات العسكرية والمادية. لقد تمت الموافقة الإيرانية على ذلك مبدئياً. لكن على أي حال، لا يتقون بإيران في تنفيذ وعودها.

4" [.....] استمر في كلامه وقال أن الكورد لم يعدو يفكرون في إطار كوردي بحت، إنما ناقشوا التطورات الأخيرة كمشكلة وطنية عراقية، اضافة إلى ماينجم عن التوقيع المرتقب على الاتفاقية الاستراتيجية العراقية السوفيتية بالنسبة للمنطقة كلها. وفي محاولة لتناول المشكلة في محتواها الوطنى، واتصل الأكراد بالمجموعات العربية اللاجئة في القاهرة، لكنهم لم يتقوا بهم [.....] اقترح لو [.....] افتتح بأنه إذا أتت اللحظة المناسبة، هو شخصياً عليه الاشتراك في تشكيل لجنة مشتركة عربية كوردية مقرها في كردستان. وسوف تتبنى شعار الثورة العراقية في الشمال. وعلى اللجنة ان تقيم صلات دولية مع العالم وتم تشكل حكومة وطنية في الشمال بعد إعداد القاعدة الدستورية لنظام جديد. ثم تدعو إلى تعاون الجيش العراقي وطرد البعث من بغداد. على اللجنة العربية الكوردية أن توضح لإيران أنه في الوقت الذي تقبل فيه المعونة العسكرية والمادية الإيرانية، فإنها لاتحبذ السيطرة الإيرانية أو تدخلها في الشؤون الداخلية العراقية. إن طول التجربة في التعامل مع إيران لا يترك مجالاً للشك من أنها تريد إقامة حكومة ضعيفة في بغداد وبقيادة زعماء غير مؤهلين مثل عبدالغني الراوي."

5.

وتشير المذكرة إلى زيد عثمان فتقول: "كان يدرك ان السياسة الغربية تجاه الكورد مبنية تقليدياً على عدم التدخل [.....] وتعيد مذكره عثمان من: "ان الكورد لا يصدقون إن القوى الأوروبية ستبقى لا مبالية عندما تكتشف أهمية التطورات التي يشهدها العراق."

أراد المبعوث الكوردي [عثمان] وكان يحمل رسالة مكتوبة باللغة العربية من

ملا مصطفى إلى Rogers, William P تقديم مخططه عبر تحذير الغرب من تعزيز النفوذ السوفيتي في العراق والضعوط السوفيتية والبعثية على القيادة الكوردية للانضمام إلى الجبهة الوطنية العراقية، وما يشكل من خسارة بالنسبة للغرب وأمريكا فيذكر: "..... علاوة يعتقد الأكراد ان السوفيت ينوون استخدام العراق لأغراض تخريبية ليس فقط في منطقة الخليج إنما ضد إيران وتركيا أيضاً. واستنتج عثمان قائلاً إن المخاطر كبيرة و فقط الولايات المتحدة الأمريكية بإمكانها وقف المدّ السوفيتي في العراق خلال دعم البارزاني إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة....."

وهناك مذكرة حوار بين T. J. Scotese الملحق المسؤول عن الشؤون الاردنية وزيد عثمان مبعوث ملا مصطفى، حصل الاجتماع في Hay-Adams Hotel, Washington D. C. مؤرخة في 3 / 4 / 1972 وقد عقدت ثلاث اجتماعات على طلب زيد عثمان وكان ملخص الحديث: إثر زيارة صدام حسين لموسكو إزداد النفوذ السوفيتي في العراق بشكل كبير. السوفيت يضغطون على ملا مصطفى للانضمام مع حزب البعث والشيوعي لحكومة جبهة وطنية كجزء من مساعي السوفيت تعزيز نفوذهم في العراق. ملا مصطفى لا يرغب الاسهام في حكومة الجبهة الوطنية لأنه يعتبرها مؤامرة للقضاء على الحزب الديمقراطي الكوردستاني. يناشد ملا مصطفى حكومة الولايات المتحدة تقديم الدعم المالي والعسكري لتمكينه من تشكيل حكومة عراقية في المنفى مقرها كوردستان، ومؤلفة من الاكراد والعرب ومن خلالها العمل لقلب نظام البعث. والمساعادات يمكن تقديمها إلى البارزاني مباشرة او غير مباشر خلال الملك حسين على سبيل المثال، وهذه المساعدة إن لم تصل في المستقبل القريب سوف لن يتمكن ملا مصطفى الوقوف بوجه الضغط السوفيتي والبعثي، وفي النهاية سيؤدي إلى وقوع العراق تحت النفوذ السوفيتي، وهذا يشكل تهديداً لمصالح العالم الحرّ في الخليج الفارسي و تركيا وايران.

وفي مذكرة أخرى مؤرخة في 5 / 4 / 1972 بعثها Andrew I. Killgore حول المناشدة الكوردية للحصول على الدعم الأمريكي، ومعها ترجمة للمذكرة التي قدمها عثمان:

”ردّ فعلنا لهذه المناشدة منفي ومبني على نظرتنا (a) إن نظاماً يسيطر عليه البارزاني سيجد من الصعب البقاء في مواجهة ما ستكون عليه بلا شك المعارضة العربية الموحدة من داخل وخارج العراق. (b) لقد ترسخ النفوذ السوفيتي الاقتصادي في العراق إلى حدود حتى لو نجح البارزاني في إنهاء النظام البعثي، لا يبدو ان بمستطاعه كسر العلاقات مع موسكو إلى في حالة استعدادنا للتدخل الفوري وربما بمساعدات ضخمة. (c) إن دعم حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لعملية انقلاب وحيث إنها في أحسن الأحوال تبدو سيئة الأعداد، سيكون من الصعب اخفاءها، لذا ستجازف حكومة الولايات المتحدة بوضع عراقيل اضافية في علاقاتها مع الدول العربية وذلك بسبب دعمها لحركة غير عربية تدعمها دول غير عربية [إيران وإسرائيل] ضد «العرب». (d) تسهيل مجيء حكومة في بغداد يؤيدها الأكراد قد يؤدي إلى تقوية الطموحات الكوردية في إيران وتركيا، مما يخلق قلقاً على الأقل في تركيا ان لم نقل إيران. (e) أي تشجيع للأكراد سيمنح الطموحات القومية الكوردية قوة دفع أخرى، وهي طموحات تهدف إلى إقامة دولة كوردستان المنفصلة، وستمثل خطوة تزيد من التردى في منطقة تتسم سلفاً بالانقسامات.

من الصعب معرفة تفاصيل الانزلاق الكلي نحو طهران وحلفائها والابتعاد عن السوفييت بغياب ارشيفات كوردية ذات مصداقية، وما إذا كان قد دار نقاش في المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني. فرغم زعم وجود عناصر يسارية في المكتب السياسي، دارا توفيق، صالح اليوسفي ونوري شاويس ومحمد محمود عبدالرحمن (سامي) لا يبدو ان لوزنهم كان تأثير على اختيار الزعامة الكوردية لطهران وحلفائها والابتعاد عن السوفييت. لكننى أميل إلى أن هذا الاختيار جاء في مرحلة تعزيز التعاون بين موسكو وبغداد ومن ثم تشديد الضغوط للانضمام إلى الجبهة الوطنية والتي اقترحها السوفييت والبعث وانضمام الحزب الشيوعي اليه. فحسب المقترحات السوفيتية التي قدمها الوفد السوفيتي إلى القيادة الكوردية، والتي أشرنا إليها سابقاً، تظهر رغبة موسكو في التوصل إلى حلّ لجمع الكورد والبعثيين والشيوعيين، والطرف السوفيتي مستعد للاشتراك في العملية. كانت وجهة نظر السوفييت أن الحلقة المؤلفة من الثلاث ستكون محكمة ولن تتأثر بالمؤامرات الخارجية الغربية ضد توطيد وتطوير المصالح السوفيتية. ويشير يفجيني بريماكوف في كتابه إلى انه في آخر زيارة لملا مصطفى في بداية عام 1973 وبعد ان انهى

حديثه مع ملا مصطفى وغادر الأخير مع قافلة من الحراس، تهيأ يفجيني مع محمود عثمان للمغادرة لأخذ قسط من النوم، حيث أفضى له محمود عثمان رأيه حول العلاقات مع بغداد: "طلب منى مباشرة السعي لإقناع ملا مصطفى لتخفيض سقف المطالب مع بغداد.¹⁵³ لكن حادث الاغتيال كان قد استفز ملا مصطفى إلى حدود أفقدته القدرة على التفكير المتوازن لكي يبقي على خيارات أخرى غير الابتعاد الكلي والنهائي مع حكومة بغداد. وأعتقد أن السوفييت شعروا بمخاوفه لذا قدموا ضمانات لسلامته الشخصية لكن دون جدوى.

لاريب كان من أحلام ملا مصطفى منذ الثلاثينات من القرن الماضي التقرب من البريطانيين والأمريكان، ولايتردد عن استغلال أية فرصة في هذا الاتجاه. ففي أرشيف لـ C.I.A مؤرخ في 1972/3/31، من مدير المخابرات المركزية ريتشارد هيلمز موجه إلى مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي ووزير الخارجية والدفاع، والمعلومات مستقاة من مصادر القيادة الكوردية يذكر:

"....."

"توقع كوردي باحتمال وصول بريجنيف أو كوسيجن في زيارة إلى بغداد في شهر نيسان 1972.

1. حسب (.....) يعتقد القادة الكورد ان زيارة صدام حسين التكريتي، السكرتير العام لحزب البعث ونائب الرئيس في مجلس قيادة الثورة إلى موسكو اواسط شهر شباط 1972، دشنت مرحلة جديدة من التعاون بين الاتحاد السوفيتي وحزب البعث الحاكم في بغداد. الممثلين الكورد في بغداد أرسلوا تقارير حول ملاحظات إيجابية لضابط متقدم عن توقيع اتفاق في موسكو من أجل التزود بمساعدات عسكرية خلال زيارة صدام حسين، وتتضمن تجهيزات أكثر للألغام البحرية، قوارب التوربيدو، دبابات، ووعد بتزويد طائرات MIG-23. (تعليق المحطة: المصدر لم يشر إلى نوع الطائرة التي وعد السوفييت تزويدها. فالعرب غالباً يستخدمون MIG-23 عندما يشيرون إلى طائرة Foxbat.)

2. والكورد على علم بأن الضباط السوفييت يعملون كمستشارين في انشاء نظام دفاعي لصواريخ SAM في قاعدة الشعبية. والاكثر أهمية في الرأي الكوردي، هو العرض الذي قدمه صدام حسين للاتحاد السوفييتي لتأميم جميع المنشآت النفطية الاجنبية في العراق ودعوة القادة السوفييت إلى زيارة بغداد، والتي قبلها الطرف السوفيتي مبدئياً. وفهم الكورد ان زيارة السكرتير العام للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي ليونيد بريجنيف أو رئيس الوزراء الكسي كوسيجن قد تحصل في شهر نيسان 1972، حيث اثناؤها سيوقع الطرف العراقي مع الاتحاد السوفيتي معاهدة صداقة على شاكلة معاهدة الصداقة السوفيتية المصرية الموقعة في مايس 1971.
3. الشرط الوحيد الذي أصر عليه الاتحاد السوفيتي للدعم الكامل لحكومة البعث في بغداد كان التوقيع على الميثاق الوطني من قبل حزب البعث العراقي والشيوعيون والحزب الديمقراطي الكوردستاني كما سيعقب التوقيع على الميثاق الوطني تشكيل وزارة أخرى تتضمن وزراء شيوعيين إلى جنب الوزراء الكورد.
4. قام وفد سوفييتي بالضغط المباشر على الأكراد أثناء زيارة الوفد إلى كوردستان في شباط 1972 وبقي هناك ليلة واحدة، وضم الوفد عضواً مناوباً من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي وممثلين عن السفارة السوفيتية في بغداد، ضمنهم ضابط في الاستخبارات. (تعليق المحطة: أفادت تقارير أخرى بان هذا الممثل عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي هو V. P. Rummyantsev ، رئيس الشعبة العربية للشرق الأوسط في القسم الدولي من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي (لكنه ليس عضو مرشح للجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفيتي). خلال النقاش مع الوفد السوفيتي هاجم زعيم الحزب الديمقراطي الكوردستاني ملا مصطفى البارزاني سجل صدام حسين التكريتي والحكومة البعثية بقوة. ووضح للزوار السوفييت التجربة الكوردية في التعامل مع البعث. وأشار البارزاني إلى أن الأكراد طوروا علاقات جيدة مع إيران وبنوون الاحتفاظ بها. وردّ الزوار السوفييت ان على الأكراد تقليص الاعتماد على إيران عند نشوء

الثقة تدريجياً بالبعث، بعد التوقيع على الميثاق الوطني. وعرضوا ارسال ضابط ارتباط سوفيتي للبقاء بشكل دائم في مقرّ البارزاني وأيضاً لضمان سلامة البارزاني.

5. وبعد مغادرة الوفد السوفيتي، أستدعي الممثلون الكورد من بغداد إلى الشمال، ضمنهم محمد محمود عبدالرحمن (كاكه سامي) وزير الدولة صالح اليوسفي، نوري شاويس (من أنصار موسكو) دارا توفيق (شيوعي) مدير البلديات إحسان شيرزاد ووزير الزراعة نافذ جلال. ومن ضمن هؤلاء جميعاً، فقط سامي يحظى بثقة المجموعة الحاكمة حول البارزاني: وولداه إدريس ومسعود بارزاني، دكتور محمود عثمان وحبيب محمد كريم. أكراد بغداد نصحوا من أن البعث يمنح الكثير وان للكورد أخطاءهم، بالأخص اعتمادهم على إيران. واقترحوا ان البعث يرغب باخلاص التفاوض بشأن الميثاق الوطني. كان ردّ البارزاني مجدداً هجوماً عنيفاً ضد البعث ورفض الاستماع إلى حججهم. لكن على أي حال تشكلت لجنة من صالح اليوسفي، دارا توفيق ومحمد محمود عبدالرحمن للتفاوض مع البعث. وقدم للجنة توصية فورية لكي تطلب أصعب الشروط في المفاوضات مع البعث بهدف كسب الوقت، وافشال اتفاق سريع ولكي يكون للأكراد الوقت لدراسة الوضع. هذه الشروط تضمنت:

- A . حكم ذاتي للمناطق الكوردية فوراً كما نصت عليه اتفاقية 11 آذار لعام 1970 .
- B . اعتبار مناطق كركوك تابعة للأكراد و
- C . الطلب بحصة 2 على 5 من واردات العراق للمناطق الكوردية، أي نسبة إلى عدد سكان الأكراد .

6. يعرف الزعماء الكورد جيداً بأن البعث لن يقبل بتلك الشروط لكنهم يخشون لأهداف تكتيكية أن يقترحوا التوقيع على اتفاق بهدف دمج الأكراد، وفيما بعد يتفادون تطبيق ما إتفق عليه من شروط. ويعتقد الأكراد من أن البعث سوف يستغل كل فرصة للقيام بالتآمر عليهم، شراء ذمم أولئك الكورد ذوي الولاءات

الضعيفة وسيحاول عزل واضعاف البارزاني بهدف اغتياله أو محاربته عندما يضعف بصورة كافية. البارزاني متردد في اتخاذ قرار للتحرك ضد البعث علناً لخشيته من معاداة السوفييت له. وقد ذكر السوفييت بوضوح أنهم سيعارضون العناصر التي تعمل ضد البعث. يعتقد البارزاني ان المساعدة القليلة من إيران خلال الشهورالحالية تجعل القتال أمراً مستحيلاً في الوقت الحاضر.

7. ولو أمكن تشكيل حكومة عراقية في المنفى تضم الأكراد والعرب مقرها في الشمال، مدعومة من مجموعات في الخارج، يكون هناك أمل جيد للقضاء على البعث. وإن لم تتوفر المساعدة، يعتقد الكورد بأن تزايد الإرادة السوفيتية لدعم البعث سيضعف قدراتهم في تبني موقف مستقل وسيفتح الطريق أمام سيطرة البعث على جميع المناطق في العراق. نسخة إلى السكرتير المساعد للشرق الأدنى وشؤون جنوب آسيا. ¹⁵⁴

من الخطأ الاستراتيجي فسخ الروابط مع السوفييت في وقت لم تكن هناك ضمانات غربية. فوسيلة القيادة الكوردية في التقرب من إيران والمعسكر الغربي كانت معاداة الشيوعية إلى حد قتل الشيوعيين دون أي مبرر عدا الهدف المخفى في تصورهما، وهو أن ذلك يقنع الغرب وبالأخص أمريكا بدعم الزعامة الكوردية. لقد خدم هذا الموقف صدام حسين وشاه إيران معاً. وعندما عبرت الزعامة الكوردية إلى الطرف الآخر من المعبر حيث الشاه وحلفاؤه وعدم الإبقاء على خط رجعة، مال الاتحاد السوفيتي إلى بغداد بشكل تام بعد ان يأس من موقف القيادة الكوردية. ¹⁵⁵

إحدى وسائل التقرب من شاه إيران كان ضرب الحركة التحريرية الكوردية في كوردستان إيران. فلكي يقدم الشاه المزيد من العون، قتلت الزعامة الكوردية سليمان معيني، عضو المكتب السياسي للحزب الديمقراطي الكوردستاني - إيران. وسلمت السافاك جتته. وبعد توثيق الروابط أكثر مع إيران جاء دور أحمد توفيق، سكرتير

CSDB-312/01481-72 154

155 حسب علمي كان صالح اليوسفي الوحيد الذي عارض مثل هذا التوجه، لكنه لم يجد آخرين من أعضاء المكتب السياسي يدعمون موقفه. وقد اطلعتني ابنة (لاوين) على ما كتبه والده عن هذا الموضوع في لندن عام 1996(المؤلف).

(حدك) - إيران طلبت إيران من ملا مصطفى تسليمه. فنفي إلى مناطق بروراي في بادينان، وجمد نشاط (حدك) - إيران. وهنا كشاهد أذكر الحادث التاريخي التالي: حلّ أحمد توفيق ضيفاً مع مرافقيه في ريزان حيث نسكن، وكعادته لم تفارقه الإبتسامة رغم صعوبة الظروف. جاء من منفاه في بروراي. وبقي ليلتين عندنا. وكان الهدف زيارة والدي وإعلامه بما يحصل له من مضايقات. فتطرق إلى مقتل سليمان معيني وتسليم قيادة (حدك) جثته إلى السافاك الإيراني، والأخير وضع جسده على عربة مكشوفة، تجولت في شوارع مدن كوردية ليراها عامة الناس، وأعلن السافاك للسكان الكورد أن ملا مصطفى سلمهم الجثة. ثم تابع يقول لوالدي، قد يسلمونني أنا أيضاً للسافاك الإيراني، فهناك مضايقات كثيرة ضدي في بروراي أشعر بها يوماً، لكن جئت إليك لغرض واحد، أرجو أن تقول لملا مصطفى: "إنني أقبل تسليمي إلى السافاك الإيراني لكن بشرط مقابل الحصول على عشر دبابات إيرانية تسلم للحركة الكوردية، أعتقد أنا أساوي عشرة دبابات. في هذه الحالة هو حرّ وأنا أقبل بالتسليم." ذهل والدي من هذا القول، وذكر له ليس هذا من شيمتنا، وردّ عليه أحمد توفيق: أعرف ذلك، لكن سليمان معيني مثال على هذا الواقع الجديد. وعده والدي بأنني لن أقبل تسليمك مهما كلف الأمر. عاد بعد ذلك أحمد توفيق إلى منفاه في بروراي، لكن بسبب المضايقات والقلق الدائم، ترك منفاه خلسة وذهب إلى بغداد طالباً اللجوء السياسي، والتقيت به آخر مرة في بغداد بعد بيان آذار عام 1970. قضى عليه نظام البعث بعد إعلان بيان آذار بحوالي سنتين. إستخدم شاه إيران بنجاح القيادة الكوردية للحزب الديمقراطي الكوردستاني - عراق - لهدم العلاقات الإستراتيجية الكوردستانية وضرب الحركة التحررية الكوردية في إيران.

في 31 مايس 1972 أي بحوالي 35 يوماً قبل سفر الدكتور محمود عثمان وإدريس إلى واشنطن للقاء ريتشارد هيلمز، قدم مكتب المخابرات والدراسات للشرق الأدنى وجنوبي آسيا¹⁵⁶ تقريراً بعنوان: أكراد العراق: احتمالات تجدد التمرد؟ كان لها رأي واضح عن القيادة الكوردية: " ملا مصطفى يتمتع بالملكية الضرورية لتوحيد العديد من القبائل في قوة عسكرية شبه منظمة، ناهض في البداية العراق الملكي في الأربعينات، وطرد من العراق إلى إيران وثم إلى الاتحاد السوفيتي حيث عاش فيها 11

Bureau of Intelligence and Research (INR) Near East and South Asia. The Kurds 156
Of Iraq: Renewed Insurgency? May 31, 1972

عاماً وتعلم أن لا يثق بالسوفييت. عاد إلى العراق بوقت قصير بعد ثورة عام 1958. وفي عام 1961 تمكن من أن يصبح زعيماً بلا منازع ضمن القبائل الكوردية. وقاد حرب عصابات أسهمت في عمليات تغيير النظام. وخلال القتال الشديد الذي دام أربع سنوات، تلقت قوات ملا مصطفى المساعدات والتجهيزات من إيران ويشك العراقيون من انه تلقى المساعدات من دول أخرى تصله عبر إيران. كانت إيران تنوى من خلال هذه المساعدات إضعاف نفوذ جمال عبدالناصر في بلد مجاور ضعيف، وأيضا للحيولة دون حصول انتشار مشاكل بين أكراد إيران أنفسهم. " في هذا التقرير هناك منحى في ربط قيادة ملا مصطفى بالعنصر القبلي.

ويمضي التقرير نفسه إلى أن ملا مصطفى: "مدرك أن الحكومة، وأيضا يعتقد أن السوفييت كذلك، كانوا وراء محاولات اغتياله واغتيال ابنه الأكبر إدريس في الصيف المنصرم كما انه وبشكل تام لا يثق بالأطراف الأخرى للتحالف معهم حيث أقترح عليه....." ¹⁵⁷

"وتوجد عناصر اصلاحية ويسارية شابة ضمن الكورد. جلال طالباني هو الناطق باسمهم، وهو يمنح ولاءه للبارزاني وقت الحرب لكنه يعارض برنامجهم وقت السلم. ونفوذه أقل بكثير من نفوذ البارزاني (ولا تأثير له ضمن العناصر شبه الإقطاعية من القبليين)، انه يقدم نوعاً من القيادة تفضل الحكومة و (السوفييت) بنائها على حساب البارزاني. ان لم يحارب البارزاني فقد تتعرض زعامته الشخصية إلى الزوال التدريجي خلال مثل هذه التكتيكات. كما إن الوقت ليس في صالحه (يبلغ 69 عاماً من العمر لكنه لازال قويا) وان أتباعه الذين أنهكتهم الحرب قد يججمون عن استخدام السلاح مرة أخرى بعد فترة قصيرة جداً من تمتعهم بالراحة بعد سنوات من النضال في الستينات....."

ونفس التقرير يشير إلى منحى هام بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية فيما يخص شخصية ملا مصطفى: "بارزاني أقوى من أية شخصية من أبناء هذا الجيل. وقد منع بشكل صارم أعمال التحريض السياسي أو تنظيم الأكراد في البلدان المجاورة. إن

157 لا أعتقد أن السوفييت كانوا وراء محاولة الإغتيالين، فمصالح السوفييت كانت تقتضي الاستقرار في كوردستان والعراق. تعليق من المؤلف.

الزعامة اليسارية الشابة والتي يمكن أن تخلفه قد لا تكون حذرة مثله. وإذا ما تورط السوفييت مباشرة في الشؤون الكوردية فسيجدون وضعاً سياسياً صعباً، لكن أيضاً سيكون في حوزتهم وسيلة للضغط على إيران، وعلى نطاق أضيق ضد تركيا، هذا إذا ما اختاروا استخدامه.

ويمضي التقرير إلى القول: "وفي أسوأ الاحتمالات عند تجدد القتال، قد يطرد ملا مصطفى وأتباعه من العراق، أو يجابهوا صراعاً مرهقاً أكثر تكلفة مما كان في السابق. وفي أحسن الأحوال، فإن ما سيناله قد لا يتجاوز مما حققه من قبل، وهو الحفاظ على شمالي منطقته الجبلية المحدودة.

في الوقت نفسه، فإن تمرداً طويل الأمد قد يسقط حكومة البعث التي لا تحظى بالشعبية، لكن من المؤكد أن الأكراد لا يستطيعون تحديد طابع النظام الذي سيخلف النظام الحالي. والمنفيون العراقيون حيث يخططون معهم حسب التقارير، فعلى ضوء أدائهم في الماضي، لا يبدو أن لهم القدرة في تشكيل حكومة مستقرة قادرة على البقاء.

وسوف لن يتمكنوا من القضاء على المصالح السوفيتية، لان الجهاز العسكري العراقي برمته والكثير من خطط التنمية تعتمد على المساعدات السوفيتية.....".
بالتأكيد لو سيطرت زمرة مناصرة للبعث أو للسوفييت على كوردستان العراق، ستمكن من ممارسة الضغط على إيران وحتى إيجاد مصدر إزعاج في شرقي تركيا. في الحقيقة يبدو أن هذا هو دافع الحكومة العراقية، وليس السوفييت، من وراء دفع الأمور في كوردستان نحو الواجهة.

ويفيد التقرير: "وبما أن السوفييت بنوا علاقات أفضل مع إيران، واستثمروا الكثير مع الحكومة العراقية، فإنهم لا يريدون رؤية الكورد وقد أثاروا المشاكل في أي من الاتجاهين، سوف يجهدون من خلال مزيج من الضغط والرشوة على حث الأكراد على الاستقرار والانسجام مع المخطط العراقي.

وبالنسبة لما ورد في التقرير فمن المؤكد انه في حالة تجدد القتال، فإن السوفييت سيجدون انفسهم مرغمين على الأكثر على الوقوف إلى جانب الحكومة وتقديم المشورة والمساعدة لها وان كان في ذلك مجازفة الحاق الضرر بعلاقاتهم مع إيران...^{158a}

ال C.I.A من الرفض إلى التداول (اصطفاف سياسي جديد)

"الزعماء السوفيت يضعون
الاعتبارات الأمنية فوق الشيوعية"
رتشارد نكسون لشاه إيران 1972/5/30

كان من المقرر ان يلتقي الرئيس نكسون بالشاه في 30 - 31 أيار عام 1972 بعد ختام زيارته لموسكو. وبهذه المناسبة قدم هنري كيسنجر مذكرة إلى نكسون قبل 12 يوماً من موعد اللقاء مع الشاه، بعنوان (مناقشاتكم مع شاه ايران في أيار 30-31) هذه المذكرة المفصلة تحتوى على النقاط التي ينبغي للرئيس الامريكي بحثها، تحتوى على المواضيع التالية: الخلفية والأهداف. اهتمامات الشاه المحددة. ماذا نريد من الزيارة. يقول كيسنجر لرئيسه: «الغرض الرئيسي من المناقشة مع الشاه هو (a) التأكد من فهمه لاستراتيجيتكم العالمية و(b) تشجيع مساعيه لتقوية تعاون إقليمى بين الدول الراغبة في مقاومة الضغوط السوفيتية في الشرق الأوسط. هذه المذكرة خالية من ذكر الكورد تماماً. ويظهر ان الأمريكيين لم يهتموا ببدءات الطرف الكوردي ولا بمحاولات السافاك الإيراني في مساعدة الحركة الكوردية قبل زيارة نكسون لطهران ولقائه بالشاه.

ويبدو أن الشاه تناول لأول مرة الورقة الكوردية مع الرئيس الأمريكي نكسون، أثناء الاجتماع الذي حصل في بلاط سعد آباد بطهران، بتاريخ 1972/5/30 حيث دام الاجتماع من الساعة 5:35pm – 6:35pm مساءً. وكان الحضور: الشاه، نكسون وكيسنجر. هنا الشاه الرئيس الأمريكي بنجاح سياسته الخارجية في قمة اجتماع موسكو، وان حلفاءنا يشعرون بالإرتياح. لكنه أعرب عن قلقه فيما يخص الشرق الأوسط.

نكسون شكره للترحيب الحار، ثم تناول ماجرى في قمة موسكو، "فذهابنا إلى الصين جعل الرحلة إلى موسكو ممكنة. كما ان اتخاذ إجراءات قوية في فيتنام (على

شاكلة إجراءات 8 مايس) لم تلغ قمة موسكو. لم يكن هناك مايدعو إلى النشوة او الافتراض بأن الزعماء السوفييت تخلوا عن أهدافهم البعيدة المدى. الذي أقتعنا هو السلوك السوفيتي في عام 1971 في أزمة الهند وباكستان. فالزعماء السوفيت يضعون الاعتبارات الأمنية فوق الشيوعية. كانت أوروبا في ذهنهم وبالتأكيد الصين. انهم يسعون إلى تطويق الشرق الأوسط.

وتابع الرئيس، الولايات المتحدة تتحرك على قاعدة التقدم خطوة إثر خطوة. توصلنا إلى اتفاقات أينما وجدنا مصلحة مشتركة. وأبلغ نكسون بريجنيف، سوف نرى ما سيحصل في الهند الصينية، وقال له ان المجابهة مع الولايات المتحدة تبدو أكثر احتمالاً في الشرق الأوسط. المكتب السياسي يريد علاقات أفضل معنا، ومن جانبنا نريد أيضاً علاقات أفضل معهم. لكننا أكدنا على الحيلولة دون تحول الأزمات الصغيرة إلى أزمات كبيرة.

وإننا نقدر دور الشاه في جنوب آسيا، أردف الرئيس، ورأيه الشخصي انه إذا ما استحوذت الهند بالأسلحة السوفيتية على غرب باكستان، ستجد دول اخرى نفسها في خطر. ليست من طرف الهند، لأنها تفتقد إلى القدرة، لكن من قبل السوفييت. وجئنا لإيران، لكي ترمز هذه الزيارة دعمنا القوي لاصدقائنا. سوف لن نتخلي عن اصدقائنا.

ثم سأل الرئيس من الدكتور كيسنجر فيما إذا كان لديه شيء يضيفه.

الدكتور كيسنجر لخص الاستراتيجية السوفيتية المتمثلة في الانتقائية في سياسة الوفاق. إنهم يتوصلون إلى حل في بعض الأمور مع بعض الخصوم من أجل عزل آخرين. بالأخص الصينيين. علينا ان نكون حذرين. فمن المهم ان تلتزم القوى العظمى بمبدأ ضبط النفس. وهذا ما اوضحناه للسوفييت.

عبر الشاه عن موافقته وأن سياسة المجابهة مستحيلة. هناك عدد من المناطق الرئيسية، شدد الشاه، والتي لايمكن تجاهلها. مثل أوروبا والشرق الأوسط. وقدم الشاه أرقاماً تشير إلى مدى اعتماد أوروبا واليابان على بترول الشرق الأوسط. بترول ليبيا سينتهي خلال عقد ونيف، على الولايات المتحدة ان تتزود أكثر فأكثر من

نفط الشرق الأوسط. لن نسمح بوضع يؤدي إلى عزلتنا. مصدق المجنون قام بذلك. الرئيس الأمريكي علق على ذلك: كان أحماً. وافقه الشاه.

في العام الماضي، بعد شهرين من التوقيع على الاتفاقية مع السوفييت هاجم الهنود، والسوفييت لم يحاولوا تقييد زيونهم. "لن نتخلى نحن عن بلادنا. سندافع عن أرضنا شبراً شبراً. عليهم ان يقاتلوا بكل ما لديهم من قدرات.

ثم سأل الرئيس الشاه فيما اذا كان حلفاؤنا متخوفون من اجتماع القمة. كلا عندما يكون لك حلفاء حقيقيون، أجب الشاه. الحلفاء اللذين يعتمدون على أنفسهم يرحبون بها. لكن عندما يعتمدون على مبدأ القتال حتى آخر أمريكي سوف لن يرحبوا بها. إيران مثل إسرائيل، عليها الوقوف لوحدها. ولهذا يأمل الشاه بعدد أكبر من خبراء عسكريين أمريكيين كذلك ترغب إيران في الحصول على أكثر الاسلحة تطوراً. فنحن لانريد وضعا حيث تقطع الولايات المتحدة السلاح لأي دولة زبونة للاتحاد السوفيتي. وكان متخوفاً من أن السوفييت سيشكلون ائتلافا من الكورد والبعثيين والشيوعيين، والمشكلة الكوردية بدل أن تكون شوكة في ظهرهم ممكن أن تتحول إلى رصيد لصالح الشيوعيين.

وسأل الدكتور كيسنجر عما يمكن عمله. فتركيا تحتاج إلى تعزيز قدراتها. أجب الشاه، يمكن أن تساعد إيران في الشأن الكوردي.

وسأل الرئيس، ماذا عن اليونان. أجب الشاه ان الملك إنسان طيب لكنه ساذج. لقد كان قلقاً بسبب باباندرو. فحكم الجنرالات يجب ان يدعم. والملك يمكنه البقاء إذا مالزم الصمت.

ثم سأل الرئيس عن الوضع في أفغانستان. ردّ الشاه ان ملك افغانستان كسول. وهناك ضغوط في غرب باكستان، بشتونستان وبلوجستان. الهدف منه تطويق إيران ومنح الاتحاد السوفيتي ممر إلى البحر. الشاه حذر يحيى من غبائه، لكنه لم يقبل هذا التعدي الصارخ.

ثم ناقش الرئيس الظروف التي من خلالها يمكن تقديم المساعدات الاقتصادية للهند. أشار الشاه، لو تمكنا من منح بعض المساعدة للهند لانقاذ باكستان، فذلك حسن. لكن المشكلة الرئيسية هي انقاذ غرب باكستان. وافق الرئيس على صحة توجه الشاه، واقترح مواصلة النقاش حول ذلك في الغد. يمكن ان تتوب إيران عن باكستان، اقترح الشاه. ونوه الدكتور كيسنجر ان ذلك يستوجب إعادة برنامج تسليح باكستان لجعلها مؤهلة للنقل من إيران إلى دولة ثالثة. وافق الرئيس، يجب ان نقوم بذلك، وعلى عكس ذلك، هو القفز على باكستان. وأشار الشاه إلى انه يعرض كل شيء على افغانستان.

ثم قال الرئيس انه راغب في تناول موضوع توظيف الأسطول الأمريكي في الخليج الفارسي. وذكر الشاه انه يريد إبعاد القوى العظمى عن الخليج بعد مغادرة البريطانيين ولهذا عبّر عن قلقه حيال القوة البحرية الأمريكية الصغيرة. لكن بعد الاتفاق الهندي السوفيتي هناك شيء يجب ان يقال من أجل إظهار العَلَم هناك. وفي كل الأحوال إيران هو البلد الوحيد القادر على التعامل مع أي وضع كان، دون مساعدة خارجية. سوف يدرس الموضوع.¹⁵⁹

وفي اليوم الثاني 1972/5/31 حصل اجتماع آخر في بلاط سعد آباد صباحاً في الساعة 10:30 إلى 12:00، وضم كالعادة الشاه، الرئيس الأمريكي وكيسنجر. إن لقاء الشاه بضيفيه دون إشراك أي من وزرائه، في اجتماع الأمس واليوم، مؤشر على سلطته المطلقة في كل ما يخص العلاقات الخارجية. وفي هذا الاجتماع "تطرق الشاه إلى الارهاب والضغوط التي يواجهها من قوى اليسار، وهناك ضغط عليه من براند (Brandt). وزعم أن المشاكل تأتي من بغداد أو على الأقل بغداد هي المستفيدة. هناك أخطار تظهر في عُمان، حيث المتمردون مدعومون كلية من الشيوعيين. وهناك مخاطر على السعوديين، والنظام رجعي كثيراً ولا يوجد ميل للاصلاح. لدى الملك جيش بدوي لمجابهة جيش نظامي.

وبعد انحراف قصير عن المناقشة تناول طراز الفن المعماري الإيراني للاضرحه، عاد الشاه إلى موضوع السعودية. كان مقتنعاً من أن السعودية لن تكون بمنأى من

قبل المصريين حال تسوية المشكلة الإسرائيلية. لديهم عقدة التفوق لكنهم مقاتلون رديئون. إقترح رئيس الـ C.I.A. قسم السعودية، على حكومة الولايات المتحدة ومن خلال الشاه العمل على تشكيل تجمع يضم السعودية، إيران ومصر لمواجهة الشيوعية. أخبر الشاه عُمان انه سيلبي أي طلب منهم من أجل هزيمة المتمردين. سيناقش مع البريطانيين مواضيع المحيط الهندي وامكانية إجراء مناورات مشتركة في الخليج الفارسي.

شدد الشاه على أهمية تحقيق بعض النجاح في مسار تسوية عربية - إسرائيلية. وأعترف بتفهم اهتمام إسرائيل بأمنها بعد خوض ثلاث حروب من أجلها. لكن مع هذا في رأيه أن الإسرائيليين حرونين كثيراً. ومن ناحية أخرى العرب غير ناضجين، كثيرو الصخب ودائماً يدوسون على حقوق الآخرين.

وتابع الشاه، فيما يخص إيران، إن الخليج الفارسي هو المفتاح. أقامت إيران علاقات مع أثيوبيا وجنوب أفريقيا وذلك للتأكد من وجود سياسة مشتركة في المحيط الهندي. وستعامل إيران مع استراليا لهذا الغرض. تركيا عنصر أساسي في هذه الاستراتيجية. وستكون كارثة كبيرة إذا ما انهارت تركيبها الداخلية. لكنهم قد يتجاوزون ذلك. وقاموا حديثاً بحملة ضد المخربين وأعتقلوا 2000 آخرين.

ثم يتابع الجانبان الحوار فيتناولان مواضيع عالمية، الصين، والصراع العربي الإسرائيلي، هناك جسر جوي بين موسكو والقاهرة للتزود بالسلح السوفيتي. نكسون يقول للشاه إنه متأثر بعدد الطلاب الإيرانيين الذين يدرسون في الولايات المتحدة، وتساءل عن احتمال تحولهم إلى مخربين. هل طلابكم يشكلون خطراً وهل يمكنكم عمل شيء؟ أشار الشاه إلى أن سلك الجيش لايعاني من مشاكل، لكنه يريد المزيد من مستشارين تكتيكيين عسكريين.....الخ

لاشك في عام 1972، كانت إيران متخوفة من الأحداث في العراق. ولم يكن لدى الشاه وسائل ضغط على حكومة البعث غير الطرف الكوردي المجسد في شخص ملا مصطفى وبإعتراف الشاه وجهاز أمنه السافاك، لذا سعت إيران بكل الوسائل إبقاء الورقة الكوردية نشطة وفي يدها، هنا لبّ اللعبة التي لعبها الشاه، فلكي يهدأ

مخاوف الطرف الكوردي ومنعه من التفاهم مع بغداد، فتح الشاه ثقباً صغيراً في باب العلاقة مع ال (C. I. A) ليس له أهمية في مجرى الصراع بين الحركة الكوردية وحكومة البعث. أما الطرف الكوردي فلم يتمكن من استغلال حاجة إيران وإسرائيل لتقوية قاعدة الحركة الكوردية داخلياً في وجه حكومة بغداد، كانت مدارك وتصورات القيادة الكوردية محدودة في فهم العلاقات الدولية، ويطغى على موقفها الجانب الشخصي - نظرة سياسية قصيرة المدى - ولم يكن بين قياداتها أشخاص بعيدو النظر. وحتى السياسة الخارجية التي بدت أكثر تطوراً من النظرة القبلية لرئيس (حدك) كان مهندسها هو الدكتور محمود عثمان لكنه لم يكن صانع قرار، وكما شاهدنا إحتفظ الأمريكان بسريّة هذه العلاقة فاقترصت على وكالة المخابرات المركزية ودون علم الكونغرس.

وفي أرفشيف أمريكي بعد 11 يوم من انتهاء زيارة نكسون لطهران أي بالتحديد في 12/6/1972، عنوان الموضوع "خلفية الجهود الحالية للزعيم الكوردي البارزاني لنيل الدعم الأمريكي" والمذكرة موجهة لمدير وكالة المخابرات المركزية، خلال نائب المدير العامل لوضع الخطط. جاء فيها:

"مايلي غرضه إعلامكم بالخلفيات فيما يخص الاجتماع المقبل لكم والجنرال هيگ مع ممثلي الزعيم الكوردي ملا مصطفى. واعدت نسخة مطبوعة من هذه إلى الجنرال هيگ.

الوضع الكوردي باختصار

2. إن تطور العلاقات باستمرار بين السوفييت وحكومة البعث في العراق، وما صاحب ذلك من ضغوط سوفييتية وبعثية لإقناع الكورد بالانضمام إلى حكومة الوحدة الوطنية في بغداد، زودت الأكراد بذريعة انه من دون مساعدة مالية من بعض المصادر لدفع رواتب القوات الكوردية العائدة للبارزاني، البيشمركه، إضافة للدعم الغربي، بالأخص "الدعم المعنوي" للولايات المتحدة الأمريكية لمقاومة الحكومة البعثية المدعومة من قبل السوفييت، قد يجد أكراد العراق أنفسهم مرغمين على القبول بنوع من التفاهم مع خصومهم.

3. شاه إيران قلق من وقوع العراق بشكل مطرد تحت النفوذ السوفيتي وما يترتب على ذلك من مساس بالأمن الإيراني والمصالح الإيرانية والغربية في الخليج الفارسي. ولهذا يتوخى إيجاد السبل لتقليل النفوذ السوفيتي على الجناح الإيراني وبهذا الخصوص يعتقد انه من الأفضل ان يبقى البارزاني قادراً بما فيه الكفاية لديمومة مقاومة النظام البعثي في بغداد.

4. مبدئياً وبسبب العوامل المذكورة، قام البارزاني والسافاك الإيراني نيابة عن الشاه، بتكثيف جهودهما للحصول على الدعم الغربي، بالأخص الدعم المعنوي من الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا مقابل الدعم السوفيتي للبعثيين. وعلى رغم أن ملا مصطفى يدعى انه سيحتفظ بسرية أي التزام معنوي من جانب الولايات المتحدة، الا ان فائدة مثل هذا الالتزام ستكون قليلة الشأن إن لم يتمكن من استغلالها لكسب الدعم، وهذا يعني انه سوف يكشفها.

5. هناك أساس عملي في الرغبة الكوردية للحصول على الدعم المالي. فالمساعدات التي ضمنتها حكومة بغداد بعد انتهاء الحرب الاهلية عام 1970 توقفت حديثاً [.....] والمساعدات الإيرانية المقدمة إلى البارزاني قبل نهاية تلك الحرب، تقلصت إلى حد كبير عندما وصلت المساعدات من البعثيين. ونتيجة ذلك في بضعة الأشهر الأخيرة، إضطر البارزاني إلى تقليص حاد في الرواتب لقواته وترك العديد الخدمة. نعتقد أن البارزاني يحتاج إلى 7,200,000 \$ سنوياً لتسييد الرواتب لقواته البالغة 15,000 جندي كما يدعى. وقد إقترح زيادة عدد قواته إلى 50,000 رجل، وهذا يجعل تمويلهم يصل إلى حوالي 24,000,000 \$ سنوياً. إضافة إلى التجهيزات والأسلحة".

هذه المذكرة الأمريكية رغم رفع الحظر عليها، الا أن نقاط [10، 11، 12، و 13] مشطوبة كاملة وتخفي أموراً هامة، وفقرات أخرى بقيت قيد الحظر، لكن في النقطة رقم 9، يبدو ان الشاه طلب اللقاء بملا مصطفى سواء بـ Rogers William أو بكيسنجر أثناء زيارتهم لطهران وهما برفقة الرئيس نكسون، "لكن هذا الاقتراح رفض بذريعة ضيق الوقت. وفيما بعد طلب الشاه خلال [.....] أن يلتقي كيسنجر وأنتم - يعني مدير المخابرات المركزية -، إستقبال ممثلين عن البارزاني. وطلب الشاه من الدكتور كيسنجر ومنكم عن رأيكما عن هذا الاجتماع. وأرسلت رسالة إلى الشاه مفادها انكم والجنرال هيگ ستستقبلون ممثلي البارزاني إذا ما أتوا إلى واشنطن".

حرص الشاه على منع التفاهم بين قيادة الحركة الكوردية مع نظام بغداد وقد نجح في ذلك، ومن جانب القيادة الكوردية فإنها لم تكن قادرة على الاستفادة من العلاقة مع واشنطن، طهران وتل أبيب إلى حدود معينة. فقد بقي مفتاح العلاقة بيد الشاه، ونعيد القول انه لم يكن لدى القيادة الكوردية مشروعاً استراتيجياً للبقاء في حالة قطع المساعدات الخارجية عن الحركة، وأهملت تجنيد وتطوير مواردها الذاتية بحيث أقامت كل وجودها على السند الخارجي المهزوز.

وفي أرشيف آخر مؤرخ في 1972/6/7 بعنوان "رسالة من الشاه حول الأكراد". قدمها هارولد ساندرز عضو مجلس الأمن القومي إلى الدكتور هنري كيسنجر خلال ديك هيلمز:

(.....)

"يعتقد الشاه بضرورة التكلم شخصياً مع اثنين من ممثلي ملا مصطفى البارزاني اللذين سيسافران إلى الولايات المتحدة قريباً. وبعد دراسة مشكلتهما، يرغب الشاه ان تشاطروه حول ماسيتولد لديكم من آراء بعد المناقشة. عند الأخذ في الاعتبار السياسة العراقية الحالية، يعتقد الشاه بوجود حماية الأكراد من التأثير الشيوعي والحيلولة دون السير وفق خطط الحكومة العراقية".

(.....)

"الموضوع هو عند لقاءكم بالمثلين قد يطلبون منكم دعم الولايات المتحدة. وإن قررنا مساعدتهم، أرى من الأفضل أن لاينكشف دورنا".

وتم يشير الأرشيف إلى الحجج الرئيسية التي تستدعي مساعدتهم:
"تشجيعهم لكي يبقوا مصدر عدم استقرار في العراق. إحياء الجهود السوفيتية في تعزيز حكومة الوحدة الوطنية كقاعدة ملائمة للنفوذ السوفيتي.

"الايرونيون والاردنيون والاسرائيليون ساعدوا الأكراد في فترات متقطعة كوسيلة لإشغال القوات العراقية في الداخل، ونعتبر أمنهم في صالحنا، علاوة هناك مؤشرات حول تدخل عراقي نشط في الخليج حيث انعدام الاستقرار الداخلي يؤدي إلى ضعفها".

(.....)

(.....)

الحجج الأساسية ضد دعمنا للأكراد هي:

"- نحن نلزم انفسنا بجهود حرب العصابات، وعند تحقيق النصر الأكبر سنواجه حكومة بغداد و المحافظة على الحكم الذاتي الكوردي. وإذا ما خسر الأكراد في القتال، ليس لدينا الموجودات ولا المصلحة في تزويدهم بالدعم الحاسم.
"- حقاً إن المصادر المالية موجودة في المملكة العربية السعودية وإيران. إن هذه قضية على الولايات المتحدة التشاور بشأنها مع دول المنطقة والتي تقدم الدعم منذ زمن و من خلال وسائل مختلفة، علينا ان نقول لهم بصراحة أننا نشعر ان هذه مسألة تخص مساعي المنطقة وليست مسألة ندعمها نحن مباشرة.

" - وعلينا تقييم تعقيدات دعم الأكراد في إطار قمة موسكو. وحالياً بعد ان بذل السوفييت جهداً لافتتاح الأكراد بالانضمام إلى حزب البعث في حكومة الوحدة الوطنية في بغداد، سيكون دعم الأكراد بمثابة تحرك مباشر معاد للتحرك السوفييتي."
(نص مشطوب

"إن سياسة الولايات المتحدة منذ زمن تتفادى التدخل في الشؤون الكوردية.
"....." و "....." خلال زيارة الرئيس إلى طهران. كان الجواب تكرر عدم تدخلنا. واختصر عمل الدولة على استقبال المسافرين الكورد في مستوى معين. ليس لدى الـ C. I. A. مقترح عمل الآن، لذا الموضوع هو هل سترون المبعوثين الكورديين كما طلب الشاه. إن هذا يعتمد بشكل كبير على مقدار ما تشعرون به من التزام تجاه الشاه في هذه النقطة الخاصة. شعوري الشخصي هو انه من الافضل عدم تدخلكم الشخصي في هذه المرحلة لأن ذلك سيوحي إقحام الرئيس على الأقل بشكل ضمنى. أعتقد يمكن ان تقول للشاه بصراحة إنكم كلفتموني بالاستماع الكامل لهم وتقديم تقرير. وكذلك كلمهم هيلمز.
الشاه يريد جواباً قبل سفره إلى أوروبا يوم الإثنين."
مقترحات:

إرسال الجواب التالي للشاه: "أرى أن استقبالي للمبعوثين الكورديين قد يدفعهم نحو خطأ توقعات مبالغ فيها بشأن دعم الولايات المتحدة الأمريكية، وكما تعلمون ليس هنالك قرار متخذ. لكنني سأطلب من مساعدي الأول في شؤون الشرق الأوسط الأستماع التام لهما وتقديم تقرير لي. وسأرسل لكم آرائي بعد ذلك."

إن هذا مخالف لما أراده الشاه، إذ كان يطلب ان يقابل كيسنجر المبعوثين.¹⁶⁰ لكن في النهاية جنحت الإدارة الأمريكية إلى آراء Harold Saunders .



مدير المخابرات المركزية ريتشارد هيلمز

وبعد ان التقى ريتشارد هيلمز مدير المخابرات المركزية، الكولونيل كندي وضابط في الـ C. I. A. بممثلي ملا مصطفى [محمود عثمان وإدريس بارزاني] في واشنطن. نرى في الوثيقة التالية مدار من حديث:

اجتماعات واشنطن مع الممثلين الكورد

واشنطن، 5 تموز، 1972

" 1"

2. كناطق رئيسي للزائرين (.....) استهل الاجتماع في 30 حزيران بتقديم التحيات الشخصية من ملا البارزاني إلى الرئيس نكسون وللشعب الأمريكي. وعبر عن تقدير البارزاني لهذه المناسبة التي طال انتظارها لتقديم القضية الكوردية مباشرة إلى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية ودعا إلى الصراحة التامة لكلا الجانبين. (.....) ثم عرض مراجعة تاريخية للحركة الكوردية ونضالها من أجل الحكم الذاتي ضمن العراق. ثم تابع وصف جغرافي سياسي لموقع كوردستان وكعائق وحيد امام السيطرة السوفيتية التامة على العراق وما ينجم عن

ذلك من عواقب على الدول الاخرى في المنطقة، بالأخص إيران، تركيا المملكة العربية السعودية، الاردن ودول الخليج الفارسي. ثم تكلم بشيء من التفصيل حول الجهود السوفيتية والعراقية المشتركة لوضع الأكراد تحت سيطرة النظام البعثي في بغداد. وذكر بشكل خاص كثافة الضغط السوفيتي المباشر على القادة الكورد، ويتضمن هذا زيارات لملا مصطفى من قبل أعضاء قياديين في الحزب الشيوعي للاتحاد السوفيتي ومن جمهورية ألمانيا الديمقراطية. (.....) أرسل تقريراً عن مطالب السوفييت من ملا مصطفى البارزاني في وقت متأخر من شهر حزيران عام 1972 للحصول على جواب واضح لعروض السوفييت السابقة للأكراد للانضمام إلى حكومة الجبهة الوطنية العراقية. ووصف الجهود السوفيتية كتكملة لنشاطات العراق الاقتصادية والعسكرية والارهابية الهادفة إلى تحطيم البارزاني والقيادة السياسية لأكراد العراق. (.....) قال ان البارزاني وزعماء أكراد آخرين لا يعتقدون ان بمستطاعهم مقاومة الضغط السوفيتي العراقي المشترك أكثر من ستة أشهر بدون مساعدة خارجية هامة. وإن لم تصل هذه المساعدة، يعتقد الكورد انهم خلال ستة أشهر سيضطرون إما إلى مساومة سياسية مع الحكومة المركزية العراقية أو القتال مع هزيمة مؤكدة.



إدريس بارزاني دكتور محمود عثمان

3. (.....) شدد على رغبة البارزاني في زيادة المساعدات الخارجية ليس فقط للدفاع عن المنطقة ضد السوفييت والعراقيين، إنما يفضل جعل كوردستان عاملاً مساعداً إلى جانب الولايات المتحدة وأصدقائها وحلفائها في منطقة الشرق الأوسط، وبالأخص تركيا، إيران، إسرائيل، المملكة العربية السعودية، الأردن ودول الخليج الفارسي. علاوة (.....) تطرق إلى فتاعة ملا مصطفى ان

السوفييت يسيطرون على الأحداث في العراق وان الوقت يضيق أمام الغرب وحلفائه المحاذون للعراق. ويعتقد البارزاني ان كوردستان، رغم صغرها يمكن استغلال موقعها الاستراتيجي والقوة القتالية الكامنة كأداة مؤثرة في جهود العالم الحرّ لقلب الموازين ضد التوسع السوفيتي في الشرق الأوسط وإعادة المسك بزمam المبادرة من قبل العالم الحرّ وحلفائه في المنطقة. وضمن هذا الإطار، أضاف، ان معظم مصادر النفط العراقي تقع ضمن المناطق الكوردية. إن كوردستان قوية يمكن ان يكون لها وزن هام في السياسة النفطية للحكومة العراقية.

4. (.....) وأوضح أنه ضمن هذا الإطار المشار اليه قبلاً، فإن ملا البارزاني يتوخى المساعدات المالية والعسكرية والمخابراتية من الولايات المتحدة كالآتي:

a. الاعتراف بالهدف الكوردي المتمثل في الحكم الذاتي والاستمرار في الاتصالات السريّة بين الحركة الكوردية والحكومة الأمريكية؛

b. مساعدة مالية كافية لتحويل الكورد إلى قوة عسكرية هجومية لغرض إما إسقاط الحكومة البعثية في بغداد أو على الأقل تشغيل غالبية قوات الجيش العراقي في حرب غير محددة من أجل القضاء على النظام العراقي الذي يمثل تهديداً يتحكم فيه السوفيت ضد أمريكا ومصالح العالم الحرّ والحلفاء في المنطقة؛

c. تزويد مساعدة عسكرية؛

d. إقامة رابطة مخابراتية بين الأكراد والولايات المتحدة الأمريكية، تشمل توفير مساعدة للمخابرات الكوردية.

5. في معرض تقديمه الطلب أعلاه من أجل ديمومة الإتصالات المباشرة بين قيادتهم وقيادة الولايات المتحدة (.....) قال ان ملا البارزاني أوصى (.....) حضور وقتي أو دائم في حاج عمران، (.....). وبالمقابل، تقبل الحركة الكوردية إجراء الاتصالات في أي موقع ممكن تفضله حكومة الولايات المتحدة. (.....) وعلق بأن ملا البارزاني، من جانبه يتطلع إلى زيارة الولايات المتحدة في أي وقت تسمح به الشروط السياسية. (.....) وشدد على انه في مقابل المساعدات المدرجة أعلاه، فإن ملا البارزاني على استعداد لإلزام حركته ومقاتليه بسياسات حكومة الولايات المتحدة. (.....) وأضاف انه قبل مغادرتهم واشنطن، هو و (.....) سيقدمون وثيقة عن الخلفيات والتفاصيل لمطالبهم إلى (.....) انظر إلى المرفقات.

6. وأنهى عرضه بالقول أن إهتمام الملا البارزاني والمطالب التي قدموها لها صلة هامة بإشارة الرئيس نكسون في مؤتمره الصحفي المنعقد في 29 حزيران بشأن تهديد المغامرات السوفيتية في الشرق الأوسط للسلام العالمي. (.....) وأضاف ان الجهود السوفيتية والعراقية الحالية للسيطرة على كردستان سيمثل الفصل الأخير من المغامرة السوفيتية لتحويل العراق إلى دولة تابعة. وسيهدد ذلك المصالح الأمريكية في الشرق الأوسط.

7. (.....) علاوة هو و (.....) حملوا جلد نمر من كردستان كهدية من ملا بارزاني إلى الرئيس نكسون. وقال انه سيرسل الهدية إلى المدير لكي يقدمه إلى الرئيس نيابة عن الزعيم الكوردي. وأنهى بالقول ان ملا البارزاني يأمل بوصول ممثليه إلى واشنطن في وقت قريب من إحتفال الامريكيين بعيد الاستقلال في 14 تموز سيشرح حكومة الولايات المتحدة الأمريكية لإبداء تجاوب ايجابي للمناشدة الكوردية بشأن المساعدات للحفاظ على الاستقلال الكوردي.

8. شكرهم المدير هيلمز (.....) للزيارة إلى واشنطن وأطرى (.....) لعرضه الممتاز لموقف ومتطلبات الشعب الكوردي وقيادته. وقال انه هو والكولونيل كنيدي مجازين من قبل الدكتور كيسنجر للتعبير عن تعاطف حكومة الولايات المتحدة الامريكية للحركة الكوردية بزعامة ملا مصطفى. وأشار هيلمز ان مجرد وجود الممثلين الكورد في دائرته لدليل على موقفنا واستعدادنا للاخذ في الاعتبار مطالبهم في تقديم المساعدة. وقال المدير ان حكومة الولايات المتحدة راغبة في مواصلة العلاقات مع الحركة الكوردية والتي بدأت رسمياً بتقديم (.....)

(..... 9.)

10. ثم طلب المدير من (.....) تزويده (.....) بتفاصيل الحاجات المالية والعسكرية الكوردية بأسرع ما يمكن لكي تأخذها حكومة الولايات المتحدة في الاعتبار التام. وأعترف السيد هيلمز بأن الوقت مهم جداً بالنسبة للأكراد وان حكومتنا سوف تبذل كل مالمديها من مساعي لتوفير هذه المساعدة بأسرع وقت ممكن. وأشار إلى أن ردّ حكومة الولايات المتحدة سترسل إلى الملا البارزاني عن طريق (.....) وسنرتب ذلك نحن. وحذر المدير هيلمز انه سيكون صعباً جداً بالنسبة للولايات المتحدة تزويد السلاح مباشرة إلى كردستان دون أن يصبح ذلك أمراً مكشوفاً. واقترح انه من الأفضل ان

نقل مثل هذه المساعدة خلال (.....) أو الحكومة الإيرانية. وأوضح المدير بأن السريّة في هذه العلاقة الجديدة أمر مطلوب وفي غاية الأهمية، وأن العلاقة قد تفسد حقاً عند الإخفاق في صون متطلبات السريّة.

11. (.....) أجاب ان الزعامة الكوردية متفهمة لضرورات السريّة ومستعدة لصيانة الترتيبات بالضبط كما يرغب فيها جانبنا والعمل على استخدام مساعداتنا تماماً وفق أوامرنا. وذكر كمؤشر لحسن النية في هذا المجال انه فقط الحكومة الإيرانية على علم بهذه الزيارة الكوردية إلى واشنطن (.....)

12. وعبرّ الكولونيل كنيدي عن تقدير الدكتور كيسنجر لهذا العرض الممتاز والذي أعطانا فكرة واضحة عن وضع كوردستان المحفوف بالمخاطر وما لها من امكانات في القيام بدور في الشرق الأوسط. وأطرى أيضاً (.....) للعرض الممتاز نيابة عن ملا البارزاني. انتهى الاجتماع باتفاق مع الزائرين لعقد اجتماع مع (.....) لتقديم تفاصيل أكثر دعماً لما عرضه أمام المدير والكولونيل كنيدي".

وهناك ملاحق للمذكرة، مؤلفة من المواضيع التالية ومبنية على ماجرى من حديث مع الممثلين الأكراد: السياسي، المالي، العسكري والمخابراتي.

فعلى سبيل المثال، يشير الملحق المتعلق بالجانب السياسي أن الهدف الرئيسي للحركة الكوردية هو تحقيق "الحكم الذاتي للأكراد في المناطق الكوردية من البلاد. يمكن مقارنة الحكم الذاتي بولاية في الولايات المتحدة الأمريكية حيث تتحكم في الشؤون الثقافية والخدمات الاجتماعية الأساسية لمواطنيها. وليس لها أي أوجه مقارنة مع الاستقلال التام. والهدف الثاني هو تبني الديمقراطية كنظام سياسي لحكومة العراق".

وتشير أيضاً: "الحكم الذاتي معترف به منذ 1922/12/24 في "إعلان عيد الميلاد" حيث إعترف البريطانيون بشكل خاص بالحكم الذاتي الكوردي وأعطيت ضمانات لسلطة كوردية لحكم مناطقهم. لسوء الحظ لم ينفذ البريطانيون والعراقيون العرب هذا الإعلان أبداً مما أدى إلى حصول انتفاضات كوردية متعاقبة. هدف الأكراد من القتال الآن هو الإعتراف عملياً بشكل رسمي بالحكم الذاتي والذي سبق وأن منح لهم في "إعلان عيد الميلاد".

وتمضى المذكرة إلى القول: "تستمر جهود البعث لتطويع الأكراد إلى يومنا هذا مع تكثيف وتوسيع الضغط السياسي من الاتحاد السوفيتي، جمهورية ألمانيا الديمقراطية، بلغاريا ودول شيوعية أخرى. ومن أجل زيادة حماية نظام بغداد التابع لهم، ضغط السوفييت على مصر، وهي عدوة منذ زمن طويل لحزب البعث لكي تتبنى موقفاً أكثر ودية تجاه العراق، وأقنعت حتى السوريين، والذين يمثلون طرفاً معارضاً لحزب البعث، لإنهاء عداثهم ضد العراق. هذه التطورات تأتي في مرحلة تشهد عمليات الإغتيالات والتعذيب على يد حزب البعث العراقي بقيادة صدام حسين التكريتي، لجعل العراق دولة تابعة للسوفييت، رغم ذلك وكما هو الحال في جيكوسلوفاكيا، الغالبية من السكان يكرهون النظام، لكن الإرهاب المنظم وقساوة البعثيين طوعتهم".

"كوردستان اليوم هي العقبة الوحيدة أمام التسلط السوفيتي على العراق خلال صدام التكريتي. وما أن يتم ذلك سيتمكن السوفييت استخدام العراق واليمن الجنوبي (الجمهورية اليمنية الديمقراطية الشعبية) لأعمال التخريب في دول الخليج الفارسي الضعيفة بحركة كماشة. المخابرات الكوردية تفيد ان زعيم اليمن الجنوبي عبدالفتاح اسماعيل، اتفق مع كوسيجن للقيام بمثل هذا الدور في الخليج بالتوافق مع العراق".

"..... ففي حين يعترفون بصغر دورهم في اطار منطقة واسعة، يعتقد الزعماء الكورد ان بإمكانهم القيام بدور مساهم هام في حماية وحتى تطوير مصالح الولايات المتحدة وحلفائها في الشرق الأوسط. النقطة الأخيرة التي رغب الممثلان الكورديان أن يشددا عليها بقوة وقد أكدا ان الملا البارزاني راغب في ربط حركته بالعمل وفق أهداف الولايات المتحدة في المنطقة ووفق توجهاتها السياسية مقابل منح المساعدات لتلبية الحاجات الكوردية. وصور الممثلان الكورديان هذا التعاون بأنه منسجم مع الفلسفة السياسية التي تشاطرها كوردستان مع الولايات المتحدة الأمريكية مثل الحياة الحرة وإدارة الأعمال الشخصية.

ويتوخى الممثلان الكورديان بشكل خاص اعتراف الولايات المتحدة بالهدف السياسي الكوردي المتمثل في الحكم الذاتي، الذي اعترفت به الحكومات في الشرق الأوسط، وهذا يشمل حكومة بغداد، الاتحاد السوفيتي ودول شيوعية أخرى. ويدرك

الأكراد أنه بسبب الحاجة إلى السريّة في أية علاقة تقام بينهم وبين حكومة الولايات المتحدة، مثل هذا التعاطف والاعتراف بموقفهم يجب إبقائه سراً حتى النهاية، لكنهم يأملون عندما تأتي المناسبات، تعلن الولايات المتحدة في هدوء الاعتراف علناً بكوردستان باعتبارها كيانا سياسياً يتمتع بالحكم الذاتي ضمن الدولة العراقية.

وعندما (.....) دعا شاه إيران في 4 حزيران، ألزم الشاه نفسه كاملاً بمسارين في العمل مع الهدف الكوردي في الحكم الذاتي. الأول استخدام الأكراد والعراقيين المعادين للبعث لقلب الحكومة البعثية في العراق وهذا المسار فضله الشاه. أما المسار الثاني فهو الحدّ الأقل من الدعم للحكم الذاتي لكوردستان ضمن العراق لكي يقف على قدميه ويكون بمقدوره مقاومة جميع المحاولات الهادفة للقضاء عليه. إن هذا أوضح اعتراف بالحكم الذاتي الكوردي بدر من الإيرانيين حتى الآن.

وهناك أرشيف آخر مؤرخ في 1972/7/28 تحت عنوان: التوقعات ومشاكل تقديم المساعدة للأكراد.

هيلمز وكينيدي اللذان إلتقيا بإدريس ومحمود، كانا من مؤيدي تقديم المساعدة المحدودة للبارزاني وليس بدون تحفظات. خاصة على ضوء الأحداث الجارية في مصر والأزمة مع السوفييت، وممكن ان تتمخض عن جهد سوفيتي مكثف في العراق. هناك تشديد قوي في جعل المساعدة تسلم بشكل يُمكن الإدارة الأمريكية إنكار ضلوعها في مساعدة الأكراد. وأن المساعدات يجب ان تبقى في حدود لا تثير ردّ فعل السوفييت وتصعيد التوتر الدولي. كما أخذ الأمريكان دراسة احتمال تدخل سوفيتي مباشر في الحرب مع الأكراد، رغم أن ذلك سيعرض العلاقات السوفيتية الإيرانية للتأزم. لكن "استعداد السوفييت لدفع الثمن للحفاظ على استثماراتهم ووضعهم في العراق لايجوز اقصائه من الحسابات...." ثم هناك الحساسية التركية تجاه القومية الكوردية في المناطق الشرقية من تركيا. ويشير الأرشيف: "هناك محدودية نفوذ البارزاني وتأثيره في الوسط الكوردي نتيجة الانقسامات الحزبية حتى ضمن الحزب الديمقراطي الكوردستاني حيث هو زعيمه، كذلك مشاكل تقدمه في العمر وغياب وريث مناسب لسلطته السياسية بين الأكراد. اضافة إلى التعقيدات التي تصاحب العمليات السريّة لدعم الأكراد في وقت تدرس الادارة الأمريكية فتح قسم رعاية المصالح الأمريكية في بغداد نهاية عام 1972.

كان تقييم الحكومة الأمريكية لنظام البعث هو: "ان تاريخ مغامرات بعث العراق يكشف فشل سياسة إرضائه بالتنازلات. إنهم يستغلون الضعف، ويبدو ان الخوف من العواقب والفشل أو إبقائه في حالة الدفاع، هو الأسلوب الرادع الوحيد للتخلي عن السلوك العدواني".¹⁶¹

ويشير الأرشيف:

"11. ان الوضع الحالي حيث يواجه نظام البعث تقليص جاد في المدخولات، وفي وقت لاتزال القيادة الكوردية السياسية المنظمة قادرة على المقاومة، تلك هي فرصتنا اليأسية الأخيرة لإشغاله في عملية إنهاك هدفه على الأقل مضايقة البعث وامكانية المساهمة في خلق شروط ايجابية لحلول عناصر اخرى مكانهم، يكونون أقل عداءً لمصالحنا ولمصالح اصدقائنا في هذه المنطقة. وعلينا ان نسلم بأن البعث قد يضطر بسبب المعارضة الكوردية طلب ان يطلب المزيد من الدعم السوفيتي. أما أن ندع المقاومة الكوردية تموت بسبب نقص الدعم، ذلك يعني ان الأكراد سيضطرون إلى الانضمام إلى الجبهة الوطنية تحت الرعاية السوفيتية، وسيكون بمستطاع البعث وبدون عائق مواصلة مخططه في المنطقة. وإن وضعنا ذلك في الميزان، نرى انه من الافضل إتخاذ المجازفات في إبقاء المقاومة الكوردية حية."

هنا نرى التقاء المصالح الأمريكية والإسرائيلية والإيرانية لدعم الحركة الكوردية في إطار حرب إستنزاف وليس لنيل الحقوق القومية الكوردية، ويبدو واضحاً أن قيادة الحركة الكوردية لم تنتبه إلى هذا المخطط، ولم تقم بأي عمل يرسخ سندها الداخلي، بل سارت بخطى سريعة على طول الخط مع هذه السياسة المتمثلة في الاعتماد على السند الخارجي.

وتشير نفس المذكرة: "12. من وجهة نظرنا، نرى من الافضل تزويد البارزاني بما يكفي من التشجيع والدعم للحفاظ على وضع يغنيه من الاعتماد على نظام بغداد ويكون قادراً على التصدي للحملة العسكرية للجيش العراقي للسيطرة على المناطق الكوردية. ومادام هنالك هذا الموقع الكوردي الحصين، لن تياأس العناصر المنشقة في الجيش ومن الساحة السياسية العراقية من سنوح فرصة لقلب النظام."

الحفاظ على المقاومة الكوردية حتى في مستوى دفاعي سيحدد قدرات النظام على المغامرات العدوانية ضد إيران والأردن وفي الخليج.

كما يضيف الأرشيف: "..... من الممكن وذلك بسبب العديد من الدول التي إتصل بها البارزاني، ان الاتحاد السوفيتي والبعث على علم بجهود البارزاني في الحصول على الدعم. وهذا ربما يؤدي إلى تعزيز الميل للاتحاد السوفيتي والبعث لشن حملة استباقية ضد البارزاني قبل ان يعزز موقفه".¹⁶² وتضيف المذكرة حول متطلبات البارزاني من المساعدات المادية في الوقت الراهن وعلى المدى البعيد، فتقول:

16. إذا ماتمكن البارزاني من تفادي هجوم عراقي وشيك، سنولى الأولوية إلى احتياجاته على المدى البعيد وفق الاستراتيجيات الثلاث والمشار إليها من قبل مبعوثيه. فقد طرحوا الاحتياجات المالية والتجهيزاتية ضمن ثلاث مستويات من العمل ووصفوها بـ "دفاعي، هجومي، المرحلة الثورية".

17. المستوى الأول "المرحلة الدفاعية" قالوا إنها تتضمن الحد الأقل في زيادة المساعدات الخارجية تسمح لحركتهم الحفاظ على الوضع الراهن والمقاومة سياسياً وإقتصادياً والضغط العسكرية من البعث لأمد غير محدد.

18. المستوى الثاني "مرحلة هجومية" والتي يحبذها البارزاني، توفر للأفراد الوسائل المالية والعسكرية ليس فحسب للحفاظ على وضعهم الحالي، إنما لشد النظام البعثي إلى حدود لايمكن من تهديد جيرانه والمصالح الغربية لامن الناحية العسكرية ولامن خلال عمليات التخريب. إن تصور البارزاني لمتطلباته المالية والعسكرية يهدف إلى مثل هذا الطرح من النشاط.

19. المستوى الثالث "المرحلة الثورية" تحويل كوردستان إلى قاعدة مضمونة منها يجري قلب النظام البعثي بالتعاون مع العراقيين المعادين للنظام. وذكر المبعوثان الكورديان ان هذا المستوى من النشاط يتطلب استثماراً أكثر بقليل من المستوى الثاني، ويتطلب توفير مساعدات مالية للمتعاونين العرب.

20. خلال النقاش حول نوعية التجهيزات التي يحتاجونها لمرحلة العمل الهجومى، ظهر ان الأكراد يحملون أفكاراً غير واقعية عن الأعمال العسكرية ونوع التجهيزات التي يتمكنون استخدامها. فاهتمامهم بالدبابات لاستخدامها خارج الجبال تعطي إنطباعاتاً أن بإمكانهم محاربة الجيش العراقي في حرب تقليدية. يستدعى هذا قاعدة لوجستية في إيران مشابهة لما قدمته فيتنام الشمالية للفيت كونغ. ولرصيدهم، كان المبعوثان صريحين وأعترفا بالحاجة إلى ارشادات عسكرية.

29. وبعد تدقيق الأسلحة المخزونة والتي من الممكن منحها للأكراد، علينا إعطاء الأولوية إلى ذلك النوع من السلاح الذي اعتادوا على استخدامه وتزويدهم بالمعدات. وثانياً نولى اهتماماً بمضادات الطائرات والدبابات، يشمل هذا ألغام أرض وصواريخ، مع التشديد على امكانية سهولة الحمل. فسهولة الحمل تعنى ان على الأكراد الاعتماد على الصواريخ ومدافع الهاون بدل محاولات زيادة الاعتماد على قدرات المدفعية التقليدية.

ثم تتناول المذكرة موضوع إمكانية ردّ الفعل السوفيتي بموجب اتفاقية التعاون والصدافة السوفيتية العراقية، إذ من الصعب ان يتجاهل السوفييت تدخلاً خارجياً كبيراً في شؤون العراق، مهما كانت رغبتهم في تفادي تعقيد علاقاتهم الناعمة مع الشاه. للسوفييت مصالح هائلة في العراق وقد اعطتهم حكومة بغداد أكثر من أية حكومة سابقة. وحتى ان خلت الاتفاقية من البنود السريّة، فإن التدخل السوفيتي وارد عند الحاجة للحفاظ على سلامة النظام. ولذلك تقترح المذكرة إفهام ممثلي البارزاني ان يحتفظوا بمآلهم ضمن إطار واقعي والتي ستلبي ضمن إطار الإنكار المعقول، ونُصحهم تفادي أعمال من شأنها تصعيد التوتر الدولي.¹⁶³

ثم تأتي المذكرة بوضوح إلى نوع المساعدات وشروطه:
"صيغة تزويد الدعم المالي والعسكري يعتمد على درجة السريّة المرغوبة، ومستوى القدرة العسكرية التي نريد نحن تزويدها و الأهداف التي نرغب في تحقيقها."
وتمضي المذكرة إلى القول:

Memorandum for: Henry Kissinger. From Al Haig. July 1972. See points: 32, 33,

163
34.

35". المال، ليس كالسلاح، يمكن تسليمه بشكل مباشر أو غير مباشر، مع الحد الأقل من مشاكل السرية. ومن مصلحتنا تزويدهم بالمساعدات المالية (.....) الإيرانيين لتعزيز مشاعر المساهمة لديهم وأيضاً لأسباب أمنية. ونجد من المصلحة تسليم بعض المساعدة المالية مباشرة للأفراد لتعزيز نفوذنا نحن، إضافة إلى إتخاذ بعض الاجراءات الضامنة لتحكمنا وحدنا ووسيلة للاستغلال المخابراتي.

وفيما يتعلق بالأمريكان ومخططهم والمحاذير التي أخذوها في الاعتبار، تقول المذكرة: "الأفراد منقسمون كثيراً وهناك تغلف في صفوفهم بحيث لا يتمكنون إخفاء الأسرار عن الأجهزة الأمنية الخارجية المحنكة، وأن تداخل طرف ثالث يجعل إخفاء الأسرار وارداً. وسبق وان اتهمنا نظام البعث مساعدة اعدائه، يجب ان نهتم بعدم وجود دليل يثبت مثل تلك التهم. وفي كل الأحوال حتى وان لم نقم بأي عمل سيستمرون في كيل التهم لنا.

ثم تتناول المذكرة الانقسامات داخل الحزب الديمقراطي الكوردستاني في المادة 51 وثم تركز المادة 52 على الانقسامات في عائلة ملا مصطفى، هي في الواقع معلومات غير دقيقة وجزء منها غير صحيح:

52. يبلغ البارزاني 69 عاماً من العمر، انه لا يزال بصحة جيدة، لكن واضح ان أعوام زعامته محدودة. بعض أبنائه، بالأخص الأكبر، لقمان،¹⁶⁴ وآخر اسمه عبيدالله انضموا إلى حكومة بغداد. إدريس ومسعود يساعدون والدهم، مسعود يقود جهاز المخابرات. وإدريس يعمل في مجال الحصول على الدعم الخارجي. لا أحد منهم يملك كاريزما والده، ويبدو انهما غير مرشحين لخلافة والدهم لقيادة الحركة الكوردية بعد رحيله. مثل هذه الزعامة تبدو أكثر إنها ستكون لجلال الطالباني أو شخص مثله.

إن وعينا لهذه الانقسامات الحزبية العميقة بين الأفراد لن يمنعنا من تزويد البارزاني أو آخرين بمساعدات سرية كجزء من مسعى لضعاف الحملات البعثية

164 لقد بقي لقمان مع والده حتى إنهيار الحركة الكردية عام 1975 ولم ينضم الى حكومة البعث الى بعد إهانة والده له صيف عام 1975 في طهران.

والسوفيتية ضد اصدقائنا ومصالحنا. ففهمنا للانقسامات الكوردية ينبغي أن يقينا من الأوهام من أن دعمنا للبارزاني سيمكنه من السيطرة على كامل المنطقة الشمالية من العراق ويرتب استغلال مصادرها كما أفاد ذلك المبعوثان".¹⁶⁵

لقد حصلت الموافقة الأمريكية على تقديم "المعونة السرية" بعد حصول سلسلة من الاحداث السياسية: التوقيع على اتفاقية الصداقة والتعاون بين موسكو وبغداد و تأميم شركة النفط العراقية. تدهور العلاقات بين بغداد والحركة الكوردية. طلب الشاه المتكرر من الأمريكيين تقديم الدعم للحركة الكوردية وكذلك طلبات ملا مصطفى المتكررة من الشاه ومن واشنطن تقديم الدعم. كما لعبت إسرائيل دوراً كبيراً لإنشاء مثل هذه العلاقة. وعندما وافقت واشنطن تقديم العون السري وعلى ضآلته، شعرت القيادة الكوردية بالنصر، وانعكس غرورها في طريقة التعامل مع الشعب الكوردي واستهتارها بالمخاطر التي تحدق به، كما شاهدنا في فصول سابقة من هذا الكتاب. فالنصر بالنسبة للقيادة الكوردية، يأتي من الخارج وليس من الشعب الكوردي ونضاله!

لا بد هنا من كلمة في البداية حول المعونات الخارجية في تاريخ الانتفاضات الكوردية، ففي القرن العشرين حصلت عدة انتفاضات في معظم أجزاء كوردستان المحتلة والمجزأة، انتفاضة شيخ عبدالسلام البارزاني 1907 - 1908 و انتفاضته الثانية 1913، ثورة شيخ سعيد 1925، انتفاضات الشيخ محمود الحفيد في السليمانية في الثلاثينات، انتفاضة آغرى (آارات) 1927 - 1930، وغيرها..... وكلها تقريباً كانت محاصرة ولم تتلق عون خارجي، وكان هذا سبب من ضمن أسباب أخرى لاختفاقها. وكحقيقة تاريخية نذكر أن العديد من الشخصيات القيادية الذين قادوا هذه الانتفاضات في النصف الأول من القرن الماضي، ضمنهم الجنرال إحسان نوري باشا، القائد العسكري لثورة آارات والذي ناضل وفق منطق تحقيق استقلال الامة الكوردية، قدموا التضحيات وعاشوا في حالة مادية مزرية، في حين تغير الموقف تماماً في النصف الثاني من القرن الماضي، المتمثل في بروز المنحى التجاري الواضح لدى قيادة الحركة الكوردية. تلقت قيادة (حدك) التمويل من الخارج لسنتين وكان له أثر كبير في استقلالية القرار السياسي للحركة الكوردية، فأى حزب يمول

من الخارج بتلك السعة يجد صعوبة في مقاومة الضغوط خاصة في غياب القدرة على فهم الواقع الجيوستراتيجي، فتحوّلت القيادة من عامل ايجابي في قيادة النضال الشعبي المسلح الى عبء عليه.

فقد تحوّلت القضية الكوردية إلى عامل لجمع الثروة خلال مسارين متناقضين، فتبوّأت عوائل من الإقطاع الكوردي المرتزق مركز الثراء جراء محاربتها للحركة الكوردية إلى جنب الجيش العراقي، كما تبوّأت عوائل قيادية في الحركة الكوردية وأقاربهم مركز الثراء الفاحش من خلال تبني "مهنة الدفاع عن الحقوق القومية الكوردية". كلا الطرفين حققا الثراء على حساب معاناة الشعب الكوردي وتضحياته الجسام.

إن الحركة الكوردية التي قادها الحزب الديمقراطي الكوردستاني بزعامة ملا مصطفى (1961 - 1975) ورغم عفويتها فقد نالت اهتمام العالم الخارجي وتلقت الملايين من الدولارات من المعسكرين المتنافسين: الاشتراكي والرأسمالي، إضافة إلى كميات كبيرة من الأسلحة، من قبل الدول الداعمة للحركة الكوردية. لقد بنيت العلاقات مع طهران وتل أبيب بسرعة بعد اندلاع القتال مع بغداد، يقول الدكتور محمود عثمان: "منذ بداية الحركة الكوردية المسلحة، كانت لدينا علاقات كوردية-ايرانية. وكان للإيرانيين دور في المساعدة والتشجيع والتمهيد لإقامة العلاقة مع إسرائيل...." ويشير إلى: "وعلى رغم الخلافات بين رئيس الحزب الملا مصطفى البرزاني وسكرتير الحزب ابراهيم أحمد على مواضيع كثيرة الا انهما كانا متفقين تماماً على العلاقة مع إسرائيل. واذا كانت هناك بعض الحساسيات بينهما، فهي حول من يجب ان يكون الرأس الممسك بحبل تلك العلاقة، الرئيس أم المكتب السياسي"¹⁶⁶

أسلوب استخدام هذه المساعدة من قبل القيادة الكوردية لم يكن في المستوى المطلوب، ووجهت الدول المانحة انتقادات هامة للقيادة الكوردية. كما أن أسلوب الإلحاح في المزيد من المساعدات المالية والسلاح وكأن الحركة ضعيفة وعلى وشك

166 مجلة الوسط . حوار مع الدكتور محمود عثمان، القصة الكاملة للعلاقات الكردية الاسرائيلية. 1997/10/13

الانهيار" يجعل الجهات التي تقدم المساعدة تحدّ من مساعدتها، لأنها ستعتقد ان مساعداتها تقدم دون جدوى....¹⁶⁷ لقد بقيت سياسة القيادة الكوردية تتمحور حول "الكبح في الداخل" و"الإستجداد بالخارج".

يصاب المراقب بالدهشة حينما يستعيد تسلسل الأحداث التي أدت إلى سقوط القيادة الكوردية عام 1975، فهي كانت ومنذ سنوات تعيش خارج الزمن واللامبالاة يسبغ مواقفها وبمضي الوقت يزداد تخلفها وعجزها، مغلقة جميع منافذ التغيير في ذهنية متحجرة وفي تركيبة قيادة شبه مشلولة، وهي لا تدرك أن هناك سباقاً محموماً مع أطراف عديدة معادية ومتحركة وتملك مخططاً واضح المعالم ولجان دراسات استراتيجية وأموال طائلة تنفق للوصول إلى الأهداف المرسومة. هنا نحن أمام قيادة مستسلمة للظروف، والفرق كبير بينها وبين قيادة تعمل على تطويع الظروف لمصلحتها. جل اهتمام القيادة الكوردية كان منصباً على الاحتفاظ بزمام السلطة والمال وتحقيق مشاريعها الشخصية، دون تخطيط استراتيجي مبني على تنظيم وحشد طاقات الامة في نضال طويل الامد. وكما هو معروف ففي وضع ثورة شعبية حقيقية ينبغي أن تمتلك القيادة مخططاً استراتيجياً، دفاعياً وهجومياً يخلق الهلع في قلب مناطق العدو الأكثر حساسية من الناحية الاقتصادية والسياسية والعسكرية، إضافة إلى ترصين الجبهة الداخلية للشعب الثائر باستمرار. إن القيادة الواعية لمسؤوليتها التاريخية تأخذ في الحسبان أسوء الاحتمالات لتجنب الكوارث التي يخطط لها العدو.

سيطر رئيس الحزب على المال العام لكن من دون مشاريع اقتصادية تحقق الإكتفاء الذاتي نوعاً ما، الأموال تتراكم في منزل قائد الحركة كـ "مال شخصي"، ولم تجر محاولات لإنهاء تلك الحالة الشاذة من قبل المكتب السياسي المدجن، لا بل كان محرماً الكلام عن الأموال التي يحتفظ بها زعيم الحركة في منزله. ولتفادي الكلام عن هذا الموضوع الحساس جداً، كان يتبنى حالة عصبية شديدة حتى يكف مقابله الكلام عن الموضوع وهو يعلم انه في ورطة كاملة. فعندما سأله الصحفي المصري المعروف (محمد حسنين هيكل) وحيث التقى به في طهران صيف عام 1975 ولم

167 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 320

يكن معهم ثالث. قال له: "أريد ان أفهم منك لغز الثورة الكوردية..... قال لي أحد جنرالاتك ... الجنرال عقراوي انك كنت تقود الثورة الكوردية بمنطق اقطاعي قبلي حتى ان خزينة الثورة الكوردية كانت صناديق من المال تحت تصرف ابنك الأصغر الاثير لديك من آخر زوجاتك ولم يكن يصرف الا بأمرك. وكان الصرف على الثورة قضية عائلية او حتى قضية شخصية... وصاح الملا مرة اخرى : أفاع وذئاب وعقارب كلهم أفاع وذئاب وعقارب... هؤلاء مثوهم النار وبئس المصير، صدق الله العظيم".¹⁶⁸

إن الإهتمام المفرط بالمال مبعث خطورة كبيرة، وبهذا الصدد يقول الرئيس الأمريكي بنيامين فرانكلين: "من هم على فكرة، أن المال قادر على عمل كل شيء سيجرون على أنفسهم شبهة انهم يعملون كل شيء من أجل المال".

كان هناك الآلاف من المقاتلين لكن دون توعية سياسية ثورية ودون تحديث أساليب القتال ذات الطابع القبلي والولاء الشخصي. الآلاف من الكادر المتعلم بقي بلا نشاط، لأن الأمور الأساسية بقيت في يد قوى تقليدية من الإقطاع الكوردي. وقد لفت هذا اهتمام الأخصائيين الإسرائيليين الذين كانوا يساعدون القيادة الكوردية. فقد كان هناك عدد من الضباط الملتحقين الذين فرؤا من الجيش العراقي لكن ملا مصطفى لم يكن يكف عن الشك فيهم¹⁶⁹ و"لقد كان من الصعب جداً أن يوضح الإسرائيليون للبرزاني ضرورة الاعتماد على هؤلاء القادة وأن يمنحهم صلاحيات....."¹⁷⁰

دبلوماسية القيادة توقفت على زيارات متقطعة لهذا البلد أو ذاك لشرح معاناة الشعب الكوردي والشكوى من حملات الجيش العراقي الظالمة على الأبرياء والشيوخ والأطفال، أو إرسال مذكرات إلى المحافظ الدولية من حين لآخر لاستدراار العطف والمال، كانت في الواقع قيادة تنتظر الأحداث ولا تشارك في صنعها وتتفعل عندما تشعر بأن الأرض تتحرك من تحت أقدامها وتلوذ بحالة عصبية شديدة كرد فعل على

168 جريدة الأنوار . السبت 6 أيلول 1975 . بصراحة يكتبها محمد حسنين هيكل .

169 شلومو نكديمون . الموساد في العراق ودول الجوار . ترجمة بدر عقيلي . دار الجليل للنشر 1997 . ص: 125

170 شلومو نكديمون . الموساد في العراق ودول الجوار . ترجمة بدر عقيلي . دار الجليل للنشر 1997 . ص: 125

حصول حادث لم تكن تتوقعه وكأنها ستتهي الأمر لصالحها بالصراخ والشتيمة.

ورغم الانقسامات داخل القيادة وفسادها واستهتارها وعدم أهليتها في قيادة الشعب الكوردي، في نظر الكثيرين أن الحركة الكوردية حققت النصر ببيان أذار عام 1970 فهذا يعني أن قائد الحركة وخططه كانت ناجحة ويجب ترك الأمور لحنكته السياسية وبعد نظره دون اعتبار للوقائع. فـ "النصر" جاء نتيجة ديناميكية المجتمع الكوردي وبذله للتضحيات في الجبهات من أجل حياة حرة كريمة، وحاجة البعث إلى الوقت للتفرغ إلى مشاكله الداخلية وتأمين بقائه في السلطة دفعته إلى توقيع بيان أذار كإجراء وقتي. بقيت القيادة في السنوات الأخيرة، بعيدة عن حياة الجبهات وتعيش في عالم مترف على بعد كيلومترين من الحدود الإيرانية في [حاج عمران] بالذات، حتى طعامها وكساؤها يأتي من الأسواق الإيرانية، حيث تتمكن من الهرب بكل سهولة وخلال دقائق متى ما حصل التغيير. والانتصارات في الجبهات يقدمها مرتزقة الإعلام الحزبي، الشفهي والمكتوب بأنها من مخطط القيادة وعبريتها العسكرية الفذة!

تحول الحزب الديمقراطي الكوردستاني إلى مطية للأغوات وفي قيادته أميون لإضعاف نفوذ المثقفين والتقدميين وذلك لمنع الحركة والتقدم خارج الدائرة القبلية والتي يرتاح إليها رئيس الحزب وفقط في داخلها يشعر بالأمان، كانت العائلة الحاكمة تتمتع بامتيازات مالية وسياسية ضخمة ولا تريد تغيير تلك الحالة، وبذلك سدت الطريق أمام التغيير سدا محكماً. كان سامي (محمد محمود عبدا لرحمن) يصف هذه الحالة، بعد انهيار الحركة الكوردية ولجوئه إلى بريطانيا، ويكرر وهذا ما سمعته منه، أن القيادة كانت تعاني من فقدان الاحساس بالمخاطر التي تحدق بامتياز بالشعب الكوردي.

لقد انعكس الجمود في موقف القيادة، فهي لا تريد أن تتعلم ولا أن تواكب التغييرات والتطورات التي تجري في المنطقة ولا تأخذ في الحسبان خطط بديلة في حالة حصول تغير مفاجئ في موقف إيران أو العراق أو القوى الدولية ذات الصلة بالصراع في العراق والشرق الأوسط، رغم أن الأمور كانت واضحة تماماً. لا بل لاذت القيادة بالأهوام بدل مواجهة الحقائق على الأرض. لكن المشكل كان مع الشعب

الكوردي الذي بقي يجهل ماهية القيادة ويصدق الدعاية الحزبية المضللة، وهنا كان الثمن باهضاً عندما اصطدم بواقع تخاذل القيادة في ديمومة الحركة في مرحلة ما بعد الاتفاق العراقي الإيراني، وانكشف للشعب جوهر نخبة "الحزب الطليعي، القائد" التي كان يآتمر بأوامرها طوال ما يقارب الأربعة عشر عاماً، لكن بعد فوات الأوان.

الضغط العسكري بموازات الدبلوماسية الإيرانية

شاه إيران لكيسنجر. تموز 1973:

"نحن نمنع تحالفاً بين البعثيين والأكراد والشيوعيين"

كيسنجر يريد التأكيد ويسأل شاه إيران:

هل باستطاعتنا ان نمنعهم

من التوصل إلى اتفاق؟

الشاه: نعم،

يقول هنري كيسنجر: « العام الاول من المجهود السري الكوردي بدا محققاً لهدفه. ففي شهر تشرين الاول/ اكتوبر 1972، نقلت للرئيس نيكسون تقريراً وردني من مدير الـ CIA ريتشارد هيلمز، والذي أصبح سفيرنا في طهران، يعلمنا ان الاكراد يشغلون ثلثي الجيش البعثي، وبذلك لا يتمكن من شن عمليات تخريب وإرسال فرق اغتيالات ضد ايران.¹⁷¹

يعلم هيلمز كيسنجر: "أوصلنا المال والسلاح إلى البارزاني خلال الإيرانيين دون عقبات. وهناك أموال وأسلحة إضافية في الطريق، ليس فقط من مدخرات الوكالة، إنما من (...كلمات مشطوبة....) أسلحة الفدائيين المسيطر عليها. استلم البارزاني للشهرين الأولين تموز و آب المال نقداً...." ويضيف: "هناك تعاون ممتاز (كلمات مشطوبة.....) الشاه. تفيد التقارير بأن النظام في بغداد والسوفيات قلقون للغاية بشأن المسار المستقل للبارزاني. كما إن الحدّ من عائدات النفط يستدعي اتخاذ تدابير التقشف المالي مما يخلق الاستياء".¹⁷²

سعى ملا مصطفى إلى المزيد من التقرب من الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مقترح خاص وعاجل أثناء حرب أكتوبر، لكن كيسنجر رفض مقترحه، كانت السياسة الأمريكية في خدمة أهدافها هي ولا تبالي بأهداف الحركة الكوردية.

Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 585 171

Kissinger to President Nixon. October 5, 1972. Progress Report on the Kurdish Support Operations 172

في اليوم التاسع من الحرب في الشرق الأوسط والمصادف لـ 15 أكتوبر 1973 حيث تمكن الجيش الإسرائيلي من إرغام الجيش المصري على الانسحاب من سيناء، وصلت رسالة مستعجلة من ملا مصطفى يطلب رأي الإدارة الأمريكية فيما إذا وجب اخذ رأي ضابط ارتباط إسرائيلي لشن هجوم في المنطقة السهلية ضد القوات العراقية. عارض المقترح مدير الـ CIA الجديد Wiliam Colby وأيد الشاه محمد رضا بهلوي وجهة نظر مدير الـ CIA مضيفاً أن الأكراد ليسوا مجهزين لعمليات هجومية خاصة في الأراضي المنبسطة. ويقول هنري كيسنجر: "كان من شأن المقترح الإسرائيلي فقدان الورقة الكوردية كاملاً". ولذا رفضت الحكومة الأمريكية المقترح.¹⁷³ لكن وجهة نظر أخرى تختلف عما ذهب إليه هنري كيسنجر وتشير إلى الدافع المخبأ من وراء عدم موافقة كيسنجر على شن الهجوم: "وَجَرى بحث تقرير محطة طهران في لجنة الأربعين برئاسة كيسنجر. وكان رأي كيسنجر "أن الملا مصطفى قد ينجح في هذه الظروف بأكثر مما هو مناسب لمصالحنا" وبالتالي بعث كيسنجر إلى الملا مصطفى برسالة ينصحه فيها "بعدم استغلال الفرصة"، ولكنه لم يقل له السبب الحقيقي وراء هذه النصيحة واكتفى بأن يقول "إنني أخشى أن يؤدي ذلك إلى تعقيد مشكلتكم."!

174

لكن كيسنجر يدافع عن وجهة نظره فيقول: "أي قرار آخر كان يحمل معه خطر تحطيم الكورد دون ان يكون في ذلك خدمة لإسرائيل. وتسلم البارزاني رسالتي في نفس اليوم الذي كان الجنرال أرييل شارون يعبر قناة السويس مع قواته المدرعة. وبعد ذلك بستة أيام توقفت حرب الشرق الأوسط."¹⁷⁵

هناك تناقض بين ما يقوله كيسنجر وبين ما يقوله مسعود ملا مصطفى بشأن طلب ضابط الارتباط الاسرائيلي من الزعامة الكوردية بشن حرب ضد الجيش العراقي في الاراضي المنبسطة خلال حرب اكتوبر، بالنسبة لكيسنجر: "كان ذلك النوع من

Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 587

الحل والحرب. محمد حسنين هيكل. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت . 1977 ص 139.

Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 175

المقترحات التي من خلالها يتمكن ضابط ارتباط من رفع رصيده في بلاده.¹⁷⁶

في حين يقول مسعود على هامش تعليقه على ما ورد في كتاب كيسنجر: "ان العرض الذي قدمه الضابط الإسرائيلي كان نيابة عن حكومته وحلفائها أمريكا وإيران".¹⁷⁷ ما يذكره مسعود غير منطقي، فمن غير الممكن ان يمثل ضابط الارتباط الاسرائيلي غير حكومته ولا يعقل ان يمثل ثلاث حكومات، الولايات المتحدة الامريكية وإيران وإسرائيل!! هنا أيضاً تخبط في التقييم فالمصالح بين الدول الثلاث، أمريكا وإسرائيل وإيران، ليست متطابقة كلية. فإيران لم تهتم بما سيكون موقف تل أبيب أو واشنطن عندما تحقق أهدافها من وراء مساعدة الحركة الكوردية. فبشأن مقترح ضابط الارتباط الاسرائيلي بشن الهجوم خلال حرب أكتوبر، يكتب هنري كيسنجر إلى ملا مصطفى: "نحن لا - يكرر لا - نوصيكم القيام بعمل عسكري هجومي كالذي اقترحه الإسرائيليون".¹⁷⁸

ومن جانب آخر، لو افترضنا أن ما يذكره مسعود صحيح، فالسؤال الذي يتبادر إلى الذهن، هو، لماذا إذن رفضت طهران وواشنطن مقترح موظف ينوب عنهما - ونعني ضابط الارتباط الإسرائيلي؟

لكن السؤال الأهم هو، أين كانت إرادة الحركة الكوردية التحررية؟ هل أصبحت الزعامة الكوردية فاقدة الإرادة ولا تتمكن من التحرك إلا بأمر من الخارج؟ لماذا يقترح ضابط الارتباط الإسرائيلي وتقدم القيادة الكوردية مقترحه إلى واشنطن لكي تتأكد من شن الهجوم أو التخلي عنه؟ ومتى كانت واشنطن أو الشاه أو إسرائيل ملتزمين بتحقيق الأهداف الوطنية الكوردية؟ ألا يعني هذا الموقف التابع للخارج أن القيادة الكوردية تتصرف كأداة بيد قوى خارجية؟ وأنها تخلت عن استقلالية القرار؟ الا يعني هذا ان الشعارات التحررية التي رفعتها القيادة الكوردية كانت للاستهلاك المحلي ولم تكن صادقة حتى مع شعبها؟

ibid page: 587 176

البارزاني والحركة التحررية الكوردية. مسعود البارزاني. أربيل 2002. ص: 872 177

Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 587 178

في صباح 24 تموز من عام 1973 إجتمع شاه ايران بالرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون بحضور هنري كيسنجر في Oval Office ، وبدأ الحديث في الساعة 10:34 صباحاً واستمر إلى 12:35 بعد الظهر. وتلا ذلك وفي نفس اليوم اجتمع آخر بعد الظهر حضره كيسنجر، ريتشارد هيلمز وهارولد سوندرز من الجانب الأمريكي، ومن الجانب الإيراني، الشاه و اردشير زاهدي، والأخير كان سفير ايران في واشنطن. بدأ الاجتماع الثاني في نفس اليوم في الساعة 5:00 حتى الساعة 6:40 مساءً. المكان:

الصالون الذي يستقبل فيه الشاه ضيوفه في Blair House.

ففي الاجتماع الذي دار صباحاً بحضور الرئيس الأمريكي نيكسون وكيسنجر، عرض الشاه وجهة نظره في قضايا الحرب الباردة والتي تشغل باله وموضع اهتمام البيت الأبيض. من هذه المواضيع: فرنسا وخوفها من إهمال الولايات المتحدة لأوروبا. السوفييت يمارسون دوماً سياسة التهديد، الألمان خائفين من سياسة بريجنيف في إحداث الصدمات، وأن السوفييت حاولوا ممارسة نفس السياسة معنا لكنني أخبرتهم: "إذا ما استخدمتم سياسة القوة سوف نستخدمها أيضاً. على السوفييت ان يفهموا اننا قررنا البقاء مستقلين." يرد عليه نكسون: "وأنتم مستعدون للموت من أجل ذلك، هناك قلة مهيأة لذلك". ثم يدور النقاش حول باكستان والهند والانقلاب الذي حصل بدعم سوفيتي في أفغانستان، وأن السوفييت سيضغطون باتجاه المحيط الهندي، وثم يتناول دول الخليج والعراق. الخ... وفيما يخص الأكراد يقول الشاه: "إنكم تدعموننا في العراق، من المهم لأسباب سيكولوجية أن يعرف الأكراد أن الولايات المتحدة العظيمة تدعمهم. بريطانيا تقدم العون كذلك إسرائيل. تركيا غير راغبة في التعاون، لدى تركيا نقطة ضعف دائمة تجاه العراق وخوف من الأكراد. نحن نمنع تحالفاً بين البعثيين والأكراد والشيوعيين." ثم يكرر الشاه العبارة: "نحن نمنع ذلك."¹⁷⁹

كان وجهة نظرالشاه في بداية السبعينات أن أمن بلاده مهدد بشكل رئيسي من محورين: الاتحاد السوفيتي شمالاً ومن الغرب العراق والقوى الراديكالية العربية المتحالفة مع السوفييت. وكانت سياسته تتلخص في خلق المصالح الاقتصادية والتجارية الكبيرة مع الدول ضمنها الاتحاد السوفيتي، بحيث يردع العدوان على بلاده، ويذكر موجهاً كلامه إلى نكسون:

"أؤكد لكم سوف لن نقبل أي شيء من الروس يمس استقلالنا ومسيرتنا التقدمية.

لكي نقاوم ينبغي ان نحقق التقدم لبلادنا . يجب ان يتكون لدى الفلاحين والعمال الشعور بالمشاركة، ففي مجتمع يتمتع بميزة المشاركة، سيكون محصناً في مواجهة الأعمال التخريبية. سنعمل من أجل السلام بكل طاقاتنا، نعتقد ان على أمريكا إيجاد معادلة بشأن النزاع العربي الإسرائيلي، لايحوز ان نترك العالم العربي في وضع يأس كلى، ففي تلك الحالة سييفقد السادات السيطرة. لسنا مهتمين بفتح قناة السويس، لكن على اسرائيل القيام بتنازلات ويجب ان تحصل اسرائيل على ضمانات.

إنني أعمل على بناء خط انابيب يمتد إلى أوروبا، وبذلك يتولد شعور بأن أمننا غير منفصل عن الأمن الأوروبي، فالدولة الوحيدة المصدرة للنفط إلى أوروبا هي إيران. إن ربط بلادى بأوروبا بخط الغاز، يجعلهم يهتمون بنا. ولا يمكن للروس استخدام سياسة الوفاق الدولية Detente مع أوروبا والغلاظة معنا. عليهم ربط سياسة الوفاق الدولية معنا ومع أوروبا، ولا يمكنهم أخذنا على حدة. هذه السياسة هي أفضل ما أملك من سلاح في غياب السلاح النووي.¹⁸⁰

في هذين الاجتماعين عرض الشاه آرائه بشكل دقيق فيما يخص قضايا العالم وبالأخص أوضاع الشرق الأوسط وخطط احتواء نفوذ الاتحاد السوفيتي في المنطقة. وتناول النقاش المملكة العربية السعودية واحتمال حصول تغيير في النظام السعودي، سواء عن طريق إنقلاب أو تدخل خارجي، وكان ذلك الاحتمال هاجس مخيف لإيران والولايات المتحدة الأمريكية. وناقش الشاه وكيسنجر أهمية إجهاض ذلك، عن طريق خطة طارئة في غاية السرية دون علم الكونغرس، تتدخل إيران وفقها عسكرياً. فيذكر:

"....."

الشاه: من الأهمية بمكان ان نعترف ان إنقلاباً في السعودية قد لا يكون له أية علاقة بالخطط السوفيتية، قد تقوم بها قوى أخرى.

كيسنجر: عندما تقدمون خطة طوارئ بشأن السعودية، لايجب مناقشتها مع أحد عدا هيلمز. لايمن مناقشتها عن طريق التلغرام. وهذا يعني أن السفير زاهدي لايعلم عنها كتابياً.

الشاه: أنا موافق، نحن نعمل ذلك مع الأكراد، ليس لدينا سوى اتصالات شفوية معهم.

كيسنجر: فيما يتعلق الأمر بالأكراد، سنعمل الممكن. أعتقد أن جلالتم على فكرة ان على كلانا تقديم مساعدات أكثر. وإذا ما رأيتم ان هناك حاجات أخرى، سوف ننظر فيها بجدية.

هيلمز: صاحب الجلالة، البارحة عملنا مع الدكتور كيسنجر استطلاعاً حول الوضع الراهن. فالسلاح الذي تمت الموافقة عليه منذ عام، مهياً حالياً. ومانحتاجه الآن هو النظر إلى كيف يمكن تهيئة الأكراد حتى ينجزوا ما نأمله نحن منهم. وعلى أساس هذه المراجعة نقرر ماهي الحاجات الإضافية لكي نلبها.

كيسنجر: سوف نرى فيما اذا كانت هناك حاجات أخرى يستوجب القيام بها.

الشاه: يجب التأكد من ان لديهم (.....) كل ما يحتاجون، وعلينا ايضاً مساعدتهم في إدارتهم. فإن احتاجوا مثلاً إلى منظمة صحية، علينا النظر في ذلك وهل يمكننا مساعدتهم.

كيسنجر: الرئيس موافق مع جلالتم في الأهداف بشكل عام. مشكلتنا اننا غير ملمين بشكل كاف هنا في واشنطن حتى يكون لدينا قرار واضح فيما ينبغي عمله. سوف نقوم بعمل برنامج ونواصل الاتصال مع جلالتم.

الشاه: هناك شيء آخر يجب القيام به، علينا العثور على عدد من العراقيين من غير المهاجرين .. وإرسالهم إلى الشمال قرب المناطق الكوردية لتشكيل حكومة وطنية موحدة أو أي تسمية اخرى يريدونها. الأكراد يجب ان يبقوا ضمن الدولة العراقية ويطلبوا حلاً هناك. لكن الأداة الوحيدة لدينا للتأثير على الحكومة العراقية هم الأكراد فقط.

كيسنجر: الرئيس يريد بذل جهود كبيرة. هل تم تنسيق ذلك مع أشخاص تابعين لكم، أم أنها عملية مقتصرة على الأمريكيين؟

هيلمز: لقد تم التنسيق بشكل تام وبالعامل (مشطوب.....).
الشاه: نعم، جيد. سوف يكون هناك عذر للأكراد كي لا يتفقوا مع الحكومة العراقية.

كيسنجر: هل باستطاعتنا ان نمنعهم من التوصل إلى اتفاق ؟
الشاه: نعم. لكن الروس يمارسون ضغطاً مكثفاً على الأكراد للاتفاق مع الحكومة العراقية والإنضمام اليها. لكن البارزاني (الزعيم الكوردي) وعد ان لا يقوم بأي شيء دون موافقتنا. وطلب الدعم المعنوي للولايات المتحدة الأمريكية. قلت له ممكن ان نوفر ذلك. وقلت للبارزاني بأنني لا أريد منه ان يجد دولة مستقلة، لأن ذلك سيكون مبعث خوف هائل لدى تركيا، نحن لانريد اخافة الأتراك بلا ضرورة. إن هذه ورقة رابحة لانريد ان نخسرها.

كيسنجر: الرئيس موافق.¹⁸¹

كان بإمكان القيادة الكوردية استغلال نقطة الضعف هذه لدى الشاه وفرض بعض الشروط الهامة عليه، وذلك قبل ان يعد ملا مصطفى الشاه بأنه لن يقوم بأي شيء دون موافقته، لكن التركيبة اللاديمقراطية للقيادة الكوردية وتحكم المنطق القبلي الفردي، حال دون اجراء نقاشات واسعة في المكتب السياسي لتبني استراتيجية على المدى البعيد وتضادي الفخاخ التي ينصبها "الحلفاء المؤقتون". ان احتكار ملا مصطفى للعلاقات الخارجية، وهزالة مكتبه السياسي، أدى إلى شلل في القدرة الكوردية في إدارة العلاقات الخارجية، وإقتصر أسلوبه الشخصي على طلب العون، بالأخص العون المالي. والمستجدي لايفرض شروطاً، فمعروف كان ملا مصطفى يجامل الشاه إلى حدود غير معقولة، ويكرر له إنه طوع أوامر، وهو نفس اسلوب تعامله مع الضباط البريطانيين في الأربعينات. كان كل مرة يدخل على الشاه يقبل يده ويبدى له الطاعة المطلقة، ورغم ذلك لم يصدق الشاه، وأكد لي هذا أحد القياديين الذي رافق ملا مصطفى في معظم لقاءاته بالشاه، وذكر نفس الشخص وهو لا يزال على قيد الحياة: " كنا نضطر أيضاً تقبيل يد الشاه مكرهين". وعلى رغم التعامل مع موسكو و واشنطن وطهران وبغداد وتل أبيب ولندن لأمدٍ تجاوز عشرة أعوام، بقيت عقلية القيادة الكوردية غير مرتبطة بروح العصر، ولم تخرج من إطار القبلي

The White House Washington. Memorandum. Exclusively Eyes Only. Tuesday, 181
July 24, 1973. 5:00-6:40 p.m.

الجامد، وقاصرة عن انتشار القضية الكردية من لعبة التداول بين القوى الإقليمية والدولية. بقيت - ورقة ضغط في يد قوى معادية لحقوق الشعب الكردي - .

كان الشاه قلقاً من حصول انقلاب في السعودية، كذلك في الأردن. وقال لكيسنجر: "إن سقط الأردن، فلن يبقى للسعودية أو للكويت أي مستقبل. ويرد كيسنجر:

إن هوجم الأردن، سوف نشجع إسرائيل ثانية لتقوم بحشد قواتها وتهرع لنجدتهم. ونتخذ نحن بعض الخطوات. قابلية المناورة ستكون اقل مما كانت عليه في شهر سبتمبر 1970. في ذلك الوقت كان العراق يهدد الأردن. سيكون مفيداً لو علمنا بأن تعبئة للقوات الإيرانية ممكنة أو حتى نشاط عسكري إيراني، هذا مهم بالنسبة لنا لو عرفنا. الشاه: نعم، لدينا أيضاً الأكراد. فيما يخص الأكراد. بإمكان كلينا ان نقدم إلى حد ما دعماً مباشراً أكثر. يشعر حزب البعث حالياً بالضعف. إنهم يقولون أشياء جيدة للغرب الآن لكسب الوقت. لكنني أبلغت الأكراد أن عليهم أن لا يشتركوا مطلقاً في أي تحالف حكومي. وقلت لهم عليهم أن يتوقفوا عن استقبال الممثلين السوفييت أو ممثلي البعث من بغداد. لكن طلبنا هذا منهم يقتضي منا أن نعطيهم أموالاً أكثر. السفير هيلمز: نعم، ربما يتعين علينا أن نعطيهم أكثر بعض الشيء.

كيسنجر: مبدئياً يمكنكم الاعتماد على ذلك....."

(.....)

كيسنجر: صاحب الجلالة، فيما يخص الأردن، أنا من المعتقدين بأهمية دراسة الخطط قبل حصول الازمات. فما أن تبدأ الازمات، سيكون هناك الكثير من الالتباس بحيث يصعب دراسة ما يتوجب عمله. هل ممكن لجلالتكم أن تأمروا بخطط طوارئ لوضع يتعرض فيه الأردن لهجوم من سوريا والعراق؟

قد يكون من المفيد تبادل وجهات النظر في هذا كما هو الحال مع خطة الطوارئ السعودية. تعملون هذا فقط مع هيلمز وهو بدوره يبلغنا عن طريق رسول. أن هذا مهم كي نعرف ما الذي سيحدث.

الشاه: قد أتصل بالملك حسين. من الممكن أن نلعب الورقة الكردية وان نشجعهم على البدء بالمناوشات. هذا يؤدي إلى جلب القوات نحو شمال العراق بعيداً عن الأردن. وبإمكاننا كذلك تعزيز حدودنا.¹⁸²

(.....)

(.....)

يتضح من الحوار السالف أن سياسة طهران وواشنطن كانت تتجاهل حقوق الشعب الكوردي، وكانت تخدم بالدرجة الأولى مصالحهما في المنطقة وتعاملتا مع القيادة الكوردية بأسلوب يمس الكرامة الوطنية ولا يليق بحركة تحررية وطنية هدفها تحقيق الحقوق القومية لشعب يعاني من الاضطهاد القومي. لكن المسؤولية في مثل هذا التعامل الواطئ يجب أن يوضع على باب القيادة الكوردية التي تصرفت كمتسول وليست تجسيدا لنضال شعب تأثر يقدم التضحيات بسخاء في معركة النضال التحرري.

وفيما يتعلق بالحزب الشيوعي العراقي، فقد مارس الاتحاد السوفيتي الضغط عليه للانضمام إلى الجبهة الوطنية والتفاهم مع البعث. هنا نحن أمام وضع تتجاهل فيها القوى العظمى متطلبات الديمقراطية والاستقرار الداخلي في العراق وحتى مصالح زبائنها المحليين، من أجل مصالح القوى الدولية، وينصاع اللاعبون المحليون لهذه السياسة، القيادة الكوردية تتبع نصائح الشاه، والحزب الشيوعي العراقي يتبع موسكو. وبكلمة أدق أصبح دور اللاعبين المحليين دوراً تابعاً، فاقداً لاستقلالية القرار، ومن هنا رسوخ التبعية السياسية للخارج. إن فسخ التعاون بين (حشع) و(حدك) صبت مباشرة في صالح صدام حسين وشاه إيران وواشنطن وموسكو، ملحقة الدمار بالحزب الشيوعي العراقي وبالشعب الكوردي. فعندما يسأل كيسنجر الشاه بنوع من القلق في إمكانية منع التفاهم - الكوردي - الشيوعي - البعثي - يظهر مدى أهمية فسخ الوحدة الوطنية في العراق لصالح أهداف الصراع الشيوعي الرأسمالي في المنطقة خلال ذروة الحرب الباردة. وهذا لا يعني أن الوحدة الوطنية تمزقت بفعل التدخلات الخارجية وحدها، فقد أثبتت النخب الحاكمة والحزبية في العراق عدم نضج سياساتها لخدمة المجتمع العراقي ككل، إذ طغت دوماً روح فردية، نخبوية حزبية أو مذهبية أو طائفية في سلوك القادة المحليين. فقد مارسوا "سياسة المجتمع في خدمة النخبة وليست النخبة في خدمة المجتمع". كما ظهر فقدان الحزب الشيوعي العراقي لسياسة مستقلة وتورط الزعامة الكوردية في علاقات خارجية لا تتحكم هي في مسارها، بل أمسّت وبالاً على الشعب الكوردي.

بعد أكثر من عقد من الزمن في قيادة الحركة الكوردية، لماذا لم تتمكن الزعامة

الكوردية من تقييم سياسة طهران على حقيقتها، أليس من المنطق ان دولة معادية للحقوق الكوردية لا تقدم المساعدة الا خدمة لأهدافها هي، ومساعدة من الشاه لا يمكن الا ان تكون مسمومة وقاتلة، عندما تدير هذه العلاقة قيادة ساذجة غير آبهة بمشاريع الشاه الخفية. استبشرت الزعامة الكوردية بإنشاء روابط مع إسرائيل ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وظنت أنها تجاوزت (شرطي المرور الإيراني)، دون ان تدرك أبعاد العلاقة بين طهران وتل أبيب وواشنطن. كانت سياسة الشاه هي الابقاء على الزعامة الكوردية [جاهلة] و[ضعيفة] و[معزولة]، لكي يستخدمها لتحقيق مشاريعه. ولعل العامل الذي ساعد نجاح سياسة الشاه هو عامل " تمسك الزعامة الكوردية بالمنطق القبلي القاصر في فهم طبيعة العلاقات الدولية وإدارة الصراع الديبلوماسي خلال الحرب الباردة وكرهاها في تعلم الجديد. ومن هنا أصبح سهلاً خلق انطباع أو بشكل أدق (خلق الوهم) لدى الزعامة الكوردية، من خلال فتح نافذة على واشنطن وتل أبيب، أنها - القيادة الكوردية - تعول على ثلاث دول وليست دولة واحدة. وكان هذا الوهم قاتلاً. فطهران هي التي صممت هذه السياسة مع تل أبيب وواشنطن، وطهران كانت تملك مفاتيح هذه العلاقة.

كانت الزعامة الكوردية كما رأينا تستقوي بالخارج وتهدم الجبهة الداخلية الكوردية، وفاقدة الإحساس بمشاعر الشعب الكوردي وحقائق المجتمع. متلهفة نحو كل ما يمس العلاقات الخارجية إلى حدود التخلي عن الكرامة الشخصية وبنزعة قوية من قيم "المرتزقة".. وكان رئيس الحزب يقول لرجال البعثة الإسرائيلية: "إنه يعتبر إسرائيل بمثابة دولة عظمى. وكان يقول بإعجاب وتقدير إن اليهود يسيطرون على معظم أموال العالم، لذا لا يستطيع ان يفهم الأسباب التي تمنع إسرائيل من وضع مليون دولار تحت إمرته شهرياً، أو منحه قرصاً بحجم ميزانية سنوية؟ وكان يؤكد أن هذه الأموال ستعاد إلى إسرائيل حتى آخر (سنت) في أعقاب انتصار الأكراد على العراقيين"¹⁸³

ويعلق على نفس الموضوع ماثير عميت، مدير الموساد: "في الوقت الذي حاولنا فيه مناقشته - يعنى ملا مصطفى - حول الوضع العسكري، وحول تنظيم التمرد، وضرورة توجيه ضربة شديدة للعراقيين المهزومين، تمسك البارزاني طيلة الوقت

183 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 125

بالحديث عن الأوضاع الاقتصادية الفظيعة والتي لاتطاق، والتي تقلقه إلى ما لانهاية. وحينما حاولنا ان نصف له الصعوبات التي نواجهها لكوننا شعباً صغيراً، بدا انه لا يسمع ما نقول، ولا يفهم، ويصر على القول: أنتم تستطيعون فعل كل شيء وستقدمون لنا المساعدة.¹⁸⁴

وعندما اقترب الوضع مع بغداد من الانفجار عام 1974، حذرّ شاه ايران الولايات المتحدة الامريكية من ان "هزيمة الاكرد ستزيل احدى الاطارات التي تشكل التوازن داخل العراق وتزيد الراديكالية والنفوذ السوفيتي في المنطقة، مضخماً التهديد على الخليج وايران".¹⁸⁵ كما تعالى صوت الزعامة الكوردية في طلب المزيد من العون المالى من حليفاتها بعد فشل المفاوضات مع البعث. يقول كيسنجر: "في آذار 16، 1974، عرض علينا البارزاني خيارين لاستراتيجيته المقترحة: منحه 180 مليون دولار للحكم الذاتي الكامل، و360 مليون دولار لتأسيس ماسماه بالبنية التحتية "المناسبة" للاستقلال"¹⁸⁶... لانعلم كيف تم اجراء الحساب ولاكيف توصلت الزعامة الكوردية إلى ذلك الاستنتاج الغريب، واحد للحكم الذاتي والآخر للاستقلال، هنا نحن امام نقص كبير في فهم العلاقات الدولية، فالولايات المتحدة الأمريكية لم تكن على استعداد لإغضاب إيران او تركيا من اجل الأكراد. كما انها لم تكن على استعداد لمنح القيادة الكوردية الحد الأقل من المبلغ المطلوب، لأن ذلك: "كان يتجاوز كل الميزانية المخصصة للعمليات السرية التي تقوم بها الولايات المتحدة" حسب قول كيسنجر.¹⁸⁷

هنا أيضاً نحن أمام وضع يبعث على التساؤل، فالزعامة الكوردية تترك خيار "الحكم الذاتي" و"الاستقلال" لواشنطن، لكي تختار احدهما، وتسلم العون المالى المحدد لكل خيار وحسب ماتريده واشنطن!، والزعامة الكوردية بانتظار هذا التحديد، أو بالأحرى "الأمر" لتقوم بتحقيق الهدف الذي تحدده واشنطن! أما ارادة الشعب الكوردي فلا أهمية لها عند القيادة الكوردية، إذ لا يتجاوز أن يكون الشعب وسيلة

184 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997.

ص : 159

Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page 588.

Ibid. Page: 588 186

Ibid. Page: 588. 187

لتحقيق طموحات قيادة تنتظر الأوامر من الخارج.

في أول تقرير سنوي عن السياسة الخارجية رفعه الرئيس نيكسون إلى الكونكرس في 18/02/1970 بحوالي ثلاث أسابيع قبل التوقيع على اتفاقية آذار 1970، يذكر مايلي:

”...ان هدفنا في المبادرة الاولى هو ترسيخ مصالحنا للأمد البعيد خلال سياسة خارجية متزنة. وكلما بنيت تلك السياسة على تقييم واقعي لمصالحنا ومصالح غيرنا، سيكون دورنا في العالم أكثر فاعلية. فتدخلنا في الشؤون العالمية ليس بسبب أن لدينا التزامات، ولأن لدينا التزامات لكوننا مقحمون. إن مصالحنا يجب ان تحدد التزاماتنا، وليس العكس.¹⁸⁸ لم يشر الرئيس إلى أية التزامات أخلاقية لأي جهة كانت.

أما كيسنجر فيقول، انه أعطى تعليمات إلى Helms لابلاغ الاثنين، الشاه وملا مصطفى بما يلي:

”نرى ان مصالح الولايات المتحدة تكمن في (a) تمكين الأكراد الاحتفاظ بإمكانية معقولة للتفاوض من اجل الاعتراف بحقوقهم من قبل حكومة بغداد. (b) ضبط حركة الحكومة العراقية الحالية، لكن (c) عدم تقسيم العراق بشكل دائم لأن منطقة كردية مستقلة لا تمتلك المقومات الاقتصادية للبقاء، وليس لدى الولايات المتحدة الأمريكية مصلحة في غلق الأبواب امام علاقات جيدة مع العراق تحت زعامة معتدلة.“¹⁸⁹

مادة (a) لا تتسجم مع خطط الشاه، فالأخير كان يهدف إرغام بغداد على القبول باتفاقية جديدة تضمن له توسيع أراضيه لتشمل نصف شط العرب، وفي نفس الوقت سحب البساط من تحت أقدام الحركة الكردية لكيلا يتكرر التفاهم مع نظام بغداد كما حصل في بيان آذار عام 1970. لابل كان الشاه من أنصار إحياء حلف بغداد، أي تعاون الدول المحتملة لكوردستان، ضد الحركة التحررية الكردية ومعاداة المد الشيوعي.

Years of Renewal. Henry Kissinger. Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 98

Years of Renewal. Henry Kissinger. Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page:589

لذا مايقوله كيسنجر نشك في صحته، وإن كان صحيحاً لماذا لم يردّ كيسنجر على رسائل الاستغاثة التي بعثها ملا مصطفى في أعقاب اتفاقية الجزائر؟ ولم تفعل الولايات المتحدة شيئاً لانقاذ الحركة الكوردية من الانهيار الصاعق والمفاجيء؟ هل كانوا يأسين من قابليات الزعامة الكوردية؟

وكما شاهدنا أثناء الحوار بين الشاه وكيسنجر في 24 تموز عام 1973 يتسائل الأخير بما نصه: "Can we keep them from coming to terms?"¹⁹⁰ إن هذا يثبت ان واشنطن وطهران كانتا تعملان على منع التفاهم بين أطراف القوى السياسية الرئيسية داخل العراق. ودون ضمانات للشعب الكوردي، والذي دفع ثمناً باهضاً لجهل وأنانية قاداته.

كانت اتفاقية (Détente) - سياسة الوفاق الدولية - الموقعة بين نيكسون وبرجنيف، في شهر مايس 1971 تنص على أن الجانبين سيعملان كل ما في وسعهما للحيلولة دون تطور النزاعات نحو تصعيد حدة التوتر الدولي، أو خلق مخاطر جادة في علاقاتهما وتضادى المجابهة العسكرية بينهما. لذا نجد ظاهرة الحروب بالنيابة. فلكل من العملاقين مجموعة دول ترتبط مصالحها بمصالح احدى القوى العظمى. وفي الشرق الأوسط آنذاك كان نفوذ الاتحاد السوفيتي طاغياً في مصر وسوريا والعراق واليمن والصومال. في حين كان النفوذ الأمريكي والغربي في الاردن والسعودية ودول الخليج النفطية وإيران وتركيا ولبنان وإسرائيل.

وحتى من وراء دعم الولايات المتحدة الامريكية لاسرائيل، توخت دائماً إضعاف النفوذ السوفيتي والحلول محله، كما هو الحال مع مصر، إذ يقول كيسنجر: "عندما تسلم ريتشارد نيكسون الرئاسة عام 1969، وجدنا ان المزود الرئيسي بالسلح للعرب (أو على الأقل العرب الذين بقوا في مجابهة اسرائيل) هم الروس وكانوا يدعمون البرنامج الراديكالي للسلم ... فصممنا سياسة بمقتضاها نحبط اية حركة مدعومة بالسلح السوفيتي، لكي تصاب الزعامة العربية بالخذلان وتتوجه الينا خلال الدبلوماسية، بعدها نمهد لوضع نتمكن نحن التحكم في بلورته".

The White House Washington. Memorandum. Exclusively Eyes Only. Tuesday, 190
July 24, 1973. 5:00-6:40 p.m.

من نتائج حرب أكتوبر 1973 أن أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية المزود الرئيسي بالسلح لإسرائيل وبذلك حلت محل فرنسا والتي كانت الممول الرئيسي بالسلح لإسرائيل قبل حرب أكتوبر 1973. كما ان حرب يوم الغفران واستخدام الدول العربية سلاح النفط الفعال ورفع أسعاره وما مثله ذلك من تهديد لمصالح الغرب واليابان، ساهمت في حضور أمريكي أكثر كثافة في الشرق الأوسط، كما وجدت في قوة إسرائيل العسكرية فائدة في عملية وقف التغلغل السوفيتي في المنطقة. والنصر العسكري الإسرائيلي فتح الطريق لشن دبلوماسية أمريكية ناجحة في المنطقة.

كان الصراع العربي الإسرائيلي يتزود بالسلح من المعسكرين الرأسمالي والاشتراكي، ونجد أن السياسة الأمريكية كانت الأكثر نجاحة على الأمد البعيد. فرغم جهود السوفييت الدبلوماسية العظيمة وبناء جسر جوي وبحري لإمداد مصر وسوريا بالأسلحة المتطورة أثناء حرب أكتوبر عام 1973، خسر الاتحاد السوفيتي نفوذه في مصر بسرعة، ولم يأبه السادات بحليفه الذي مكّنه من تسديد ضربة عسكرية هامة لإسرائيل. كما فعل صدام حسين مع السوفييت بعد أن أمم النفط بدعم سوفيتي وحارب بالأسلحة السوفيتية الحركة الكوردية، فقد وقع على اتفاقية الجزائر دون استشارة السوفييت. لقد تمكنت واشنطن من استخدام النصر العسكري الإسرائيلي لصالح إبعاد النفوذ السوفيتي من مصر والشرق الأوسط - وهي إحدى أهم الدول في العالم العربي - والحلول محله. وفعلاً تعتبر مصر من الدول الملتصقة بأمريكا، ومعتمدة على المعونات الاقتصادية الأمريكية. ومرتبطة بإسرائيل باتفاقية كمب ديفد. أما بالنسبة لنفوذ واشنطن في العراق، فقد اقتضى الانتظار إلى الحرب العراقية الإيرانية لكي تقف واشنطن مع العراق للنيل من إيران، ثم تحتل العراق عسكرياً عام 2003.

إن الأمن القومي لشعب من الشعوب وكما هو بالنسبة للدول موجود في أرض الوطن ومع الشعب والارتباط الحقيقي بآلامه وآماله. كان العدل الاجتماعي غائباً عن ذهن الزعامة الكوردية وقد سقنا شواهد، عدّة للاستدلال على ذلك. فالأمن القومي لا تحميه علاقات خارجية كالتّي ارتبطت بها الزعامة الكوردية بجهاز السافاك الإيراني أو بوكالة المخابرات المركزية الأمريكية أو الموساد الإسرائيلي، لا بل لم تسع القيادة الكوردية حتى الاستفادة من العون الخارجي لصالح تقوية الجبهة

الداخلية وتهيئتها لمجابهة التحديات والعمل على تحقيق الانتصارات العسكرية والتي من شأنها تغيير موازين القوى لصالح النضال الكوردي، وبذلك تكسب اهتمام الدول الخارجية ويحسب لها حساب جدّي، بل استفادت من المعونات الخارجية لتقوية "النفوذ الفردي". لم تكن الروابط الخارجية تكملة لبناء الداخل، إنما العكس، كان أسلوب استخدامها لإفساد وهدم المناعة الداخلية. فالسياسة الخارجية يجب ان تخدم مصالح الداخل، وبالنسبة للحركة الكوردية كان ينبغي لعلاقاتها الخارجية ان تعزز قاعدة الحركة الكوردية وقوات الأنصار وتوفير عوامل الديمومة والفاعلية في قهر القوات العراقية وإرغامها على التخلي عن سياستها العدوانية ومصادرة الحقوق الكوردية. لقد مثلت السياسة الخارجية نقطة ضعف كبيرة في الحركة الكوردية مما أدى بها إلى الدخول في لعبة "التداول" بين عدد من اللاعبين من الدول المعادية لحقوق الشعب الكوردي، وفقدت الحركة الكوردية عنصر المبادرة والاستقلالية في اتخاذ القرارات المصيرية.

وفي معرض العلاقة بين انسجام المصالح الداخلية وإتجاه السياسة الخارجية، يجب على السياسة الخارجية تعزيز المصالح الداخلية، فأساس العلاقات الخارجية تمليها ضرورات المصالح الداخلية، وبهذا الصدد يقول هنري كيسنجر في معرض حرب فيتنام التي جابهت نقمة شعبية واسعة في الولايات المتحدة الأمريكية: "ليست هناك سياسة خارجية أقوى من قاعدتها الداخلية".¹⁹¹ ومن هنا هزيمة أمريكا في حرب فيتنام. وفيما يتعلق بالعلاقات الخارجية للحركة الكوردية، فإنها لم تعكس مصالح الداخل، إنما بشكل من الأشكال خضعت مصالح الداخل إلى مصالح الخارج، أي وضع الحصان وراء العربة. وهنا تأتي مسؤولية الزعامة الكوردية، فهي لم تكن مرغمة على إهمال تعزيز قاعدة القوى والعناصر الداخلية الفاعلة في الحركة الكوردية، ويعكس ذلك قصورها وتخلفها في فهم قوانين الصراع السياسي في زمن الحرب الباردة وانتمائها إلى أصول قبلية في التفكير والقيادة. فتصورها عن العلاقات الخارجية كان بدائياً، العالم منقسم إلى قطبين رئيسيين، أي بين موسكو و واشنطن، والدول الأخرى تابعة وعميلة لهذين القوتين العظميين، ووفق هذا المنطق صدام حسين عميل لموسكو وشاه إيران عميل لواشنطن، وبموجب نفس المنطق تصبح العمالة شيئاً

Years of Renewal. Henry Kissinger. . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 470 191

عادياً بالنسبة للزعامة الكوردية، وبنيت علاقاتها الخارجية على هذا النمط.

ويعلق الكاتب الأمريكي¹⁹² Jonathan C. Randal كان الشاه واعياً لثقة ملا مصطفى العمياء بالولايات المتحدة الأمريكية، وأنه غير مطمئن لنوايا طهران، لذا قام الشاه بإقناع الولايات المتحدة بدعم الحركة الكوردية لإزالة هذه الشكوك. لكن البارزاني وقع في الفخ الذي نصبه هو لنفسه، كان يلح على الشاه والإسرائيليين العمل على فتح قناة مباشرة للأكراد مع الموظفين الأمريكيين. لم يتخل الشاه عن محاولاته رغم تكرار الرفض الأمريكي.

لو عدنا إلى عام 1946 نرى أن الدعم الأمريكي للشاه أوقف تهديدات السوفييت التوسعية في آسيا الوسطى وأسهمت في إعادة سلطة الشاه إلى أذربيجان وكوردستان. والآن مرة أخرى تأتي الحرب الباردة لمصلحة الشاه، والحادث الثاني الذي أدى إلى تغيير في موقف واشنطن كان التوقيع بين بغداد وموسكو في 9 أبريل 1972 على معاهدة الصداقة والتعاون لأمد خمسة عشر عاماً. وتمكن شاه إيران بشكل مفاجئ ان يلعب ورقة المنافسة بين القوى العظمى بسهولة لأن السوفييت كانوا قد وقعوا معاهدة مماثلة مع مصر وسوريا. ومن هنا قلق واشنطن في كون السوفييت قد يضغطون على الدول النفطية الضعيفة، المملكة العربية السعودية القليلة السكان ودول الخليج الصغيرة والغير قادرة على الدفاع عن نفسها. ووجد كيسنجر في منطقتي الشاه عن الحرب الباردة أمراً إيجابياً يستحق التجاوب معه. ففي اليوم الثاني بعد مغادرة نكسون طهران، ذكر الشاه لأسد الله علم: "كيسنجر يقدر عالياً استقرار إيران والمسؤوليات التي نتحملها في منطقة الخليج الفارسي" و"ثم يمضي الشاه فيقول لأسد الله علم: "ذكر كيسنجر انه يعتقد ان الروس ذهبوا بعيداً في علاقاتهم مع العراق وانه يجب عمل شيء ما لوقف التعفن".¹⁹³

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 192
Jonathan C. Randal. P: 150

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 193
Jonathan C. Randal. P: 151

والعامل الثالث الذي أدى إلى التغيير في الموقف الأمريكي هو إعلان العراق تأميم شركة النفط العراقية. فبالنسبة لأمريكا والشاه مثلت المعاهدة تغلغلاً سوفيتياً هاماً في دولة شرق أوسطية رئيسية غنية بالنفط وجارة لإيران.

في واقع الأمر لم تكن المساعدات الأمريكية مهمة إن قورنت بالمساعدات التي قدمها شاه إيران للحركة الكوردية من مال وتموين وأسلحة وقوات، لكنها كما يقول Jonathan C. Randal كانت كافية لطمئنة أوهام ملا مصطفى الخطيرة المتعلقة بالحصول على ضمان أمريكي حقيقي للأكراد.¹⁹⁴

وكما نوهنا، كان الشاه متخوفاً من تفاهم يحصل بين المثلث المؤلف من البعث والشيوعي والكوردي، لذا كان يسعى إلى إبعاد ملا مصطفى عن التفاهم مع بغداد لكي يبقى ورقة ضغط مهمة في خدمة سياسة الشاه¹⁹⁵

ولإنقاذ العراق من الفوضى والدكتاتورية وضمن الحكم الذاتي لشعب كردستان، بالضبط كان ينبغي تحالف تلك القوى الثلاث باخلاص والتي ذكرها الشاه من أنه يمنع تحالفها. لكن في واقع الأمر هذه القوى كانت متخلفة وقصيرة النظر والطموح الشخصي والحزبي والعائلي يملى السياسات وعلى حساب القضايا المصيرية للشعوب، ومن هنا وقوعها فريسة للمخططات الأجنبية.

وبعد إقامة العلاقات مع وكالة المخابرات المركزية، تغير موقف القيادة الكوردية وأصبحت أكثر جرأة في علاقاتها مع حكومة بغداد ومع الحزب الشيوعي العراقي وحتى مع الاتحاد السوفيتي، والمثال التالي يرينا كيف تم استخدام العلاقات الخارجية المهزوزة أصلاً لإثارة العواطف القومية لدى المسؤولين الكورد (تضليل الذات) ومعظمهم كانوا يجهلون حقائق العلاقات الخارجية التي بقيت حكراً على لرئيس الحزب وولديه] وربما ولو بصورة أقل على الدكتور محمود عثمان وسامي (محمود محمود عبدالرحمن) لكونهما ملمين باللغة الإنكليزية. ففي اجتماع هام في 12/20/1973 اجتمعت اللجنة المركزية للحزب الديمقراطي الكوردستاني ثم توسع الاجتماع

Ibid, page: 152 194

Memorandum. Sensitive Exclusively Eyes Only. Authority E.O 12958 195

ليضم قادة القوات العسكرية للمناطق الكردية (امراء الالوية) وقد خطب الزعيم الكوردي مصطفى البارزاني في الاجتماع قائلاً بأنه (البارزاني) سوف يقاتل الحكومة العراقية اذا تجددت الحرب بنفس الأسلحة المتوفرة لدى الجيش العراقي.¹⁹⁶ في واقع الأمر، ومنذ عام 1966 لم يترك ملا مصطفى مقره الرئيسي في حاج عمران، فقد كان ينقل في كل صيف عائلته نحو المنتجع المفضل لديه (حاج عمران) حيث يسيطر على "النافذة" التي من خلالها يأتي المال والسلاح وتدار العلاقات الخارجية، تاركاً شؤون الجبهات والقتال لقادة هم رجال الحاشية المنصاعين والذين بقوا في مناصبهم حتى النهاية. وبقي ملتصقاً بالنافذة الخارجية حتى الانهيار ومن خلال تلك "النافذة" غادر بهدوء نحو إيران نهائياً.

هذا التصريح المغالى في التفاؤل - اللامسؤول - والموحي بوجود القوة الرادعة في حوزته، ولّد شعوراً زائفاً بالقوة في أوساط المجتمع الكوردي، فالتحق بالحركة عدد كبير من أبناء الشعب، من المدن الكبيرة، ويقول القيادي شكيب عقراوي: "وان كثرة عدد الملتحقين بالثورة الكوردية أحدثت بعض الفوضى والارتباك في صفوف الثورة الكوردية وزادت من الأعباء والمشاكل الإدارية والتموينية وزادت من عدد الضحايا التي قدمتها الثورة الكوردية." ¹⁹⁷ ويضيف: "عندما توتر الوضع في شهر مارس 1974 وظهرت سحب الحرب في سماء كردستان تبدو للعيان فان قوات الثورة الكوردية لم تكن مدربة وجاهزة للحرب، ولم يكن قد جرى الاستفادة من فترة السلام لإعادة التدريب والتنظيم في صفوف الثوار الأكراد." ¹⁹⁸

ويزيد شكيب معترفاً: "وعلاوة على ذلك لم تحاول أجهزة الحزب بعد أن تجدد القتال: "إخلاء المناطق الآهلة بالسكان مما سبب أضراراً لمبرر لها. فقد قصفت طائرات القوة الجوية العراقية خلال شهر نيسان/ابريل 1974 بلدة كلاله وقلعة دزه وجوارتا وحلبجه وزاخو وبلغت الاصابات حوالى الالف من القتلى والجرحى. وقد قدم الشعب الكوردي هذه التضحيات بدون مبرر نتيجة اهمال القيادة الكوردية." ¹⁹⁹

196 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 371

197 ن . م . س . ص : 371

198 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 376

199 ن . م . س . ص : 370

ليس هناك أدنى شك من ممارسة القيادة الكوردية للسلطة دون أية محاسبة، ولو كانت هناك محاسبة لما تجرأت القيادة على التقاعس والكسل إلى حدود التسبب بالكثير من المآسي التي دفع الشعب الكوردي ثمناً باهظاً من أرواح أبنائه على وجه الخصوص.

ولنستشهد ببعض الوقائع الصارخة التي تستدعي تهيئة البديل لديمومة الحركة الكوردية وتفادي الوقوع في فخ مميت، لكن أهملتها القيادة وأصرت على تجاهل المخاطر التي تحدق بالشعب الكوردي، خاصة إنها (القيادة) كانت على استعداد تام للنجاة بجدها وفي أية لحظة مع ما جمعته من غنائم من خلال "طريق حاج عمران"، وكما أسلفنا كانت ومنذ عقد من الزمن تعيش القيادة على حافة الخط الحدودي مع إيران.

يقول الدكتور محمود عثمان: " كان هيلمز واضحاً جداً، قال لنا إنه يستقبلنا لأن الشاه طلب من الحكومة الأمريكية مساعدتكم،" وأضاف عثمان: "كان ذلك السبب الوحيد بالنسبة لواشنطن في مساعدتنا. طالما الشاه يواصل تلك السياسة، تواصل واشنطن أيضاً. شخصياً لم أشعر بالارتياح. لقد ذهبت إلى واشنطن لأن البارزاني طلب ذلك. قمت بواجبي، لكنني لم أقتنع بأن هذه العلاقة جدية بالنسبة لنا. فالأمريكيون لم يتبنوا كلية ذلك، لم تكن هناك ضمانات، لم أكن متفائلاً."²⁰⁰

يقول وزير الخارجية الامريكي السابق هنري كيسنجر: "بنهاية عام 1971 اقتربت العلاقات مرة اخرى بين الاكراد وبغداد من حافة الانهيار، فقد وضع الأكراد اللوم على صدام حسين بسبب محاولة الاعتداء على حياة البارزاني وزادت شكوكهم بتحركه نحو تشكيل حكومة وحدة وطنية ضمت الحزب الشيوعي. وهذا ما عزل الاكراد، وفي شهر نوفمبر 1971 و ثم في شهر آذار 1972، ناشد الشاه نيكسون ليتعاون معه في اسناد البارزاني. وفي 28 شهر آذار توسط ملك الاردن من خلال مناشدة مباشرة من البارزاني لدى نيكسون. وإسرائيل رغم كونها لم تطلب بشكل مباشر مساعدة مالية، التزمت بإعلامنا عن اهتمامها بالاتجاه الذي تسير فيه السياسة العراقية وبالحكم الذاتي للمناطق الكوردية.

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 200
Jonathan C. Randa. P: 152

رفضنا هذه التوجهات التي تتضمن مساعدة مباشرة لأننا لم نكن راغبين في إثارة تدفق المزيد من السلاح والنفوذ السوفيتي. وأشار السفير الأمريكي في طهران Joseph Farland محذراً إذا ما انطلقت العملية السرية فستكون هناك مجازفة ان تصبح مفتوحة بلا نهاية، وإذا ما توقفت، فسنكون معرضين لـ "تفسيرات خاطئة".

في حين يذكر Trita Parsi: "أثناء زيارة الرئيس نكسون ومستشار الأمن القومي هنري كيسنجر لطهران في شهر مايس 1972، أقنع الشاه الولايات المتحدة للقيام بدور أكبر في مهمة كانت مقتصرة إلى حد كبير على إسرائيل وإيران. عارضت وكالة المخابرات المركزية ووزارة الخارجية مشاركة الولايات المتحدة الأمريكية على أساس أن الكورد سيخانون حتماً من قبل طهران، لكن كيسنجر قرر العكس وقال ان هذا يشكل وسيلة جيدة للولايات المتحدة لإظهار دعمها لإيران".²⁰¹

لكن كان شاه إيران يخشى من ان الاتحاد السوفيتي ماض في مسعاه وقد ينجح في تحقيق اتفاق بين الاحزاب الثلاث: [البعث، (حدك) وحشع] وإذا ما نجح السوفييت في هذا المسعى فإن احدى اهم عوامل الضغط السياسي والعسكري في يده ستسقط مسببة ضعفاً كبيراً في موقف إيران تجاه العراق والسوفييت وفي منطقة الخليج الفارسي .. من هنا موقف الشاه المشجع لدعم الزعامة الكوردية وفتح النافذة الأمريكية لدعم الحركة الكوردية، لكن دائماً مع الاحتفاظ بمستوى معين لا يتجاوز الاستنزاف للطرفين؛ الحكومة العراقية والحركة الكوردية. لقد سعى شاه ايران إلى سحب الأكراد من تحالف ثلاثي (كردي - شيوعي - بعثي بمباركة سوفيتية) ونجح في ذلك لثلاث أسباب: الإغراء المالي، الطاعة التي كان يظهرها ملا مصطفى للشاه، وغياب الثقة بين بغداد والزعامة الكوردية إثر سلسلة من محاولات الاغتيال والتهرب من تطبيق بنود اتفاقية آذار 1970. عرف الشاه كيف يسحب ملا مصطفى من هذا التحالف، فقد كان يدرك مدى أهمية واشنطن في تطمين الزعامة الكوردية ويعرف نوايا ملا مصطفى وشخصيته بدقة. لذا وجد الفرصة مناسبة تماماً لخططه عندما زار نيكسون طهران في شهر مايس (30، 31 - 1972) ففي هذه الزيارة أظهر نيكسون للشاه انه الرئيس الأمريكي الأقل تأثراً بالعلاقات الشخصية مع قادة القوة العظمى

Treachorous Alliance. Trita Parsi. Yale University press/new haven and London.2007.page: 54 201

الشيوعية. وفي كلامه الافتتاحي أكد على تصميمه الوقوف إلى جانب أصدقاء أمريكا وإفشال المغامرات السوفيتية في الشرق الأوسط.

يقول كيسنجر: "وجد الشاه نيكسون مستمعاً متجاوباً عندما عبّر عن قلقه من أن "السوفيت يعملون على تشكيل إئتلاف يضم الأكراد والبعثيين والشيوعيين، وبدل ان تكون المشكلة الكوردية شوكة في ظهرهم ستتحول إلى مصدر قوة للشيوعيين"²⁰²

اتخذ نيكسون قرارين نتيجة هذا الاجتماع: إتخاذ إجراء مقابل لصفقة السلاح بين صدام وكوسيجن، فأيد بيع طائرات متطورة جداً والتي طلبها الشاه، لكن أرجئت بسبب خلافات بيروقراطية داخل البنتاغون والتي كانت حول أمرين: إما اختيار تسليم المقاتلات الجوية F-15 العائدة إلى القوة الجوية أو F-14 العائدة إلى القوة البحرية. حلّ نيكسون الأمر بقبوله على التوجهين تاركاً للشاه حرية الاختيار. وفي نفس الوقت اقتنع نيكسون انه دون الدعم الأمريكي للانتفاضة الكوردية أمام بغداد، فإنها ستتهار، لذا كانت هنالك حاجة لنوع ما من المساهمة الأمريكية للإبقاء على معنويات حلفاء أساسيين مثل إيران والأردن، وبغض النظر عن اختلاف دوافعهما ، وكمساهمة أيضاً للاحتفاظ بتوازن القوى الإقليمية.²⁰³

بعد زيارة نيكسون للعاصمة الإيرانية، استفسر السفير الإيراني لدى واشنطن، أمير أسلان أفشار من الشاه: " فيما إذا تجاوب الرئيس نيكسون مع طلباته ، كان جوابه "نعم، أكثر مما أردته، أكثر مما توقعته". ويذكر الصحفي الأمريكي راندل عن نتائج زيارة نيكسون لطهران وتلبيته لمطالب الشاه: " في الواقع مثلت الزيارة حكاية تحذيرية تظهر خطر الأدعية المقبولة للشاه ولملا مصطفى البارزاني. لقد أسهم الرئيس نيكسون بشكل غير مقصود في سقوط الشاه وفي نشوء حالة انعدام الاستقرار لمدة طويلة في الشرق الأوسط، وذلك من خلال تشجيع أسلوب الحكم الاستبدادي المطلق للشاه وتعطشه للامحدود للأسلحة الأمريكية المتطورة، هاذان العاملان معاً أسهما في تبخر الاقتصاد الإيراني وتقويض الثقة بشخص الشاه، ونجم

Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 582
Ibid. p: 583 203

عن ذلك تهيئة العوامل لثورة آية الله روح الله الخميني بعد خمسة أعوام.

ودون تفكير واضح في النتائج المحتملة، ولكي يسرّ الشاه أكثر، قرر نيكسون الاسهام في تمويل حصة قليلة من النفقات الكلية للبارزاني لتأمين استمرار تحدي التمرد ضد الحكومة العراقية. هذا القرار والذي مثل تحولاً صاعقاً عن الموقف السابق المعتاد والمدافع عن السياسة الأمريكية بشكل عنيد، سبب القرار في دفع الكورد إلى إحدى أكبر الهزائم الحاسمة في تاريخهم وأنهت عقوداً من تبوأ البارزاني قيادة الحركة القومية الكوردية.²⁰⁴

كانت السياسة الأمريكية السابقة والتي ابتعد عنها الرئيس نيكسون تتلخص في عدم تشجيع الشاه في طموحاته العسكرية والجيوسياسية، لكن الشاه نجح في كسر هذا الطوق إضافة إلى تحويل الموقف الأمريكي المعارض، إلى القبول بمساعدة التمرد الذي يقوده البارزاني ضد الحكومة العراقية.²⁰⁵

متل ذلك ابتعاداً هاماً عن السياسة الأمريكية السابقة والتي غلفها كيسنجر بسريّة تامة، ففي السابق ولثلاث مرات، رفض الموظفون في الحكومة والـ CIA منح المساعدة السريّة للأكراد والتي اقترحها الشاه وإسرائيل، وحتى قبل ذلك بثلاث أشهر فقط من لقاء طهران، وبتفاق مع الإدارة الأمريكية ظل كيسنجر معارضاً لهذا البرنامج.²⁰⁶

شخص George W. Ball المساعد في وزارة الخارجية، الآلية التي أدت إلى الكارتئين المرتبطتين، بالقول: "بعد أن دهنّا الشاه كحام لمصالحنا في منطقة الخليج الفارسي، أصبحنا معتمدين عليه." ثم أضاف في تقريره السري: "ولقد تصرفنا وكأن إيران قوة مساوية لأمريكا.... لقد بلغ تأثير حليفنا على سياسة الولايات المتحدة حدوداً جعل (الشاه) يتجاهل إعطاء أية إشارة لشركائه الأمريكيان الأقل مرتبة في قرب نهاية البرنامج السري.²⁰⁷ هذه العبارة استخدمت فيما بعد في تقرير (Pike)

After Such Knowledge, What Forgiveness? My Encounters With Kurdistan. 204
Jonathan C. Randal. P:146

Ibid. page: 147 205

148 : Ibid. page 206

Ibid. page: 147 207

الذي تناول تفاصيل العملية السريّة من أنغولا إلى كوردستان، حيث تسربت الأخبار في وقت مبكر من عام 1976، وأوضح التقرير كيف أن الشاه وبتقاض من أمريكا، أغرى أولاً البارزاني القيام بمعادة الحكومة العراقية، وفي الوقت ذاته حرمان الأكراد عمداً من وسائل الانتصار الضرورية. ومن ثم ودون أية معارضة من واشنطن، تخلى الشاه فجأة عنهم ليقعوا تحت رحمة حكومة بغداد، عندما نال مبتغاه منهم في آذار 1975.²⁰⁸

بلا شك أسهمت المساعدات الخارجية في تعزيز نفوذ ملا مصطفى في كوردستان ولم تؤد إلى تعزيز الحركة الكوردية، المساعدات الخارجية كانت ضرورة هامة لا يمكن نكران أهميتها، خاصة في حالة شعب أعزل ومحاصر بالأعداء من جميع الجوانب. لكن ما تنتقد عليه القيادة الكوردية، أسلوب استخدام المساعدات المالية والعسكرية بشكل أسهم في تفشي الفساد والانحلال، وإضعاف القيم النضالية ومستلزمات تحقيق الثورة لأهدافها التحررية. بنت القيادة استراتيجيتها على "السند الخارجي" كما يقول الكاتب والصحفي محمد حسنين هيكل. إضافة إلى كرهها الشديد "للبدل الداخلي" هنا الدروس والعبر من نكسة عام 1975.

كان هدفنا، يقول كيسنجر: "تحميل العراقيين تكاليف باهضة في فرض نظامهم، تقوية الموقف الكوردي، وبهذا نرغم بغداد على تبني سياسة تأخذ في الاعتبار أمن جيرانها والحكم الذاتي للأقلية الكوردية. وكان الاعتقاد أن المساهمة الأمريكية تشكل أساساً في: خلق الانسجام بين المقاصد المتباينة للشركاء المساهمين مالياً، وكلهم كانوا يعلقون أهمية كبيرة لعلاقاتهم بالولايات المتحدة الأمريكية." ويضيف كيسنجر ملاحظة جد هامة: "ولمنعهم من التخلي عن الأكراد" - هذا التوجه، كما سنرى، لم يكن له وجود. إذ لم يحاول كيسنجر تأمين ضمانات من الشاه لتفادي عدم التحايل على الكورد. وعندما طلبت القيادة الكوردية منه التدخل لصالحهم بعد اتفاقية الجزائر عام 1975 تهرب من الرد على رسائل الاستغاثة التي أرسلها له ملا مصطفى. وواضح انه لا أمريكا ولا إسرائيل ولا قيادة الحركة الكوردية طلبوا من الشاه ضمانات مكتوبة بعدم التخلي عن الأكراد حال حصول تفاهم مع نظام بغداد.

نرى عدم الجدية في العلاقات الكوردية الأمريكية حتى في رسائل هنري كيسنجر إلى ملا مصطفى، فقد كان الأخير يريد زيارة واشنطن، وبأسلوبه القديم، لنيل الخطوة، أرسل 3 سجاجدات إيرانية الصنع لهنري كيسنجر، ثم قلادة مصنوعة من الذهب واللؤلؤ بمناسبة زواجه من Nancy Maginnes، لكن هذه الإيماءة لم تثمر.... حاول ملا مصطفى مرة ثانية زيارة واشنطن، وفي هذا الوقت كان كيسنجر على علم بتفاصيل الموضوع، ويقول الدكتور محمود عثمان، حول رسالة ملا مصطفى المؤرخة في 22 كانون الثاني/جانفي 1975 فقد: "اقتضى كيسنجر شهراً حاسماً لكي يرد على "جنرالي العزيز" ويؤكد له اعجابه به، وان رسائله تحظى بأهمية بالغة وفي أعلى المستويات لدى حكومة الولايات المتحدة الأمريكية...."²⁰⁹

مثل هذه الرسائل من كيسنجر المليئة بعبارات الإعجاب والمدح هي ذلك النوع من الرسائل التي تلقى رواجاً لدى دكتاتوري الشرق الأوسط وتدخل إلى قلوبهم البهجة واكتشاف عظمتهم واهميتهم. ولكنها خالية من كل معنى يمس القضايا الاساسية التي تعاني منها الشعوب. لقد استخدم الداهية كيسنجر هذا الأسلوب مع العديد من زعماء العالم الثالث لعلمه بانتشائهم بهذا الأسلوب المنمق.

يقول محمد حسنين هيكل: "إنّ القوة الذاتية وتجلى الإرادة الداخلية في النضال هي التي تصون فعالية المبادئ الدولية وتجلب احترام الدول لها وليس أصوات الاستغاثة والبكاء. فعلى سبيل المثال، عندما بدأت حرب السويس، في 29 تشرين الأول/أكتوبر 1956 وهاجمت جيوش إسرائيل وفرنسا وبريطانيا مصر، نهض الشعب المصري برمته وحارب بعزم وتصميم، وهذا أدى إلى تغير موازين القوى لصالح مصر، ويعلق على ذلك محمد حسنين هيكل: "يقول همرشولد السكرتير العام للأمم المتحدة "بعد ظهر هذا اليوم أريد أن أعلن ما يلي، إن مبادئ ميثاق الأمم المتحدة هي أكبر من المنظمة التي تمثل هذه المبادئ كما أن الأهداف المتعلقة بهذه المبادئ والمفترض تكليف المنظمة بحمايتها هي أكثر قداسة من سياسة أية أمة أو أي شعب، والسكرتير العام للأمم المتحدة كخادم لهذه المنظمة عليه واجب مواصلة الحفاظ على جدوى دورها وهو لا يستطيع أن يمارس صلاحيته بتجنب اتخاذ مواقف في

After Such Knowledge, What Forgiveness? My Encounters With Kurdistan. 209
Jonathan C. Randal. P:162

الصراعات بين الدول الأعضاء لأنه عندما تُمس مبادئ الميثاق، السكرتير العام عليه أن يقف وأن يعلي صوته ويسمع صوته للعالم... وقف ليقول إن هناك دولتين من الدول الأعضاء صاحبة العضوية الدائمة وهما إنجلترا وفرنسا خرقتا الميثاق لأنهما قامتا بعدوان على مصر ثم أنهما خالفتا بياننا صادرا عن الأمم المتحدة سنة 1950....²¹⁰ ويضيف هيكل: "لا يغيب عن أذهاننا لماذا وقف السكرتير العام هذا الموقف؟ ليس فقط للمبادئ، المبادئ كانت في يد من يستعمل هذه المبادئ، من يحمي هذه المبادئ، الشعب المصري يقاوم، الأمة العربية، في عالم هائج، في مقاومة مستمرة ولو سقطت هذه المقاومة لانهار كل شيء ما كان يجدي أبدا موقف همرشولد أو موقف غيره. لكن أنا لما أقرأ المحضر أقرأ محضر جلسة مجلس الأمن وأقرأ كل المناقشات الدائرة فيه يتضح لي إلى أي مدى استطاعت مقاومة أن تهز ضمير العالم وأن تحرك واحدا مسؤولا عن القانون الدولي، هنا اعمال القانون لا يتأتى إلا بأن أصحابه يببقوا موجودين في طليعة المدافعين عنه، لا ينفع قانون ولا تنفع دعوى ولا تنفع قضية بأي شكل إلا إذا كان أصحابها قادرين على الدفاع عنها لديهم الإرادة الكافية لكي يقفوا ولكي يرى العالم أن هناك حق يدافع عنه وليس حق نسيه أصحابه وناموا عنه...²¹⁰

ليس من شك كان ميزان القوى سيتحول من معاد للحركة الكوردية إلى نشوء عوامل إيجابية لو صمدت قيادة الحركة الكوردية لعدة أشهر، بعد اتفاق الجزائر في آذار عام 1975. لكنها لم تصمد. وقد حث عصمت شريف القيادة الكوردية على مواصلة القتال: "لقد حاولت بكل الجهود الممكنة اقناع سيادة مصطفى البارزاني ومكتبه السياسي بالاستمرار في المقاومة، والعدول عن الحرب الجبهوية الكلاسيكية التي لا مقدرة لشعبنا لخوضها بدون مساعدة اجنبية، والرجوع إلى حرب (البارتيزان) الثورية واساليبها والى طهارة الثورة ونقاؤها كما عرفناها في السنوات الاولى من حرب كردستان، تلك الاساليب وذلك النقاء اللذين أتاحا لثورتنا أن تهزم العديد من الحكومات العراقية ومكنتنا من أن نقفز من نصر إلى نصر. وبتاريخ 1975/3/25 عقدت مؤتمراً صحفياً في جنيف اذعت به بياناً اتوجه به لقيادة الثورة ولليشمركه في الاستمرار بالقتال، مؤتمراً صحفياً نظمه لي (الاتحاد الدولي لحقوق الانسان) وحضره العشرات من الصحفيين ونقلت اخباره الوكالات والاذاعات، ثم بتاريخ 1975/3/26 كتبت رسالة لسيادة البارزاني والمكتب السياسي ارجوهم بها الاستمرار

210 مع هيكل. قناة الجزيرة. تاريخ الحلقة : 2008/6/9

في القتال الثوري حفظاً لمصالح وكرامة شعبنا ولمصيره: وقد حمل الرسالة وفد يمثل (الاتحاد الدولي لحقوق الانسان) ذهب بناء على رجائي له، ولكن الوفد عندما وصل لإيران كان سيادة البارزاني والمكتب السياسي قد غادرا واأسفاه كردستان العراق لإيران....." ويضيف عصمت في كلمته إلى المقاومة الكوردية: "وقد انهكت هذه الحرب الطويلة قوى شعبنا واضعف تخاذل القيادة المنهارة معنوياته، بل إن القيادة المنهارة قد قامت بعمل لا يغفر له وذنّب ما بعده ذنب: وهو تشجيعها لأهالي المنطقة المحررة للفرار بحيث كادت تخلّي المنطقة من السكان (وحزب البعث لا يتمنى أكثر من هذا.....)"²¹¹

ويقول هيكل: " ليست المشكلة مع من تتعامل أو تبني علاقة، إنما أن تكون على أرض ثابتة... ويمكن أن تتعاون مع من تشاء ولكن في شرط أساسي وهو أن نكون على ثقة أننا نتحرك على أرض ثابتة وأن هناك تعهدات ملزمة... لأن الخيال والرومانسية في هذه المسائل والفروسية لا يحل قضايا الصراع، يحل قضايا الصراع فقط تبه الأطراف إلى أنها محتاجة الى ان تمسك بأشياء حقيقية ولا تمسك بأوهام."²¹²

ربما لم تكن هناك ثقة بطهران، كما عبّر عنها ملا مصطفى في عدد من المناسبات، لكن هذا لا يكفي، إذ لو كانت القيادة الكوردية حريصة فعلاً على بقاء الحركة وديمومتها، لسلكت طريقاً آخر يحقق تعزيز الجبهة الداخلية ومواقع الحركة الكوردية عسكرياً وسياسياً واقتصادياً وبإشراك الشعب الكوردي خلال آلية تسمح بمشاركته في صنع القرارات المصيرية وتهيئته للاعتماد على نفسه عند قطع المساعدات الخارجية. كان الشاه متخوفاً من وحدة القوى السياسية داخل العراق وكان ممكناً جراء ذلك فرض بعض الشروط عليه. وقد عبّر عن قلقه للرئيس الامريكي نيكسون بعد عودة الأخير من موسكو في شهر مايس 1972 وتوقفه في طهران. هنا نرى ان الجانب الإيراني كما هو الحال مع الجانب العراقي، يعرف أين تكمن مصالحه وتصرف على أساسه مع القيادة الكوردية. وعرف الشاه كما عرف صدام حسين كيف يتصرف، مع واشنطن بالنسبة للأول ومع الكرملين بالنسبة للثاني.

211 رسالة من عصمت الى المقاومة الكوردية ، تسلّم فقط الى اللذين قرروا المقاومة من البيشمرکه والقواد والمسؤولين، مؤرخة 1975/5/3 لوزان.

212 مع هيكل. قناة الجزيرة. تاريخ الحلقة : 2008/6/9

وجدت إيران أن من مصلحتها تقوية نفوذ ملا مصطفى الشخصي لأسباب واضحة، فمن الصعب التحايل على قيادة جماعية لتمرير خططها الخفية. بينما أسهل مع دكتاتور، خاصة أن ملا مصطفى كان شديد التواضع أمام الشاه إلى حدود يصعب وصفها. كما أن القيادة الجماعية المخلصة تبتدى اهتماماً بالمصالح العليا للمجتمع، في حين اهتمامات الدكتاتور تتمحور حول الذات. علاوة من الصعب التأثير على مجموعة سياسية تناضل من أجل التحرير أو الحصول على حقوق مشروعة لشعب دخل حلبة الصراع المسلح، بينما أسهل إغراء الفرد والتعامل معه. ومن الممكن ملاحظة ثقة الشاه في كونه يملك مفاتيح الحركة الكوردية على ضوء ما قاله هوارى بومدين إلى ممثل وفد الحكومة العراقية عام 1974 أثناء احتفالات عيد استقلال الجزائر. في واقع الأمر اختلفت حرب عام 1974 مع بغداد عن سابقتها. في كون تزايد دور إيران العسكري والمالي في لجم القيادة الكوردية، إلى حدّ وُلد لدى الشاه شعوراً واضحاً بكونه يملك مفاتيح التسوية مع العراق.

يذكر حامد الجبوري في حديث متلفز لقناة الجزيرة: "اختلى بي بومدين، طلبني للحديث معه فاختلينا أنا وإياه فقط، وكان سفير العراق موجوداً وأعضاء الوفد الآخرون. فقط أنا وإياه اختلينا في القصر الجمهوري في الجزائر وأبلغني التالي، أنه هو شاف شاه إيران، أن شاه إيران عنده استعداد أن يفتح صفحة جديدة في العلاقة مع العراق، يعلم جيداً الشاه أن العراق متضايق من الحركة الكوردية في شمال العراق اللي كان الأميركان والشاه اتبينهم يغذونها بالمساعدة المعنوية والسلاح وكذا والإعلام، حتى نقل لي شيء المرحوم بومدين على لسان الشاه، بعض الأحيان عنده شلون يسموها بالإنجليزي Sense of Humor بومدين يعني حب الفكاهة العالية حقيقة، فقال لي حتى الشاه ذكر لي العبارة التالية قال، الحركة الكوردية في شمال العراق مثل الحنفية أفتحها متى أشاء وأغلقها متى أشاء. فبكيفكم، أخلي الحنفية مفتوحة أو أغلقها....." 213

213 برنامج الجزيرة (شاهد على العصر) حوار مع حامد الجبوري. مقدم الحلقة أحمد المنصور.
تاريخ الحلقة 1974/6/9

في الواقع كانت إيران تبحث سبل التوصل إلى اتفاق مع بغداد بكثير من السرية، فقد اكتشفت وكالة المخابرات المركزية ان اجتماعاً عقد في استنبول بدعوة من إيران، في شهر آب/أغسطس 1972 رتبته الحكومة الجزائرية، اجتمع فيها وزيرى خارجية ايران والعراق، وكان شط العرب النقطة الأساسية في هذا الاجتماع، كان الهدف حل النزاع العراقي الايراني وتقوية منظمة OPEC.²¹⁴

وبرغم معرفة القيادة الكوردية بعقد هذا الاجتماع الا أنها لم تستوعب أبعاده، ففي صيف عام 1972 أخبر أرك رولو مراسل اليومية الفرنسية Le Monde لشؤون الشرق الأوسط، الزعامة الكوردية أن الشاه، في مقابلة صحفية جرت حديثاً، تفاخر قائلاً أن بقاءهم - بقاء الحركة الكوردية- هي بيده كالحنفيه، يفتحها أو يغلقها حسب مشيئته. صُدِمَ Eric Rouleau بقلة الأهمية التي جابه بها الكورد تحذير الشاه الجاف وبدا أنهم يهملون أبعاده تماماً. تولد لدى رولو شكوك جادة في قدرتهم على التحليل. "عندما فشلت معلوماتي في فتح أعينهم" يتذكر رولو، "أوعزت ذلك إلى محدودية تجربتهم في المسرح العالمي".²¹⁵ ويعلق Jonathan C. Randal: "إن معظم قادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني، بالأخص المجموعة القريبة من البارزاني، أقتعوا أنفسهم، حتى وقت متأخر، بأن إيران لن تتفاهم مع العراق. لكن من الناحية المنطقية كيف تتمكن واشنطن منع الشاه عندما يريد الشاه ذلك؟ بقي هذا اللغز دون جواب".²¹⁶ ويمضي راندل إلى القول: "لم يتعمق البارزاني في فهم قدرة الشاه المتناهية في اختيار التوقيت المناسب، ميله للقسوة ببرودة دم وتذوقه للعمل الوحشي. ومنذ البداية كانت اللعبة هي لعبة الشاه ولا أحد غيره".²¹⁷ وإن أضفنا أسلوب وأهداف الاستخدام (الداخلي) لهذه المعونات الآتية من الخارج من قبل الزعامة الكوردية، يشكل ذلك كارثة في حد ذاته.

-
- After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 214
Jonathan C. Randal. P: 159
- After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 215
Jonathan C. Randal. P: 159
- After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 216
Jonathan C. Randal. P: 160
- After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 217
Jonathan C. Randal. P: 160

بقيت محدودية الالتزامات الأمريكية في المعسكر الكوردي طي الكتمان الشديد، إلا لأفراد عائلة ملا مصطفى المباشرة وعدد قليل جداً من مساعديه القدامى..... وقبل تجدد القتال مع حكومة البعث، سأل عدد من الكوادر القديمة القلقة عن وجود دعم خارجي "أصرّ البارزاني وإدريس ودكتور عثمان أن هناك ضمانات كافية".²¹⁸

وأثناء القتال الذي بدأ صيف 1974، تبنى الشاه خطوات هامة نتج عنها ترسيخ الأوهام وزيادة اعتماد الزعامة الكوردية عليه، ففتح الحدود بوجه الآلاف من اللاجئين الكورد الفارين من مناطقهم وأسكنوا في مخيمات أو مدن داخل إيران، وزاد تدفق المال على القيادة الكوردية بصورة لا يمكن مقارنتها بالمساعدات السابقة، إلى حدود ألهتها تماماً عن رؤية ما وراء هذه المعونات. وعندما تدهور الوضع العسكري الكوردي، أرسل الشاه عدة وحدات مدفعية لقصف المواقع العراقية، إضافة إلى المضادات الجوية. لقد خلق كل ذلك انطباعاً ساذجاً بالنصر وبالمهارة في إدارة العلاقات الخارجية لدى القيادة الكوردية، مديرة ظهرها للبديل الداخلي عند تغيير محتمل في موقف إيران. وكانت قيادة (حدك) فرحة بتدفق الأموال والاشتراك الفعلي للمدفعية ومضادات الجو الإيرانية في الحرب، وكانت تطلب المزيد من المال والسلاح والغذاء. ويقول شكيب عقراوي وهو قيادي بارز في جهاز أمن الحزب الديمقراطي الكوردستاني: "صيحات قيادة الثورة للإغاثة كانت شديدة على شاه إيران والجهات الأخرى التي كانت تساعد الثورة الكوردية..."²¹⁹ لكن إرادة القتال والمقاومة الوطنية للحركة الكوردية كانت في أدنى المستويات. وهذه نقطة جوهرية في حياة شعب يناضل من أجل حقوقه والدفاع عن كرامته. ليس من شك وكقاعدة في العلاقات الدولية، أن التخاذل في المقاومة لا يجلب الاحترام الدولي لحركة تحرر وطنية، وحتى بالنسبة لدولة عظمى، تحظى بالاحترام عندما تؤكد عزمها وإرادتها في تحقيق مصالحها وأنها على استعداد لدفع الثمن. ويذكر الرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون أنه نتيجة زرع الألغام في ميناء Haiphong وتزايد كثافة القصف الجوي على فيتنام الشمالية في 8 مايس 1972، فقد تكهن البعض من أن السوفييت سيقاطعون القمة المرتقبة في حزيران، اتخذ بريجنيف ورفاقه موقفاً داعماً لحليفهم بالكلمات، وعارضوا إجراءتنا بشدة على

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 218
Jonathan C. Randal. P: 157

سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 390 219

الصعيد الشعبي، لكنهم مضوا قدماً مع القمة لأنهم كانوا يحتاجون إلى علاقات أفضل معنا وبالأخص على ضوء تقربنا من الصين. وإجراء اتنا في فيتنام أظهرت انه ليس لدينا القوة فحسب، إنما لدينا الإرادة لاستخدامها عند تعرض مصالحنا إلى التهديد. لقد ذهبنا إلى القمة من موقف القوة.²²⁰ في حين أثبتت الزعامة الكوردية أنها غير قادرة على المقاومة الذاتية، بسبب سلوكها اللاثوري وفسادها المتراكم لسنين وتقوقعها في إطار شخصي جامد. لقد شعرت بذلك الدول المانحة للمساعدة فاستخدمت القيادة الكوردية لتحقيق مصالحها هي في حين لم يجن الشعب الكوردي ثمار تضحياته.

بقي الجانب الكوردي مركزاً على المال أكثر من تقديم مطالب استراتيجية تليق بحركة تحرر وطنية لتحقيق الانتصارات العسكرية وفرض مطالبه الشرعية. فعقلية الزعامة الفردية وكرها "للبدل الداخلي" أعني تنظيم المجتمع الكوردي وتعبئته لحرب متعددة المناحي ولأمد طويل، وفرّ لشاه إيران ولصدام حسين فرص التفاهم على حساب الحركة الكوردية.

في شهر سبتمبر 1974 استمر تقدم القوات العراقية وتفهم القوات الكوردية، أصبح الوضع العسكري حرجاً إلى درجة زودت إيران القوات الكوردية بالمدفعية ذات المدى البعيد وصواريخ مضادة للدبابات، وفي بداية عام 1975 ظل الوضع العسكري الكوردي خطيراً. ذكر أسدالله علم، وزير بلاط الشاه، في كتابه المطبوع بعد موته عن يومياته: "في 3 شهر كانون الثاني/جانفي، 1975 الشاه مسرور جداً من التقارير التي تشير إلى أن القوات الإيرانية "تقاتل كالأسود..²²¹ وفي نفس الوقت كانت الاتصالات تجري على عدة محاور لتسوية الخلافات بين طهران وبغداد خاصة عن طريق السادات وهواري بومدين وحتى الملك حسين.. وفي أثناء تقدم المفاوضات السريّة بين طهران وبغداد، وبمكر، كان الشاه يراوغ ويلهي القيادة الكوردية، ويمعن في تعميق جهل القيادة بما يجري وراء الكواليس، فنصحهم بزيارة الملك حسين في الاردن لتشكيل حكومة في المنفى مع مجموعات معارضة أخرى. وعندما وصل المبعوثون

The Real War. Richard Nixon. Warner Books Edition. 1980. Page: 112 220

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 221
Jonathan C. Randal. P: 161

إلى عمان، طال انتظارهم أسبوعاً، وفي النهاية رفض الملك اللقاء بهم. وفي بداية شهر كانون الثاني 1975، زار شاه إيران القاهرة للتباحث مع الرئيس أنور السادات، وكان موضوع الخلافات العراقية الإيرانية مدار البحث. بعدها في شهر شباط 1975 أرسل ملا مصطفى إثنين من مبعوثيه برآسة (محمد محمود عبدالرحمن) إلى القاهرة للإلتقاء بالسادات الذي كان ودياً مع الوفد الكوردي، وهنا لم يكن لدى القيادة الكوردية معرفة بقوة المصالح والروابط بين شاه إيران والسادات، فمصالح السادات كانت مع الشاه وصادق حسين، ولم تكن لديه مصالح مع الطرف الكوردي. وتمكن هو الآخر من الاستفادة من الورقة الكوردية في خلق تقدير ونفوذ لدى الدولتين النفطيتين، العراق وإيران.. ويقول راندل: " في هذا الاجتماع أغوى السادات عبدالرحمن بقبول نقل عرض مساومة إلى صدام حسين، تقوم بها مصر نيابة عن الأكراد. ولكن دون معرفة الطرف الكوردي، سجّل السادات الحوار وأرسله إلى الشاه، والذي اعتراه غضب شديد.²²² وربما من هنا سارع الشاه الخطى في الوصول إلى اتفاقية الجزائر في 6 آذار 1975.

ويشير هنري كيسنجر بصدد حوافز وقف الشاه دعمه للحركة الكوردية "حيث شاهد تراجع دور الحكومة الامريكية خلال السنتين بشكل ملحوظ: "..... لكن قطع الاموال عن الهند الصينية في هذا الوقت بالذات لم يشكل عاملاً مشجعاً بالنسبة للشاه للمجازفة ببلاده في حرب مفتوحة مع العراق، وكان ذلك خياره الوحيد المتبقي، أو عدم اعطاء اعتبار لحدوده الطويلة مع الاتحاد السوفيتي دون ضمانات قوية من الولايات المتحدة الامريكية حيث لم تكن بأي حال من الأحوال في وضع يمكننا من اعطاء تلك الضمانات."

".....وعندما التقيت به (الشاه) في 18 شباط في زوريخ أعلمني دون سابق تحذير من انه يجري استطلاعاً للمفاوضات مع صدام حسين. قدمت تقريراً الى الرئيس فورد بهذا الصدد:

" استجابة لمسعى عراقي، يخطط الشاه لمقابلة مع رجلها القوي، صدام حسين. ذكر الشاه إنه لا يقبل بحالة الحكم الذاتي الكوردية والتي ستكون تحت سيطرة الحكومة المركزية الشيوعية العراقية. انه يشك من قيام العراقيين بإثارة حوادث صدام على الحدود العراقية الإيرانية بقصد تحويل القضية الكوردية الى قضية دولية

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 222
Jonathan C. Randal. P: 162

وتم تقديمها ومناقشتها في مجلس الأمن للامم المتحدة، وهذا ما يعتبره أمراً في غاية الحرج. وباختصار يبدو انه يسعى الى التحرك باتجاه نوع من التفاهم مع العراق فيما يتعلق بالكورد، لكن واضح انه يشك ان يؤدي ذلك الى النتائج المرجوة. في الوقت نفسه، ينوى الاستمرار في دعمه للكورد.

ويضيف كيسنجر: "ذكرتُ الشاه بتحذيراته المتكررة من أن انهيار الكورد سيخلق حالة عدم استقرار في المنطقة برمتها. وأن أي ضمانات يقدمها صدام حسين حول حكم المنطقة الكوردية، حذرته، ستكون بلا فائدة. وبما أن السوفييت سيرون انسحاب ايران كمؤشر لضعف الغرب المتزايد، لذا قد تزداد مجازفاتهم، حتى على تلك الجهة".

وعند لقائه بإسحاق رابين ذكر له كيسنجر، أن الشاه أخبره بشكل افتراضي. قال الشاه: "إن التقيت بصدام حسين في الجزائر (أثناء اجتماع الأوبك) ... وما حصل من اتفاقية، تناول الموضوع كفكرة. وذكرت له بقوة أنها فكرة سيئة - بالأخص الفكرة التي صدقها الشاه بشأن الضمانات (العراقية) والتي مفادها أنهم لن يضعوا الشيوعيين في منطقة الحكم الذاتي".

ويبرر كيسنجر استمراره في تشجيع ملا مصطفى على الاستمرار في المقاومة حتى بعد ان أوحى له الشاه بقرب لقاء مع صدام حسين. وذكر لإسحاق رابين بعد ثلاثة أيام من اتفاقية الجزائر، "لم يشر الشاه الى قرب الاتفاق أو قبوله السيطرة العراقية الكاملة للمنطقة الكوردية".²²³

هناك حافز آخر في توجه الشاه نحو تفاهم مع نظام بغداد والاستغناء عن الحركة الكوردية، لم تشر اليه حسب علمي أرشيفات الحكومة الأمريكية كما لم أجدتها في المصادر الاخرى، ومصدره رجل الشاه أردشير زاهدي، وقد أشار الى ذلك الصحفي Andrew Scott Cooper في كتابه الموسوم بـ (ملوك النفط): "عندما زار الشاه مؤخراً موسكو²²⁴، أنبأه الزعيم السوفيتي ليونيد بريجنيف في كون الشاه يوجب نيران المنافسة بين القوى العظمى في منطقة الخليج ويتدخل في شؤون العراق وضرب بعنف قبضته على الطاولة. وذكر بشكل خاص دعم ايران لأكراد العراق وعارض بناء الشاه للتعزيزات العسكرية في منطقة الخليج الفارسي. وكما يظهر تأثر الشاه

Henry Kissinger. Years of Renewal. Read his letter to Barzani dated : 20 223
592-593 February, p: 1975

224 زيارة الشاه للإتحاد السوفيتي كانت في 18 . 11 . 1974

بالديبلوماسية الصريحة والفضة لبريجنيف وتوصل الى قناعة من أن العملية الكوردية أصبحت عديمة الفائدة. كما انه اقتنع بأن الاكراد يخسرون في الجبهات وليس بوسع ايران المجازفة بالانجرار نحو حرب مفتوحة مع دولة عربية جارة. كما أن سلبيات الحركة الكوردية تتجاوز ايجابياتها.²²⁵

ومن شبه المؤكد ان المساعدات الأمريكية السريّة - بصورة أدق من الـ C.I.A - كانت تمرّ عبر شخص (زاهدي) وهو الذي كما يذكر، كان منذ البداية ضد الانخراط في العملية الكوردية. وموقفه هذا يقترب من موقف الحكومة التركية الا وهو عدم التجاوب مع مناقشات القيادة الكوردية في بناء علاقات معها.²²⁶

لقد أصاب الشلل القيادة الكوردية وعلنت نهاية الحركة بعد أيام من التفاهم بين بغداد وطهران في الجزائر و وسط دهشة العالم أجمع!. ولذا سأل (هيكل) ملا مصطفى في طهران صيف عام 1975: "قل لي كيف تفسر ما حدث أخيراً؟ رفعت الحكومة الإيرانية يدها عن الثورة الكوردية بعد اتفاق في الجزائر بين شاه إيران وبين صدام حسين نائب رئيس مجلس الثورة العراقي، فإذا أنت تستسلم. ماهو معنى ذلك أليس معناه أن سنذكر لم يكن من الداخل وإنما كان من الخارج؟"²²⁷

ملا مصطفى: "انني لم استسلم لقد اخترت إنهاء الثورة في الوقت الحاضر ... كنت أستطيع الاستمرار في المقاومة بعد إغلاق الحدود مع العراق ولكنني أثرت أن احقن دماء الشعب الكوردي والشعب العراقي." وذكر أيضاً: "و حين اتفقوا مع إيران سألت نفسي: إلى متى؟ قلت لنفسي: أريح الناس من العذاب وامشي خارج العراق."²²⁸

كان البديل الداخلي "المكروه" من القيادة الكوردية، يتطلب تنمية وتطوير القوى الذاتية في المجتمع وتحويل الحزب إلى حزب ثوري منظم وعصري، ملتصق بمصالح الفلاحين وطموحات القوى الوطنية المخلصة والمضحية والفاعلة في الحركة وتقديم

The Oil Kings.. 2011.SIMON & SCHUSTER, p: 241 Andrew Scott Cooper. 225

Ibid 226

جريدة الأنوار. 6 أيلول 1975 . أحاديث 2 . مناقشات مع صقر عجوز . بصراحة. محمد حسنين هيكل.

جريدة الأنوار. 6 أيلول 1975 . أحاديث 2 . مناقشات مع صقر عجوز . بصراحة. محمد حسنين هيكل.

ذوى الكفاءات والمخلصين إلى مركز القرار. كما كان "البديل الداخلي" يتطلب إنهاء حالة إحتكار أموال الحركة الكوردية من قبل قائد الحركة... لم يكن رئيس الحزب ليقبل بمثل هذه التغيرات، فقد كان يزداد غوصاً في الأسلوب الفردي كلما شعر ان الضغط من أجل التغيير يتراكم، ويعمل على عقمه قبل اشتداده. وبهذا الصدد يقول محمد حسنين هيكل: "ان الأسلوب القبلي في إدارة الحركات الشعبية يهزم نفسه في النهاية بسبب مجافاته لروح العصر، ذلك لأن الزعيم القبلي لا يعرف لمن يطلق الحرية بين أنصاره وعلى من يفرض القيود.... وهو في العادة يقيد حرية الذين تتوافر لديهم ملكة القيادة.... ويطلق الحرية للمنصاعين والطائعين.... ولكن المستعدين للقيادة هم القادرون على خدمة أهداف حركته، في حين أن المنصاعين والطائعين عبء على هذه الأهداف وكتل حديد معلقة بها."

اسرائيل أيضاً أدركت أين تكمن مصالحها، فهي تعرف أن اتفاقاً بين الشاه وحكام بغداد أمر وارد، أما اتفاق إسرائيلي - عربي فهو أمر بعيد المنال، ولذا فديمومة الحركة الكوردية واستمرار النزاع مع بغداد هو في صالحها، وكانت تعرف ان شاه إيران سيغير من موقفه حال تنازل بغداد لشروطه. ولذا أرادت مساعدة الحركة الكوردية وتزويدها بعوامل البقاء والديمومة حتى في حالة غلق الشاه حدوده أمام الحركة الكوردية. ففي ربيع 1965 وقع اختيار مدير الموساد مائير عميت على ديفيد كمحى لإجراء أول اتصال مباشر بملا مصطفى في جبال كوردستان. وقد جرت مشاورات عديدة شارك فيها مؤسس الدولة الإسرائيلية بن جوريون، ومن ضمن ما بحث: "إعادة بلورة امكانية التعاون مع وضع تصورات بديلة في حالة حدوث تغيير في وجهة النظر الإيرانية تجاه الاكراد".²²⁹ كان ملا مصطفى يصرح انه لا يثق بالإيرانيين وإنهم كالعراقيين أعداء،²³⁰ لكن كما هو واضح لم يؤدي هذا الموقف إلى اختيار البديل الداخلي "تنظيم الشعب الكوردي". وهذا إلى حد كبير يشبه صاحب الدار الذي يعرف أن هناك لصوصاً يسرقون ما في المنزل لكنه يفضل الاستمرار في النوم، وعندما يستيقظ في اليوم التالي يجد أن المنزل خلا من الأثاث وهنا يبدأ بشتم اللصوص وإنزال اللعنات عليهم عارضاً مظلوميته على الجميع ليشفقوا عليه. !!

229 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997.

ص: 119

230 ن . م . س . ص: 199

اتجه تفكير إسرائيل نحو التطوير الزراعي في كردستان، فبعثت (ايجال ادموني) مدير شعبة الاستيطان في الوكالة اليهودية، إلى هناك، كي يقدم المشورة حول تطوير ببيض الطيور، ويقول ادموني، عام 1966، حدث لدي انطباع ان الانتاج الزراعي، ورغم أهميته للشعب الكوردي، لا يحتل مكانة هامة في تفكير الزعامة، لأن المسألة الوحيدة التي كانت تقض مضاجع البرزاني هي المساعدات السياسية والعسكرية الأمريكية.²³¹ كانت امكانات تنشيط الحياة الزراعية في المناطق المحررة موجودة، لكن الذين لفتوا نظرها إلى التطوير الزراعي مثلاً أصابتهم الخيبة من جراء لامبالاة القيادة الكوردية بالموضوع.

كانت فكرة المال متسلطة على تفكير رئيس (حدك) بشكل كلي، ففي إحدى زيارته إلى طاقم المستشفى الإسرائيلي المقيم في كردستان في إحدى الأمسيات عام 1968، قال: "لو ان الولايات المتحدة أوقفت الحرب التي تخوضها في فيتنام لمدة ثلاثة أيام فقط فسوف أستطيع بالمبلغ الذي سيتوفر جراء ذلك إنهاء النزاع العراقي الكوردي بكامله. والتفت إلينا قائلاً: أنتم الاسرائيليين لكم تأثير كبير على الرئيس الأمريكي، اطرحوا قضيتنا أمامه فلربما هذا الطرح يساعدنا، إما إذا تخلوا عنا وخاننا الايرانيون فسوف آخذ أربعين مقاتلاً وأصعد إلى الجبال".²³²

غاب عن ذهن الزعامة الكوردية تطوير المشاريع الزراعية وتنظيم الاقتصاد في المناطق المحررة، فبالنسبة لقيادة (حدك) هو الحصول على (المال) رغم ان المسؤولين الإسرائيليين في تل أبيب كانوا يرسلون الرسالة تلو الرسالة إلى الوفد الإسرائيلي في كردستان مطالبين بإقناع الأكراد، بقبول وجود خبير إسرائيلي، يدرس مدى جدوى انشاء مشروعات في كردستان.²³³

"وفي المذكرات التي كتبها أحد أعضاء الوفد الإسرائيلي، يذكر: من الصعب ان نوضح للمسؤولين طبيعة ما نشاهده هنا، ببساطة فان الأكراد غير مؤهلين لذلك. بيد

231 ن . م . س . ص : 273

232 شلومو نكديمون . الموساد في العراق ودول الجوار . ترجمة بدر عقيلي . دار الجليل للنشر 1997 . ص : 199

233 شلومو نكديمون . الموساد في العراق ودول الجوار . ترجمة بدر عقيلي . دار الجليل للنشر 1997 . ص : 179

ان المسؤوليين الإسرائيليين، لم يتخلوا عن الفكرة، وبعثوا رسالة قالوا فيها: اعثروا على خمسة أكراد ممن درسوا في الخارج، وأرسلوهم إلى إسرائيل لاجتياز دورة حول التطوير.²³⁴

عندما توجه (اسحق عبادي) في الأول من كانون الاول 1968 إلى كردستان بهدف تحسين بنى تحتية قائمة، وجد ان الاكراد يفتقرون إلى فهم "الاستشارات الزراعية ولا يقدرونه حق قدره."²³⁵

لم تكن اسرائيل مرتاحة من تقرب السوفييت من زعامة الحركة الكوردية، ففي شهر آذار كانت الوفود السوفيتية تزور ملا مصطفى في مقره. كان الهدف توقيع معاهدة صداقة مع العراق، وكان النزاع الكوردي العراقي بمثابة معرقل للاتفاقية. وفي اجتماع سرّي في مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي حضره رئيس الموساد، اتخذ قرار بلفت نظر واشنطن إلى احتمال تدخل السوفييت.²³⁶

كما حاولت إسرائيل إقناع البرزاني بعدم التجاوب مع المبادرة السوفيتية. وأعلمت شخصية إسرائيلية رفيعة موقفها للملا مصطفى في 31 آذار 1972: "ان التوجهات السوفيتية إليك هي تهديد جاء لخدمة المصالح السوفيتية فقط، فالسوفييت معنيون بالحصول على موطن قدم للمشاركة في لعبة القوى الداخلية، أضف إلى ذلك، إن أي تواجد سوفيتي يرمى إلى إضعاف قوتكم ونضالكم."²³⁷

وأضافت الشخصية الإسرائيلية الرفيعة المستوى: "ومن الجائز ان يؤدي الاهتمام السوفيتي بما يجري في بلادكم، إلى زيادة الاهتمام الأمريكي بقضيتكم، هذا إذا صمدتم أمام هذه المحاولة السياسية، مثلما صمدتم حتى الآن، في قضية الحرب

234 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 179

235 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 219

236 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 263

237 ن . م . س . ص : 263

والسلام. ولا شك لدينا، في ان هذا هو الاختيار الحقيقي لك ولزعامتك ولحركة التمرد الكوردية كلها، إننا ومنذ عرفنا الآلام التي تتحملونها، ونحن نقف إلى جانبكم، وخصوصا في أيام الحرب الصعبة، وأملا ان يؤدي دعمنا، والأسلحة التي زدناكم بها، والتدريبات في إنجاح نضالكم العسكري، ذلك النضال الذي الحق الهزيمة بالجيش الذي سعى لتدميركم.

"....."

وبشّرت ملا مصطفى، بأن حكومة إسرائيل وإضافة إلى موقفها ودعمها لكم ولشعبكم، ستستغل قدرتها، للعمل لدى حكومة الولايات المتحدة وجهات أخرى، من اجل صالحكم، ومن اجل إثارة اهتمامها بما يدور في بلادكم. ويجب ان نؤكد على ان هذه المهمة ليست سهلة، وتتطلب زمنا طويلا. ورغم ذلك، فإننا سنقف إلى جانبكم مهما كان قراركم وفقا لما تقتضيه مصلحتكم، إيماننا منا بان صالح الشعبين يتطلب ذلك".²³⁸

لقد كان لهذه الكلمات أثر عميق في نفسية ملا مصطفى وهي بلا شك ضمن الأسباب التي جعلته يرفض الانضمام إلى الجبهة الوطنية العراقية إلى جانب (البعث) و(حشع)، كما جعلته ينأى عن السوفييت ويزداد اتكالا على المثلث طهران - تل أبيب - C. I. A. ودون الإبقاء على خط رجعة لسلامة الحركة الكوردية عند التغيير في المواقف الدولية والاقليمية.

هنا نجد الدعم الخارجي حاضرا، لكن الاستفادة منه لتقوية قاعدة الحركة الكوردية غائب تماما. فقائد الحركة كان يبني آماله على الدعم الخارجي، فبالنسبة له لن تتحقق انتصارات بدون هذا الدعم، من هنا قلة أهمية الجبهة الداخلية والاهتمام الكلي بالمساعدات الخارجية. في واقع الأمر كان يريد أن تقوم الدول الداعمة بعمل كل شيء له وهو يتسلم المفاتيح منهم بعد بناء الدار. وكان يتكل على الدعم الخارجي بشكل متزايد، وخلال إرسال أسرته وأسر أولاده والمقربين له إلى إيران للحماية منذ ربيع عام 1974 في وقت يعيش الشعب الكوردي تحت القصف اليومي للمدفعية ولغارات السلاح الجوي العراقي بعد تجدد القتال مع بغداد في صيف عام 1974،

238 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997.

ص: 264

أعطت القيادة الكوردية نموذجاً انهزامياً لا يليق بقيادة ثوريين حقيقيين، هذا رغم توفر الأسلحة المضادة للطائرات والتي اختص بها مقر القيادة بشكل كامل.

أما الجانب الأمريكي، فكان موقفه واضحاً ولا يحتاج إلى التأويل، إذ كرر على مسامع إدريس البارزاني والدكتور محمود عثمان في واشنطن في أول لقاء مع [مدير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية ريتشارد هلمز] في تموز 1972: "إننا سنقدم لكم المساعدة بناء على طلب شاه إيران"²³⁹ وعندما عاد الوفد الكوردي من واشنطن والتقوا بمسؤول دائرة المخابرات الأمريكية في طهران الكولونيل كلارك، كرر نفس الشيء: "المساعدة والعلاقة ستجرى بناء على طلب شاه إيران"²⁴⁰ وقد تقرر تقديم معونة شهرية لقيادة الحركة الكوردية بحدود (250,000) ألف دولار.²⁴¹

ويقول كيسنجر: "عام 1968 تبنى حزب البعث محلياً برنامجاً اشتراكياً راديكالياً، جاهراً بعدائه للغرب وقد عاد إلى السلطة في بغداد، وليس من الغرابة ان العراق في ظل صدام حسين كان يقترب من الاتحاد السوفيتي، في وقت كان تواجد خمسة عشر ألفاً من القوات السوفيتية في مصر مؤشراً على خطورة وقوع الشرق الاوسط برمته تحت التأثير الاستراتيجي السوفيتي. وأياً كانت حالة سياسة الوفاق الدولية، كانت نظرتنا إليها هي تقليص النفوذ السوفيتي كهدف مركزي لاستراتيجيتنا، في الحقيقة كانت نظرتنا إلى سياسة الوفاق أنها وسيلة لتطويق المجازفات لتلك الاستراتيجية."²⁴²

"ان الدول التي اعتبرت نفسها مهددة من قبل السلطة العراقية الجديدة كانت الاردن وإيران، كلاهما يشاطران حدوداً طويلة مع العراق، واسرائيل المتخوفة من الأنظمة العربية الراديكالية المسندة بالأسلحة السوفيتية، هذه الدول الثلاث كانت صديقة للولايات المتحدة. وكانت تقدم عوناً سرّياً للأكراد. وتعاملوا مع مطلب الأكراد في تحقيق الحكم الذاتي في الجبال الوعرة شمالي العراق، كورقة يستخدمونها لتحويل طاقات ومصادر نظام البعث بعيداً عن حدودهم. ورغم اننا لم نشارك في تقديم

239 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز 2007. ص: 334

240 ن . م . س . ص: 335

Henry Kissinger. Years of Renewal . Published by: Simon & SCHUSTER. New York. 2000. page: 584

Ibid, Page: 580 242

المساعدة السريّة، لكن كانت أجهزة مخابراتنا تتلقى المعلومات من مثيلاتها في كل دولة من هذه الدول. وكانت هذه الدول تتلقى المساعدات الاقتصادية والعسكرية من الولايات المتحدة".

مالم تفهمه القيادة الكوردية أو ما لم ترد أن تفهمه بشأن العلاقات الدولية أثناء الحرب الباردة، ففهمه شاه إيران، وفهمه قادة الحكم في بغداد وخططوا على أساسه... وجاء التحذير من الأعداء أنفسهم من مغبة الوقوع في الفخ الإيراني، فكتب صدام حسين نفسه إلى ملا مصطفى بتاريخ 7/4 /1972 محذراً إياه وبوضوح لاليس فيه:

"الأخ أبا إدريس

"..... إلا أن المصلحة العامة تبقى مع ذلك أقوى من كل اعتبار آخر وعلى أساسها أعود إلى الكتابة إليك، بغض النظر عن الكيفية التي ستنتظر بها إلى هذه الرسالة، ولكن الذي يهمنا دائماً وأبداً أن تذكرها في المستقبل على نحو يرتبط بشكل يؤكد صواب ما سأذكره وما سأذكره مقتنع أشد القناعة بصوابه... .. وأرجو أيها الأخ أن تفكر كثيراً فيما عسى سيفعله الأمريكان والإنجليز والحكومة الإيرانية بك وبنا وبك على وجه التحديد بعد أن تنتهي أغراضهم الأنية... إن ما يريده أولئك ليس سعادة الشعب الكوردي ولا يريدون أن تنتهي الأمور بالنسبة للأكراد إلى الانفصال وإنما يريدون أن يبدأ القتال دون أن ينتهي ويريدون على وجه التحديد أن يستأنف نزيه الشعب الكوردي مجدداً ثم إسقاط - حكومة بغداد - كما تصفنا دائماً ومن ثم دفع عناصر موالية لهم ثم سحقكم مرة أخرى وفق صفقة كبيرة وشاملة في المنطقة هذا ما نتصوره نحن ولا أحسبكم خالي الذهن تجاه هذه التصورات ولكن الذي أريده في رسالتي هذه هو أن لا تدفعكم العوامل أو الهواجس العاطفية غير الواقعية أحياناً إلى نسيان هذه الحقيقة...."²⁴³

كانت مدارك القيادة الكوردية فيما يخص العلاقات الدولية لا تتعدى إلا نادراً حدود "استجداء العون المالي" ولا تهتم بتوسيع عمليات قوات الأنصار إلى مناطق النفط في كوردستان أو بقية المناطق النفطية في العراق وتهدد بجديّة تدفق النفط حتى تتمكن من فرض وزنها في التعامل الدولي. وكان هذا ممكناً لو توحد تحالف استراتيجي بين

243 البارزاني والحركة التحررية الكردية. مسعود البارزاني. أربيل 2002. ص: 835

[حدك] و[حشع] وتخلي ملا مصطفى عن الأسلوب القبلي في قيادة [حدك]. فقد كان الحزب الشيعوي في نهاية الستينات نشطاً في مدن العراق الجنوبية والوسطى وله تواجد عسكري منظم في كردستان ضمن مناطق الحركة الكوردية المحررة ولعب دوراً كبيراً في تحقيق بعض من أهم الانتصارات العسكرية في كردستان.

العلاقات الخارجية للحزب الشيعوي العراقي، كانت ضمن الإطار الذي تقتضيه السياسة السوفيتية، وكان هذا وبالأعلى على الحزب وتعثر مسيرته والوقوع في فخ التحالفات مع البعث إلى ان فقد بالتدريج رصيده وشعبيته.²⁴⁴ إن سوء إدارة العلاقات الخارجية لـ (حشع) و (حدك) كان سبباً هاماً في إخفاقهما السياسي. ويعترف السكرتير السابق للحزب الشيعوي العراقي: "وكننا من جانبنا أسرى التقاليد والتقديرات السائدة في نظام العلاقات داخل الحركة الشيوعية آنئذ. كنا دراويش للقيادة السوفيتية معتمدين بأنها أكثر فهماً لأوضاع بلدنا نحن الشيوعيين العراقيين. فامتثلنا للأمر وتخلينا عن شعار المشاركة في الحكم وبالتالي تخلينا عن هدف الوصول إلى السلطة طيلة عهد قاسم. أظن إننا كنا نرفض طلب السوفييت فيما لو كنا أكثر تجربة ونضجاً. لكننا أضعنا فرصة العمر التاريخية في تحقيق الهدف المشروع الذي من أجله يتكون كل حزب سياسي - هدف الوصول إلى السلطة لتحقيق البرنامج السياسي - الاقتصادي الذي يؤمن به ويقوم على أساسه."²⁴⁵

أما فيما يخص رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني فقد تجاوز في تعامله مع شاه إيران "تقاليد الدراويش" ففي كل زيارة كان يقبل يد الشاه ويوحي له انه تحت أوامره. ويقول الدكتور محمود عثمان وهو القيادي الذي لازم ملا مصطفى في جميع زيارته لخارج كردستان: "كما ان اتباع أسلوب عدم الصراحة في التكلم مع الجهات الأخرى والتكلم معها بشكل تحبذه هذه الجهات وعدم التركيز على النواحي السياسية بل على الامكانيات المادية والذي كان أسلوب شخص البارزاني منذ القديم أدى إلى التبعية للجهات الأخرى على اختلاف أنواعها يوماً بعد يوم والى فقدان الثورة لاستقلاليتها إلى حد كبير."²⁴⁶

244 مذكرات بهاء الدين نوري . سكرتير سابق للحزب الشيعوي العراقي. ص : 194

245 مذكرات بهاء الدين نوري . سكرتير سابق للحزب الشيعوي العراقي. ص : 194

246 الحزب الديمقراطي الكوردستاني اللجنة التحضيرية. تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهايارها

كان خوف ملا مصطفى من الداخل الكوردي أكبر بكثير من المخاطر الآتية من الخارج، فقد وُلد لديه محاولات تطويع مكتبه السياسي الثاني بقيادة إبراهيم احمد وطرد الأول بقيادة حمزة عبد الله، إلى نشوء هواجس ومخاوف لازمتها بشكل دائم، ومن هنا عمل على إجهاد كل قوة نامية في داخل المجتمع الكوردي وتبني مركزية سياسية وعسكرية ومالية خانقة أجهضت الحزب والمجتمع من كل ديناميكية. ومن هنا كيله للضربات المتلاحقة ضد الداخل لأنه يعتبر المخاطر من الداخل تمس تقليص صلاحياته وخطط التوريث وتحرير ميزانية الحركة من قبضته، خاصة ان المجتمع الكوردي كان متعطشاً للتطور والتغيير، في حين كانت القيادة تتوقع، كان الشعب الكوردي يصبو للحريات العامة والعمل في المجال الحزبي والسياسي لتطويع المجتمع، ولذا رمى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني بكل ثقله في لجم الداخل وتصفية من يعتبرهم معارضين لنمط حكمه الفردي وضد من يعتقد أنهم سيقفون حجر عثرة أمام توريث ولده مسعود، بينما لم يحتط بالشكل المطلوب ضد مؤامرات الأعداء. فبالنسبة له كان الخارج عماد قوته: أموال وأسلحة تأتي اليه مباشرة ولا يدع ذلك يفلت من يديه، كثير الحذر في كل مايتعلق بالعلاقات الخارجية فكان يغيير ممثليه، وحلّ مكان عصمت شريف العديد من الشخصيات²⁴⁷ كممثلين للحركة في الخارج.

لقد لعب العاملان: الجيوسياسي والعقلية الضيقة للزعامة الكوردية دوراً كبيراً في عزلة الحركة، فالدول المحيطة بها: إيران، تركيا وسوريا والعراق معادية لها وتتحين الفرص لضربها. ومن هنا كان ينبغي ان توضع في أولويات القيادة موضوع (الخطط البديلة) خطط طوارئ قادرة على مواجهة التحديات التي ستتشأ عند حصول تغير في موقف الشاه من الحركة الكوردية. فقد مضى على انهيار جمهورية مهاباد حوالي خمسة عشر عاما فقط عندما اندلعت عام 1961 الحركة الكوردية بغفوية تامة ودون تخطيط وتقييم للأوضاع المحلية والإقليمية والدولية. ولم ينسّ شاه إيران (محمد رضا بهلوي) مصاعبه في القضاء على جمهورية مهاباد والقتال الذي جرى مع البارزانيين أعوام 1946 - 1947 وكان شديد القلق من المد القومي العربي ويخشى

والدروس والعبر المستخلصة منها. كانون الثاني 1977. ص: 53 - 54 .

247 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997.

ص: 116

جمال عبد الناصر والبعثيين من إثارة القلاقل في خوزستان وكوردستان والتعاون مع (توده) الحزب الشيوعي الإيراني ضد نظامه. كما كان تعاون ناصر وحكومات بغداد المتعاقبة وسوريا مع الاتحاد السوفيتي عاملاً مهماً في رسم سياسته الخارجية.

إن المنطق القبلي-الفردى للقيادة الكوردية على عكس المنطق الثوري-الجماعي أبقت الحركة في إطار جامد، وكان ذلك موضع حذر من التورط مع الأكراد: "الأكراد ليسوا متحمسين لتعلم أساليب الحرب العصابية، ولا لحرب المواجهات، ويقللون إلى حد كبير من خوض الحروب والمعارك، ذات طابع المخاطرة العالي. ونظراً لأنهم منتشرون في جميع أنحاء العراق، فقد هيأت لهم الفرصة لشل الحياة الاقتصادية في الدولة بعمليات تخريبية، وعلى وجه الخصوص في آبار النفط، وشبكة القطارات والجسور وغيرها، ولم يكن أسهل عليهم من تنفيذ ذلك، لكنهم لم يفعلوا".²⁴⁸ كما بعث المستشارون الإسرائيليون رسالة قالوا فيها: كما يبدو ان الأكراد لا يرون ابعد من الجبل القائم أمامهم".²⁴⁹

إن تفوق عقلية الزعامة الكوردية في إطارها المتخلف أن أسهمت في إنجاح سياسة شاه إيران في استغلال الحركة لصالحه، فقد كانت سياسة إيران على حد تعبير أحد المسؤولين الإيرانيين الكبار: "نحن نرغب في استمرار لهيب التمرد الكوردي في العراق، شريطة ان لا يتحول هذا اللهب إلى حريق كبير".²⁵⁰

تمكن شاه إيران من تفادي نشوء مخاطر داخلية، وواصل استخدام الزعامة الكوردية وفق مخططه، لقد نجح في ضرب الحزب الديمقراطي الكوردستاني - إيران - ببنادق الزعامة الكوردية لـ (حدك - العراق _، إلى حدود أضعف الحركة التحريرية الكوردية في كوردستان -إيران - وقضى على عدد من زعمائها بتواطؤ أو

-
- 248 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 105
- 249 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 179
- 250 شلومو نكديمون. الموساد في العراق ودول الجوار. ترجمة بدر عقيلي. دار الجليل للنشر 1997. ص: 94

اشترك مباشرة من الزعامة الكوردية.²⁵¹ كما أبقى على الوضع في خوزستان هادئاً ولم يتمكن الحزب الشيوعي الإيراني من القيام بنشاط مهدد لنظام طهران، وأرغم نظام بغداد على التوقيع على (اتفاقية الجزائر) في آذار 1975، وتبني الاعتدال في سياسته الخارجية.

كان تقاعس الزعامة الكوردية قد وصل إلى حدود مخيفة لكل ما يتعلق بالقيم الثورية والوطنية وطغى الجانب التجاري عليها بحيث استطاع البعث اختراق قيادة الحزب بسهولة، وهذا ما يقوله أحد القياديين داخل الزعامة الكوردية: "لقد تسربت معلومات من داخل قيادة الحزب الديمقراطي الكوردستاني والحركة الكوردية إلى صدام حسين - المؤلف لا يذكر اسم المخبر - بأن الولايات المتحدة الأمريكية سوف لا تتدخل في القتال لصالح الثورة الكوردية ولا تتخذ موقفاً علنياً في تأييد الجانب الكوردي في حالة استئناف الحرب في كوردستان العراق. وهذا ما شجع قيادة حزب البعث خاصة إن الاتحاد السوفيتي والمعسكر الاشتراكي يقفان بجانب الدولة العراقية في قتالها ضد الثورة الكوردية."²⁵²

لقد تصرفت الزعامة الكوردية كما لو كان دور إسرائيل وأمريكا "دوراً رئيسياً" ودور إيران "دور ثانوي" تابع للولايات المتحدة الأمريكية، لم يكن هذا التقييم صحيحاً. في واقع الأمر لم يكن صدام حسين عميلاً لموسكو ولا شاه إيران عميلاً لواشنطن، كانا يتمتعان بحيز كبير من المناورة السياسية لتحقيق مصالحهما. فطوال مدة التعاون بين الزعامة الكوردية وطهران لم يتخل الشاه عن التحكم الكلي في العلاقة التي تربط واشنطن - تل أبيب مع الزعامة الكوردية.

خلال الحرب في كوردستان عام 1974 حددت مذكرة من الـ C. I. A. بكثير من الوقاحة وجهة نظر طهران وواشنطن: "إن إيران كما هو الحال مع الولايات المتحدة تنوي الاستفادة من وضع ليس له مخرج..... إذ ينجم عنه ضعف جوهري للعراق بسبب رفض الاكرد التخلي عن ما يشبه حكم ذاتي، فكلاهما، إيران والولايات

251 مقتل سليمان معيني وأحمد توفيق (عبدالله اسحاق) الأول عضو المكتب السياسي لحزب إيران - والثاني سكرتير الحزب.

252 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عسراوى. تموز 2007. ص: 362 - 363

المتحدة الأمريكية لاترغبان في حل المسألة الكردية بأي شكل كان، أي أن الأكراد مكلفون بإشغال الجيش العراقي فقط، وهذا الإلهاء أثبت جدواه للشاه ولكيسنجر"، حسب تعبير المجلة الفرنسية L'Express²⁵³.

وغاب عن ذهن الزعامة الكردية المنطق الذي يحدد سياسة الإمبراطورية الأمريكية، فحتى سياستها مع إسرائيل كانت مبنية على منطق توسيع نفوذها في الشرق الأوسط وطرد النفوذ السوفيتي، ففي بداية (حرب يوم الغفران) أو (حرب أكتوبر1973) يقول كيسنجر عن الزعماء العرب: "أرسلت لهم رسائل في وقت مبكر من الحرب -- وقلت لهم - لقد شننتم الحرب بالأسلحة السوفيتية، لكن لتحقيق السلام ستحتاجون إلى الدبلوماسية الأمريكية، احتفظوا بهذا في ذاكرتكم فسيبين ذلك". كانت تلك استراتيجيتنا".

فعندما بوغتت إسرائيل بشن هجوم الجيش المصري والسوري - وهي تحتفل بأكبر أعيادها الدينية [عيد يوم الغفران] - في سيناء ومرتفعات الجولان، استدعت احتياطي قواتها إلى الجبهات، وبدا في بداية الحرب ان إسرائيل ستواجه وضعاً عسكرياً حرجاً، إلا أنها استطاعت أن تقلب بالتدريج موازين الحرب لصالحها، فحاصرت الجيش الثالث المصري والذي كان يشكل نصف القوة التي عبرت غرب قناة السويس، وقُطِعَ عنه التمويل، وفي هذه اللحظات مارست إدارة نكسون الضغوط على حكومة إسرائيل بشكل لم تتمكن من تفاديها، فما كان أمامها غير القبول بوقف إطلاق النار، ولتبدأ الدبلوماسية الأمريكية من موقف القوة بالعمل مع كافة الأطراف المتورطة؛ موسكو، القاهرة، دمشق وتل أبيب.

واستغلت إسرائيل موقفها القوي، إذ تغيرت علاقاتها بأمريكا نتيجة الحرب. وزادت الأخيرة من مساعداتها الخارجية بأربعة اضعاف عما كانت عليه في السابق. وولدت في واشنطن فكرة "الاحتفاظ بالتفوق العسكري الإسرائيلي" على جاراتها من الدول العربية. كما نجحت واشنطن في القضاء على النفوذ الروسي في مصر وأصبحت اللاعب الرئيسي في رسم سياسات منطقة الشرق الأوسط والتي منها

L>Express. Comment les Kurdes ont été trahis. Emile Guikovaty , 8 – 14 Mars.

253
1976

يتدفق البترول إلى العالم الصناعي، حيث أن حماية تدفق النفط من الخليج الفارسي كان يشكل - ولا يزال - أساس الاستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط منذ الحرب العالمية الثانية.

ولابد من القول ان الهزائم أو الانتكاسات التي تتعرض لها الأمم الحيّة، تجلب معها حسابات المسؤولية كاملة، من المسبب في النكسة أو الهزيمة؟ فقد قامت لجنة التقصي الاسرائيلية (The Agranat Commission) بالتحقيق في أسباب نقص الاستعداد العسكري عند الهجوم المباغت في 6 أكتوبر 1973، فطلبت اللجنة استقالة رئيس أركان الجيش (David Elazar) ورغم أن اللجنة برأت ساحة موسى دايان، إلا أنه أمام الانتقاد الشعبي قدم استقالته إلى رئيسة الوزراء Golda Meir والأخيرة رفضت استقالته. بعد نشر نتائج التحقيق، تحملت رئيسة الوزراء مائير كامل المسؤولية رغم أن اللجنة أشادت بدورها، فاستقالت في 11 أبريل 1974، وحل مكانها (Yitzhak Rabin). كان لدى ملا مصطفى الوقت الكافي لشرح جميع الملابسات للشعب الكوردي، وهذا واجب وطني، لكنه أثر الصمت الكامل ولم يقدم ايضاً للملابسات التي أدت به إلى إتخاذ خطوته المفاجئة في التخلي عن الحركة والشعب الكوردي. كما إن إحسان نوري باشا الذي زاره في منفاه في كرج - عظيمية - طلب منه كتابة مذكراته للأجيال القادمة، لكنه رفض النصيحة. وهكذا بقي كل شيء غامضاً بالنسبة لجماهير كوردستان، فالمنتفعون به يعتبرون الهزيمة بعد نظر وموضع إعجاب، بينما المعارضون يعتبرونها استهتارا بمقدرات الشعب الكوردي واستهانة لضحاياهم.

إن عدم الاستفادة من دروس التاريخ يؤدي إلى تكرار الأخطاء. ثورة آزارات (Agridagh) بقيادة خوييون وتحت القيادة العسكرية لإحسان نوري باشا، وفرت الكثير من العبر التاريخية، كان على قادة الثورة الكوردية دراستها والتصرف على أساس الدروس والعبر المستخلصة منها. تجربة احسان كانت مع والد الشاه رضا بهلوي. تجربة ملا مصطفى المكررة كانت مع الابن محمد رضا بهلوي. اعتمد احسان على حيادية إيران نوعاً ما وتلقي مساعدات ضئيلة جداً، وكان هناك منحى عاطفي في كون الشعبين الفارسي والكوردي ينتميان إلى الأقوام الآرية، وان إيران لن تعمل ضد مصالح شعب شقيق في حالة انتفاضة. تهاهمت أنقره مع طهران لمحاصرة الثورة الكوردية من جميع الأطراف عسكرياً واقتصادياً لقاء تغيير في رسم الحدود،

في مناطق آارات. كما توجهت بغداد إلى طهران للتوصل إلى اتفاق لرسم جديد للحدود العراقية الإيرانية مقابل وقف المساعدات للثورة الكوردية. كانت طهران على علم بما حصل مع احسان نوري وكيف يمكن تكرار نفس الفوائد مع الثورة التي قادها ملا مصطفى. استخدمت ايران الورقة الكوردية مع انقره وبغداد وعلى حساب الشعب الكوردي. وفي كلا التجريبتين، لم تتمكن تركيا ولا العراق القضاء على الثورة الكوردية الا بمعونة خارجية، وفي كلا الحالتين، طلبت بغداد وانقرة مساعدات طهران. وهكذا ورغم تجارب التاريخ وجد ملا مصطفى نفسه مع احسان نوري، في نفس الفخ. لقد ألح احسان نوري باشا عند لقائه بملا مصطفى نهاية عام 1975 أن يملي مذكراته حتى لا تكرر الأجيال الكوردية القادمة الأخطاء التاريخية القاتلة. لكنه رفض.

إنه أمر في غاية الغرابة، فبعد الكارثة الوطنية الكبرى، لم تشكل لجنة محايدة للتحقيق، ولم يجر تقصي في ملابسات الانهيار الصاعق. وما يبعث على الدهشة أن تصارع المسؤولون للعودة إلى قيادة شعب أذلوه وتركوه وهربوا إلى الخارج. لقد احتفظ قياديو الحركة الكوردية بعد فشلهم بمناصبهم القيادية وبامتيازاتهم، وكأن شيئاً لم يكن. والى اليوم هم القادة والأبطال في الساحة الكوردية.

"خلال القنوات السرية في شهر نيسان/ابريل 1973 والاتصالات التي جرت بين الرئيس المصري وشاه إيران فان الرئيس أنور السادات أكد لقادة الحكم في بغداد بأن تنازل العراق لنصف شط العرب إلى شاه إيران سوف يؤدي إلى تسوية الخلافات وإنهاء النزاع بين العراق وإيران وغلق إيران لحدودها بوجه الثوار الأكراد في العراق وبذلك تؤكد لقادة حزب البعث الحاكم في بغداد بأن دور الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل في دعم الثورة الكوردية في العراق هو دور ضعيف أو هامشي وينتهي بحل المشاكل العراقية مع إيران.²⁵⁴ وتؤكد للبكر وصادق بأن دور أمريكا وإسرائيل في دعم الثورة الكوردية هو بمقدار ما يسمح به شاه إيران أو بقدر ما تستوجبها المصالح الإيرانية. وكان ذلك سبباً هاماً في قرار القيادة القطرية لحزب البعث الحاكم في استئناف الحرب في كردستان.... وان تمكن صدام حسين في كسب الحزب الشيعي... وانضمام الحزب الشيعي إلى جانب السلطة عززت من سلطة البعث. وأصدر الحزب صحيفته (طريق الشعب) في تشرين الأول /اكتوبر بصورة

254 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 363

رسمية وعلنية في بغداد...²⁵⁵

في بداية عام 1974، كانت الحركة الكردية قد شددت ظهرها للحائط الإيراني والإسرائيلي ووكالة المخابرات المركزية الأمريكية، وساءت العلاقات مع السوفييت والحزب الشيوعي العراقي ومع البعث بقيادة بكر - صدام. ولم يعد من مفرّ من المواجهة المسلحة.

كان الجيش العراقي مهيباً للقتال عام 1974 بدعم من السلاح والدبلوماسية السوفيتية والمعسكر الاشتراكي والأحزاب الشيوعية في العالم بما فيها الحزب الشيوعي العراقي. وكان نظام بغداد يشعر بالقوة وأكثر ثقة بالنفس وقد انحاز عدد من الشخصيات الكردية من معسكر الحركة إلى صف نظام بغداد.

انقطع الاتصال في 11 مارس 1974 بين قيادة الثورة الكردية والحكومة العراقية. وفي 16 نيسان /ابريل قرر ملا مصطفى شن هجوم على مواقع الجيش العراقي في منطقة (سبيلك) لاحتلال الموقع وبدأت الحملات العسكرية وفشل الهجوم.²⁵⁶

وتقدمت قطعات من الجيش من اربيل نحو (سبيلك) وتمكنت وحدات من الفرقة الاولى والفرقة الثامنة "سحق مقاومة الثوار الاكراد على الطريق قرب شقلاوة وحرير وجبل (زينتير) وتقدمت هذه الوحدات نحو(سبيلك) وبذلك تم فتح الطريق للجيش بين سبيلك ومدينة أربيل وسيطر الجيش على طريق تقدم السيارات.²⁵⁷

وعلى التوالي قصف السلاح الجوي العراقي في 23، 24، 25 نيسان مناطق من (باله ك) بلدة (قلعه دزه) بلغ مجموع القتلى 120 شخصاً وحوالي 400 من الجرحى ومعظمهم من طلبة جامعة السليمانية. كما نتج عن قصف بلدة (حلبجه) أكثر من 140 إصابة بين قتيل وجريح. وثم قصفت بلدة (جوارتا) و (بنجوين) وأماكن أخرى من كردستان، وبلغ مجموع الضحايا في شهر نيسان مايقارب ألف إصابة بين قتيل وجريح.²⁵⁸

سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز2007. ص: 364	255
سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز2007. ص: 376	256
سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز2007. ص: 377	257
سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز2007. ص: 377-376	258

وفي 5 أيار/مايو 1974 تقدم من الموصل لواء من الفرقة الرابعة واستولى بسهولة على مضيق زاخو. ولواء مشاة من الفرقة الرابعة للجيش العراقي تسكر فوج منه مع مقر اللواء في بلدة زاخو. وفوج منه احتل منطقة (عاصي) والفوج الآخر احتل منطقة (فيشخابور) الحدودية.²⁵⁹

ويذكر شكيب عقراوي: "بعد ان استطاع الجيش العراقي من التقدم في قواطع (راوندوز) و (رانية) و(قلعه دزه) في صيف وخريف عام 1974 وبعد وصول كتيبتين من مدفعية وصواريخ الجيش الايراني إلى كردستان العراق لاسناد الجبهة المركزية فان القيادة الكوردية شعرت بخطورة الوضع العسكري وبوجود بعض نقاط الضعف والفوضى في صفوف الثورة الكوردية وعليه قررت القيادة تشكيل لجنة عسكرية برئاسة المرحوم ادريس البارزاني لتدارك الوضع ومعالجة الأزمة. غير ان هذا الإجراء جاء متأخراً فبعد بضعة أشهر من قيام اللجنة بأعمالها حصل الاتفاق بين العراق وإيران في 6 مارس 1975 مما سبب في انهيار الثورة الكوردية.²⁶⁰

سياسة الشاه كما أشرنا في السابق كانت تهدف إلى الامساك بزمام الحركة الكوردية واستغلالها، خلال إضعاف الطرفين عسكرياً، الجيش العراقي وقوات الأنصار الكوردية، وكان لتدخله العسكري إلى جانب الحركة الكوردية أن تراجع أداء القوة الجوية العراقية في مناطق معينة. ففي 23 أيلول 1974 سقطت طائرة ميك وأسرقائدها الطيار. كما ان البطاريتان الايرانيتان من صواريخ (رايبر) التي وصلت الجبهة الكوردية في 2 تشرين الأول كان لهما أثر في رفع معنويات الزعامة الكوردية. سقطت طائرة أخرى من نوع (هنتر) بعد وصول البطارية الإيرانية، وسقطت طائرة (بادجر TU16) في 14 كانون الاول/ديسمبر 1974 ولاقى الطاقم المؤلف من أربع أشخاص حتفهم، وفي 15 كانون الأول/ديسمبر سقطت طائرة من نوع (سوخوي - 7).²⁶¹ وأدى قصف كتيبة مدفعية الميدان الإيرانية لمواقع وربايا الجيش العراقي في ديانا وراوندوز إلى تدمير مخازن السلاح والعتاد للجيش العراقي وتدنن معنويات أفراد الجيش وتفشي التذمر بين صفوفه. وبوصول عدد من الصواريخ المضادة للدبابات

259 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 378

260 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 373

261 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. تموز 2007. ص: 380

في نهاية شهر تشرين الثاني/نوفمبر 1974 أستطاعت قوات الأنصار الكوردية إبداء مقاومة أفضل ضد تقدم الدروع العراقية في قاطع راوندوز.²⁶²

زاد تورط إيران في الحرب بزيادة تقهقر القوات الكوردية نحو الحدود الإيرانية وطلبات القيادة الكوردية الملحة والمتكررة من إيران بتقديم المزيد من التدخل العسكري والمالي واللوجستي. وكان الاعتقاد السائد أن ذلك يقوي الحركة الكوردية ويؤدي إلى عودة المفاوضات بين قيادة الحركة وبغداد.

أضعفت الحملة العسكرية في كردستان خلال عام 1974 الطرفين، الجيش العراقي والحركة الكوردية، فبالنسبة لقيادة الحركة الكوردية، كان المزيد من الاعتماد على المساعدات الإيرانية، وبالنسبة لصدام حسين أصبح التوجه إلى إيران ضاعطاً. هنا نرى قدرة الشاه على المناورة لصالحه، حيث احتاجه الطرفان المتحاربين، صدام وملا مصطفى. وأوجدت لدى صدام حسين القناعة بأن التوصل إلى اتفاق مع الشاه، سيسهم في الحل العسكري، لذا مال بشكل أكثر جدية في مجال المساومات مع طهران. ففي شهر أكتوبر حضر العاصمة المغربية الرباط أثناء إنعقاد القمة العربية وتكلم بسرّية مع عدد من أصدقائه، وبخاصة مصر.²⁶³

وحسب تقرير سرّي موجه إلى وكيل وزارة الخارجية للشؤون السياسية Joseph John Sisco والى A. Atherton الأمين العام المساعد لشؤون الشرق الأدنى وجنوب آسيا، هذا التقرير تحت عنوان: "سياسة الولايات المتحدة تجاه النزاع العراقي الإيراني" نلمس قلقاً أمريكياً واضحاً من تصاعد حدة التوتر بين طهران وبغداد، والجهة التي قدمت التقرير هي أقل تجاوباً مع سياسات الشاه في المنطقة:

"إسقاط طائرتين عراقيتين بصواريخ إيرانية، كما تعلمون، يجسد تدخلاً إيرانياً واسع النطاق ومثير ومباشر في العراق، هذا التدخل كما يبدو فرضته النجاحات العسكرية ضد البارزاني في حملة هذا العام. في نظري أن الوقت قد حان للولايات

262 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوى. تموز 2007. ص: 380

263 L>Express. Comment les Kurdes ont été trahis. Emile Guikovaty , 8 – 14 Mars. 1976

المتحدة الأمريكية للقيام بأقوى مبادرة ممكنة مع الشاه لإنهاء هذا التدخل، والذي ليس في صالح إيران ولا في صالح الاستقرار الإقليمي".

ومن وجهة نظر التقرير "ان الشاه يريد حكومة جديدة في بغداد أكثر انسجاماً مع سياسات طهران، وان بكر/صدام جاذبان في تحقيق النصر على الاكراد، ان استمرار القتال قد يؤدي إلى انهيار النظام وحلول حكومة أخرى. لكن ليس بالضرورة ان يحدث ذلك، وان النظام المقبل سيمثل تحسناً. بعض المراقبين الفرنسيين والبريطانيين يعتقدون من ان النظام المقبل قد يكون أكثر راديكالية وأكثر تخريباً، وقد يضطر إلى زيادة الاعتماد على الاتحاد السوفيتي. احتمال آخر هو تولى الجيش الحكم وممكن ان يكون معادياً للشيوعية، لكن تاريخياً خلقت الأنظمة العسكرية في العراق عدم استقرار داخلي وقد تتكرر هذه الحالة. وممكن ان يناسب ذلك الشاه. لكن"

(سري.....)

(سري.....)

"لكن سيكون من الصعب معرفة كيف يمكن ان ينسجم ذلك مع مصالح الولايات المتحدة أو مصالح الغرب في الاستقرار الإقليمي".

التقرير يواصل الحديث عن مصالح الولايات المتحدة والغرب خلال الإبقاء على نظام البعث:

"نظام البعث مع جميع صفاته البغيضة قد أعطى الاستقرار للعراق على مدى ست سنوات، إضافة انه يركز على التنمية الاقتصادية ويسعى بكل طاقاته على احلال التقارب التام مع أوروبا الغربية والدول العربية المحافظة (بغداد 857) أياً كانت الدوافع وراء هذه السياسة المزدوجة المتعلقة بالتنمية والتقارب وأياً كانت اللغة الراديكالية المستخدمة لإخفائها، فهذا من صفات نظام البعث، إن السياسة الناجحة تتطلب ان تكون مغايرة لما هي عليه اليوم، وبعتراف العديد يرى النظام نفسه كالفأر المحاصر".

هذا التقرير يرى الوضع القتالي الكوردي بزعامة ملا مصطفى أمراً ميؤوساً منه عام 1974:

"القيادة الكوردية تخوض معركة ميؤوساً منها . ولا تريد الأطراف المهمة بنجاحهم . حتى الايرانيون يقولون انهم لا يمنحونهم ما يكفي من المساعدة للتحويل إلى حالة الهجوم . أملهم الوحيد يبدو مرة أخرى هو الإطاحة بنظام بغداد . ويأمل الكورد بأن تغيير النظام سيؤدي إلى تبني سياسات أكثر تقبلاً تجاه الكورد . لكن الوهم الكوردي هو أكبر من الوهم الإيراني . جميع الأنظمة العراقية في الماضي، بما فيها البريطانية، الملكية والعسكرية، حسب علمي، رفضوا منح الأكراد مطلبهم في الحكم الذاتي . والفكرة القديمة المتمثلة في التحالف الكوردي الشيعي، على ما أظن كلا الفكرتين هما من قبيل الوهم وغير واقعية، فلا الأكراد ولا الشيعة يملكان المؤسسات ولا الموظفين لكي يحكموا ويواصلوا عملية التحديث . فالغالبية الكوردية والشيعة لاتزال تعيش أساساً في مجتمعات عشائرية وحياة العصور الوسطى . " ²⁶⁴

"أبلغني بسرّية تامة السفير البريطاني (GRAHAM) ان وزير البلاط أسد الله علم ذكر للبريطانيين أن إيران مصممة على مواصلة الحرب خلال منح البارزاني ليس فحسب ما يحتاجه خلال فصل الشتاء، إنما أيضاً ما يكفي من السلاح والمعدات الكافية لخوض القتال كاملاً في الربيع . إن كان هذا هو تفكير الشاه، فمن المؤكد تقريباً أننا سنشهد صراعاً اقليمياً واسع النطاق .

(.....سرّي)

(.....سرّي)

"ولذلك أعتقد أن الوقت قد حان لكي نعرض على الشاه أقوى مبادرة ممكنة لحسم تحديد تناقض صراع المصالح الأمريكية والإيرانية وكيف يمكن التوافق بين مصالحهما . وكما اقترحنا من قبل، أظن أن أكثر المساعي إيجابية بالنسبة للولايات المتحدة هي أن نوصي الشاه بأن يختبر مدى جدية الرغبة العراقية في المصالحة، وليس بتبني موقف معاند وعدائي مبني على أساس أن النظام البعثي غير قابل للاصلاح ."

يتضح مما سبق أن الولايات المتحدة الأمريكية لم تكن غائبة عن دفع الأمور بين طهران وبغداد باتجاه المصالحة، ولم تكن مهمة حتى من الناحية الإنسانية بأقار

الشعب الكوردي ومعاناته ناهيك عن الحقوق القومية المشروعة، ولم تكن نظرتها للزعامة الكوردية إيجابية كما ورد في التقرير السابق. لكن بالتأكيد كانت القيادة الكوردية متمسكة بالأوهام وتأبى رؤية الحقائق.

كانت قيادة البعث ومن خلال حملتها العسكرية السابقة عام 1963 ثم بعد عام من القتال في 1974 قد توصلت إلى قناعة أن الحرب لن تنهي الحركة الكوردية، ولذا ينبغي البحث عن حلول وراء الحدود. ومن هنا التوجه إلى الشاه، لكن لم يكن في مقدور حكومة بغداد التكهّن بانهيار الحركة الكوردية بمجرد التوقيع على اتفاقية الجزائر، فقد كان الاعتقاد أن الحركة ستستمر، لأنها مسندة من قبل الشعب الكوردي وأن القيادة الكوردية ملتزمة ببقاء الحركة ومستعدة لبذل التضحيات لديمومتها. لكن قطع المساعدات الإيرانية عنها سيسهم في الحل العسكري. والشعب الكوردي نفسه كان على اعتقاد ان قيادته ملتزمة بالحركة ولن تتخلى عنه مهما كان الثمن. إن شعار (كوردستان يان نه مان) ويعني (إما كردستان أو الموت) هذا الشعار كانت تردده الدعاية الحزبية ليل نهار، ومن خلال عملية التكرار الإعلامي الشفهي والمكتوب لأعوام طويلة تغلغت عميقاً في وجدان الشعب الكوردي ولم يشك أبداً في التزام القيادة بهذا الشعار الأساسي. لكن الأحداث التي تلت اتفاقية الجزائر ثبتت، أن حكومة بغداد والشعب الكوردي كانا على خطأ. لقد كانت الدعاية الحزبية تشدد على بطولات القيادة وعظمتها وشجاعته وإرادتها التي لاتعرف الهزيمة، وحتى عندما بعث ملا مصطفى بوفد إلى القاهرة لمقابلة السادات و ثم قابل الوفد محمد حسين هيكل، ودار نقاش حول موضوع التصالح بين بغداد وطهران، مع (محمد محمود عبدالرحمن)... ذكر الصحفي المصري لملا مصطفى في لقاء معه في طهران، قال له : "إنني أتذكر - قبل أيام من اجتماع الجزائر بين الشاه و صدام حسين — أنك بعثت إلى القاهرة بأحد نوابك في قيادة الثورة الكوردية لمقابلة الرئيس أنور السادات، وأتذكر أنني قابلت مبعوثك في القاهرة وأتذكر أنني نبهته إلى اجتماع تم ترتيبه بين الشاه وبين صدام حسين وأن اتفاقاً بين الاثنين يمكن ان يتم، وأتذكر أنه قال لي : مهما كان أي اتفاق بين الإثنين يتوصل اليه الشاه و صدام فاننا سنواصل المقاومة سنوات بعد سنوات... ولن نستسلم".... ومع ذلك فبعد أيام من اتفاق الشاه و صدام كنت انت تعلن الاستسلام.....²⁶⁵

265 جريدة الأنوار. 6 أيلول 1975 . أحاديث 2 . مناقشات مع صقر عجوز . بصراحة . محمد

جاءت مبادرة صدام في وقتها المناسب، فقد توصل لتوه كيسنجر إلى اتفاق فك الارتباط في سيناء بين المصريين والإسرائيليين، لم تؤيد هذه الاتفاقية سوريا، لذا يستوجب عزلها وتقليص دورها في نداءاتها القومية، فبالنسبة لكيسنجر وأنور السادات، لو أنهم تمكنوا من تخليص العراق من الشوكة الكوردية، سيكون هذا العراق المعترف بهذا الفضل، راغباً في السماح لمصر بالتعامل مع إسرائيل دون ضجة.²⁶⁶

ومن جانب آخر، كان الشاه يرسل الإشارات إلى الحكومة العراقية - إتباع سياسة العصى والجزرة - في كونه راغب في التوصل إلى حل مع الحكومة العراقية وفق شروطه. كان هذا الجانب الخفي من سياسة الشاه يقابل من جانب الزعامة الكوردية باللامبالاة، وكان للشاه علاقات جيدة مع الرئيس المصري أنور السادات. وكانت حكومة بغداد قد سهلت إستيطان مليون مواطن مصري في العراق للعمل وهذا ما خفف من أعباء الاقتصاد المصري الهزيل، وأراد السادات مساعدة بغداد والشاه الذي كان على علاقات جيدة معهما لإيجاد حل للصراع الدامي بين بغداد والحركة الكوردية.

"بدأ الديبلوماسية المصري أشرف مروان بالتشاور مع طهران وبغداد، وأعربت طهران عن استعدادها التخلي عن مساعدة الكورد مقابل تنازلات في منطقة شط العرب. وأومات بغداد أنها ستوقف من سياستها المعادية لإيران ولن تتحالف مع دمشق ضد اتفاقية سيناء. كما أبلغ السفير الجزائري في بيروت صدام حسين عن تأييد الرئيس الجزائري هواري بومدين".²⁶⁷ ومن الأرجح أن الحكومة الجزائرية كانت متخوفة من تصاعد مطالب الأمازيغيين في نيل حقوقهم القومية كما هو الحال مع الأكراد، وهذا واحد من أسباب اهتمام الجزائر في إنهاء المسألة الكوردية لصالح بغداد، علاوة على التضامن القومي العربي.

حسين هيكل.

- L'Express. Comment les Kurdes ont été trahis. Emile Guikovaty , 8 – 14 Mars. 266
1976
- L'Express. Comment les Kurdes ont été trahis. Emile Guikovaty , 8 – 14 Mars. 267
1976

كان الطرفان يقتربان بسرعة من الاتفاق من خلال دبلوماسية ماوراء الكواليس، وبمحاذاة ضربات المدفعية الإيرانية المتواصلة والمدروسة بدقة ضد مواقع الجيش العراقي في الجبهات وهو في حالة مزرية. ووجد الشاه ضرورة وجود ملا مصطفى في طهران أثناء حضوره قمة (الايوك) في الجزائر موجهاً اليه دعوة إلى طهران، فتوجه اليها ملا مصطفى في 26 شباط 1975. وجد الشاه مصالحة مع بغداد ومع العالم العربي أكثر مما هو مع الحركة الكوردية التي أصبحت عبأً عليه، وقع الشاه وصادم حسين مابداً اتفاقاً فجائياً للعالم وبالأخص للزعامة الكوردية، سميت باتفاقية الجزائر في 6 آذار عام 1975. وتعانق الطرفان وبدا أنهما سعيدان بهذا الإنجاز وسط تصفيق الحاضرين من رؤساء دول منظمة OPEC. كان ملا مصطفى وعدد من مساعديه في طهران يتابعون الأخبار من خلال الراديو والتلفزيون الإيراني وهم ضيوف الساقاك. وسمعوا بأنباء الاتفاقية وهم في العاصمة الإيرانية وكانوا يتابعون بقلق ما سيحصل في القمة وينتظرون عودة الشاه لسمعوا منه شخصياً نتائج الاتفاقية.

التخلي عن الشعب الكوردي (نهاية اللعبة)

ففي أثناء ما كان الايرانيون يسحبون مدافعهم
الى ايران (بعد اتفاقية الجزائر)
حمى وطيس القتال هناك وبقي الخط الدفاعي
صامداً والبيشمرکه يقاتلون باصرار ودون مبالاة بحياتهم
تماماً مثلما كانوا يفعلون في العام 1966 والذي سبقه
وفي احدى البرقيات وردت عبارة قرأها إدريس علناً
"نحن الآن في ثورة حقيقية."²⁶⁸
جرجيس فتح الله

يقول Trita Parsi عن أهمية دور إيران وموقعها الاستراتيجي في المنطقة:

"تبوأَت إيران الدور الرئيسي في المنطقة، طوال ثلاث آلاف سنة من تاريخها، كان ذلك يشكل معادلة طبيعية وليس استثناءً. فبين (550 ق. م و 630 ب. م.) كان الفرس من بين القوى الرئيسة في العالم، وقد أوقعوا الهزيمة بجيوش بابل، آشور، مصر، أثينا وروما. وأقام الفرس أول إمبراطورية في العالم تمتد من ليبيا في الغرب إلى أثيوبيا في الجنوب، ومن بلغاريا في الشمال والهند إلى الشرق. وواجهت روما القوية الإمبراطورية البارثية والساسانية كمنافستين لها. فلدى إيران وفرة من المصادر الطبيعية، ولها موقع جيواستراتيجي فريد، ثقافة نابضة وسكانها أكبر عدداً بكثير من جاراتها. ولكون الإيرانيين واعين لما لديهم من امتيازات، فقد طمحو دائماً إلى أن يكونوا الأول بين الأوائل في دفة الإدارة السياسة في المنطقة. هذه الحقائق لم تكن خافية على الشاه الذي كان يحلم بانبعاث ماضي إيران العظيم وبناء دولة قوية مثلما كانت في العهد الغابرة."²⁶⁸

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University press/new haven and London.2007.page: 39 268

كان الشاه قد تثقف في الغرب، يتكلم الفرنسية والإنكليزية بطلاقة، ويعي تخلف مجتمعه. وفي سياسته الخارجية كان يطمح إلى تفادي الاضطرابات الداخلية وتعزيز دور إيران في المنطقة. في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، واجه الشاه عداء جمال عبدالناصر والبعث في سوريا والعراق والمد الشيوعي، وعمل الشاه على تأليب ما أمكن من عوامل الصراع ضد الدول العربية المعادية له والمنافسة لإيران في الهيمنة على منطقة الخليج الفارسي - العربي ... من هنا اقتربه من إسرائيل، وبناء العلاقات مع الحركة الكوردية بعد إنقلاب 14 تموز عام 1958 في العراق يمكن تمييز مرحلتين من العلاقة بين طهران وتل أبيب: مرحلة العداء من الدول العربية الراديكالية، الناصرية والبعثية ضد الشاه. وكانت هذه الدول في نفس الوقت معادية لإسرائيل وللغرب ويدعمها الاتحاد السوفيتي. والمرحلة الثانية تبدأ بإنهاء العداء مع مصر بعد وفاة جمال عبد الناصر وتسلم أنور السادات الحكم، والتصالح مع العراق بالتوقيع على اتفاقية الجزائر في آذار عام 1975. وقد تأثرت علاقات الشاه بإسرائيل بمدى تأزم أو تحسن العلاقات مع الدول العربية الراديكالية. كانت العلاقات الإسرائيلية-الإيرانية في عهد الشاه مبنية على تحالف يسمح بمواجهة التهديدات الخارجية، وبالنسبة لإيران كان الهدف ضمان القبول العربي بالدور الرئيسي لها في منطقة الخليج ... يقول Trita Parsi عن العلاقات الثنائية الإسرائيلية-الإيرانية: "لم تتواجد المشاعر المناهضة لإسرائيل في الوسط الشعبي الإيراني فحسب، إنما داخل الحكومة أيضاً. كانت مشاعر موظفي الحكومة متأثرة بدافع سياسي وليس ديني. وحسب ما ذكره موظف إيراني سابق "حتى أولئك التكنوقراط الذين كانوا يساعدون إسرائيل، كانوا في الواقع غير راضين من المعاملة التي يتعرض لها الفلسطينيون. وكان نقد علاقات إيران بإسرائيل معروفاً ضمن الحكومة ووزارة الخارجية، بينما حَبَد السافاك والجيش علاقات أكثر رسوخاً مع إسرائيل. وكانت حجة وزارة الخارجية أن النفوذ العربي يتزايد في الأهمية، لأن جميع الدول غير المنحازة تقف مع العرب ضد إسرائيل. لكن وزارة الخارجية كانت عديمة التأثير على سياسة إيران تجاه تل أبيب، لأن الشاه والسافاك أخفيا هذه الأمور عنها".²⁶⁹

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University press/new haven and London.2007. page:62 269

إن قرار أنور السادات طرد الخبراء السوفييت من مصر في 18 تموز 1972 كان موضع ترحيب الشاه، وحاول من جانبه التقرب من أنور السادات، وقد تقوت الروابط بين الدولتين بشكل تدريجي، وسعى الشاه إلى استغلال هذه العلاقة لضمان نفوذ أكبر في العالم العربي وحل مشاكله فيما بعد مع العراق.

وبالنسبة لإسرائيل كانت حرب أكتوبر عام 1973 لحظة تاريخية هامة للتأكد من موقف إيران تجاه ماتعرضت له من تهديد مباشر لوجودها، فقد وجدت إسرائيل أن الشاه كان ينظر إلى الحرب من زاوية تعزيز مركزه ومصالحه في المنطقة، ولم يساعد إسرائيل أثناء محنتها في حرب يوم الغفران. فرغم وجود تبادل معلومات فيما يخص العراق، لم يشاطر الشاه إسرائيل شيئاً عن علاقاته بمصر والتي ظلت تشكل مع وجود ناصر أو بدونه، تهديداً لإسرائيل رغم تقربها من المعسكر الغربي وابتعادها عن السوفييت، كما أثبتتها حرب أكتوبر في ظل حكم السادات. "ورغم برودة الموقف الإيراني، كانت الدولة العبرية بحاجة أكثر إلى إيران بعد الحرب مما كان قبلها. لم يكن لدى إسرائيل خيار آخر غير إعادة استثمار العلاقات مع طهران، بسبب نقص مجالات المناورة لمتابعة خطط أو تحالفات بديلة".

ومن أجل بناء علاقات أفضل مع إيران، اختارت تل أبيب Uri Lubrani شخصية خبيرة، كرئيس لبعثتها في طهران عام 1973، وكان قد تدرج في مناصب عديدة هامة ضمنها مستشار للشؤون العربية لـ (دفيد بن غوريون). كان هذا التعيين يهدف إلى زيادة أهمية إسرائيل الدبلوماسية لدى الإمبراطور الإيراني، لكن كانت الخيبة، إذ لم يحضر أي دبلوماسي إيراني للترحيب بـ (لوبراني) في مطار مهرآباد، كما إن طلبه مقابلة الإمبراطور إستغرق ثلاث سنوات ونصف.²⁷⁰

بعد حرب أكتوبر 1973 بدأت إيران البحث عن سبل أخرى لتقليص اعتمادها على خط الأنابيب الإسرائيلي لتصدير نفطها إلى أوروبا. فخط Eliat – Ashkelon كان قد فقد نوعاً ما أهميته الاستراتيجية، لقد بنى أصلاً من أجل تمكين إيران تفادي أراضي تحت سيطرة حكومات معادية لها ومدعومة من قبل جمال عبدالناصر.

Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and Treacherous 270
London.2007.page: 51

أدت خشية إسرائيل من قيام إيران بوقف استخدام خط الأنابيب إلى شنّ جهود دبلوماسية لإقناع الشاه بعدم اتخاذ مثل هذا الإجراء. وبهذا الصدد يعلق البروفيسور الإسرائيلي Soli Shavar: "تخوف الإسرائيليين كثيراً. فزيارات قادتها، يغال آلون، رابين و بيريس... كان من أجل الحصول على ضمانات أكثر من الشاه فيما يخص استمرار تدفق النفط. وكان هذا أهم موضوع بين إيران وإسرائيل عقب حرب يوم الغفران".²⁷¹

إعتقد الشاه أن اللوبي اليهودي يسيطر على وسائل الإعلام الأمريكية، وأن معظم المقالات الافتتاحية في الـ New York Times هي من وحي إسرائيل، لذا لم يسع لمعاداتها. وعندما تدهورت سمعة حكم الشاه في أمريكا في السبعينات وبعد تزايد صدى الخروقات في مجال حقوق الإنسان وضيق مجال الحريات الديمقراطية في إيران، زادت حاجة الإمبراطور إلى اللوبي اليهودي لتحسين صورته. وهذا ما أتاح لإسرائيل عرض الدعم مقابل تنازلات منه. ووعد بذلك شمعون بيريس. لكن حسب ما ذكره السفير الإيراني الدائم في الأمم المتحدة هويده أن بيريس لم يقيم بعمل، والوعد لم يكلفه شيئاً، مجرد حيلة رخيصة.²⁷²

استمرّ تقرب الشاه من السادات، فبعد وقف إطلاق النار في 1973، بادرت واشنطن إلى مفاوضات فك الارتباط بين مصر وإسرائيل. ولعبت إيران دوراً فعالاً في المفاوضات دعماً لموقف السادات. وكان الشاه يدعو إلى إعادة جميع الأراضي المحتلة مقابل السلام. وانتقد الشاه إسرائيل لموقفها "المتصلب والخالي من الحكمة" في طلبها من الدول العربية الاعتراف أولاً بإسرائيل. وضغطت طهران على تل أبيب بتجميدها التعاون العسكري والتوقف عن شراء الأسلحة الإسرائيلية. وأعلم موظفون إيرانيون [لوبراني] مبعوث تل أبيب في طهران، أن العلاقات تبقى مجمدة طوال المفاوضات بين مصر وإسرائيل. وفي مقابلة مع صحفي أمريكي يعمل في اليومية البيروتية [الحوادث] رفض الشاه صراحة الاستراتيجية الإسرائيلية المبنية على نشدان الأمن خلال احتلال الأراضي. وذكر الشاه:

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University press/new haven and London.2007.page: 51 271

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University press/new haven and London.2007.page:63 272

"إسرائيل ترتكب خطأً كبيراً في الاعتماد على الأراضي العربية المحتلة مقابل أمنها.... ففي هذا العصر، تحلق الطائرات على إرتفاع 80 000 قدم، وصواريخ أرض - أرض لاتعرف الحواجز، لم يعد هناك شيء إسمه حدود إسرائيل الآمنة.... الضمان الوحيد لأمن إسرائيل هو ضمان دولي لحدودها السابقة... هل لدى إسرائيل مايكفى من الرجال لإحتلال كل الأراضي العربية؟ هل بإمكانها الذهاب إلى الجزائر؟ هل بإمكانها قتال المملكة العربية السعودية؟ وأكثر من هذا هل تتمكن إسرائيل تحمل النفقات العسكرية لعشر سنوات قادمة؟ من سيدفع هذه المصاريف؟ أنتم الأمريكان، ومن أجل ماذا؟ هل لدعم مسألة غير أخلاقية- إحتلال أراضي الغير بالقوة؟"²⁷³

ويعلق Trita Parsi على تصريح الشاه: "هذه الكلمات كانت محبطة لإسرائيل، لكن العمل الخياني الأكبر تجاه الدولة العبرية - من منطلق إسرائيل - كان في طريق القدوم. فقد كانت إسرائيل على قناعة تامة بأن "الشاه سيستمر نقد إسرائيل في العلن من أجل رضا العرب" في حين يحتفظ لديه بالخلافات الأساسية مع إسرائيل ويحول دون ظهورها للعلن. ولم تتوقع تل أبيب حتى في أكثر لحظات الخلاف حدّة بين إيران وإسرائيل - النهاية المفاجئة في وقف إيران دعمها ووقف المساعدات الإسرائيلية للتمرد الكوردي في العراق، بالتوقيع على اتفاقية الجزائر لعام 1975 - فالشاه لم يتشاور أبداً مع إسرائيل.²⁷⁴ في الواقع لم يكن الشاه الشديد الحساسية للعلاقات الكوردية الإسرائيلية ليطمئن من نوايا إسرائيل، رغم تمسك إسرائيل بكامل التنسيق مع طهران. لذا نراه يمسك بخطوط العلاقة كاملاً ولايقبل إخفاء شيء عنه.

وبعد اتفاقية الجزائر (آذار 1975) التي شكلت ضربة قوية للاستراتيجية الإسرائيلية وزعزعت ثقة إسرائيل بالشاه، كال الأخير ضربة أخرى لإسرائيل، فقد تمكنت الدول العربية في الأمم المتحدة إخضاع اعتبار الصهيونية مرادفة للعنصرية للتصويت، وأقرت الهيئة العامة للامم المتحدة قرار 3379 أن "الصهيونية شكل من أشكال العنصرية والتمييز العنصري" ودعت إلى إنهاء جميع أشكال التمييز العنصري

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and 273
London.2007.page:52

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and 274
London.2007.page: 52

بما فيها الصهيونية. هذا القرار اتخذ في 10 نوفمبر 1975، صوت له 72 دولة و35 دولة ضده وامتنعت 32 دولة الإدلاء بصوتها. وصوتت إيران لصالح القرار، مما ولد خيبة كبيرة لدى الإسرائيليين. كانت إيران تقترب في سياستها من الدول العربية وتريد إثبات استقلاليتها والقيام بدور رئيسي في منطقة الخليج، وإنها ليست خاضعة لسياسة واشنطن أو تل أبيب. ويعترف السفير هويده: "نظراً لسياسة الشاه التي تتوخى الهيمنة في الخليج الفارسي، لم يكن بالإمكان تجنب التصويت لصالح القرار... وأن سياسة إيران الطامحة للزعامة حالت دون تبني موقف رفض التصويت."²⁷⁵

وفي طهران، عبّر الإسرائيليون عن خيبتهم من هذا الموقف، حيث إلتقى رئيس البعثة الإسرائيلية بالشاه الذي رفض مناقشة الموضوع بذريعة أن لافائدة من مناقشة شيء مضي.

"كان من نتائج ارتفاع أسعار النفط بعد حرب يوم الغفران 1973، أن توخت إيران والعراق القيام بدور إقليمي أكبر، فتعاظم أهمية بناء جيش قوى وتوسع كبير وسريع في الحقل الاقتصادي. ونظراً لإستيرادات بغداد الضخمة من البضائع الخارجية فقد زادت أهمية موانئ البصرة وأم قصر والسيطرة الكاملة على شط العرب. أما إيران فممنذ بداية الستينات كانت قد بدأت باستغلال مصادر النفط الساحلية للخليج الفارسي، وأقامت تسهيلات هامة في الموانئ لشحن وتفريغ البضائع في جزيرة خرج، مقلصة اعتمادها في مجال تصدير انتاجها وتسويقها النفطى من أنابيب لنقل البترول المنقى من مصافي عبادان إلى موانئ التصدير أسفل الخليج الفارسي. وكان هذا انعكاساً للقلق الإيراني تجاه تدخل وملاحقة السفن الإيرانية في شط العرب. لقد أمسى الميناء الإيراني الرئيسي خرّم شهر، المتاخم لعبادان، شريان الحياة لاستيراد ملايين الأطنان سنوياً من البضائع، إضافة إلى إستثمارات الدولة والقطاع الخاص في العديد من المجالات مثل البتروكيماويات، الصلب وصناعة الأنابيب وغيرها.... لقد تحولت خوزستان إلى مركز صناعي هام. وبالنسبة للطرفين، تضاغت أهمية شط العرب والخليج الفارسي، فعلى سبيل المثال حاولت بغداد عام 1973 إقناع الكويت بتحويل او ايجار جزيرتي (بوبيان) و (وربة) للعراق، هاتان الجزيرتان تطلان على مدخل يّودى إلى الميناء الخليجي لأم قصر العراقي، وتمليك العراق لهما كان

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007. page:65 275

سيسمح لها بتطوير مرفأ عميق المياه في الخليج.... عندما رفضت الكويت هذا الطلب، حاول العراق أخذهما بالقوة.²⁷⁶

شعارات البعث القومية: وحدة، حرية، إشتراكية، وعدائه المعلن للمعسكر الغربي واللعو الثوري الموجه ضد دول الخليج والأنظمة العربية المحافظة، وعلاقاته مع الاتحاد السوفيتي والتوقيع معه على معاهدة صداقة وتعاون في شهر أبريل 1972، وتبني نظام البعث الثاني شعار تحرير (خوزستان) ودعمه للتمرد في ظفار وللثوريين اليساريين في اليمن ولجبهة تحرير الخليج العربي المحتل، كل ذلك كان مبعث قلق واهتمام الشاه... كما ان خوفه من المد العربي بقيادة جمال عبدالناصر، دفعه إلى بناء علاقات قوية خفية مع إسرائيل.

فيما سبق من فصول تعرفنا على شخصية صدام حسين وشخصية ملا مصطفى، ولا بد من كلمة حول شاه إيران. استغل الشاه إلى أقصى حدّ تجاوب الرئيس الأمريكي نكسون فيما يخص مبيعات الأسلحة المتطورة، وبازدياد حجم الجيش الإيراني من 225000 في عام 1972 إلى 385000 في عام 1975 ازدادت الحاجة إلى تسليح متطور لجيشه. وساعد نهم الشاه في شراء الأسلحة، انقاذ الاقتصاد الأمريكي من مخلفات أزمة البترول في بداية السبعينات، بعد حرب أكتوبر، فمعظم النفقات المالية التي صرفتها الولايات المتحدة في أزمة بترول الشرق الأوسط، عادت مجدداً إلى واشنطن من خلال دفع الشاه ثمن مبيعات السلاح الأمريكي. فمنذ عام 1972 إلى 1977 كانت نفقات إيران تشكل ثلث جميع مبيعات الأسلحة الأمريكية. كما ان استمرار نمو الاقتصاد الإيراني ساعد الشاه على تبني سياسة أحادية الجانب والتي أثارت شكوك واشنطن وتل أبيب حول طموحات الشاه الخطيرة.²⁷⁷

فقد زادت ميزانية القوات المسلحة للسنة المالية 1973 - 1974 زادت بـ 300%، وبلغ الانفاق على المبيعات العسكرية أكثر من الضعفين، كان الشاه هو الذي يقرر

Iran, Iraq, And The Legacies Of War. By Lawrence G. Potter and Gray G. Sick. 276
Palgrave Macmillan, 2004. P: 17-18

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University press/new haven and 277
London. 2007. p: 58

حاجات الجيش لنوع السلاح دون استشارة القادة العسكريين.²⁷⁸

في لقاء بينه وبين Nelson Rockefeller نائب رئيس الولايات المتحدة في 24 آذار 1976، أفصح له الشاه عن أطماعه: "إن سياستي نزيهة وصريحة وليس لدي أجندات أخفيها، أقولها علناً أريد أن تلعب إيران دوراً في المحيط الهندي. ليس لدي اعتراض في التواجد الأمريكي، في الواقع سوف أدافع عن مصالحكم بعزم."²⁷⁹ بدأت أساطيل الشاه تجوب حول خط العرض العشرين ثم أبعد نحو خط العرض العاشر، وأخذت تبجر سواحل شرق أفريقيا، عارضة عضلاتها، وشعر الشاه أنه لا يستطيع التفاوضي عن المجابهة بين الصومال وإثيوبيا، فساند الصومال عسكرياً واقتصادياً. وكان هذا حسب ما ذكره دبلوماسي إيراني: "نتيجة جنون العظمة لديه وللدور الذي كان يتخيله لائتقاً لإيران." وفي نظر أحد المختصين في الشأن العراقي Andrew Parasiliti أن تزايد طموحات الشاه بعد 1975 كانت انعكاساً للحفاظ على نفوذ طهران في وقت كان ينحسر أمام زيادة التسلح العراقي الشامل بقيادة صدام حسين. أخذ الشاه يتدخل في كل أمور الدولة، "فجأة، تصور أنه أذكى من الجميع"، حسب مذكره وزيره هويده. فقد ألق الشاه عن عادة استشارة الخبراء وأصرّ على تحليلاته واتخاذ القرارات بنفسه. كانت تصله المعلومات والاحصاءات من السافاك ومن وزارة الخارجية دون تحليل، تاركين له الاستنتاج واتخاذ ما يحلو له من قرار، فتأصلت لديه نزعة الإدارة السريّة التامة وفقدان الثقة بالآخرين مما ساهم في سقوط عرشه في النهاية. وعندما توسعت ظاهرة عدم الاستقرار في إيران، انغمس أكثر في عادة معاقبة مستشاريه الذين قدموا له تقارير عن التطورات السلبية، بحيث لم يبق غير عدد قليل من الذين تجرؤوا على قول شيء ما له. وعندما اصطدم بالواقع، كان الوقت متأخر جداً.²⁸⁰

يقول الرئيس الأمريكي ريتشارد نكسون في معرض أهمية دور نظام شاه إيران بالنسبة لأمريكا: "وبعد انسحاب البريطانيين عام 1971، أخذت إيران مكانهم كقوة عسكرية ضامنة للاستقرار في الخليج، وفي عشية انسحاب البريطانيين، احتلت

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin>s Press, New York. 1991. page: 13. 278

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin>s Press, New York. 1991. page: 66 279

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin>s Press, New York. 1991. page: 66 280

القوات الإيرانية الجزر الاستراتيجية أبو موسى وجزيرتي طومب الصغرى والكبرى، المطلتين على مضيق هرمز. وفي 1973 أرسل الشاه قوات إيرانية إلى مقاطعة ظفار العمانية، حيث العصابات الماركسية الممولة من جارتها اليمن الجنوبي، تهدد نظام السلطان العماني. كما أمر الشاه بحراسة مضيق هرمز من قاعدة بحرية في شاه بهار في بلوچستان الإيرانية. علاوة على رفضه المشاركة في المقاطعة النفطية العربية في 1967، وفي 1973، استمر الشاه بالاعتراف بإسرائيل، كما زود اسطولنا المتوسطي بالبترول، وحال دون قيام العراق بدور هام في حرب يوم الغفران، من خلال نقل القوات على الحدود العراقية الايرانية ومن خلال منح مساعدة سرّية لقوات التمرد الكوردية، وبهذا ربط الجيش العراقي. وخلال تلك الحرب، كانت إيران البلد الوحيد في المنطقة الذي منع السوفييت استخدام الأجواء الإيرانية، كما انه سارع في توفير البترول إلى إحدى حاملات الطائرات في المحيط الهندي لكي تستمر في عملها. وعندما طلبنا من حلفائنا بإرسال القوات إلى فيتنام الجنوبية قبل ان تحظرها اتفاقية باريس، جرّد الشاه نفسه من F.5's وذلك لمساعدتنا.

كما أن الشاه أظهر القوة لحماية السعوديين الأثرياء والمعرضين للضغوط. كما انه حلّ مشاكل تتعلق بخلافات على أراضٍ للبحرين وللعراق. وشجع اتفاقات تخص أمن المنطقة مع دول خليجية أخرى. وعندما تعثرت جهوده بالانقلاب الشيوعي في أفغانستان، سعى إلى كسب ودها للحيلولة دون اعتمادها على الدعم العسكري والاقتصادي السوفيتي.²⁸¹

وفي خلال الشهرين بعد إعلان بريطانيا في شهر كانون الثاني 1968 عن نيتها الانسحاب من الخليج، بدأ الاتحاد السوفيتي بإرسال اسطول بحري إلى المنطقة، وأصبح للأسطول السوفيتي تواجد دائم في المحيط الهندي منذ شهر آذار عام 1968.

جاء هذا لسوء الحظ في وقت تعالت فيه صيحات مناوئة للحرب في فيتنام، مما أثار تساؤلات جدّية بشأن إمكانية دعم الرأي العام الأمريكي القبول بتبني التزام في نزاع بعيد مثل الخليج الفارسي.

وبدل أن نحل محل البريطانيين بشكل مباشر، اختارت الولايات المتحدة الاعتماد على القوى الموجودة في المنطقة، وبشكل رئيسي على إيران والمملكة العربية السعودية. لضمان الأمن في الخليج، في حين مساعدتنا تركزت على توفير السلاح وتجهيزات أخرى. خطتنا المبنية على الركينتين سارت بشكل جيد إلى أن انهارت إحدى هذين الركينتين - إيران - في 1979.²⁸²

إن تعامل الولايات المتحدة مع الشاه وكأنه يمثل قوة عظمى أنمى -إضافة إلى عوامل أخرى- داخل شخصية الشاه الشعور بالقوة والعظمة ساعد في تغذية الوهم القاتل "جنون العظمة" الذي أدى بدوره إلى تهاوى عرشه أمام انتفاضة الشعوب الإيرانية.

"من الطبيعي أن ينظر الشعب الإيراني إلى الاصلاحات الاجتماعية التي قام بها الشاه في البداية، كأولى المراحل في الحركة التي تؤدي نحو الحريات الفردية والمشاركة الشعبية في العملية السياسية وسيادة القانون في البلاد. لكن بالنسبة للشاه روح التفاضل هذه شجعت في تبني اتجاه معاكس، لقد قوت فيه نزعة جنون العظمة، وبدأت الأحلام في مستقبل زاهر تبتعد بشكل خطير وتتبخر..."²⁸³

فبعد 22 عاماً مليئة بالأحداث مرّ بها التاج، وصل الشاه بحكمه إلى مفترق طرق، فبدل أن يستجيب للحاجات الروحية والمادية لشعبه، حيث الطريق الذي يفضي إلى خلوه كمصلح عظيم، اختار الشاه العظمة الزائلة، وبدل أن يخلق نظاماً كان من الممكن ان ينقذ إيران من حالة التخلف والبؤس، تخلى عنه الشاه فأنهار. لم يتحمل الشاه فكرة المشاركة الديمقراطية في العملية السياسية، كما لم يسمح لشخص آخر نال قدرًا من الشعبية، وهنا تكمن مأساته، فقد رأى في كل إنسان حق نجاحاً ونال الإحترام، عدواً محتماً. ولقطع الطريق أمام هذا التهديد إهتم بسد المسالك أمام نيل القاعدة الشعبية والسلطة. ففي نظر الشاه، نال الدكتور مصدق تعاطفاً شعبياً في اوساط المجتمع الإيراني بسبب نجاحه في مجال تأمين النفط، ولذا أمر بإعادة هيكل الصناعة النفطية لتفادي سيطرة أي شخص في هذا الميدان.

The Real War. Richard Nixon. Warner book Edition. 1980. p:82 282

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 8 283

وعندما حقق وزير المالية جمشيد آموزكار نصراً في المفاوضات بين OPEC وشركات النفط نقله الشاه إلى وزارة الداخلية، وقبل هذا بأعوام وكما أظهر أرسنجاني أنه حتى في وزارة متواضعة كوزارة الزراعة يمكن أن توفر أساساً للشعبية والسلطة، نقله الشاه بعيداً وعينه كسفير، وثم قسّم عمل وزارة الزراعة بين خمسة وزراء وبهذا قضى على التهديد كلبية.

كان الشاه شديد الحساسية حتى أزاء الأشخاص الذين عينهم هو، لذا فليس من المستغرب ان يرى في شعبية ونجاح زعماء انتخبوا خلال العملية الديمقراطية أمراً لا يمكن التسامح معه، وبمرور الأعوام أصبحت كلمة الديمقراطية مبعث حساسية لديه... " 284

كان الشاه لا يكتفي أي احترام لوزرائه، يقول وزير البلاط وصديق الشاه الحميم أسدالله علم عندما التقى به في 23 شباط 1975:

"... إقترحت أن يرافقه في زيارته للجزائر فريق ذو مستوى عال، يتضمن وزير المالية، وزير الداخلية والذي هو في الوقت ذاته الوسيط الرئيسي مع OPEC، مدير البنك المركزي وعدد من الخبراء المنسقين، ضمنهم الدكتور فلاح. لكن ماذا سيفعل جميع هؤلاء الحمير، تسائل الإمبراطور. قلت في جوابي يمكنكم أن تطلقوا عليهم أي اسم تريدون، لكن حضورهم ضرورة هامة. اعترف الشاه أنه قد أكون على صواب...." 285

وفي مذكراته يوم 2 آذار 1975، بيومين قبل انعقاد مؤتمر الدول المصدرة للنفط في الجزائر، يقول أسدالله علم: "... بعد الظهر ألقى جلالة الإمبراطور المعظم كلمة في الاجتماع الخاص، معلناً عن آرائه حول النظام السياسي. وقال أن الرأي القديم عن الحزب المعارض هو في طور الاحتضار، في المستقبل سيكون هناك حزب واحد فقط، تتمثل فيه الحكومة والمعارضة، اليسار واليمين. ويجري النقاش السياسي ضمن إطار الحزب الواحد، ويسهل ذلك إسماع آراء المعارضة وإن اقتضت الضرورة

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 10 284

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 413 285

الحل محل قادة الحزب....²⁸⁶

يوم الخميس 6 آذار 1975

"... أعلن الرئيس الجزائري بومدين أن الخلافات بين إيران والعراق انتهت...
وتعانق جلالته الإمبراطور مع صدام حسين أمام الأنظار وأعربا عن شكرهما
للجزائر..."²⁸⁷



عناق الشاه وصدام حسين بعد التوقيع على اتفاقية الجزائر 6 آذار عام 1975

7 آذار ، الجمعة . 1975

وصل في الساعة الثانية صباحاً جلالته الإمبراطور وهو مفحم بالتفاؤل، إنه يستحق النصر الذي أحرزه.... جلسة معه عند الظهيرة.... قلت لجلالة الإمبراطور في نظري ان زيارته هذه هي الأكثر نجاحاً من كل الزيارات الاخرى. إنها كذلك، أجاب. "رغم إنها أرهقتني. لم أنم أكثر من ساعتين كل ليلة. وفي غرفة الحمام حيث الميزان، وجدت أنني فقدت ثلاثة كيلوغرامات كاملة. ومع الـ OPEC مرّ كل شيء على مايرام، أو تقريباً كما هو الحال في التسوية مع العراق. كان عليّ التعامل مع مشكلتين مزعجتين ورثتهما عن والدي، إطالة أمد اتفاقية النفط ومعاهدة شط العرب، لا أستطيع لومه، ربما لم يكن لديه خيار آخر. لكن الحمد لله، رغم ذلك توصلت إلى حل راديكالي لمشكلة النفط، والآن بعد مضي وقت طويل تمكنت من تمزيق معاهدة شط العرب."....

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 415 286

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page : 417 287

سألته ماذا سيكون مصير قوات الأنصار الكوردية. كما يبدو انه أمر الجنرال نصيري أن يعرض عليهم الملجأ في إيران. ولكن ماذا عن فكرة الحكم الذاتي لكوردستان؟ كلام فارغ، قال جلالة الإمبراطور، لقد عانوا من هزائم متلاحقة، وإن لم يكن بسبب دعمنا لما قاوموا عشرة أيام ضد العراقيين. أمضيت أربع ساعات ونصف مع صدام حسين، اعترف ان العامل الوحيد الذي حال دون تحقيق النصر النهائي على الأكراد كان تواجد قواتنا ومدفيعتنا. اقترحت، مع هذا ان مطالب الأكراد قد تكون ذات فائدة لنا يوماً ما، قد يكون ذلك صحيحاً، أجب، لكنني لا أستغرب أن تكون اتفاقيتنا ثابتة مع صدام حسين، يمكن ان تتجه بغداد نحو علاقات وثيقة معنا وأن تبتعد عن النفوذ الخارجي وبالأخص التأثير السوفيتي. أجبته، لكن في العام الماضي، كان العراقيون على وشك الاستجابة للمطالب الكوردية، الحق يقال رفض الأكراد العرض إستجابة لطلب جلالتمكم. أجبني بحجه معاكسة، كلا، الطرفين كانا يعرفان انه ليس لدى العراق نية جادة في تنفيذ الوعد، لم يكن وعداً، بل مجرد حيلة رخيصة لا أكثر.²⁸⁸

لا يذكر أسدا لله علم شيئاً عن الذي جرى عند لقاء الشاه بملا مصطفى في 11 آذار 1975 بعد اتفاقية الجزائر، لذا نورد ما يذكره الدكتور محمود عثمان بالنص، إذ كان موجوداً أثناء الاجتماع:

”...أبلغ الشاه البارزاني ان اتفاقية الجزائر تلزمه (أي الشاه) بقطع مساعدات ايران عن الثورة الكوردية وكذلك كل المساعدات التي كانت تأتيه عن طريق ايران.... الخ. وأراد أن يعرف رأي ورد فعل البارزاني وبإختصار أجب مايلي: نحن شعبيك ومادمت راضياً عن اتفاقية الجزائر وتؤمن مصالح إيران التي هي وطننا الأم لا يوجد لدينا أيضاً شيء ضدها ونحن رهن أوامرنا اذا قلت موتوا نموت أو عيشوا نعيش. لقد كنا مخلصين لك ولانزال وسوف نبقي هكذا في المستقبل أيضاً ونأمل أن تستمر رعايتكم لنا ولقضيتنا دوماً.... الخ“²⁸⁹

. page : The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991 288
417 - 418

289 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها. الحزب الديمقراطي الكردستاني- اللجنة التحضيرية ص: 88 - 89

ونعود لما يذكره أسدالله علم في مذكراته في اليوم الثاني بعد مقابلة ملا مصطفى والوفد المرافق له، يوم 12 آذار، الأربعاء. 1975
... وجدت جلالته في مزاج أفضل عما كان عليه البارحة. السبب بسيط. بالأمس بعد الظهر كان قلقاً لمقابلة مصطفى البارزاني، الزعيم الكوردي، طبيعي أن يشعر بالحرج إلى حد ما لمقابلة الرجل وجهاً لوجه، رغم أن الكورد كانوا سيلقون الهزيمة منذ وقت طويل لو لم يكن هناك دعم منا... هناك حوالي 100 مدفع ميداني إضافة إلى ما لا يحصى من صواريخ SAM المضادة للدبابات، كلها تحت إشراف إيراني في كوردستان، ومالم يكن هنالك فرصة لإعادتها في الوقت المحدد، ينبغي تدميرها بأقرب وقت ممكن...

إن الرأي العام العالمي يتهموننا بالخيانة، لكنهم لا يفكرون ولو للحظة كيف كانت ستكون عليه حالة الأكراد بدون الدعم الإيراني. وفي كل الأحوال فكرة كوردستان المستقلة ليست في صالحنا...²⁹⁰

وبتواريخ 21 آذار إلى 3 أبريل/نيسان 1975 يذكر أسدالله علم ".... وصل سفيرنا من عمان مع رسالة من الملك حسين، فيها أسماء عدد من القوميين الكورد، ينوون التآمر على حياة الإمبراطور المعظم. وكما ينبغي قدمت الرسالة إلى السافاك...."²⁹¹

الإثنين 14 أبريل /نيسان 1975

مقابلة مع الشاه... نشرت جريدة إطلاعات رسالة من أحد قرائها يتساءل فيها لماذا يضع دستور الحزب الجديد القليل من الأهمية حول تعيين أعضاء الحكومة وطريقة إدارتها.... انتاب جلاله الإمبراطور غضب شديد، وأمرني أن أتصل بالناشر، لأقول له أنه مجنون لكونه نشر مثل هذا الترهات. قل له بوضوح، أن تعيين أو إقالة الوزراء من اختصاص التاج. أنا ووريثي نبقى السلطة العليا فوق السلطة التنفيذية. قل له أن صحيفته لا تخدم قراءها عن طريق السمسة للجهلاء، إنما عليه أن يشرح مثل هذه الوقائع الدستورية لهم...²⁹²

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 418 290

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 420 291

The Shah And I. Asadollah Alam. St. Martin's Press, New York. 1991. page: 420 292

زادت الأرباح الخيالية التي كانت تصب في خزينة الدولة، من مردودات النفط بعد حرب أكتوبر عام 1973 من سلبيات الشاه، وتولدت لديه أوهام قاتلة، معتمداً على الأخبار التي يأتي بها جهاز السافاك القمعي والمعاد للحريات، ومسنداً ظهره إلى الجدار الأمريكي، لايهتم بأوضاع الغالبية العظمى للمزيرة للشعوب التي تعيش في إيران ولا برفع الحظر عن الحريات العامة. وعندما تتحكم الأوهام في عقلية الحاكم المستبد، ويصاب بجنون العظمة، ينقاد بخطوات أسرع وراء الأهوام ظاناً إنها تقربه من تحقيق أهدافه وتضمن له العظمة التاريخية! في حين يقربه ذلك من سقوطه النهائي.

ماورد ذكره قد يلقي مايكفي من الضوء لبلورة انطباع معين لدى القارئ عن نرجسية شخصية الشاه السياسية وتفرد بالقرارات المصيرية والتي أصبحت فيما بعد وبالاً عليه، على بلده وعلى المنطقة. ويبدو أن الشاه كان يخطط منذ زمن بعيد، دون ان يفشي بذلك إلى وزرائه، إرغام بغداد على توقيع اتفاقية تحقق أطماعه في شط العرب وفي الخليج، وفي الوقت ذاته يقضي على الحركة الكوردية في العراق. وفيما يتعلق بالحركة الكوردية في كردستان إيران، كان قد اضعفها كثيراً باستخدام قيادة (حدك) العراق ضد (حدك) إيران.

وفيما يتعلق بالعلاقات الإسرائيلية الكوردية والعلاقات الأمريكية الكوردية، ربما كان في قرارة نفسه يخشى أن تدعم هذه الدول الشعب الكوردي دعماً حقيقياً يقود إلى نيل الحكم الذاتي أو حتى بناء دولة كوردية. لذا إحتفظ هو بكل المفاتيح في هذه العلاقة. ولم يبد اهتماماً لا للأمريكان ولا لإسرائيل عندما نال مبتغاه من دعمه للقيادة الكوردية، فوقع على اتفاقية الجزائر في آذار عام 1975. في الواقع كانت إسرائيل متعاطفة مع محنة الشعب الكوردي: "لم تكن إسرائيل متخوفة من تشكيل دولة كوردية" ويذكر المبعوث الإسرائيلي Eliezer Tsafir قلنا للأكراد: "إننا ندعمكم في كل ماتعملونه في حالتي الحرب أو السلم".²⁹³ لقد كانت مصالح إسرائيل أكثر تطابقاً مع مصالح الكورد، على عكس إيران التي تعاملت مع الحركة الكوردية من منطلق تأمري، مستغلة لامبالاة القيادة الكوردية وجهلها.

وكما صدق الشاه أوهامه وسقط، كذلك سقط ملا مصطفى لأنه صدق أوهامه، ويقول محمد حسنين هيكل عن ملا مصطفى: "إن المنطق القبلي في إدارة الحركات الشعبية لا يستطيع أن يدير التوازنات الضرورية التي تتحرك من حول أي حركة شعبية... ذلك أن زعماءه يصلون إلى لحظة يقبلون فيها المساعدة من أي مكان متصورين أنها لا تقيدهم في النهاية، وذلك من أوهام السلطة المطلقة، ولهذا فإنهم يقعون في محذور أن تستغلهم قوى لا يعرفونها، بينما يتصورون أنهم القادرون على استغلال هذه القوى".²⁹⁴ في واقع الأمر كانت الزعامة الكوردية مستبشرة برؤية الجيش الإيراني يقصف مواقع الجيش العراقي في نهاية عام 1974 وبداية 1975، واعتبرت ذلك بمثابة عبقرية نادرة للزعامة الكوردية في مجال إدارة الصراع في العلاقات الخارجية. أي دفع إيران والعراق نحو المجابهة العسكرية، وانهم سيجنون ثمار النصر. وفاتها أنه ليس من المنطق أن يشتبك الجيش الإيراني مع الجيش العراقي ثم يتخلى عن فرصة المفاوضات مع بغداد ليستغلها الطرف الكوردي ويدعه يقطف ثمار المعركة لصالحه. في واقع الأمر كان الجيش الإيراني يحارب لمصلحة إيران، ويخفي عداؤه المزمع للشعب الكوردي، كما استغل الشاه استسلام القيادة الكوردية لرغباته لفرض التسوية وفق شروطه على بغداد. إن طريقة تعامل ملا مصطفى مع شاه إيران يعيد بقوة إلى الأذهان طريقة تعامله مع الضباط السياسيين البريطانيين في الأربعينات من القرن الماضي، لم يتغير أسلوب سياسته مع الأقوياء طيلة حياته. فكان يفرض في الخضوع أمام القوى.

وبعد فوات الأوان، اعترف ملا مصطفى في آذار عام 1975 بحساباته الخاطئة للصحفي المعروف Jim Hoagland هوغلاند الذي سافر لتغطية الانهيار الكوردي لصحيفة The Washington Post "لم تعطينا حكومة الولايات المتحدة ضمانات رسمية، لكننا اعتقدنا أنها لن تتخلى عنا ابداً.... والآن نرى أننا كنا على خطأ." وأعترف أيضاً في رسالته إلى جيمي كارتر عام 1977: "لم تكن هناك ضمانات مكتوبة...."²⁹⁵

294 بصراحة. محمد حسنين هيكل. جريدة الأنوار. السبت 6 أيلول 1975.

295 After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. Jonathan C. Randal. P: 156 - 157

جميع الموظفين الذين تعاملوا مع القضية ضمنهم هنري كيسنجر، هيلمز، ومدير الـ CIA، William E. Collby أعربوا عن كامل دهشتهم، على الأقل من توقيت الاتفاقية التي وقعت في الجزائر، إن لم يكن في محتواها. يقول كولبي: "كانت الـ CIA تعتبر إن هذا الحل يمثل إحدى الخيارات للشاه". ومع هذا لم تقم الإدارة بعمل ما، ولزمت الصمت رغم المناشحات المتكررة اليأسمة من الكورد .. "كانت قصة مأساوية، ولم تكن قصة بارعة"، ذكر كولبي فيما بعد، "لكن ذلك الربيع شهد عدة قصص أكثر مأساة جرت في جنوب شرقي آسيا" - وكان يعني بها إنهاء كمبوديا وفيتنام الجنوبية... كما أن الاتفاقية كانت مفاجأة بالنسبة لوزراء الشاه، حسب ما يذكره ريتشارد هيلمز سفير الولايات المتحدة لدى طهران آنذاك ومدير الـ CIA السابق، وكان من ضمن المستقبلين للشاه في مطار طهران عند عودته من الجزائر في مساء السادس من شهر آذار عام 1975 "شاهدت الدهشة الشديدة التي كست وجوه وزرائه، عندما أمر بوقف جميع المساعدات المقدمة إلى الأكراد فوراً، واغلاق الحدود في أسرع وقت ممكن بين إيران وكوردستان العراقية.²⁹⁶

ويضيف... "لقد اجتمعت مع الشاه صبيحة اليوم التالي، ووجدته كما عهدته دكتاتورياً، ولم يقدم الاعتذار على خطوته الفجائية التي أدت إلى قطع العلاقات الأمريكية ايضاً مع الأكراد، ولا شك أنه كان مديناً على وجه الخصوص، بالاعتذار للأمريكيين، بسبب كونه هو المبادر في طرح فكرة تقديم المساعدات الأمريكية للأكراد. وبرر الشاه خطوته آنفة الذكر بالقول: ان السبب في خطوتي هو أن البارزاني لم يشن حرباً حقيقية على العراق، وبدلاً من أن يفعل ذلك، جمع قواته في الخلف، وأخذ يطالب الآخرين بالقتال نيابة عنه."²⁹⁷

كانت المصالح المشتركة بين طهران وواشنطن من السعة والأهمية الجيوستراتيجية بحيث بدت التضحية بالحركة الكوردية أمراً لا يستحق الاهتمام.

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 296
Jonathan C. Randal. P:163

الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1977. ص : 201 -
202 .

أما بالنسبة لإسرائيل، يقول رئيس الموساد اسحق حوفى: يخيل لى أن مسؤولي السافاك، الذين كنا على صلة بهم، لم يكونوا على علم بالاتفاق.²⁹⁸ في حين علّق الملحق العسكري الإسرائيلي لدى طهران Yaacov Nimrodi على اتفاقية الجزائر وعلى شخص الشاه: "لقد فقدنا الثقة كاملاً بالشاه. كان أحماً ومجنوناً." وتلقى مبعوث الموساد في كردستان والذي كان بمثابة رئيس العمليات Eliezer Tsafirir تلقى أمراً من طهران بمغادرة كردستان والذهاب فوراً إلى العاصمة، وعبر عما كان يخالجه من مشاعر قائلاً كردّ فعل تجاه اتفاقية الجزائر: "كنت ألعن إيران طوال الوقت الذي استغرق السفر إلى طهران."²⁹⁹

وفي 1975/3/8 استدعى أحد كبار رجال السافاك مسؤول الموساد في طهران (ب) إلى مكتبه وقال له باختصار: لقد توصل الشاه خلال مؤتمر الجزائر إلى اتفاق مع العراق، لذا سنوقف نشاطاتنا في كردستان وبناء عليه، فأنت مطالب باخراج جميع رجالك من كردستان..... ويقول (ب) انه شعر بذهول شديد جراء ذلك، فقال له مسؤول السافاك: كما يبدو إنكم لم تتعلموا من البريطانيين كيفية إدارة إمبراطورية، يجب ان تتعامل مع الأكراد كعميل عندما تنتهي مهمته، تنتهي قصته، "....." وعندما أبدى (ب) معارضته لتلك الأقوال قال له رجل السافاك: ان ضعف إسرائيل يكمن في خلطها بين العواطف والسياسة. إن تقديم المساعدات للأقليات، لا يجب ان يعتبر هدفاً في حد ذاته، بل وسيلة لابتزاز تنازلات من الأغلبية وفي حالتنا من العراق.³⁰⁰ .

يظهر لنا كم كانت الزعامة الكوردية بعيدة عن حقائق السياسة في تعاملها مع الدول المانحة للمساعدة: إيران والولايات المتحدة وإسرائيل. وما زاد في الطين بلة، عزوفها بعناد في بناء القوة الذاتية وتوفير عوامل الديمومة وتقليل دور الخارج في التحكم بأقدار الشعب الكوردي. كانت القيادة الكوردية في السنوات الأخيرة تعتمد كلية على الخارج وتتعامل من هذا المنطلق مع بغداد والحزب الشيوعي العراقي والاتحاد السوفيتي ومع شعبها. "في معرض اللقاء الأخير مع صدام حسين الذي

298 الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1977. ص: 202

299 Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007.page:49

300 الموساد في العراق ودول الجوار. شلومو نكديمون. دار الجليل للنشر. عمان. 1977. ص: 302

عرض المشاركة في كركوك ونفطها على الجانب الكوردي، رفض إدريس العرض: "نحن أقوى مما تعتقدون، وسوف نرغمكم على تلبية جميع مطالبنا".³⁰¹ كان صدام حسين مدركاً لدوافع الجانب الكوردي، وكان يعرف كيف يقطع الوريد الذي من خلاله تتغذى الزعامة الكوردية، هنا أيضاً الجانب الكوردي غير مهياً، رغم تحذير صدام حسين لهم، "أنه إذا حصلت الحرب، سوف نريحها" وإذا ما وجدنا أنفسنا أمام خيار فقدان كل العراق أو التخلي عن شط العرب، فإننا سنتخلى عن شط العرب للاحتفاظ بالعراق بالشكل الذي نريده"³⁰²

ويقول راندل حول الجانب السلبي لدى الزعامة الكوردية وعدم أهليتها في قيادة الشعب الكوردي، فيذكر:

"كان البارزاني بوضوح ضحية محدوديته، ولم يكن رجلاً مثقفاً أو ذو آفاق واسعة، لم يشارك البارزاني أياً من رفاقه الكورد، في صنع القرار لاقبل ولا خلال ولا مباشرة بعد انهيار التمرد عام 1975.³⁰³ لم يصدق الزوار الأجانب الذين تعرفوا على البارزاني مقدار السداجة التي أوحى بها لهم، كانوا يعتقدون ان ذلك تكتيك منه ليس الأ. فعلى سبيل المثال مقترحه في جعل كوردستان العراق الولاية الواحدة والخمسين أو اقتراحه في امتلاك الشركات الأمريكية النفطية لنصف أرباح حقول نفط كركوك....." وانه لم يسافر إلى الخارج عدا إلى الاتحاد السوفيتي، رومانيا، ايران وإسرائيل. ولم يتعلم شيئاً في حقل الجيوستراتيغي..."³⁰⁴

لقد احتكر ملا مصطفى إدارة العلاقات الخارجية والاحتفاظ بالمعلومات، ولايثق بأحد غير ولديه والى حدود معينة بالدكتور محمود عثمان وسامي (محمود محمود عبد الرحمن)، فالشعب الكوردي وقادة فصائل الأنصار يقاتلون ويضحون،

-
- After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 301
Jonathan C. Randal. P: 159
- After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 302
Jonathan C. Randal. P: 158 - 159
- After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 303
Jonathan C. Randal. P: 155
- After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 304
Jonathan C. Randal. P: 154

لكنهم يجهلون ما يجري جهلاً كاملاً فيما يخص طبيعة العلاقات الخارجية، لابل أعطت القيادة الكوردية إنطباعاً خاطئاً عن رسوخ هذه العلاقة إلى حدود التضليل، كان ملا مصطفى يخفي عنهم أموراً هامة ولم يقيم وزناً للشعب الكوردي أو القادة المرابطين في الجبهات، وفيما يخص إهمال الشعوب، وإخفاء الحقائق عنها، يقول Abraham Lincoln : "أومن إيماناً راسخاً بالشعب. إن عرضت أمامه الحقائق، يمكن الإعتماد عليه لمجابهة أية أزمة وطنية. النقطة الأساسية هي إحاطته بالحقائق الكاملة." في الحالة الكوردية كل شيء يجري في الخفاء وحكراً على أفراد محدودين من العائلة الحاكمة. ولم تجسد القيادة حركة تحرر قومية لشعب تائر.

يكتب راندل: "لكن الحيرة في سلوك البارزاني - وكيف كانت تنظر اليه الحكومات التي خدعته - يجد في قلب هذا المثال الواضح لدولة عظمى تخدع أقلية بأسفة معزولة، فسذاجته المدمنة حول الولايات المتحدة الأمريكية أذهل الأمريكان ونظروا اليه كمشبهوه أو إنه غير واقعي. بعد مضي عشرين عاماً قال لي كيسنجر مدافعاً عن نفسه، " لا أدري أي فرق كان سيحصل لو فهم تعلق البارزاني بالولايات المتحدة الأمريكية، حيث لم يكن على علم بها آنذاك. لكن هيلمز، ربما لأنه كان منذ البداية، صريحاً مع الكورد في توضيح طبيعة ومحدودية دور الولايات المتحدة، قال ان جميع الذين تعاملوا مع الأكراد اعتبروا البارزاني "ولداً كبيراً" رغم انه قضى عمراً في المكائد والتمرد".³⁰⁵

في الواقع "فهمت الولايات المتحدة أن الشاه خرق التفاهم الذي جرى مع كيسنجر عام 1972"³⁰⁶ ومع إسرائيل، فيما يتعلق بتقديم العون إلى الحركة الكوردية، ومع ذلك لم تحتج أو تحاول عمل شيء لمساعدة الحركة الكوردية في محنتها، لأن ذلك لا يرضي الشاه. ولم تكن لا الولايات المتحدة ولا إسرائيل لترغب في إغضاب الشاه من أجل الشعب الكوردي.

نورد بإختصار وجهة نظر المؤرخ عصمت شريف فانلى حول أسباب إنهاء الحركة

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 305
Jonathan C. Randal. P: 158

After Such Knowledge, What Forgiveness?: My Encounters With Kurdistan. 306
Jonathan C. Randal. P: 163

الكوردية، ومعروف عنه إنه وصف الشاه بعد توقيع اتفاقية الجزائر مع صدام حسين بـ "طغَنَ الشعب الكوردي بخنجر مسموم من الخلف" لكن ملا مصطفى هاجمه بكلمات نابية وغير لائقة لإرضاءً للإيرانيين، وفيما بعد أرسل صدام حسين عملاًه لاغتياله في شقته في مدينة لوزان - سويسرا - حيث يسكن. والجدير بالذكر أن إدريس البارزاني نجل ملا مصطفى أرسل له رسالة اعتذار عما ورد من تهجم على لسان والده ضد شخص عصمت شريف، وذكر لي عصمت أنه لا يزال يحتفظ برسالة إدريس.

يذكر فانلي الدوافع التي جعلت القيادة الكوردية تميل نحو الانسحاب إلى إيران، أي التخلي عن المقاومة، منها: " بقيت رسائل الاستغاثة التي أرسلها ملا مصطفى بعد اتفاقية الجزائر إلى كيسنجر دون جواب، رفض البعث طلب القيادة الكوردية إجراء تفاوض، وطلب منها الاستسلام بلا قيد أو شرط، مشاكل اطعام اللاجئين في وادي جومان وبادينان وحمائيتهم، كيفية الحصول على العتاد والمؤونة لحرب الانصار ضد جيش كبير وحديث³⁰⁷؛

ويضيف: "لكن مثل هذا التوجه في النظر إلى الأمور، فيه تجاهل حقيقة أن الأفراد أنفسهم خلقوا مشاكلهم، وسيكون نوعاً من التهرب من المسؤولية إن لم تنطرق إلى الأخطاء التي ارتكبتها القيادة الكوردية. ارتكبت القيادة خطأين استراتيجيين، الخطأ الأول حصل عام 1972، قبل بدء الحرب الخامسة، ويتمثل في قبول المساعدة من الشاه والولايات المتحدة الأمريكية، الاعتماد على الامبريالية الأمريكية وعميلها في المنطقة الشاه لتجهيز وتمويل حرب شعبية للتحريروطني. والخطأ الثاني الاستراتيجي كان القرار السياسي الخاطيء حيث بموجبه تم تصفية الثورة من قبل قيادتها في شهر آذار عام 1975 والنتيجة كانت الانسحاب إلى إيران ونهاية الحرب. هذان الخطآن الاستراتيجيان الاساسيان ارتكبا عام 1972 وعام 1975 على التوالي، بالأخص في وقت كانت الظروف الدولية ضاغضة، الواقع ان المعاهدة السوفيتية العراقية من جانب والمعاهدة العراقية الايرانية من الجانب الآخر شكلت ظروفاً محرجة. إنهما يفسران أخطاء القيادة لكن لا يمكن أخذهما كمبرر³⁰⁸.

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London1980. 307
page: 189.

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London1980. 308
page: 189.

"لايجوز تحميل الجنرال بارزاني وحده مسؤولية كل الأخطاء، إنما على القيادة كلها، وهذا يعني بالطبع الجنرال بارزاني وأبناءه وعائلته، لكن أيضاً على المكتب السياسي لـ (حدك) والپاراستن ، وهو جهاز الأمن الكوردي".³⁰⁹

ويزيد فانلي:"لقد تخلت القيادة الثورية عن مبدأ القرارات الجماعية، القرارات الهامة كانت تتخذ من قبل عدد قليل من الاشخاص، بالأخص من قبل البارزاني، لكن الخطأ الاستراتيجي المرتكب عام 1972 يقع مسؤوليته على الفريق القيادي بكامله. عدد من أعضاء المكتب السياسي اتخذوا خطوات أدت إلى التحالف مع الشاه والولايات المتحدة. وفي النهاية أُعلم كل أعضاء المكتب السياسي "بالسر". لم يحتج أحد، غير صالح اليوسفي.³¹⁰

كما يشير إلى خطأ القيادة الكوردية المتمثل في إرسال اللاجئيين الكورد وبالأخص العوائل إلى إيران بعشرات الآلاف: "بعملها هذا، الخالي من الفطنة، ساعدت القوة الجوية العراقية بخلق مشكلة اللاجئيين في إيران، إذ كان بإمكان الشاه استخدامهم كرهائن لتهديد القيادة الكوردية".³¹¹

وفي رده على سؤال، هل عملت القيادة الكوردية كل ما تستطيع لكسب الحرب؟ الجواب: "لسوء الحظ" يردّ فانلي بـ (لا). كانت هنالك أخطاء جدّية عديدة في هذا المجال. فالحرب الشعبية ضد حكومة موطدة لايمكن ربحها فقط في ساحة القتال، الحرب يجب أن تكون أيضاً حرباً اقتصادية، سياسية، سيكولوجية وهجوماً إعلامياً. وتتطلب الكثير من العقلانية والمقدرة لحشد جميع الطاقات، والعمل الجاد في تطبيق القرارات، مصحوباً بصرامة مثالية. وهذا صحيح بشكل استثنائي بالنسبة للشعب الكوردي، نظراً لوضعه الجيوسياسي الذي يجعله عرضة للمخاطر بشكل خاص.

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London 1980. 309
page: 189.

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London 1980. 310
page: 190

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London 1980. 311
page: 191

ولّد الضمان الأمريكي ثقة مفرطة بالذات وخطيرة في الحركة، ولم يساعد ذلك على كسب يسار عرب العراق أو كسب العالم العربي أو نيل تأييد الحكومات العربية. صحيح ان الحزب الشيوعي العراقي إنحاز إلى البعث، لكن حتى الشيوعيين الكورد الذين كانوا يحاربون إلى جانب الحركة الوطنية أبعدها. پاراستن، الأمن السريّ قتلت فاخر ميركه سوري، شيوعي كوردي اتهم بالجاسوسية للبعث، رغم انه كان بطل معركة هندرين التي جرت في مايس عام 1966، والذي مثل أكبر إنتصار حققته الثورة. قتل دون محاكمة مع أعضاء عائلته. ولم تقدم أية أدلة على خيانتة أمام أية محكمة ثورية.³¹² علاوة مايجعل مقتله جريمة بلا مبرر، إنها حصلت وهو سجين. اضافة إلى مقتل 12 من أعضاء الحزب الشيوعي العراقي من كورد وعرب دخلوا العراق قادمين من دولة إشتراكية أوروبية، وقد اختاروا العودة خلال كوردستان المحررة، وهم يعتقدون ان الترحيب سيكون جيداً كما كان الحال عام 1963، هؤلاء أعدموا في زاخو على طريقة السافاك الإيراني الذي أمسى نموذجاً للپاراستن.³¹³

ويضيف: "ترك للبعث احتكار الرأي العام التقدمي وأستغل ذلك على أحسن وجه في الداخل والخارج. لم توظف جهود لشرح القضية الكوردية في بلدان العالم الثالث. ولم تبذل جهود من أجل الصداقة والتفاهم مع القوى الاشتراكية والتقدمية في أوروبا، الأكراد في أوروبا الذين حاولوا ملء هذا الفراغ، كانوا يفتقرون إلى الامكانات بشكل رهيب.

ويضيف: "لم يتجه الاهتمام نحو الاكتفاء الذاتي الاقتصادي وقد كانت الحاجة اليه ماسة، لم ير أحد أهمية تنفيذ الاصلاح الزراعي والذي وعد به برنامج الحزب، وبعد أن سادت أجواء الحرب، مافائدة تنظيم إنتاج القمح والرز عندما يرسل الشاه في الشاحنات معظم الحاجات؟ لم تكن هنالك أية بادرة لشراء التبوغ المتكدسة لدى الفلاحين. لا شك اعتبر هذا غير ضروري، بسبب وفرة السكاثر الأمريكية، وبالنتيجة أصاب التلف المحصولات في الحقول وحرّم الفلاح من مصادر عيشه.³¹⁴

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London1980. 312
page:190-191

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London1980. 313
page:284-285

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London1980. 314

ويتساءل عصمت عن مصير آلاف اللاجئين الذين وردوا إلى مناطق الثورة: "كيف كان ممكناً كسب الحرب الخامسة بغياب حشد طاقات الشعب الكوردي وعضواً عن تنظيم الرأسمال البشري واشراكه بالصراع الثوري، تحول إلى عبء؟ ثم يشير عصمت، إلى انه من الناحية العملية لم يكن هناك نقص في الأموال، لقد تفشت المحسوبية والمنسوية في أعلى الهرم الحزبي وضمن الجيش الثوري وظهرت نخبة جديدة ذات امتيازات، ولم تجر محاولات للحيلولة دون حدوث ذلك. لقد بني كل شيء على أساس اعتقاد زائف في عدم انقطاع المساعدات الخارجية.³¹⁵

ويشير عصمت الى: "الخطأ السياسي الأخير كان الانسحاب إلى إيران. لا أعتقد أن هناك مثلاً مشابهاً لحرب شعبية انتهى بهذا الشكل المأساوي انصياعاً لقرار القيادة في وقت كان الشعب لا يزال يريد الصمود ولديه الوسائل لذلك. إن هذا يحصل عندما يقبل أعضاء الحزب العاديون بحماس، الخيارات الأساسية لبرنامج الحزب، لكنها تبقى غير عملية، لأن القيادة من جانبها تعتبرها تكتيكاً فحسب وليس لها أهمية كبيرة.³¹⁶

ثم يشير عصمت إلى دور مثقفي الحزب المستسلمين فيقول: "إن مسؤولية الجنرال بارزاني في الكارثة بمعنى من المعاني هي أقل من "مثقفي" ب د ك وفي اللجنة المركزية فقد فشلوا في أخذ زمام القيادة في لحظة الحقيقة. لقد انهار (ب. د. ك.) كلية عندما حصلت النكسة، وتخلوا عن شعب كان قد أصبح "بلا قيادة" ليواجه مصيره.³¹⁷

من بين زعماء (حدك) الذين اختاروا الاستسلام للقوات العراقية صالح اليوسفي، زعيم الجناح اليساري في المكتب السياسي الذي عارض التحالف مع الشاه ومع الولايات المتحدة الأمريكية لكن دون نجاح لأن اليسار خسر أغليته عام 1972، اراد

page: 191

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London1980. 315

page: 192

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London1980. 316

page: 192

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London1980. 317

page: 209

الآن أن ينقذ ما يمكن انقاذه، لكن دون جدوى.³¹⁸ ثم اغتالت السلطات البعثية صالح اليوسفي في بغداد بواسطة طرد بريدي ملغم.

كل المؤشرات تعكس فقر القيادة الكوردية في الحقل الجيوستراتيجي وقصر نظرها، إذ كيف يمكن ربط مصير الحركة الكوردية وأقدار الشعب الكوردي بفرضية ليس لها وجود على أرض الواقع، وهي أنه لا يمكن ان تتصالح طهران وبغداد. ومن هنا حث الآلاف من المواطنين في المدن للالتحاق بالحركة الكوردية والالتجاء إلى الأراضي الإيرانية للاتقاء من الغارات الجوية العراقية، وبالنسبة للقيادة الكوردية، وباعتراف مسعود ملا مصطفى، سيكونون مصدرراً لنفس الأثر الايجابي عند نزوح أعداد كبيرة من بنكلاديش إلى الهند، فقامت الحكومة الهندية عام 1971 باعادتهم إلى بلادهم وتأسيس دولة لهم، وستقوم إيران بنفس دور الهند!

كان الثلاثة صدام حسين، نائب رئيس الجمهورية العراقية، شاه إيران محمد رضا بهلوي، وملا مصطفى رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني والقائد الأعلى لقوات فصائل الحركة الكوردية، لا يكون للمبادئ الديمقراطية الاحترام. ولم يكن للقرار الجماعي أي مكانة في ذهنهم. وكانوا يخشون الشخصيات المؤهلة أو التي حققت تعاطفاً شعبياً نتيجة انجاز حقه لصالح شعوبهم. كما كانوا يخافون نجاح اولئك المسؤولين الذين عينوهم هم أنفسهم، إن حققوا نجاحاً يفضي إلى تزايد مصداقيتهم أمام الشعب. صدام حسين قتل رفاقه ووزراءه وصفى ما إعتبره معارضة محتملة لحكمه مستقبلاً. وملا مصطفى قضى على جميع أفراد عائلة محمد آغا ميركه سوري ضمنهم بطل هندرين فاخر، لأنه تمتع بشعبية بعد أن حقق مع رفاق آخرين ملحمة هندرين البطولية، كما انه سحق المجتمع الكوردي سحقاً تاماً بحيث لاتظهر زعامة خارج عائلته، الثلاثة اعتمدوا على المنصاعين والطائعين واحتكروا السلطة السياسية والمالية والعسكرية لأنفسهم ولأولادهم...

ملا مصطفى كان محاصراً بين الشاه وصدام حسين، يلتفت تارة إلى صدام وتارة إلى الشاه، لم يعرف كيف يتعامل لا مع صدام حسين ولا مع شاه إيران. ثم تمسك بالدعم الأمريكي الزائف لإنقاذه، الثلاثة اتجهوا نحو تعظيم الذات وجمعوا المال لورثتهم.

People Without A Country. Edited by Gerard Chaliand. Zed Press. London11980.

318
page: 189

الثلاثة استخدموا الأموال العامة لكسب النفوذ وشراء الذمم وإفساد المجتمع لإطالة حكمهم، كل في دائرته الخاصة ووفق حجم الإمكانيات المتوفرة لديه وحكراً عليه، دون أية مساءلة من لجان قضائية أو برلمان أو هيئات حزبية أو مؤسسات شرعية أو لجنة حكماء. كانوا يتصرفون بالمال العام حسب الأهواء الشخصية. ملا مصطفى كان شديد الحرص على أن يكون مسيطراً على جميع مصادر المال، وبلغ من شدة الحرص أن كان يحتفظ بهذا المال في منزله بالذات. وهذا شذوذ عن معظم الثورات التحريرية في العالم في أعوام الخمسينات والستينات والسبعينات من القرن الماضي. وتمكن صدام حسين من خلال التوقيع على اتفاقية 11 آذار خلق شعور بالانتصار لدى ملا مصطفى مما عزز لدى الأخير نزعة مدمرة من الاستبداد والتعالى، ومن خلال توقيعه على اتفاقية الجزائر 6 آذار عام 1975، خلق لدى شاه إيران الشعور بالنصر الكبير، وفي قرارة نفسه كان صدام حسين يعرف زيف الاتفاقيتين، وفعالاً وبعد أن شعر بتوفر القوة هاجم كوردستان عسكرياً بعد أربع سنوات من الاتفاقية، ثم هاجم إيران بعد خمس سنوات تقريباً عندما عمت الفوضى في إيران إثر انهيار نظام الشاه في شهر شباط 1979.

إن الكراس الذي كتبه الدكتور محمود عثمان حول تقييم ثورة أيلول يؤكد فيه على ان المقاومة كانت ممكنة، كان ممكناً سلوك طريق آخر غير الاستسلام المشين الذي اختارته الزعامة الكوردية. كان ملا مصطفى قد اختار الدكتور محمود عثمان بعد الانشقاق الذي حصل مع المكتب السياسي بقيادة إبراهيم أحمد، لسد ثغرات عديدة في شخصيته، من لغوية وديبلوماسية وتاريخية وسياسية، وفي الواقع يعود الفضل إلى الدكتور محمود في إعطاء صورة أكثر تمدناً مما كانت عليه حقيقة شخصية ملا مصطفى، وما يقوله أدناه مبني على معرفة بما كان سائداً، ويعترف انه يتحمل قسطه من المسؤولية، كتب د. م. عثمان:

كانت لدى قيادة البارزاني واتباعها ميزانية الثورة، وارداتها وممتلكاتها وميزانياتها التجارية التي كان من الممكن ان تؤمن احتياجات المقاومة المالية لسنوات وكانت تحتوي على مبالغ نقدية حسابها بالملايين.....".

كانت الثورة تملك على الأقل (15) مليون طلقة عتاد البنادق والرشاشات وحوالي (5) آلاف قنبلة مدفع هاون وصواريخ بازوكا عدا عن وجود ستين ألف مسلح منظم وآلاف الميليشيا تحت امرتها وسيطرتها على مناطق محررة تبلغ مساحتها حوالي

(40) ألف كم مربع من الجبال والوديان والسهول الملائمة للمقاومة..... وجود كميات كبيرة من الارزاق المكسدة والتي كانت تسد احتياجات الثورة لأشهر على الأقل علماً انه عند نفاذ الأرزاق يمكن شراؤها بسهولة.

الأهم من كل النقاط كان استعداد ابناء الشعب والبيشمركة لبذل التضحية والفداء لشعورهم بأن شعبهم يهان من كل الجهات وان هذا الاستعداد ظهر عملياً في قتال العدة أيام الذي جرى بعد توقيع اتفاقية الجزائر....."

كان رأي ملا مصطفى هو: "عدم امكانية الاستمرار على المقاومة وضرورة الالتجاء إلى ايران..... وكان البارزاني وأبناؤه والمسؤولون الموالمون لهم وغيرهم من المنهارين كانوا يريدون افهام الشعب الكوردي بأن ما حدث هو مؤامرة دولية ضد الشعب الكوردي (اي اذا تحرك تبدأ دول العالم بمعاداته، - يعلق د. م. عثمان على هذا بالقول: "ولم يكن الأمر هكذا أبداً"³¹⁹ ويضيف: "كانوا يقولون بأنه لايمكن القيام بأية حركة في الداخل مادامت المساعدات الخارجية مقطوعة..... كانوا يقولون للشعب كل مايزرع اليأس في نفوس أبنائه..... تصرفوا دون شعور بالمسؤولية ولم يكن لديهم استعداد للتضحية ومن الطبيعي ان رأي هؤلاء كان يؤثر على أبناء الشعب كثيراً حيث كانوا قيادة لهم لحد تلك الأيام وقد خدعوا الناس بأقاويل واهية وكان هؤلاء يعتقدون بأن هذه القيادة تستند فيما تقوله إلى معلومات أكيدة....."³²⁰ وهذا ما حصل في بادينان.

ولنر تصميم القيادة على إحباط الروح المعنوية العالية لقوات الانصار، ونلجأ إلى شهود عيان. كان سليم أسعد مسؤولاً مؤقتاً عن جبهة دهوك الطافرة نيابة عن على خليل الذي كان في جبهة (زوزك) وحضر الاجتماع عدد غفير من المسؤولين العسكريين والمدنيين خاصة من منطقة (مانكيشك)، وطلب أسعد خوشفي قراءة البرقية الثانية ومفادها أن منطقة بادينان تمردت على قرار القيادة في إنهاء المقاومة الكوردية، وقال أسعد للمجتمعين: " سأواصل القتال إن أيدتموني" فكان ردّ نجم الدين

319 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها . الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية. أوائل كانون الثاني 1977. ص: 66.

320 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها . الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية. أوائل كانون الثاني 1977. ص: 66.

وهو عضو لُق، عثمان قاضي مسؤول اللجنة المحلية (زاخو) إضافة إلى حوالي مائة من المسؤولين، أيدوا قرار المقاومة بالاجماع، فأرسلوا البرقية الثانية إلى القيادة في حاج عمران يعبرون فيها عن عزمهم مواصلة القتال، لكن جاء الرفض من حاج عمران، وأن الجيش التركي سيشتترك في ضربهم وأن هناك مؤامرة دولية لسحق الشعب الكوردي إن واصل المقاومة. لكن كان هناك خوف كبير من إبلاغ البيشمركة بالخبر وأنهم مخبرون بالاستسلام إلى القوات العراقية أو المغادرة إلى إيران والقضاء السلاح. كان (ملا أحمد دوتازا نيروه ي) واعياً تماماً لرد فعل البيشمركة وأنهم سيعتبرونها خيانة ولن يقبلوا بالقرار وقد تصدر ردود فعل عنيفة أزاء المسؤولين، فأخبر أسعد خوشفي قائلاً: "لاترسل في هذا الطرف لا سليم ولا عيسى سوار لإبلاغ البيشمركة بنهاية الثورة." لكن أسعد قال: "يجب تبليغهم".³²¹

حضرت اتفاقية الجزائر همم قوات الانصار الكوردية، ويقول جرجيس فتح الله بهذا الصدد: "والظاهر هو ان نبأ اتفاق الجزائر بات معروفاً في الخطوط الامامية. وبخلاف ما كان متوقفاً من تفشي روح الهزيمة أو انهيار في المعنويات جديد، بدا وكأن روحاً قتالية جديدة قد أُنعت نفوس البيشمركة واذ كانت البرقيات ترد واصفة الاستماتة في الدفاع عن المواقع والصمود المعجز الذي تبديه الوحدات امام قطعات الجيش المتقدمة، وردت الهجمات المتتالية لاسيما في قطاع (سه ري حسن بك). ففي أثناء ما كان الايرانيون يسحبون مدافعهم إلى ايران حمى وطيس القتال هناك وبقي الخط الدفاعي صامداً والبيشمركة يقاتلون باصرار ودون مبالاة بحياتهم تماماً مثلما كانوا يفعلون في العام 1966 والذي سبقه وفي احدى البرقيات وردت عبارة قرأها إدريس علناً "نحن الآن في ثورة حقيقية".³²² لم يعر القادة أي اهتمام للروح القتالية للبيشمركة، فالخارج بالنسبة لهم عماد كل شيء.

أذكر جيداً انتشار شائعات من صنع القيادة الكوردية مفادها انه في حالة المقاومة سيتعرض الشعب الكوردي إلى مذابح كالتي جرت للشعب الأرمني وللشعب الكوردي في تركيا في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين، وسيقوم الجيش

321 مقابلة شخصية مع سليم أسعد خوشفي في 4.2.1986

322 زيارة للماضي القريب. جرجيس فتح الله. دار الشمس للطباعة والنشر. ستوكهولم - السويد. 1998. ص: 114.

التركي والإيراني والعراقي بضرب الكورد وبادتهم وربما تشترك دول أخرى أيضاً، كان هدف هذه الشائعات دحر روح المقاومة. وكان لهذا أثر هائل في نفوس البسطاء الذين لا يدركون شيئاً عن أهداف هذه الحملة الدعائية. لقد خاضت الزعامة الكوردية حرباً نفسية ضد شعبها لقتل عزيمته في المقاومة وفرض خيار الاستسلام. إن استمرار الحركة المسلحة تحت قيادة عناصر وطنية جديدة خارج قيادة ملا مصطفى، كان سيحولها إلى بطلا بكل مافي الكلمة من معنى وستكون شعبيتها طاغية، ويعني في الوقت ذاته افلاس القيادة القديمة التام وتوصف بالجبن والتخاذل وسيفضي إلى زوال مبررات ديمومة احتكارها لأموال الحركة الكوردية. هذا ما لم تقبل به القيادة فأثرت هدم كل شيء والفرار من المسؤولية التاريخية.

ويذكر القيادي د. م. عثمان حول الزعامة الكوردية: "القيادة التي تملك امكانات هذا الشعب وكانت عليها المسؤولية الاساسية في اصاله إلى اهدافه كي لاتذهب تضحيات ابناؤه الأبطال هدرا، لم يكن لديها الاستعداد لأدنى تضحية، وأتخذت أسهل قرار ولكن أكثرها مذلة وفرضته، وهو اللجوء إلى إيران، وليس فقط انها لم تكن على استعداد لإعطاء الامكانيات التي كانت لديها لغيرها للمقاومة، وإنما كان يوجد احتمال محاربتها لكل من يريد الاستمرار على المقاومة..... وأما المبالغ الكبيرة التي اغتصبتها أسرة البارزاني فنقلوها بكل سرية إلى إيران قبل عبورهم هم.....
323.....

هنا لا بد من إلقاء بعض الأسئلة عن طبيعة العلاقات الخارجية لدى الزعامة الكوردية.

هل كان ملا مصطفى والقياديون المقربون له على علم بطبيعة العلاقات بين طهران وواشنطن وتل أبيب؟ هل فكروا باحتمال وقف المعونات الخارجية؟ وأن الشاه يمكن أن يوقف كل العملية؟ الجواب إذا كانوا واعين، لماذا إذن لم يحتاطوا لها لتفادي الكارثة؟

323 تقييم مسيرة الثورة الكردية وانهارها والدروس والعبر المستخلصة منها. الحزب الديمقراطي الكردستاني اللجنة التحضيرية. أوائل كانون الثاني 1977. ص: 67.

وإذا اعتبرنا أنهم كانوا واعين تماماً، في هذه الحالة يمكن اعتبار عدم اتخاذ الاجراءات الاحتياطية جريمة بحق الشعب الكوردي. لأن التفسير الوحيد هو أن القيادة لم تقم بذلك بسبب كرهها للبدليل الداخلي "البناء الذاتي" لغايات الزعامة الشخصية والتفرد بالسلطة والامتيازات. هنا نكون أمام موقف أناني للغاية، ومضلل للشعب الكوردي وللحركة التحررية الكوردية.

كما أن التظاهر بعدم المعرفة بطبيعة هذه العلاقة، يسمح لهم إلقاء مسؤولية الانهيار على "خيانة كيسنجر، أمريكا، الشاه وإسرائيل وغيرهم"، وتحميل أنفسهم كلامياً القدر الأقل من المسؤولية. أي إنهم ضحية خداع الجهات الأخرى، لكن في السياسة وعندما تكون مصائر شعب من الشعوب في الميزان، ليس هناك مجال للوقوع في فخ الخداع، فالقيادة المخلصة تعمل كل شيء لعدم الوقوع في المصيدة وهذا ما لم تقم به القيادة الكوردية وحتى إنها لم تفكر فيه؟ عدم التفكير في البديل وبأسوء الاحتمالات هو كارثة بحد ذاته، واستهتار بمصير الشعب الذي منح ثقته وقدم التضحيات.

وبالأحرى إن كانوا يعرفون مدى الخطورة، لكنهم أخفوا الحقيقة، حتى لا يستفنيق الشعب ويطالب بخطط بديلة، ومن هنا تركت الزعامة الكوردية عمداً لتتزلق سفينة الحركة الكوردية تدريجياً حتى ترتطم بالصخرة وتتحطم، وينجو القبطان بجلدهم من الفرق مع ما جمعوه من ثروات، بينما يتخلون عن الشعب ليواجه مصيرة لوحده!

وإن اعتبرنا أنهم كانوا غير واعين تماماً لطبيعة العلاقات الخارجية هذه وتعميداتها. فاننا هنا أمام قيادة غير مؤهلة وجاهلة، تحكمت في مصير شعب بقي يجهل جوهر قاداته في ظروف في غاية الخطورة. وفي هذه الحالة كيف عاد هؤلاء بعد عام 1991 إلى التسلط فوق رقاب شعب أذلوه وأهانوه وسلموه لأعدائه، بينما هم هربوا وتخلوا عنه؟

هل قطع الأموال عن الحركة الكوردية لعب دوراً في قرار القيادة الكوردية؟ لا بأس فالسلاح موجود، والمتطوعون هم أكثر من اللازم. ومناطق محررة شاسعة لاتزال موجودة. وظهر تصميم شعبي هائل في مواصلة القتال، والجيش العراقي يعاني من التعب والاستياء،

لكن اهمية وألوية المال بالنسبة للقيادة وأهدافها غير المعلنة كان طاغياً.. ماجدوى ثورة لاتجلب الملايين! بالضبط غلق الحدود الايرانية يعني ان الاموال المتدفقة من ايران واسرائيل والولايات المتحدة الامريكية ستتوقف. وربما كان هذا أمراً لايطاق بعد اتفاقية الجزائر بالنسبة للقيادة؟

يمكن تلخيص نهاية الحركة الكوردية التي قادها ملا مصطفى بعدة كلمات، "لقد هزم ملا مصطفى الشعب الكوردي ولم يهزمه الأعداء".

لقد وفرت له اتفاقية الجزائر "مبرر" إنهاء الحركة الكوردية والتخلي عن الشعب الكوردي، واستخدم الهرب بحجة حماية الشعب الكوردي من الابداء والحفاظ على بقائه لمناسبة أخرى لايد وأن تأتي. هناك من يقول لو كان أقل تقدماً في العمر وبصحة جيدة، لواصل القتال، لكن السؤال أليس من الاجحاف ربط مصير حركة شعبية تحررية بشخص واحد؟ وكل شيء ينتهي إذا مرض أو تقدم في العمر؟ ليس من شك ان المرض يلقي بظلاله على نوعية القرار السياسي لدى أي زعيم مطلق الصلاحيات. فقد علم الشاه أنه مصاب بمرض عضال في أوائل عام 1974 عندما قام الطبيب النمساوي Dr. Fellinger بفحصه، ثم أكد ذلك الطبيب الفرنسي المتخصص Flandrin Georges في شهر مايس من عام 1974. من آثار علم الشاه بمرضه، أن تغير سلوكه السياسي، فأصبح يعجل في تنفيذ المشاريع ويوصي بتهياة الأرضية لولى العهد ولم يعد يولي الكثير من الأهمية لانطباعات واشنطن حول سياساته. وعلى أكثر تقدير شعر ملا مصطفى بمرضه خلال النصف الثاني من عام 1974، وهذا ما عزز تراجع اهتماماته بالقضية الوطنية ورفاق السلاح القدامى وقيم الثورة ومصيرها، وانغمس أكثر في المزيد من الاهتمام بسلامة العائلة من الناحية الأمنية والمالية. ومثلما جنّب الشاه وريثه من تبعات استمرار النزاع العراقي - الإيراني، خلال اتفاقية الجزائر، كذلك جنّب ملا مصطفى ورثته من تحمل أعباء استمرار الحركة الكوردية المسلحة بقرار إنهاء الثورة والالتجاء إلى إيران. وقد سمعته وهو يشدد على بذل الطاعة لولديه.

بقي هاجس أخير قبل مغادرة كوردستان، هذا الهاجس يتعلق بعملية التوريث، انتشال العقبات أمامها مهما كان الثمن، فأمر قائد الحركة بإبادة كل من بقي من

الذكور من عائلة فاخر ميركه سوري، إذ كان كثير الخشية من تعاونهم مع عبيدالله، ابنه المتواجد في بغداد! فتم على عجل وقبل الفرار، قتل ماتبقى من أفراد العائلة المسجونين لسنوات في سجن رايات دون محاكمة ودفنوا على عجل في قبر جماعي مع أغلالهم. لم يكن لـ (رشيد) ولا (أسعد) ولدي محمد آغا صلة بالسياسة، ومع هذا قتلوا. وبعدها غادر رئيس الحزب معقله الحدودي إلى إيران بهدوء ونهائياً.

نورد ما ذكره عدد من القياديين الكورد بخصوص حجم ميزانية الحركة الكوردية وما بقي منها بعد النكسة، يجد القارئ فرقاً كبيراً بين ما أورده مسعود وما ذكره قياديون آخرون وكانوا على إطلاع بالميزانية:

مسعود ملا مصطفى	محمود عثمان، سامي عبد الرحمن
<p>يقول مسعود ملا مصطفى: «بعد النكسة بقي في حوزة الثورة- لم تبق هناك ثورة بعد النكسة حتى يبقى شيء في حوزتها، الواقع بقي المبلغ في حوزته هو ، تعليق من المؤلف - مبلغ يناهز ثلاثة ملايين دينار ومليون دولار. تم صرف الجزء الأكبر من هذين المبلغين على اللاجئين قبل استقرارهم وخصص المبلغ المتبقي لثورة كولان والنشاط الخارجي وشراء الأسلحة. الجزء الثالث. البارزاني والحركة التحررية الكردية 1961 - 1975 . أبريل 2002 . . ص: 396 .</p>	<p>بلغت ميزانية الثورة بين (1970 - 1975) حوالي ثمانية واربعين مليون دينار لم تشكل واردات الثورة الداخلية سوى حوالي خمسة بالمائة منها بما فيها واردات الفروشكاه وهذا لايشمل المواد العينية الداخلية أو المساعدات العينية الخارجية التي حصلت عليها الثورة. أما أوجه الصرف فكانت مساعدات البيشمركة وتأمين إحتياجات الجبهات ومؤسسات الثورة والمساعدات الكيفية الأخرى ولم تشمل أوجه الصرف السلاح او الإحتياجات العسكرية الأخرى حيث ان الثورة لم تصرف اية مبالغ لشراء الاسلحة من هذه الميزانية، إذ ان</p>

مسعود ملا مصطفى	محمود عثمان، سامي عبد الرحمن
<p>ويشير في نفس الكتاب إلى المساعدات المالية السوفيتية، فيذكر: «بدأ بمنحة بحوالي ربع مليون دولار. ثم زادت لتبلغ مليون دولار في العام 1972. ص: 375.</p> <p>ثم يضيف حول المساعدات السوفيتية: «بدأ بتخصيص إعانة مالية بعد الأشهر القلائل الأولى. أي اعتباراً من أواخر العام 1961 قدرها ثلاثمائة وستون ألف دولار سنوياً أي مايعادل مائة وعشرين ألف دينار عراقي بسعر الصرف وقتذاك- وتواصلت هذه المنحة بعين المقدار حتى العام 1968 فزيدت إلى نصف مليون دينار إبتداءً من العام 1969 حتى 1972 ثم قطعت تماماً بعد دخول الولايات المتحدة الميدان. ص: 395 .</p>	<p>السلاح وعتاده كانا يأتیان للثورة كمساعدات منذ البداية وكذلك لم تشمل أكثر مصروفات جهاز الباراستن ولا بد ان نذكر هنا بأن زيادة امكانيات الثورة المالية بهذه الصورة الملموسة لعبت دوراً كبيراً في اضعافها وافسادهها وجعلها تنسى بأنها حركة ثورية قبل كل شيء. صفحة : 63 . ويضيف الدكتور محمود أنه إضافة إلى الأموال التي تجمعت لدى ملا مصطفى قبل النكسة، فقد استلم: «مبلغ مليوني دينار من ايران بعد النكسة مباشرة» تقييم مسيرة ثورة أيلول. ص: 77 .</p> <p>سامي (محمد محمود عبدالرحمن يعزي التخلي عن القتال إلى تقدم سن ملا مصطفى وثناء عائلته: «لو كانت عائلته فقيرة، فإنه كان سيواصل القتال، وقد أعطاه الايرانيون الملايين.»</p> <p>أما جوناثان راندل فيقول عن الانتقادات الكوردية لزعامه ملا مصطفى أنه ترك كوردستان ومعه حوالي 70 مليون دولار أمريكي. ص: 171</p>

بعد أن أنهى الحركة، كان ملا مصطفى مصمماً على الاحتفاظ بأموال الثورة، ولايسلمها إلى لجنة من النزهاء ولا إلى هيئة من المناضلين القدماء المعروفين، لقد كان مصمماً منذ البداية على الاحتفاظ بها لدى ولده وأسرته. وكان هذا أمراً لايقبل الكلام فيه أو المساومة. هنا نرى لامبالاة مطلقة في حكم التاريخ عليه، ولا أخفى، فقد أصبت بصدمة عندما تبين لي، أن هذه الأموال احتفظ بها كملك شخصي، مما عزز انطباعي السلبي عن قيادته طوال العقود الماضية.

الاتفاقات التي أبرمت، كانت بين شخصيات دكتاتورية [صدام حسين، محمد رضا بهلوى وملا مصطفى] وليست بين مؤسسات ديمقراطية راسخة، إن التوقيع على اتفاقية الجزائر وثم فسخها تظهر إلى أى مدى تحكم الأفراد بالقرارات المصيرية حيث الشعوب تدفع الثمن، الشاه في صنع اتفاقية الجزائر عام 1975 وعلى أثرها انهارت الحركة الكوردية - في العراق، وتخلص البعث من القضية الكوردية مؤقتاً، كما إن قرار إنهاء الحركة الكوردية تظهر إلى أى مدى تحكم ملا مصطفى في صنع القرار المصيري بالنسبة للشعب الكوردي في آذار من نفس العام. وصادم حسين في ضرب إيران عام 1980 وغزو الكويت عام 1991.

لقد أخطأ الشاه في التوقيع على اتفاقية آذار عام 1975، فهو بدل اضعاف خصمه، حرره من قيود الحركة الكوردية، فتقوى نظام البعث عسكرياً إلى حدود أثرت على موازين القوى لصالح العراق. وعندما انهار نظام الشاه عام 1979، ضاعف صدام حسين الجهود في تشكيل جيش قوي قادر على شن الهجوم ضد الدول المجاورة متى ما أراد. كانت دوافع الشاه في تحالفه مع إسرائيل ومع الكورد تهدف الى اضعاف خصومه من خلال كلا التحالفين، بينما تقوى خصمه بعد التوقيع على اتفاقية الجزائر.

ومن وجهة نظر إسرائيل فإن التعاون مع الشاه والكورد فتح الباب أمام الدولة العبرية لعودة اليهود العراقيين إلى إسرائيل. إحدى أهداف السياسة الإسرائيلية الخارجية المحورية تتمثل في العامل الديمغرافي، فقلة عدد سكان إسرائيل مقارنة بعدد سكان جيرانها العرب، يشكل كابوساً مخيفاً لدى قادة الدولة العبرية، لذا شجعت تل أبيب الهجرة اليهودية إلى إسرائيل. وبهذا الخصوص، ساعد السافاك الإيراني

مرور اليهود العراقيين عبر كردستان وايصالهم إلى مدينة أورميه في إيران، بعدها قامت المنظمات اليهودية اعادة اسكانهم في إسرائيل.³²⁴

لقد حقق الجميع، طهران وتل أبيب وواشنطن وموسكو وبغداد مصالحتهم أو جزءاً منها ولو مؤقتاً، والخاسر الأكبر كان الشعب الكوردي.

القيادة غير المؤهلة في تحمل أعباء النضال التاريخي والمتخاذلة في لحظة مصيرية حاسمة تكون سبباً في ضياع نضال وتضحيات شعبها.

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yal University press/new haven and London.2007. p: 54 324

دبلوماسية صناعة الأوهام

العديد من الدول كانت منخرطة في العلاقة مع قيادة الحركة الكوردية في مستويات متباينة، منها إقليمياً: إيران وإسرائيل والأردن والمملكة العربية السعودية والجمهورية العربية المتحدة والكويت. ودولياً: الاتحاد السوفيتي ومنغوليا والولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا الغربية والنمسا وبريطانيا.

كما كان للحزب الوطني الكوردية في جميع أجزاء كوردستان دوراً إيجابياً في الصراع المسلح الذي تمثل في الحركة الكوردية منذ عام 1961 وحتى انهيار القيادة الكوردية عام 1975. لكن قيادة الحزب والحركة ألحت على جميع الأحزاب والمنظمات الكوردية في الأجزاء الأخرى من كوردستان، تجميد نشاطها والعمل فقط من أجل دعم الحركة الكوردية ضد نظام بغداد. وعندما لم تتمكن من هذا «الأمر» سادت قيادة الحزب قواتها (البيشمركة) لوقف الانتفاضة كما كان الحال مع الحزب الديمقراطي الكوردستاني - إيران - وجنباً إلى جنب مع القوات الإيرانية. ونجم عن عدم تبني استراتيجية كوردستانية بتوافق جميع الأطراف الكوردية، نجم عنها ضعف الحركة الكوردية في التوازنات الإقليمية وسبباً في عزلتها وطمس التفرد بها من قبل الشاه واستغلالها خدمة لمصالحه. وكان عصمت شريف قد أشار إلى ذلك مراراً لكن دون جدوى. كما شارك في الحركة التحررية الحزب الشيوعي العراقي في فترات مختلفة ومنذ البداية شارك الآشوريون والكلدانيون ولعبوا دوراً هاماً فيها.

سعت القيادة الكوردية بناء علاقات مع تركيا، لكنها لم تستجب لها، وبقيت العلاقة الأكثر أهمية مع طهران. ومن خلال نافذة طهران دخلت إسرائيل بالتشاور مع إيران وبتحمس. بينما جرّ الشاه الولايات المتحدة الأمريكية إلى اللعبة، وهي مترددة وقبلت بكثير من الحذر نتيجة إلحاح الشاه، وحتى بعد القبول، كان دورها غير ذا أهمية في مجرى نتائج صراع الحركة الكوردية وحكومة بغداد. لكنها كانت كافية لتغذية الوهم القاتل لدى القيادة الكوردية، أي زيادة الاعتماد على القوى الخارجية.

أمر طبيعي لا بل ضروري أن تبحث القيادة عن حلفاء حقيقيين أو مؤقتين في عملية الصراع الشعبي المسلح، وحسب الظروف والإمكانات. وفي وضع الحركة الكوردية، كان الحليف الرئيسي هو الشاه، المعادى للحريات في بلده ناهيك عن عدائه التاريخي للحقوق القومية الكوردية في جميع أجزاء كوردستان. ويبدو أن الشاه عرف شخصية ملا مصطفى وأسلوب التأثير عليه وعلى خططه، أكثر مما عرفه ملا مصطفى عن الشاه، ورغم تبادل فقدان الثقة بين ملا مصطفى والشاه، فقد تمكن الأخير ممارسة التأثير عليه عن طريق "دبلوماسية صناعة الأوهام" فقد استطاع أن يخلق لدى ملا مصطفى تصورات مبنية على بعض الحقائق: أن إيران دعمت قائد الحركة منذ سنين، حيث يأتيه المال مباشرة، ووفرت إيران السلاح والتدريبات لقوات الأنصار، وتعالج الآلاف من الأكراد في مستشفيات إيران، وأسهمت إيران في إقامة علاقات مع إسرائيل، وافتعت أمريكا لكي تدعم الحركة الكوردية. أنها أوت عشرات الآلاف من اللاجئين في أراضيها بما فيهم أسر رئيس الحزب وأولاده وأسر أعضاء مكتبه السياسي، وان القوات الإيرانية دخلت كوردستان لمقاتلة الجيش العراقي دفاعاً عن الكورد الآريين وبطارياتها المضادة أسقطت عدة طائرات عراقية، وإنها ترسل العتاد والأرزاق للمناطق النائية من كوردستان وشفهياً ستواصل إيران دعمها للحركة الكوردية. ورغم ان هذه كلها كانت أمور حقيقية، لكن القيادة لم تتبته إلى الدافع الأساسي وراء هذا الدعم المالي والعسكري والانساني. لم تتحل القيادة الكوردية بادراك جيوسراتيجي، ولم تميز بين نقيضين تقمصهما الشاه في ذات الوقت، فهو "صديق مؤقت وعدو متربص" والأول في خدمة الثاني وليس العكس. تعامل رئيس (حدك) مع الشق الأول من سياسة الشاه "صديق مؤقت" وبسذاجة متناهية تجاهلت القيادة الكوردية ولم تحتط للشق الثاني - وهو المحور الأساسي- من سياسة الشاه "كعدو متربص"، وعند عودة الشاه بعد التوقيع على اتفاقية الجزائر في 6 آذار 1975، أماط اللثام عن وجهه كاملاً، فطن القادة الكورد إلى مدى عجزهم وتخلفهم في الحقل الدبلوماسي بعد فوات الأوان.

سياسة صناعة الأوهام تنجح عندما يكون المتلقي مهياً لها، قاصر في فهم قوانين الصراع السياسي وادارتها ويجهل دروس التاريخ، وضعف الثقة بالنفس فيما يخص القدرة على كسب عوامل القوة والتأثير السياسي في حلبة الصراع بين اللاعبين، غير مبالى بتعهدات ملزمة وجبهته الداخلية توهنت بفعل الفساد المتفشي وضعف الالتزام

بمصالح شعبه ومستقبله. وبالعكس تفشل هذه السياسة إن بنى المتلقي استراتيجيته على الوقائع الثابتة على الأرض، وتهيئة شعبه لأسوء الاحتمالات وشخص بدقّة دوافع المساعدات التي يتلقاها وحرص على بناء خطط بديلة حال وقف هذه المساعدات، والبقاء على عدة محاور للمناورات السياسية كي تبقى حركته مستقلة في أخذ القرارات المصيرية.

لم تبين الاستراتيجية الكوردية على أسس واضحة مدروسة، فلم يكن هناك رؤية متفهمة لواقع سياسة الشاه تجاه الحركة الكوردية، إلى أي مدى يمكن اعتبار المساعدات من الشاه كعامل مساعد لتقوية الحركة الشعبية المسلحة وترصين الجبهة الداخلية الكوردية، إلى جانب تقييم احتمال معاداته للحركة وفي أي ظرف سياسي قد ينقلب إلى عدو مكشوف! لقد ازداد الاعتماد على الشاه على حساب إهمال ترصين الجبهة الداخلية الكوردية وهدم العلاقات الكوردستانية.

لم تع القيادة الكوردية حقيقة ان الشاه تعلم درساً هاماً من اتفاقية (11 آذار عام 1970) التي وقعها الطرف الكوردي والبعث العراقي، ولذا بعد أن عاد ملا مصطفى إلى الشاه لطلب العون والدعم خاصة بعد محاولة اغتياله الفاشلة في 29 أيلول 1971 من قبل أجهزة مخابرات سلطة البعث، توسعت العلاقة بين قياد (حدك) وإيران، سعى الشاه أن لا يدع ملا مصطفى يفلت من يديه في السماح له باتفاق آخر مع بغداد، لقد تعلم أن يجز الحكومة العراقية إلى مائدة المفاوضات معه، وربط ملا مصطفى ربطاً محكماً وألهاه عن أي تفاهم مستقبلي مع بغداد.

كان الشاه يعرف مدى أهمية سياسة إفساد المجتمع لإطالة حكمه، وكان يعرف أن هذه السياسة يتبعها ملا مصطفى مع شعبه، سياسة الإفساد يمكن ممارستها مع الأشخاص ومع المجتمعات على حد سواء، كان هذا من مصلحة الشاه، فأغدق على ملا مصطفى الملايين من الدولارات وبدورها أسهمت في خلق المزيد من الفساد في المجتمع الكوردي على حساب النقاوة الثورية، وتطور ميل واضح لدى القادة الكورد الرئيسيين في دعم سياسات الشاه في المنطقة، معتبرين أنفسهم جزءاً من المخطط الأمريكي الإيراني والإسرائيلي.³²⁵ لقد سمح ملا مصطفى للعديد من قادته

From Amembassy BEIRUT. To the Department of State. July 16, 1971. Request from 325
Mustefa Barzani for Clanndestine Contact with USG

ذوى الولاء الشخصي أن يمعنوا في الفساد المالي والاداري، وطيلة ما يقارب الأربعة عشر عاماً لم يسجن أو يفصل أو يحقق مع أي قائد أو مسؤول بتهمة الاختلاس أو الفساد المالي. لقد نخر الفساد في جسم المجتمع بوضوح وقد بدأ من قمة القيادة نزولاً إلى جميع مؤسسات الحركة والحزب والجيش الثوري. وهذا هو الخطر الأكبر الذي تفضى في الثورة حيث تنهار مناعة المجتمع وتضرب قيم التضحية والنزاهة والفضائل الثورية والالتزام بالثوابت التي تتعلق بمصير الأمة. لقد تناسى القادة أن الشعب الكوردي يخوض ثورة مسلحة ويحيط به الأعداء من كل جانب، ولمزيد من التلاحم بين الشعب الكوردي وقيادته، كان يقتضي من القيادة أن تضرب من نفسها أروع مثال على التمسك بالقيم الثورية والوطنية والتضحية والايثار والالتزام بمبدأ العدالة، لقد تناست القيادة الكوردية أنها تقود ثورة وسمحت لنفسها الانجذاب نحو الحياة الرغيدة والثراء والراحة وجمع المال. كان الشاه على علم بنقاط الضعف لدى الطرف الكوردي فاستغلها ليضع القيادة الكوردية داخل إطار سياسي محدد يتحكم هو في القرارات السياسية الحاسمة.

فلكي يقي قائد الحركة نفسه من مخاوف القفص الإيراني، دخل القفص الإسرائيلي، وللمزيد من الحماية دخل قفص الـ C.I.A. كان يولي أهمية فائقة للمخابرات والأجهزة السريّة الجاسوسية، ويجد فيها ضماناً للسلامة الشخصية والعائلية، ويطلب منها دوماً التعاون المخبراتي، ومن هنا كان يريد تقديم ابنه مسعود لجهاز الـ C.I.A. كما ورد في العديد من المذكرات التي أرسلها إلى السفارات الأمريكية أو مع مبعوثيه الذين التقوا بدبلوماسيين أمريكيين. وكان دخول الـ C.I.A. جزءاً من صفقة مأكرة أعدها الشاه تلبية لرغبة ملا مصطفى ومقابل قطع القيادة الكوردية جميع القنوات مع الاتحاد السوفيتي وحكومة بغداد والحزب الشيوعي العراقي وعدم الانضمام إلى الجبهة الوطنية التقدمية. وبدخول الـ C.I.A. في اللعبة، تقوت معنويات القيادة الكوردية وظننت أنها تستند إلى دولة عظمى هي الولايات المتحدة الأمريكية وان لها أهمية في حسابات المعسكر الغربي. هذا دون إدراك أن ايران هي التي تمسك بمدخل ومخارج هذه العلاقة. ومن الناحية الجيوستراتيجية وفي أوج الحرب الباردة، لم تكن واشنطن راغبة في حصول أي مشاكل لحلفائها في المنطقة المضطربة - الشرق الأوسط - ففي نظرها أن حكماً ذاتياً للأكراد في العراق سيكون له صدى كبير في جميع أجزاء كوردستان. ويتيح لحكومة عراقية راديكالية، أو للاتحاد السوفيتي

استخدامه ضد أهم حليفين لأمريكا في الشرق الأوسط، طهران وأنقره، وهذا خط أحمر لا يجوز تجاوزه وموضع مراعاة كاملة من واشنطن.

لم تجر دراسة وافية لتحديد المصالح الكوردية ومدى تصادمها أو توافقها مع المصالح الإيرانية. وقبول الدخول في تحالفات غير مكتوبة وغير مبنية على القوة الذاتية الحقيقية، جعلت الحركة الكوردية طرفاً تابعاً وليس طرفاً مستقلاً له مواقفه وثوابته المبنية على طاقاته الذاتية. فإن كانت هناك بعض المصالح المشتركة المؤقتة بين الحركة الكوردية وطهران فيما يخص التعامل مع حكومة بغداد، إلا أن تصادم المصالح الاستراتيجية مع إيران كان قوياً وخطراً. لم يكن الشاه ولا جهاز السافاك ليغفلا أهمية الآثار العاطفية والتعاقد القومي للحركة الكوردية التحررية على جانبي حدود كوردستان المجزأة، ومن هنا تركزت سياسة الشاه على مساعدة الثورة الكوردية من أجل احتوائها. في حين كانت القيادة الكوردية ترى المساعدات فقط ولا ترى عواقب سياسة الاحتواء المدروسة بدقة. القيادة الكوردية لم تكن ترى إلا جانباً واحداً من اللعبة، الجانب البراق، وأغمضت عينيها عن رؤية الجانب المعتم والخطر، إلى أن داهمتها اتفاقية الجزائر 6 آذار 1975. في خضم العلاقة بين قيادة الحركة الكوردية وشاه إيران، عمل الأخير بشكل مدروس على تقليص خيارات الطرف الكوردي إلى حد زوال الخيارات الأخرى لصالح الخيار الإيراني فقط.

في السياسة لا مجال للتسول واستدرار الشفقة وطلب الصدقات، إنما عوامل الصمود الحقيقية والارادة المبنية على وقائع ثابتة هي الأساس في التعامل الدبلوماسي. والشاه نفسه كان يعرف كيف يزيد من ضعف قيادة الحركة الكوردية، فنظرته إلى العلاقات الدولية في زمن الحرب الباردة كانت مبنية على توفير عوامل القوة والردع، وفي نظره أن الضعيف لا يستطيع أن يتخذ موقفاً متوازناً حكيماً، أو أن ينتهج سياسة ناجحة. ولنرَ من خلال الحديث التالي وجهة نظره فيما يخص القوة الحقيقية:

"كيسنجر: قد يكون مفيداً أن تعرفوا بأن السفير السوفيتي Dobrynin تنبه إلى إحدى تعليقاتكم أثناء مأدبة عشاء أقيمت لكم في البيت الأبيض ليلة الثلاثاء. وأدعى (دوبرينين) أن كلمات جلالتم كانت مستوحاة مني، عندما ذكرت: "القوي فقط

باستطاعته أن يكون حكيماً". قلت لـ (دوبرينين) العكس هو الصحيح، أنا لست سوى تلميذاً لجلالتكم.

الشاه: قلت نفس الشيء للسناطور Wayne Hayes وتناقشنا في ذلك.

قلت للروس الشيء الجيد لكم أيضاً جيد لي.

سألتهم عندما يتفاوضون مع الولايات المتحدة، هل يتفاوضون من موقع الضعف أو من موقع القوة. إنهم يتفاوضون من موقع القوة. فقط من موقع القوة يمكن تبني موقف حكيم. الشخص الضعيف يكون شديد الارتباك مما يحول دون حيازة الحكمة والروية.

كيسنجر: يحتاج المرء إلى أن تكون لديه خيارات لكي يكون حكيماً.

الشاه: إن تكن قوياً، يمكنك التحلي بالصبر.

كيسنجر: نعم المرء في تلك الحالة يتمكن من استغلال الوقت لصالحه.

الشاه: نعم المرء في تلك الحالة يستطيع أن يتأني. هل أحب السفير الروسي تلك

الملاحظة؟

كيسنجر: احترامها وهذا أهم من أن يحبها.

السفير هيلمز: أخذ ملاحظة عنها.

كيسنجر: جلالتم جلب اهتمامه.

(.....)

(.....)

الشاه: قلت للسفير الروسي في طهران، أن نفس الاستراتيجية التي هي مناسبة

لكم، هي مناسبة لإيران أيضاً. يجب التعامل مع إيران بنفس المعاملة مع البلدان

الكبيرة في العالم. هل ذكر السفير الروسي أشياء أخرى عن إيران؟

كيسنجر: تكون لدي انطباع أنهم يفضلون لو أنكم أقل تسليحاً.

الشاه: الشيء المهم أن يفهمه الروس هو أننا لا نخاف المجابهة معهم. لن نستسلم.

على الروس أن يفهموا ذلك.

كيسنجر: هذا موقف قوي.....

(.....)³²⁶

وفي هذا الوضع يبقى الذكاء وقابلية المناورات واستغلال عوامل القوة والضعف

في لعبة الصراع السياسي محكاً لتحقيق كل منهما لأهدافه وتجنب الوقوع في الفخ. فالاستعداد للأزمات قبل وقوعها هو من صلب السياسة الناجحة، أما الاستفاقة بعد حصول الأزمة - مثال القيادة الكوردية- فلا يفيد لأن الوقت يصبح متأخراً جداً.

العلاقة الثنائية بين الرجلين كانت ذا أهمية حاسمة، إذ لم يولي الشاه أي اهتمام لمستشاريه أو حكومته في الموافقة أو إبداء الرأي فيما يتخذه من قرار سياسي مهما كانت أهميته. ونفس الشيء ينطبق على ملا مصطفى، فهو لا يستشير مكتبه السياسي أو قيادات قوات الأنصار الكوردية، فهو رئيس الحزب والقائد الأعلى لقوات ال (بيشمركه)، هذه العلاقة الشخصية الثنائية هي التي حددت ملامح السياسة بين طهران والحركة الكوردية. فإن كان الشاه يملك المال والسلاح، كان ملا مصطفى يملك آلاف المسلحين على أرض محررة يتجاوز مساحة بلجيكا، وهي أرض جبلية شديدة الوعورة وفردوس لحرب العصابات، وثم إن ملا مصطفى، رغم تراجع شعبيته، كان بإمكانه الاعتماد على شعبه أثناء الأزمات التي يجد الشعب الكوردي وجوده مهدداً، فيلتف حول ملا مصطفى من جديد. وكان بإمكانه أيضاً الاعتماد على استراتيجية كوردستانية وتطويرها لزيادة رصيد الحركة دولياً وإقليمياً، وهذا يتيح له ممارسة ضغط كبير على عدد من الحكومات. في حين استغل الشاه نقاط الضعف لدى ملا مصطفى، لم يرق الأخير باستغلال مخاوف الشاه لتقوية أركان الحركة التحررية الكوردية الداخلية ونيل ثقة الجماهير الكوردية لتقوية دورها في الصراع من أجل تحقيق أهداف الثورة. كان خطأ قاتلاً وضع جميع ما يملك من أوراق في سلة طهران، وهذا ما كان يريده الشاه. لقد أثبت الشاه لملا مصطفى أنه الأكثر سخاءً من الروس والعراقيين والإسرائيليين والأمريكان فيما يخص المنح المالية. ولم تعرف القيادة الكوردية كيف تتصرف مع هذه الثروة المفاجئة التي هبطت عليها وفيها كل مغريات الاستئثار بالسلطة، هنا تمكن الشاه من خلال الاغراءات المالية اضعاف الارادة الثورية وتطويرها أمام سطوة المال. كما إن خطر الإدمان على المال ينقل دور الثورة الكوردية من مركز استقلالية القرار إلى مركز "وظيفي" يخدم مانح المال الذي يجيد نصب الكمائن، ويجد المتلقي نفسه في النهاية وقد تحول من "ثوري" إلى "موظف" له دور معين.

اعتقد ملا مصطفى بعد بيان آذار عام 1970 أن إجراءات حمايته العديدة كانت كافية لسلامته، وعاش على الحدود الإيرانية العراقية بعيداً عن الجبهات، محاطاً بالحاشية وآلاف الحراس، وبالمضادات الجوية على التلال المحيطة بمقراته، لكن وجد أن الأعداء متربصون به وقد استطاعوا بالمكر والخديعة تجاوز جميع العراقيل التي أقامها لسلامته، والوصول إليه في عقر داره، وقد أنقذته العناية الإلهية من موت محقق، كل هذا استفزه إلى حدود ان نما فيه هاجس داخلي عميق أسهم في خلق شعور دائم بفقدان الأمان والسلامة على حياته. وكما نوهنا فإن تعرضه لعملية الاغتيال التي قام بها نظام صدام حسين أفقدته ملكة التفكير المتوازن في خياراته السياسية وتحالفاته الاقليمية والدولية.

هنا استغل الشاه هذه المخاوف أحسن استغلال، ولكن الأدهى من كل هذا هو انفصال رئيس الحزب عن آمال وتطلعات شعبه وتضحياته وتمسكه بالقوى الرجعية والمرترفة وسدّ الطريق أمام المؤهلين، كما ازداد احتكار السلطة السياسية والعسكرية والمالية من قبل عائلته، و في أخطر ظرف تمرّ بها ثورة الشعب الكوردي.

لم تستفد القيادة شبه المشلولة من العناصر الجديدة الملتحقة بالحركة الكوردية، إذ كانت قدرتها التنظيمية وملكة استيعاب الملتحقين الجدد من عسكريين ومدنيين صفرًا، بل تحولوا رغمًا عنهم إلى عبء على الحركة. وكان هذا موضع انتقاد الممثلين الإيرانيين أنفسهم، ويشير الدكتور عبدالمصور بارزاني، والذي شغل منصب رئيس اللجنة العليا لشؤون اللاجئين عام 1974، - حالياً أستاذ التاريخ المعاصر في جامعة السليمانية - إلى ظاهرة التسيب بوضوح، ففي داخل أراضي كوردستان - إيران- زادت المخيمات لاسكان اللاجئين الكورد الفارين من حرب كوردستان الخامسة. ففي زيارة مفاجئة للتمسار (منصور پور) إلى مخيم (نليونان) بالقرب من مدينة شنوى، التقى بـ (عبدالمصور بارزاني) وذكر صراحة: "وصلتنا معلومات موثوقة مفادها بأن الكثيرين من المنتمين إلى الپيشمرکه موجودون في المعسكرات وهم الذين يفترض أن يتواجدوا على الجبهات... إن هذه الحالة ستضعف الجبهات القتالية، الأمر الذي يفترض فيه أن لا يحدث...."

المثال التالي يرينا مدى تأهب قمة الهرم في الحركة الكوردية للطوارئ وللمسؤولية التاريخية المناط بها، فرئيس الأمن (پاراستن) وهو نجل ملا مصطفى (مسعود)، حيث من المفروض أن يكون بالنسبة للحركة الكوردية كما هو نصيري بالنسبة للسافاك الايراني، ومائير عميت بالنسبة للموساد الاسرائيلي ورتشارد هيلمز بالنسبة لـ C. I. A . يذكر الدكتور عبدالمصور بارزاني مثلاً حياً ذا مغزى كبير: وفي شهر آذار من عام 1975، كان رئيس الباراستن للحزب الديمقراطي الكردستاني (مسعود ملا مصطفى) الذي عينه والده في المنصب المذكور، والمفروض انه على علم بخفايا الأمور، نراه متحرراً من القلق و متمسكاً بفكرة السند الخارجي القوي، وكان يقضي عطلته في إيران لدى عائلته، ومطمئن من كل شيء. أعرب له عبدالمصور بارزاني عن قلقه بصدد تفاهم محتمل بين بغداد وطهران، فكان الرد: "عبدالمصور أنت ليس لديك عمل ولا تفتأ تسألني أو تسأل إدريس حول هذا الموضوع. لكن لو كنت تعلم ما أعلمه أنا لما طرحت هذا السؤال أصلاً" وزاد: "نحن لا نتعامل مع دول صغيرة كالعراق وإيران فقط، بل لنا علاقات مع دول كبرى أيضاً". وفي نفس الاجتماع وعبدالمصور لا يزال جالساً، بعد برهة، وصل رسول يحمل رسالة إلى مسعود من إدريس البارزاني الذي كان لا يزال في كردستان، يخبره فيها بدأ انسحاب المدفعية الإيرانية وتخلي إيران عن دعمها للحركة الكوردية.³²⁷

لقد قامت أجهزة الحزب الدعائية بفرض عادة تبجيل وتفخيم ملا مصطفى إلى حدود المغالاة، وألفت الأشعار والأغاني لأمجاده العظيمة الخارقة، كان هو شخصياً يشبه نفسه بـ "الأسد"، وقد وقع منذ زمن تحت تأثير التفخيم المغالى فيه ومن أهم نتائجها انه لا يجد أي داع للاستماع إلى أحد أو طلب المشورة والنقاش مع آخرين، فهو أعلم وأذكى من الجميع وفوقهم. ونما فيه فقدان الإحساس بالمخاطر. صدام حسين هو الآخر أصيب بنفس الداء بعد نجاح عملية تأمين النفط العراقي وهزيمة الحركة الكوردية عام 1975، فقد تولدت لديه قناعة بعظمة شخصيته التي حققت ما لم تحققه أية حكومة عراقية من قبل: تأمين النفط وإنهاء الحركة الكوردية. وكان الشاه مصاباً بنفس المرض، فقد كان يعتقد انه يمثل قوة عظمى في المنطقة والأمريكان يحتاجونه وتفرد هو الآخر بالقرارات المصيرية ولم يستيقظ إلى بعد

327 المسألة الكوردية. البديل الديمقراطي. تجارب سياسية: 1974 - 2009. الدكتور عبدالمصور بارزاني. كتاب لم ينشر بعد.

فوات الأوان، حيث شاهد مدى بعده عن حقائق المجتمع الإيراني وهو يرى تهاوي عرشه. في وضع كهذا تصغر الشعوب وتهمش ويتعاظم دور الدكتاتور الذي يصبح فوق الشعب وفوق القانون، ومن خلال أجهزة قمعه وإعلامه ينهمك مرتزقة الإعلام بنشر ثقافة "عبادة الشخص". إن صعود أي دكتاتور خير مؤشر على فشل دور الشعب وتحوله إلى مجرد خادم ذليل. فالحاكم المستبد يدير ظهره للمحكومين ولا يكتثر بمصالحهم لأن همه هو بقائه واستمراريته الوراثية. وتقوم بطانة الحاكم بدورها في تعزيز الاستبداد، وقد شكّل الحاكم هذه البطانة خدمة لمصالحه، وأحد أطراف هذه البطانة يتجسد في متقفي السلطة الانتهازيين.

ف "القادة الحقيقيون" يتواضعون عند النصر ويصبحون أكثر حذراً في سياساتهم وأكثر ألتصاقاً وتحسساً بأمانى وآلام شعوبهم، بينما "أشباه القادة" يتعجرفون عند النصر ويستتهرون بنضال ومعاناة وكرامة شعوبهم ويتملكهم المزيد من الاستبداد، كما إن القائد غير المؤهل بحاجة متواصلة إلى تضخيم صورته يومياً ونسب البطولات إليه وحده، ويقوم المرتزقة من متقفي السلطة خلال الأجهزة الدعائية الخاضعة لبطانة الحاكم بتجميل صورة "القائد المنقذ" بأطنان من الأكاذيب بشكل روتيني ومتواصل.

أبت القيادة الكوردية أن تفتح عينيها على رؤية حقائق جديدة محتملة على الأرض لتحتاط لها، رغم وجود بوادر واضحة منذ حزيران من عام 1973. لقد انتاب القيادة شعور عميق باستحالة فقدانها للسلطة مهما فعلت، وذلك بفعل شيء يشبه الإدمان، كرسنه أعوام طويلة من التفرد والاستئثار بالسلطة المطلقة دون محاسبة في مجتمع عودته قيادته على الصمت والاذلال والخنوع. انهيار الحركة الكوردية مثال حيّ لما يمكن أن ينجم عن تهميش القيادة لنفسها عن قوى الشعب الفاعلة، فقد أسندت القيادة ظهرها للخارج، خلال دبلوماسية هزيلة ساذجة ركزت مهامها على جمع المال، وأخفقت في مهمة خلق عوامل الديمومة وترسيخ القوى الذاتية في المجتمع الثائر، فالدبلوماسية الناجحة تقوم على بناء وترصين الجبهة الداخلية. وعندما وجدت القيادة نفسها وجها لوجه أمام اتفاقية الجزائر، لم تعمل على تحديد آثار وقع الهزيمة الدبلوماسية، إنما أمعنت في التخبط والضياع، فتخاذلت. وعملت على نقل هذا التخاذل إلى أوسع دائرة ممكنة، لقد قادت الأوهام إلى هزيمة دبلوماسية والهزيمة الدبلوماسية قادت إلى هزيمة عسكرية ساحقة، ضحيتها الأولى شعب كوردستان. لم

تستشر القيادة الكوردية الشعب الكوردي ولم تأخذ مشاعره في الحسبان ولا مصيره وكرامته، لم يكن للشعب أي وزن في قرارات القيادة الكوردية. بينما نجا الزعماء الذين أصبحوا أثرياء إلى حيث الأمان.

ونستشهد هنا بأرشيف هام يكشف خبايا التمسك التام بحبل الشاه وقطع جميع الجسور مع الاتحاد السوفيتي والعراق والحزب الشيوعي العراقي حتى كتكتيك. وكما بدا فإن صالح اليوسفي كان المعارض الوحيد الذي ظل تفكيره مشوباً بالخوف والقلق من جراء تزايد الارتباط مع طهران وحليفاتها، والابتعاد الكلي عن الاتحاد السوفيتي، ولم يجد من بين أعضاء المكتب السياسي أعضاء آخرين يقفون معه لثني قائد الحركة عن هذا المنحى الخطير. الأرشيف الأمريكي المؤرخ في 11. 6. 1973 موجه إلى هيلمز حيث كان يشغل آنذاك منصب سفير الولايات المتحدة في طهران، واسم المرسل محذوف، هذا الأرشيف يوضح أن سياسة واشنطن كانت على تمام الانسجام مع خطط الشاه، إلى حدود التضحية بالأكراد لمصالحهما في المنطقة، هذا اللقاء الذي يشير إليه الأرشيف حصل مع مبعوثين سوفيتيين والقيادة الكوردية متباهية لوجود علاقة مع C. I. A الأرشيف تحت عنوان: مذكرتكم حول ملاحظة الشاه لملا مصطفى:

شكراً لإعلامي بنصيحة الشاه للبارزاني بصدد الانضمام إلى الائتلاف ألبعشي الشيوعي: "افعل ذلك إن أردت الانتحار!"

الأكراد أرسلوا لنا وللإيرانيين تقريراً عن زيارة اثنين من موظفي السفارة السوفيتية. نحن نصحناهم باستمرار أن يرسلوا جميع اتصالاتهم بالسوفييت بشكل فوري وبالكامل للإيرانيين لكي يقللوا من الشبهات التي قد تتابهم من أن البارزاني يلعب لعبة مزدوجة". ثم يذكر المرسل أن التقرير الذي قدمته القيادة الكوردية وصل إليه مكتوباً بالعربية واقتضى ترجمته.

ونورد هنا أهم ما ورد في التقرير الكوردي حسب النص الانكليزي مع تعليقات. في التقرير جمل لا تقرأ أو لم يرفع عنها الحظر.

وصل في 2 . 6 . 1973 Victor N. ABUSUV ALBUK السكرتير الأول في السفارة السوفيتية، و السكرتير الثاني: Igor PETRACOV إلى المنطقة الكوردية، وذكر أنهما أتيا وفق تعليمات القيادة السوفيتية، منهم بريجنيف، كوسيجن و بودكورني. وقال إن الهدف من زيارتهما هو التحقق بشكل خاص من آراء ملا مصطفى بارزاني، المكتب السياسي لـ (حدك) والحصول على آراء الحركة الكوردية والحزب بشكل عام. لكن الهدف الحقيقي كان زيادة الضغوط على البارزاني للتعاون والمصالحة مع (..... لا يقرأ) ويعتبر السوفييت أن النظام الحالي هو ضد الامبريالية وصديق للاتحاد السوفيتي، وأكد على دعم السيد صدام حسين التكريتي وضرورة تعاون الأكراد معه ودعمه أيضاً في كافة الظروف.

إضافة تكلم المبعوثان بشكل مطول عن الأهمية التي يوليها الاتحاد السوفيتي للعراق وللحركة الكوردية وأهمية حلّ القضية الكوردية مع الحكومة الحالية والشيوخيين ضمن إطار جبهة عراقية موحدة معادية للامبريالية. وأعربوا عن استعدادهم لمساعدة الشعب الكوردي بكل ما هو ممكن وفي مجالات عديدة بعد أن يتوصلوا إلى اتفاق مع الحكومة العراقية.

تكلم ملا مصطفى وأعضاء المكتب السياسي بصورة مطولة عن موقف حزب البعث ونقاط الاحتكاك مثل برنامج التعريب، والإخفاق في تحديد حدود المنطقة الكوردية، ضعف المشاركة الكوردية في الحكومة، محاولة اغتيال البارزاني وقضايا أخرى متعلقة بغياب حسن النية لدى البعث. كل هذا أدى إلى فقدان تام للثقة بنظام البعث وقدرته في حل المسألة الكوردية. لقد عرضت وجهة النظر الكوردية بالتفصيل والمبعوثان السوفيتيان وعدا بنقلها كما سمعها إلى القيادة السوفيتية.

لم يطرح المبعوثان أيّة مقترحات عملية لكي يتبناها الكورد أو الحكومة العراقية لحل المسألة الكوردية. ملاحظتهما تركزت على الضغط على البارزاني للتعاون مع صدام حسين التكريتي والنظام والانضمام إلى الجبهة الوطنية مع البعث والشيوخيين. الدبلوماسيان كانا يحملان رسالة شفوية من القيادة السوفيتية إلى البارزاني، ونقاط مختصرة مكتوبة تتعلق بالنقاط الأساسية التي ينبغي مناقشتها كما ورد أعلاه. وذكر المبعوثان أن النظام قرر منح الحكم الذاتي للشعب الكوردي قبل 11 آذار وذكر أهمية تجاوب الكورد بشكل ايجابي مع الحكومة في هذا الشأن.

تعليق المصدر: أحد أعضاء اللجنة المركزية لـ (حدك) واجه المبعوثين السوفييت بتهمة أن السوفييت يدرّبون الجيش العراقي لاستخدام الغازات السامة حيث زودوا بها الحكومة العراقية لإبادة الشعب الكوردي. أنكر المبعوثان علمهم بذلك وطلبوا الإثباتات أو التقارير التي بنى عليها الكورد معلوماتهم. وردّ الموظف الكوردي بأن مصدرهم موثوق به ومقنع للأكراد وأنه لا يرغب في الإفصاح عن هوية المصدر للسوفييت وإن الاتحاد السوفييتي قادر على التأكد من صحة ذلك.

تعليق المصدر: أعرب البارزاني عن قلقه من أن السوفييت سيمنحون النظام العراقي كل الدعم لحملة عسكرية للقضاء على الكورد. وعلق الزائران السوفييتان بأن العراقيين والإيرانيين قد دخلا في مناقشات دبلوماسية سرّية وهل فكر الكورد ما ذا سيعني ذلك بالنسبة لهم. ردّ زعماء (حدك) إن هذا من شأن الحكومتين ولا يعنينا. في الحقيقة، وعلى أية حال، كانوا على علم بالحوار ومهتمين نوعاً ما في حالة ضمان إيران لمطالبها في شط العرب، فإنهم قد يوقفون أو يقلصون دعمهم للبارزاني. إن تجدد الحملات الدعائية الإيرانية المعادية للعراق منذ 5 حزيران تهدف إلى طمأنة الكورد من أنهم لن يخسروا الدعم الإيراني".

كانت هناك نصائح أمريكية للقيادة الكوردية بإعلام الإيرانيين بتفاصيل الاتصالات مع السوفييت، لكننا نشك في وجود نصائح أمريكية لإيران كي تساعد الشعب الكوردي لنيل حقوقه. وكان الأمريكيان على علم بالأعيب الشاه قبل اتفاقية الجزائر، وأدركوا أن الهجوم الإعلامي الإيراني ضد البعث إنما هو لتضليل القيادة الكوردية وخلق وهم لديها بعدم التخلي عن مساندة الحركة الكوردية ضد البعث، في حين كان الحوار جارياً بين بغداد وطهران. لم تظن القيادة الكوردية إلى قوانين اللعبة الدبلوماسية الخطرة.

كانت الولايات المتحدة على علم بأهداف الشاه من وراء دعمه المدروس للحركة الكوردية، وكانت أيضاً موافقة على سياسة الشاه الهادفة إلى استغلال الحركة الكوردية لتحقيق مصالحه ولم يكن ذا أهمية ما سيحصل للشعب الكوردي! فمن وجهة نظر (مكتب الاستخبارات والأبحاث) في تقريره المعد في 31 مايس 1972، يذكر التقرير:

"في حالة سيطرة زمرة متواطئة من أنصار البعث والسوفييت على كردستان العراق، بالتأكيد ستمكن من ممارسة الضغط على إيران وحتى خلق قلاقل في شرقي تركيا. في الحقيقة يبدو أن هذا هو أحد دوافع القيادة العراقية - وليس دافع السوفييت - في دفع الأمور في كردستان العراق نحو التسوية". كانت هناك خشية لدى الأمريكيين من أن التفاهم مع الأكراد يحمل في طياته مستقبلاً إمكانية استخدامهم من قبل الحكومات الراديكالية حيث اشتهر بها العراق، ضد حلفاء أمريكا: إيران وتركيا. ولذا نميل إلى عدم ارتياح واشنطن في تفاهم جاد بين الحركة الكردية وحكومات بغداد.

البناء الذي أستغرق حوالي 14 عاماً أنهار خلال أيام، وليس من شك إن المهندسين الذين تولوا مسؤولية هذا البناء لم يكونوا في مستوى المهام التاريخية التي تولوها. معظم المهندسين تركوا البناء ينهار فوق رؤوس الذين كانوا داخل البناء، بينما نجوا هم من صدمة الانهيار سالمين. انتهت الحركة الكردية خلافاً لكل التوقعات، خلال أيام، ومنع قائد الحركة باصرار كل محاولة للاستمرار فيها، كما سبق لنا وان شاهدنا مساعي أسعد خوشفي، وكان بإمكانه دون أدنى شك مواصلة القتال وتغيير موازين القوى بالتدريج - رغم المصاعب- لصالح ديمومة الحركة الكردية، لكن رئيس الحزب منع ذلك. سمعت من أسعد خوشفي نفسه تفاصيل إصراره على مواصلة القتال، وأعلم قائد الحركة ملا مصطفى، أن لأشياء بنقصنا، العتاد والطعام والمعنويات والأرض المحررة وتصميم الشعب الكردي في بادينان على النضال بعزم وهمة، "حتى النساء يريدون مواصلة النضال".³²⁸ لكن دون جدوى.

ولو أخذنا بالاعتبار ما كان سيكون عليه الموقف السوفيتي وموقف قوى أخرى، يذكر جلال طالباني: "قبل إنهاء الحركة الكردية التقيت بريماكوف في بيروت فطلب مني مواصلة القتال وعدم الاستسلام لطلب الشاه، وقال إن الحركة الكردية باستسلامها ستسجل على نفسها كونها حركة عميلة وتابعة، وبمقاومتكم يمكننا التوسط بين الحركة الكردية وبغداد ونقول لهم إنهم غير مواليين لإيران وإنهم مجرد حركة كردية. وقد كتبت رسالة إلى مقر البارزاني بهذا الخصوص، وكان جوابهم

328 سنوات المحنة في كردستان. شكيب عقراوي. ص: 416

اتركوا هذا لأنه يريد خداعنا.³²⁹ كما يذكر طالباني بإمكانية أخذ مساعدات من التجمع العراقي في دمشق فيما لو استمرت المقاومة. وكذلك من سوريا وليبيا. القذافي كان ضد توجهات البارزاني في التعامل مع إيران.

كان الشعب الكوردي وحركته التحريرية أحوج ما يكون إلى قيادته بعد اتفاق الجزائر في مارس 1975، وقد استفزته المؤامرة، وكان يتطلع إلى استمرار المقاومة وأن تستيقظ القيادة الكوردية وتعود إلى الوقوف مع شعبها، لكن كانت الخيبة. هناك فرق كبير بين زعامة مضحية، تثبت أصالتها ساعة المحنة ويأبى إخلاصها وتفانيها من أجل قضية الشعب العادلة التخلي عن الجماهير ساعة الحقيقة وبين زعامة لامبالية بحكم التاريخ ومعاناة شعبها. وقد رأينا إحدى أهم الخصائص المرافقة للنضال الكوردي في النصف الثاني من القرن الماضي هو عدم كفاءة القيادة الكوردية وعزوفها عن استخدام المساعدات الخارجية لترصين الجبهة الداخلية الكوردستانية.

إن هذا الفشل يرينا مدى غياب القابليات في إدارة العلاقات الخارجية وغياب الخطط الاحتياطية لتفادي المفاجئات التي تتميز بها علاقات الدول المتخاصمة والجارّة، فهل كان من الحكمة إبقاء الحركة تحت رحمة قوى خارجية لا تكن للشعب الكوردي غير العداة وفي أحسن الأحوال اللامبالاة كما كان الحال مع واشنطن وإسرائيل. فالدول تتصالح عند بلوغ حدة التوتر مستوى تهديد جدّي للمصالح الحيوية للبلدين، ولم يكن ممكناً استمرار العداة بين بغداد وطهران إلى ما لا نهاية. ورأينا أيضاً أهمية "التنازلات الوقتية" المتبادلة بين الدول للقضاء على ما تعتبره الدولة خطراً داخلياً، وفي الواقع أدرك الطرف الإيراني خطأه في تخليص العراق من التورط الكوردي، لكن كان الأوان قد فات. فتخلص العراق من القتال في كوردستان هياً له مجال أوسع في التنافس مع إيران في مجال التسلح، وهذا ما أخاف الشاه. أراد صدام حسين من وراء اتفاقياته سواء مع القيادة الكوردية أو مع الشاه، تجاوز مشاكل أنية ضاغطة بقوة على بقاء نظامه، وعندما تخلص منها، ارتدّ عليهما في وقت يختاره هو. لكن في الوقت ذاته، اتفاقيات كهذه، تريننا خطورتها على الأمد البعيد، إذ تدخل في خانة المغامرات والمجازفات السياسية والعسكرية التي تستنزف موارد وطاقت الشعوب وتقود الأوطان إلى خراب.

خلقت اتفاقية الجزائر لدى الدولة العبرية انطباعاً يوحى ببداية حصول خلاف في وجهات النظر حول الشؤون الإستراتيجية بين طهران وتل أبيب. وقد انتاب القلق الحكومة التي كان يرأسها اسحق رابين، فسافر الأخير إلى طهران ليستمع من الشاه شخصياً التفسير الذي حدا به إلى توقيع الاتفاقية مع صدام حسين. ذكر له الشاه:

"اعتقدت أن الحرب حتمية مع العراق، وان الاتفاقية ستوفر لنا الوقت"³³⁰.

إن كان هدف الشاه من اتفاقية الجزائر هو الاحتفاظ بميزان القوى لصالح إيران، فقد أخطأ، إذ بانتهاء الحركة الكوردية، أزيل عامل ضعف كبير في موقف بغداد، وأمست الأخيرة في موقف عسكري أقوى لمنافسة الشاه وخلق الاضطرابات له، واعتبرت: "إسرائيل أن الشاه ارتكب خطأً إستراتيجياً كبيراً بتوقيعه على اتفاقية الجزائر، فبدل أن يكسب الوقت لصالح إيران كسب صدام حسين الوقت لصالحه"³³¹ شعر رجال الموساد بقلق الإيرانيين من التسلح العراقي، لذا ناقشوا مع السافاك موضوع دعم أكراد العراق مجدداً. "إن اعتراف الإيرانيين بأن نهاية التعاون مع الأكراد سمح بنهضة العراق في مجال القوة العسكرية، خلق الأمل لدى إسرائيل باحتمال إعادة فتح المنفذ الكوردي. رغم أخذ المقترح بالاعتبار، إلا أن إيران لم تقدم جواباً محدداً حسب قول الإسرائيليين. لكن موظفاً حكومياً إيرانياً سابقاً، يقول أن وثائق السافاك السريّة تشهد على حصول تعاون بين إسرائيل وإيران وجماعة البارزاني في عام 1978، لكن في مجال أضييق بكثير. فقط أربعة من عملاء السافاك كانوا على دراية بالعملية"³³². رغم استياء إسرائيل من ميل الشاه نحو الدول العربية، بقيت العلاقات الإسرائيلية - الإيرانية تتسم بالحيوية فيما يخص التعاون الاستراتيجي لأمنهما.

إن إهمال وضع الخطط البديلة من قبل القيادة الكوردية، عند قطع المساعدات من الدولة أو الدول المانحة، يشير إلى عدم وقوفها على أرض ثابتة، مما يسهل للدول استخدام الورقة الكوردية لصالحها، ومن هنا خطر الوقوع في لعبة التداول، وقد

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University Prss.2007. P: 58 330

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University Prss.2007. P: 58 331

Treacherous Alliance. Trita Parsi. Yale University Prss.2007. P: 77 332

عانت القضية الكوردية من هذا المأزق بصورة مأساوية. ثم إن التجاء القيادة الكوردية إلى إيران، زاد من وقوعها تحت التأثير الإيراني، ولم يكن بإمكانها إعادة إحياء الحركة إلا برخصة إيرانية، وهذا ما جعلها تدور في نفس المحور الخطر الذي يخدم بالدرجة الأولى مصالح إيران. فإيران لم تتعامل مع الحركة الكوردية إلى من منطلق مصالحها، وكانت نظرتها معادية للحقوق القومية الكوردية. إن عدم أخذ ذلك في الاعتبار هو خطأً استراتيجي مميت.

اهتمت الولايات المتحدة الأمريكية بالاتفاقية من وجهة نظر جيوسياسية فأعدت وكالة المخابرات المركزية الأمريكية (CIA) بالتعاون مع جهات مختصة أخرى مثل (OCI) دائرة المخابرات الراهنة و (INR) مكتب البحوث والمخابرات و (DIA) وكالة الدفاع والمخابرات، تقريراً حول نتائج اتفاقية الجزائر الموقعة في 6 آذار عام 1975، مؤرخة في الأول من مايس 1975 بغية دراسة ما ينجم عنها من آثار بالنسبة للمشاركين، وبالنسبة لبلدان أخرى في المنطقة إضافة إلى القوى العظمى، وتقع في 11 صفحة، تجدون نصها المترجم في الملحق.

الدعاية الحزبية احجبت الحقائق عن انظار الشعب طوال مرحلة القتال وصورت الثورة وقائدها بالصمود وتحقيق الانتصارات التاريخية للامة، هذا الوهم القاتل كان قوياً في المخيلة الشعبية - كل شيء على مايرام- وهذا يفسر الانهيار الصاعق للحركة الكوردية وعدم بروز نخبة جديدة تلد مباشرة وبشكل فوري من رحم الانهيار، فالسقوط كان يمكن أن يأخذ مسارين، كما هو الحال مع المرض. فالانسان قد يصاب بمرض يفتك به تدريجياً وعلى مراحل زمنية تستغرق وقتاً، في هذه الحالة يكون الانسان على وعي بدنو الأجل وتتهياً عائلته وأقربائه لاستقبال نبأ الموت، وعندما تصل النهاية لا يفاجأ بها أحد، فاجراءات رحيله أعدت سلفاً. وهناك أيضاً الحالة الثانية المتمثلة في "السكتة القلبية" - بغياب الاسعافات الأولية في الحالة الكوردية - حيث يكون النبأ صاعقاً إلى حدود الذهول والشلل والعجز، بحيث تولد حالة اضطرار للاستسلام للحالة الراهنة. أظن ان الثورة الكوردية وبالطريقة التي أنهتها القيادة الكوردية كانت أقرب إلى "سكتة قلبية" حصلت في غياب "الاسعافات الأولية". لاشك أن مرض الفساد والاستهتار بمبدأ العدالة وقيم الثورة كانا قد وضعا مصداقية القيادة و أهليتها في قيادة الشعب الكوردي موضع الشك. لكن تسليم شعبهم إلى نظام

معادٍ وظالم بالطريقة التي صممتها القيادة الكوردية كان في غاية الصعوبة تخيله. لأن الاستسلام لنظام بغداد كان يعني تحويل شعب كامل، بعد كل ما قدمه من تضحيات، إلى شعب مستعبد ذليل. إن خطوة القيادة الكوردية في إنهاء الثورة وفرارها كانت على طريقة "السكتة القلبية" فأحدث النبأ الاندهاش والشلل والعجز على الحركة.

الفكرة التي تمسكت بها القيادة الكوردية خلال أكثر من عقد من الزمن، هي استحالة التفاهم بين طهران وبغداد، أو صعوبة هذا التفاهم وعلى أساسها بنت القيادة الكوردية سياستها، ورفضت بعناد التعامل باحترام مع شعبها وفق أسس العدل وترصين الجبهة الداخلية وإشراك القوى الفاعلة في الثورة في القرارات المصيرية، تلجأ إليه القيادة ساعة غلق المنافذ أمام المساعدات الخارجية، هذه الاستحالة في التفاهم حسب تصور القيادة الكوردية، لم تكلف الشاه سوى بضع ساعات في الجزائر ليزيل العراقيين أمام تفاهم مشترك مع بغداد. ولم تقتض من كيسنجر سوى اجتماع واحد لكسر الجليد بين واشنطن وبغداد. في نفس عام 1975. وفي الحقيقة ما أن تحسنت علاقات بغداد بطهران حتى سارعت واشنطن إلى العمل لتحسين علاقاتها ببغداد.

بدأ نظام البعث يمد الجسور نحو أوروبا الغربية في نفس عام انهيار الحركة الكوردية بشكل أكثر كثافة، ففي 9.5.1975 وفي عصر يوم رائع من خريف مبكر هبطت طائرة البوينغ 707 في مطار أورلي بباريس المزدان بصقر صلاح الدين وهو الرمز الوطني العراقي، وعلى متنها صدام حسين. كان يوم جمعة وكان رئيس الوزراء الفرنسي جاك شيراك في مقدمة المستقبليين، وقد امتد البساط الأحمر على الممر المؤدي إلى VIP .

حتى هذه الزيارة الهامة إلى فرنسا، كان الاتحاد السوفيتي هو مزود السلاح الرئيسي للعراق، لكن فرنسا كانت متلهفة إلى بيع سلاحها أيضاً. إن شراء السلاح الفرنسي يفتح أمام العراق "خياراً ثالثاً" خارج نفوذ القوى العظمى وبدون شروط سياسية ملزمة، ولاقى ذلك رواجاً لدى صدام حسين الحريص على تقليص الاعتماد على السوفييت.

وعلى رغم سن صدام حسين البالغ 38 عاماً وكونه يأتي في الدرجة الثانية في سلم النظام البعثي، إلى أن الفرنسيين منحوه كل تشريفات رئيس دولة. كان الفرنسيون بحاجة ماسة إلى صدام حسين مثلما كان الأخير بحاجة إليهم، فلدى العراق شيء يحتاجونه ليبقى اقتصادهم طافياً، إنه البترول. وبالتدريج دخلت فرنسا العراق من أوسع الأبواب. وبدأ نظام البعث محاولاته للحصول على القنبلة النووية وكان الجشع الفرنسي للمال يلبي معظم طلبات الدكتاتور العراقي، حيث الطريق إلى الغارة الإسرائيلية على مفاعل تموز في 7 حزيران عام 1981 بأمر من رئيس الوزراء الاسرائيلي مناحيم بيغن.

اقتصر تقريباً بناء القدرة العسكرية العراقية على الشركات الغربية، ويقول الخبير في شؤون السلاح والذي حقق في مصادر تسليح العراق KENNETH R. Timmerman أن 445 شركة أسهمت في صناعة مكينة الموت العراقية. وعند تحديد "المسؤولية الخطيرة، فمن ضمن جميع المجهزين تأتي ألمانيا الغربية في المرتبة الاولى، نفس ألمانيا التي تعهدت بعد الحرب العالمية الثانية أن لا تشكل أبداً تهديداً للسلام العالمي. فبدون مساعدات الشركات الألمانية وتأييد حكومة بون، لما تمكن صدام حسين بناء الصناعة العسكرية الكيماوية".³³³

في الواقع أسهمت اتفاقية الجزائر في تسهيل عودة التفاهم بين واشنطن ونظام البعث، فقبل نهاية العام، في 17. 12. 1975 وفي مبنى إقامة السفير العراقي في باريس، اجتمع كيسنجر مع وفد عراقي بحضور وزير الخارجية العراقي سعدون حمادي:

"كيسنجر: لم يكن لبلدنا الكثير من الاتصالات في الأعوام الماضية، وأريد بهذه المناسبة إقامة الاتصالات. أعرف أننا لن نحل جميع مشاكلنا خلال اجتماع واحد. إنها ستأخذ على الأقل اجتماعين. (ضحكة) وأظن أن تبادل الآراء بشكل مقتضب سيسهم، واقدر مجاملة الاستقبال هذه من جانبكم.

Death Lobby. KENNETH R. Timmerman. How the West Armed Iraq. Houghton 333
Mifflin Company.1991. Page: 394-397.

حمادي: إنني مسرور بلقاء فخامتكم. لم يكن لدينا اتصالات، لأسباب تعرفونها ونعرفها نحن. من المفيد دائماً تبادل الآراء.

(.....)

(.....)

(.....)

حمادي: تشير الصحافة إن الولايات المتحدة كانت تقدم السلاح إلى الحركة الكوردية في شمال العراق. موقفاً لم يبين على ذلك، لدينا أسباب للاعتقاد إن الولايات المتحدة ليست غائبة عن ذلك. ماهو رأيكم؟

كيسنجر: كنا نعتقد انتم تابعون للسوفييت، لذا لم نعارض ما كانت تفعله إيران هناك في المناطق الكوردية. والآن انتم والایرانيون توصلتم إلى تسوية لمشاكلكم، ليس لدينا أي دافع للتدخل. وأقول لكم بأننا لن نقوم بأي نشاط ضد وحدة الأراضي العراقية.

حمادي: هل هذا نتيجة لتلك الاتفاقية؟ التي جعلتكم تفكرون بأننا لسنا تابعين؟
كيسنجر: لدينا الآن تفهم أشمل. إنكم أصدقاء الاتحاد السوفيتي لكنكم تعملون وفق مبادئكم.

حمادي: في العام المقبل لو وقعنا اتفاقاً اقتصادياً مع الاتحاد السوفيتي هل ستعودون إلى الرأي الآخر؟

كيسنجر: لو لم أكن جادا في إقامة علاقات جديدة مع العراق، لما جئت إلى هنا. لو أقمت علاقة اقتصادية مع الاتحاد السوفيتي فهذا شيء يعود لكم. نحن لا نتدخل. ففي رأينا إنكم تمارسون سياساتكم الخاصة بكم. نحن لا نحب أن تعملوا كما تريدون. (ضحكة) نحن نتحرك نحو علاقات أكثر تعقيداً مع العرب. لا أعتقد أن سياستنا الحالية تتعارض مع سلامة وكرامة العراق.

حمادي: لدينا نظرة مختلفة. لدينا علاقات مع الاتحاد السوفيتي، نستورد السلاح منهم، وهذا ما أدى بالولايات المتحدة إلى التدخل وتشجيع حركة كانت تريد تمزيق بلادنا.

كيسنجر: هذا مبالغ فيه. لم نكن من ضمن البلدان الرئيسية المشتركة في ذلك.
حمادي: لكن الولايات المتحدة أسهمت نوعاً ما بالسلاح.

كيسنجر: نوعاً ما.

حمادي: أراد الأكراد تمزيق العراق.

كيسنجر: لا فائدة من مناقشة الماضي. باستطاعتي أن أؤكد على نوايانا. إنني أتفهم الاهتمام والشكوك التي تساوركم. نستطيع الانتظار. لسنا بحاجة إلى التوصل لقناعة عملية من هذا الاجتماع.

(.....)

حمادي: أخيراً أود أن أشير إلى إن المشكلة الكوردية حيوية بالنسبة لنا. كيسنجر: أؤكد لكم. لا داعي للقلق. ليس بالإمكان عمل شيء فيما يخص الماضي.

وتم رافق وزير الخارجية العراقي هنري كيسنجر وصحبه إلى الباب لتوديعهم.

(.....)

³³⁴(.....)

في هذا الوقت، كانت آلاف القرى في كوردستان تتعرض إلى عملية إخلاء قسري مبرمجة وسكانها يرحلون إلى صحاري العراق الجنوبية، وسياسة تعريب كوردستان في أوجها، وبالتدريج، كانت الخطة البعثية تهدف إلى طمس معالم هوية الشعب الكوردي القومية وتعريب وطنه كوردستان، أسوة بما قامت به تركيا الكمالية في العشرينات والثلاثينات من القرن العشرين.

لم يتوقف انحدار الشعب الكوردي نحو الهاوية إلى بعد غزو الكويت وضمها إلى العراق من قبل صدام حسين في 2 أغسطس 1990 والمواجهة العسكرية مع قوات التحالف الدولية وإخراج القوات العراقية من الكويت وانتفاضة الشيعة في الجنوب، تلتها انتفاضة شعب كوردستان وتحريره لمعظم أرضه من قوات البعث المرتبكة والمنهزمة.

Memorandum of Conversation. Participants: Saadun Hammadi, Minister of Foreign Affairs of Iraq. Falih Mahdi Amash, Iraq Amb. To France. Dr. Henry W. Kissinger, NSC staff. 17.12.1975. 12:20 – 1:18 p.m. The place: Iraqi Ambassador's Residence. Rue d'Andigne. Paris XVI.

لا خيار غير الاستسلام

حانت ساعة الحقيقة " كوردستان يا نه مان" كوردستان او الموت، الشعار الذي رفعته القيادة الكوردية متباهية به طوال سنوات النضال. ماذا كان موقفها أمام مارفعتها من شعارات وطنية أمام شعبها؟ وما الذي حصل بعد اتفاقية الجزائر؟

Zirara قرية بارزانية، على شاكله العديد من قرى كوردستان تتشكل من شطرين: عليا وسفلى، تتباعدان قليلاً، (ZiraraJêrî) و (ZiraraJorî) وهى جزء من قبيلة (شيروانى) وتقع فى عمق واد ضيق. يحدها شرقاً جبل (Helbit) الشديد الوعورة مما يجعله جنة لقطعان العنز البرى، وشمالاً نهر (Rukocik) ويدعى أيضاً بـ (Royshin) (النهر الأزرق) ومن الغرب (CiyayeLerebire) جبل ليربير المشجر وحيث خلفه نحو الغرب تقع قرى (Seremezna) ومن الجنوب هضاب منخفضة تتطامن لتشكل وادى زرارا لتلتصق نزولاً بالنهر الأزرق. والوادى إلى حد ما ضيق بسبب تقارب الجبلين (هه لبت) و (جياى ليربيرى) مما يجعل القصف جواً أمراً صعباً إلى حد ما. فى موقع معين من هذا الوادى كانت مستودعات السلاح موجودة ولايعرف بها إلا قلة قليلة، ومنها كانت تلبى بعض حاجات الجبهة فى حوض راوندوز اثناء المعارك الجبهوية التى دارت خلال عام 1974 وحتى نهاية آذار/مارس من عام 1975. وفى الوادى أيضاً كان مقرّ (محمد خالد بارزانى) وهو أكبر أولاد شيخ بارزان.

فى 17 آذار 1975 ردّت الحكومة العراقية على طلب قيادة (حدك) لإجراء مفاوضات ونشرته وكالة الأنباء العراقية. الردّ كان قاطعاً وصاعقاً على معنويات القيادة الكوردية، مفاده ان ليس أمامها غير الاستسلام دون قيد أو شرط. وهنا زاد تخاذل القيادة الكوردية وتخلت عن شعبها وأختارت اللجوء إلى إيران والنجاة بجلدها مع ماجمعتها من أموال باسم شعب كوردستان!

فى 19 آذار من عام 1975، كنا فى منطقة (Seremezna) تحديداً فى (كه لوك) تحسباً للغارات الجوية وهو وادى يقع وسط هضاب (Seremezna) وكان الوقت يقارب منتصف الليل، عندما وصل رسول من (الشيخ محمد خالد) الذى كان يسكن وادى

زراراً إقواءً من الغارات الجوية العراقية، ولديه خبر مستعجل شفهي لوالدي مفاده "أن قائد الحركة الكوردية (ملا مصطفى) الذي كان على اتصال بمحمد خالد، عدل عن رأيه فى مواصلة القتال وقرر الالءاء إلى (إيران) والكل مخير فى الاستسلام إلى الحكومة العراقية أو اللءوء إلى إيران. وذكر الرسول: "لكنه يفضل ان نلتجأ إلى ايران فهو أفضل من خيار البقاء فى ظل حكومة بغداد". وأضاف الرسول: "ومن الضرورى الحضور إلى مقرّ الشيخ محمد خالد غداً فى زرارا للبحث فيما يجب عمله، لأن الوقت ضيق للغاية". كما ذكر الرسول ما يوحي إءافة الناس وتحطيم معنوياتهم من أجل قبول قرار رئيس الحزب الديمقراطي الكوردستاني عندما ذكر: "هناك تأمر دولى على الشعب الكوردى وقد تتعاون جيوش المنطقة لسحق الأكراد إن قاوموا". لم تكن هناك شروحات أو تفاصيل، المهم ان قائد الحركة قرر التلى عن القتال وعلى الجميع ان يتأقلموا مع القرار! طبعاً لم تكن لدى ملا مصطفى مشكلة فى عبور الحدود إلى ايران. فقد كان يعيش على الحدود فى السنوات العشر الأخيرة ومن السهل العبور خلال أقل من ثلاث دقائق إلى الطرف الايرانى. كانت عائلته وعوائل أبنائه اضافة إلى عوائل أعضاء المكتب السياسى منذ صيف 1974 تعيش خلف خط الحدود داخل ايران، فى مأمن من القصف الجوى العراقى ومن الحصار الاقصادى. كان هؤلاء القادة فى الحقيقة لزواراً فى كوردستان[التى كانت تشهد حرباً ضروساً، فما كان على هؤلاء غير عبور الحدود من جديد والالتحاق بأسرهم. وقد سبق لهم أن نقلوا كل مايملكون إلى ايران من أمتعة وأبسط أثاث منازلهم إلى حدود " المكسة"³³⁵ حسب تعبير جرجيس فتح الله.

لقد حثّ ملا مصطفى على مغادرتنا لأراضى بارزان منذ تجدد القتال صيف عام 1974 واللىءوء إلى إيران، لكن والدي رفض ذلك وبقينا فى وطننا اسوة بمواطنى كوردستان الذين فضلوا عدم مغادرة أرضهم إلى ان تخلت القيادة عن الشعب الكوردى وقررت الالءاء لإيران، فاخترنا خيار الهجرة على البقاء فى ظل نظام صدام حسين.

335 زيارة للماضى القريب . جرجيس فتح الله . ستوكهولم - السويد . دار الشمس للطباعة والنشر . 1998 . ص : 95 .

لكن مابالك بعشرات الآلاف من النساء والشيوخ والأطفال المتواجدين فى القرى النائبة من كوردستان والبعيدة عن الحدود الايرانية. وليس هنالك طرق سيارات تربطهم بايران مباشرة. والشعب فى غالبية يعانى من الفقر والحصار والقصف الجوى المتواصل منذ تجدد القتال عام 1974. ما أسهل اتخاذ القرارات الخطيرة عندما يدفع ثمنها شعب أسير.

كان الفرق كبيراً بين هذه الهجرة الجماعية لعام 1975 وبين الهجرات السابقة للبارزانيين فى أعوام 1913 ، 1932 . 1945، فى أثناء الهجرات السابقة كان البارزانيون موحدون وتحت قيادة شيخ بارزان، فجميع البارزانيين كانوا يتبعون رمزهم الروحي أينما توجه. لكن بسبب العداة وسياسة فرق تسد التي اتبعها ملا مصطفى تجاه بارزان ومعاداته لقيمها، فقد أثرت الغالبية البقاء فى منطقة بارزان وعدم اللحاق بملا مصطفى، وكانوا يعتقدون أن النظام البعثي سوف يتركهم لشأنهم، وأدى هذا إلى وقوعهم فى أيدي النظام كرهائن، أيد معظمهم عام 1983 .

كان الجيش العراقى قد سيطر على طريق هاملتون وتوغل فى تقدمه مقترباً من (كلاله). واصبح شبه مستحيل الوصول إلى الحدود الايرانية دون التعرض إلى مالا يحصى من المخاطر قبل نفاذ مدة العفو الحكومى فى نهاية شهر مارس/آذار من عام 1975.

الحدود مع تركيا مغلقة ولاتقبل حكومة أنقرة أى لاجئ كوردى، فى الحقيقة كانت منشوحة بقرار قيادة الثورة بإلقاء السلاح. لقد وجد أكثر من مليون شخص مدني أنفسهم فى فخ لامنجى منه، مما شل قدراتهم العقلية وساد جو من الاحباط والحيرة.

هذا القرار المفاجئ من جانب قيادة الحركة الكوردية "اللامبالي بالشعب الكوردى" كان يعكس تماماً طبيعة "القرارات الارتجالية" التي كانت تصدر عن هذه القيادة. فلم يجر أى تنظيم للهزيمة المهم هو ان يتحرك الناس من تلقاء أنفسهم وفق هذا المنطق وليس أمامهم خيار آخر غير الرضوخ له. لقد وجد الجميع أنفسهم أمام الأمر الواقع، فهناك ستين ألف مسلح (بيشمركه) وآلاف من قوات الاحتياط تسيطر على حوالي 40 ألف كم مربع بما فيها من جبال ووديان ملائمة لشن حرب العصابات.

كان هناك أطباء متطوعون على اختلاف اختصاصاتهم ومهندسين وأساتذة جامعات وضباط في الجيش والشرطة بمختلف المراتب، إضافة إلى جهاز الأمن (پاراستن). ترى هل فكرت القيادة بمصير هؤلاء؟ وانهم جميعاً مجرمون في نظر حكومة البعث في بغداد؟ لقد حسم هذا الأمر من قبل القيادة الكوردية بسهولة وفي لحظات، تركت الشعب يواجه مصيره لوحده وكأنه أمر بسيط.

وتم ابلاغ مضمون نفس الخبر "نهاية الحركة" إلى (لقمان بارزانی) في (ريزان) و (شيخ خورشيد بارزانی) في (شري) وكل من (مجدالدين وشفيق ووحيد وشيخ عبدالله) وكانوا في بارزان.

وفي اليوم التالي أي في 20 آذار، اجتمع شملنا جميعاً في زارا - والدي لم يحضر بسبب وعكة صحية ألمت به - وشاهدنا العديد من القادة البارزانيين وقد استدعوا إلى الاجتماع. الوجوم والحزن والرغبة كانت بادية على ملامح الجميع دون استثناء. كما تجتمع خارج مكان الاجتماع مجموعة من البارزانيين ينتظرون معرفة ماسيقره المجتمعون. لقد كانوا قلقين بسبب صعوبة نقل الاطفال والنساء والشيوخ المسنين عبر الطريق الطويل نحو ايران، فالجبال مكسوة بالثلوج والطقس لايزال بارداً ومدة العفو الحكومي لم يبق منه غير تسعة أيام... هذا إن تقرر الرحيل... حالة من الانهيار المعنوي طغت على جو الاجتماع.

كان من بين الحضور الداعين إلى مواصلة القتال. وكانت الاسباب منطقية. فقد ذكر ابن عم لي (عبدالله محمد صديق) وقد غلبه القلق من المجهول الذي ينتظرنا جميعاً على يد أعدائنا إن خضعنا لقرار القيادة الكوردية:

"أرجوكم أن تتذكروا، إن هذا ليس وقت الاستسلام، هل تتذكرون كيف واجهنا الأوضاع عام 1963. كلنا يتذكر أننا كنا وحدنا تقريباً في مواجهة العدو البعثي الشرس، نفس بعثيو اليوم. وفي معظم الجبهات كان القتال متوقفاً، فتركز الهجوم علينا. كان العدو يتقدم من (سه ري بيرس) نحو بارزان واحتلها فعلاً بعد معارك شديدة.. ومن (وادي ميركه سور) كانت قوات الاعداء مسندة بالدبابات والطائرات والمدفعية والجيش والجاش تتقدم نحو شيروان. أحرقوا قرانا، ودمروا حقولنا ومحاصيلنا.

تركيا وايران وسوريا ساندت هذه الحملة الظالمة ضدنا، وكنا نخسر الاراضى والقرى، لكن شيخ بارزان أمر بمواصلة المقاومة. وجرى قتال بالسلاح الابيض بين (جه مى) و (شيروان مه زن) لقد تم ايقاف تقدم العدو ويأس من الانتصار. أما بشأن تدخل جيوش المنطقة إلى جنب الجيش العراقى، فقد سبق وان تدخل الجيش السورى عام 1963 واندحر بفعل المقاومة التى أبداها المقاتلون فى بادينان.

يحصل اتفاق فى الجزائر ونحن ننهار هنا. هذا ليس منطقياً. لنتنظر ولنستعد ونرى ما ستؤول اليه الاوضاع بعد الاتفاق العراقى الايرانى. لنتذكر ان شيخ بارزان كان سيأمر بالمقاومة لو كان بيننا فى هذه الساعة، ولما قبل بهذا الاستسلام ونحن نملك مالا يحصى من سلاح وعتاد وارزاق وارضى محررة. سوف يواجه العدو مالا يحصى من العراقيل بمقاومتنا. لا يجب ان يعزى اليه تلك القسوة الهائلة، ان القيادة الكوردية تهول المخاطر لغرض فى نفسها وهذا ليس صحيحاً. وأردف يقول:

عام 1963 كنا نقاتل فى بارزان لوحدنا، هنالك اليوم مالا يحصى من المقاتلين فى جميع أنحاء كوردستان سوف يقاتلون العدو".
قو طوع كلام (عبدالله) ان هذا جنون، كيف يمكن ان نستمر فى القتال، ماذا عن مصير نساتنا وأطفالنا، ليس بإمكاننا حمايتهم. من أين نعوض السلاح والعتاد، وسوف تغلق إيران حدودها.

عبدالله: "اننا نرى ضعفنا ولانرى ضعف عدونا. ان صدام حسين لم يوقع الاتفاقية مع الشاه الا بسبب ضعفه. أرجوكم ان تتأنوا ولاتختاروا الرحيل عن أرضنا. سوف نندم على هذا القرار يوم لاينفع الندم. أرجو ان تعلموا جيداً إن تخلينا عن أرضنا، فسوف يأتى العدو بالعاهرات ليرقصن ويزغردن على مقابر آبائنا وأجدادنا. أليس هذا موتاً إن هذا أمرٌ من الموت. سوف نصادف وضعاً نتمنى معه الموت ولانحصل عليه. وتذكروا أيضاً أن شيخ بارزان كره دوماً الالتجاء إلى إيران الشاه. لنتنظر ولانغادر أرضنا المقدسة".

وقال آخر: لقد قاتلنا الحكومات العراقية المتعاقبة دفاعاً عن أرضنا مرات عديدة ولوحدنا ولم يكن لنا سند خارجي، لا من إيران ولا من غيرها.

واستمر الاخذ والردّ لعدة ساعات. لكن فى النهاية نحى قرار المقاومة المسلحة جانباً ومال (شيخ خورشيد بارزاني) إلى البقاء فى حين قرر معظم أفراد العائلة البارزانية الرحيل إلى ايران مكرهين ووسط جو من القنوط.

أسعد خوشفى بارزاني (شقيق خليل خوشفى) مسؤول منطقة بادينان العام، ألحّ على ملا مصطفى أن يسمح له بمتابعة القتال، لكن ملا مصطفى رفض بقوة مقترحه، فعاد أسعد من جديد يتوسل لإقناعه:

"هنا المقاتلون، حتى النساء كلهم مع استمرار المقاومة، لدينا كل أسباب وإمكانات مواصلة القتال لعامين، معنوياتنا عالية ووضعنا جيد ودون شك سنتمكن من ابداء مقاومة ضارية، لانطلب منكم شيئاً أبداً، فقط دعونا نقاوم... يمكنكم إن تتذرعوا أمام السلطة الايرانية بحجة إن قوات بادينان تمردت على أوامركم وإننى شخصياً خارج طاعتكم". تأكدت شخصياً من هذه الحقائق من أسعد خوشفى نفسه أثناء وجودنا فى عظيمية - كرج - ربيع عام 1976 إذ دعانى إلى منزله للتداول فى الأوضاع الراهنة آنذاك وأيضاً فيما بعد من سليم - ابن أسعد خوشفى - كما أشرت إلى ذلك سابقاً، كما وأكد على ذلك الصحفي الفرنسي كريس كوتشيرا³³⁶ وآخرون.

لكن ملا مصطفى أبى وبصرامة الأ أن يتخلى عن فكرة المقاومة، يلقي سلاحه ويلتحق فوراً به فى ايران دون تأخير.

لقد فشلت حكومات بغداد تحقيق النصر على الشعب الكوردي خلال الأربعة عشر عاماً، فى حين أنجزتها القيادة الكوردية العليا خلال أيام، فما لم يحلم به صدام حسين فيما يخص هزيمة الحركة رغم تنازلاته للشاه فى الجزائر، أنهاها ملا مصطفى بسهولة ومثل ذلك بشرى سارة لقادة النظام البعثي فى بغداد، كما مثل مفاجأة كارثية للشعب الكوردي.

Chris Kutschera. Le Mouvement National Kurde. 1979. Flammarion. Paris. P:330

336

لقد نجم عن الممارسة الطويلة للحكم المطلق (Despotism) لِقَائِد الحركة ملا مصطفى في كبت الحريات وهدم القيم الثورية وافساد المجتمع والحكم بالتخويف، ان تم طحن شرائح كبيرة في المجتمع الكوردي طحناً تاماً، وهذا ما كان يصبو اليه منذ توليه الزعامة في كوردستان، أي خلق "مجتمع عاقر" لا يلد غير الطائعين والمنصاعين. وافرغ المجتمع من كل "بديل ديناميكي" قادر في "لحظة تاريخية حاسمة" على تعويض "القيادة المتخاذلة" بقيادة جريئة مخلصه تواصل النضال بعزم وهمة. فالحكم المطلق عادي وقضى على كل شيء خارجه، وترك ميدان الصراع المسلح بعد ان أيقن تماماً ان لاوجود حتى لبروز "قيادة محتملة" Potential leadership ولم يعد معه جدوى في تلك الظروف توقع ولادة قيادة جديدة تأخذ مهمة مواصلة القتال. فالشعب المسلوب الإرادة والذي وجد نفسه فجأة وقد أدخله قاداته في "فخ الاستسلام"، لايمكن من النهوض الا بعد بروز نخبة جديدة من المناضلين المخلصين تأخذ على عاتقها المهمة الشاقة الطويلة الا وهي مهمة "إعادة ثقة الأمة بذاتها" للبدء من جديد بالكفاح التحرري. كما ان "قيادة منهزمة" تظل لدى شريحة هامة من الشعب المُحَبَط "قيادة بطلة" متوهماً بأن الاسباب الخارجية ومؤامرات الأعداء هي السبب الرئيسي الوحيد لما حصل وان القيادة هي ضحية لهذا التآمر الخارجي الدنيء. والاخطر في حالة الشعب الكوردي المجزأ والمحتل والمخنوق الوعي، ان حالة "اليقظة التاريخية" تعرضت بشكل مدروس من قبل الأعداء المحتلين إلى التضليل وترسيخ حالة الاحباط لديه. كما تحايلت قيادته الوطنية على الحقائق لاستعادة تسلطها من جديد ونجم عنها ايجاد حالة من التشويش الفكري الهائل. و فعلاً عانت الحركة التحررية الكوردية في جنوب كوردستان من خلل في الوعي، ولم تتضح لديها الرؤى السياسية وتحديد المسؤولين عن الهزيمة ونبذهم، إذ تعذر محاكمتهم. فوقعت الجماهير الكوردية من جديد في فخ القيادة التي كانت مصدراً للفشل والإذلال.

يعتبر 21 آذار عيداً وطنياً كبيراً لدى الأمة الكوردية، ورمزاً للمقاومة ضد الظلم والانتصار عليه، هذه المناسبة تحولت إلى عكس ما يوحيه العيد، الهزيمة في نوروز، إذ غادر قائد الحركة لآخر مرة كوردستان ويرافقه حراسه، في 1975/3/25 مقللاً سيارته (الرانجروفر) والتي اخذت تتقدم نحو البرج الايراني المقيم على التل والتي تجسد الحدود الدولية الفاصلة، لو وقف القائد على الربوة والنفت إلى الورا قبل عبور الحدود إلى ايران، متأملاً في أية حالة خلف كوردستان وشعبها، بعد حوالى

14 عاماً من الدماء والدموع والتضحيات الجسام، لوجد انه هدم دفعة واحدة وفقط خلال أيام جميع الأعمدة التي يرتكز عليها وجود الشعب الكوردي بالذات: ترى هل فكر في آلاف المواطنين - نساء وشيوخ واطفال - البعيدين عن الحدود الايرانية وكيف سيصلون إلى إيران؟ هل فكر بمصير قادة وفصائل الأنصار(البيشمرکه) الذين قارعوا جيش البعث طوال سنوات النضال الشاق؟ وماذا عن الأموال التي نقلها معه؟ ماذا عن حكم التاريخ؟

- أوجد حالة من "الهستيريا الجماعية" لايزال مجتمعنا يعاني من نتائجها السيكولوجية الوخيمة.
- قضى على جيش التحرير الثوري الكوردي (البيشمرکه) كلية مسلماً إياه للجيش العراقي أو الإيراني.
- كان قد قضى على بارزان ووحدتها وقيمها الروحية ومنظومتها الاخلاقية، قضاءً يكاد يكون مبرماً وأعاد بارزان إلى عصر الأغا الظالم. وهدم كل ما بناه البارزانيون خلال ما يناهز مائة وخمسين عاماً من الكفاح والهجرة والمعاناة.
أفسد وأذّل الحزب الديمقراطي الكوردستاني وحوله إلى مطية للأغوات المرتزقة وأداة مسخرة بيد أطفال العائلة.

سلم الشعب الكوردي بعد نزع سلاحه لأقصى طاغية عرفه تاريخ العراق الحديث، قراره بالهزيمة مثلت أثمان هدية يستلمها صدام حسين طوال حياته السياسية، فقد ساعدته على الامساك بكل خيوط التسلط على العرب والکرد والترکمان والأشوريين والکلدان .

وقبل اختلاس طريق الهرب إلى إيران والالتحاق بالعائلة، بقي هاجس يقلق رئيس الحزب والقائد العام للقوات المسلحة للحركة الكوردية، وكان ذلك تتويج آخر أعماله في كوردستان، قبل تسليمها لصدام حسين، الا وهو إبادة جميع أفراد العائلة التي ينتمى إليها فاخر ميرکه سوري، ضمنها والد فاخر(حمد آغا مير که سوري الذي تجاوز السبعين عاماً) ودفنوا في قبر جماعي. خرج مسعود من لدن والده وأمر بقتل من تبقى في السجون من عائلة محمد آغا .

وفي هذه اللحظات لايفصلنا عن إبادة الفيليين سوى (5 سنوات) ، وإبادة البارزانيين (9 سنوات) وعن عمليات الانفال (12 عاماً وعن حلبجه (13 عاماً) . وفى بداية عام 1980 كان معظم ريف كردستان قد طاله الهدم والخراب، وتم ترحيل أكبر مجموعة من الكورد على طول تاريخهم شمل مئات الآلاف من المواطنين وبدأت عمليات التعريب الواسعة معززة بجيش قوي وجهاز أمن قمعي وأموال طائلة من مبيعات النفط تسد جميع برامج التصفية العرقية.

انهى "الثورة" واحتفظ "شخصياً" بـ "الثروة"، ونقل عبر الحدود 24 مليون دينار أو مايعادل (72 مليون دولار أمريكي) حسب ما ذكره واحد من أقرب مقربيه وهو الدكتور محمود عثمان. وغادر كردستان نهائياً. أولاً عدة أسابيع قضاها في نغده، ثم انتقل وبقي أشهر في عظيمية - كرج- قرب طهران، ثم واشنطن حيث عاش سنواته الأخيرة إلى ان وافته المنية هناك.

لقد تخلت وتجاهلت القيادة حتى عن أولئك الذين ربطوا مصيرهم بها وكانوا يعيشون في كنفها على بعد كيلومترين من الحدود الايرانية، لكن تجاهلهم ساعة المحنة، وهذا واحد منهم، إنه جرجيس فتح الله، يعبر عن هذه اللحظات الحاسمة اصدق تعبير:

".....بدأت المسيرة الكبرى إلى ايران.

وكان هناك إلى جهة الغرب مسيرة اخرى. آلاف من المدنيين والبيشمركه، بأسلحتهم وعتادهم واثقالهم يمرون بنقاط عسكرية عراقية ويسلمون اسلحتهم لينقلوا إلى مواضع معدة حيث يجرى اثبات هوية كل على استمارة مخصصة. وقد جرى كل هذا بنظام دقيق وتحت ومضات عدسات المصورين والتلفزيون.

اما إلى جهة الشرق فقد كانت الفوضى بعينها. لم يعد هناك شفاه تتطرق بأوامر لتطاع ولا آذان مستعدة للسمع والانصياح. كلُّ كان مشغولاً بنفسه.

كان البرج المدور الصغير الايرانى المقام على ربوة، هو العلامة التى تعين خط الحدود الدولية وبعدها يبدأ الطريق إلى داخلية ايران بالانحدار إلى سهل مترام بطول يزيد عن خمسة كيلومترات ليبدأ الطريق بعدها بالتوارى خلف تلال. فوق هذه الربوة وعند نقطة الانحدار، وقفت وإلى جانبي آخر صحفى أجنبى يزور منطقة الثورة فى كردستان ليشهد الفصل الختامى ويسجله. وكان وقتئذ منشغلاً بتبنيه مصوره إلى ما يفضل التقاطه من ذلك المنظر المحزن، قبل ان يحزم أمره على الالتحاق بالمسيرة، خمسون الفاً؟ سبعون الفاً؟ لا أحد يدري فليس هناك من يسجل.

خط طويل قدر مايمتد اليه البصر من كتل بشرية تملأ الطريق وجوانبه وتبدو من بعيد فهي اشبه برتل النمل الطويل التارك بيته إلى بيت آخر بنظام يفتقده هذا الرتل الأدمى، فبين أن وآخر يقع البصر على سيارة مثقلة بالمتاع لواحد من رجال الثورة او المحظوظين الذين مكنهم سخاء بغداد من اقتناء واحدة.
(.....)

قررت ان اختلط بين هذه الجموع ماشياً بصحبة من أوتمنت على سلامته. كانت هناك اوراقى الخاصة وفيها ما اخترت تدوينه طوال وجودى فى الارض الكوردية المحررة. وهناك كتب عديدة ومراجع وثياب لاغنى لى عنها فى المجتمع الحضرى الجديد. وحين بدأت أختار "ماخف حملة وغلا ثمنه" كما يقول المثل حانت منى التفاتة إلى تمثال نصفى لى من الجبس بارتفاع قدم ونيف - صنعه لى احد الفنانين الملتحقين بالثورة. فتناولته وضربت به الارض فتكسّر قطعاً وتحطم.
(.....)

وفيم انا جالس افرز ما لايمكن الاستغناء عنه من الكتب وأمزق ما لا أهمية كبيرة له من اوراق إذا بى أجد لى عوناً وخلصاً ممن لم يكن خيالى يصوره لى منقذاً بشخص السيد يونان هرمز.

كان قد ابتاع قبل شهر بمبلغ زهيد سيارة جيب صغيرة قديمة الطراز مكشوفة مخلعة الاطراف الأ انها صالحة. عرض على ان يأخذنا معه. بهذا انقذ اوراقى وبعض كتبى وجنبى المسيرة الطويلة.

لم ارى طوال المدة المنحصرة بين آخر لقاء مع ادريس ومسعود فى حاج عمران وبين وصولى إلى (نه غه ده) أحداً من الزملاء. ولم يسألنى أحدٌ طوال السنوات الثلاث عشرة التى قضيتها فى ايران وباستمرار صلتى بالمذكورين وبغيرهما من القياديين عن كيفية وصولى. ولا كيف كنت احيا خلال الاسابيع الأولى وبأى ضيافة كنت قبل الانتباه إلى وجودى. ولم أجد ضرورة أو رغبة بالأحرى أن أعيش فى جوّ المعاملة الخانق.....“

عندما علم سكان قرى (Seremezna) بقرار والدى فى المغادرة إلى ايران، قرروا هم ايضاً النزوح معه. ففى صباح 1975/3/22 رغب والدى اولاً توديع اصدقائه فى قرية ريزان والذين لايقوون على السير الطويل إلى ايران. كان من بينهم من رافق المسيرة البارزانية عام 1913 مع الشيخ عبدالسلام. ضمنهم زبير الهرم والذى كان بيكى نادباً حظه التعميس لعدم قدرته على السير، وكان يتمتع بذاكرة جيدة حول الاحداث التاريخية ومرافقته للشيخ عبدالسلام إلى كوردستان-ايران- وهى تحت الاحتلال الروسى. لقد تعالى البكاء الجماعى، نساء ورجال واطفال. كان هناك شعور عميق بأن كارثة هائلة حلت بهم وليس لهم حول او طول. لحظات من مراسيم دفن الامل وقبول حياة الذل والاستسلام رغماً عنهم.

فى اليوم التالى صباحاً، بقلوب ملئها الحسرة غادرنا (كه لوك) تاركين كل شىء خلفنا، وعند اقترابنا من قرية (دورى) طلب والدى التوقف عند مقبرة القرية، ووقف لحظات تأمل عميقة على حافظها، ربما شعر فى باطنه انه لن يعود ثانية إلى موطنه، وكان ذلك بمثابة توديع أولئك البارزانيين الذين رحلوا إلى العالم الآخر.

كان الاشد ايلاماً حالة القرية (دورى)، كانت مهجورة عن بكرة ابيها. المنازل والأثاث كما كان. وقد تفرقت قطعان البقر والماعز والأغنام السائبة وسط القرية بشكل فوضوي، الكلاب بقيت ملتزمة بواجب الحراسة، لقد هجرها الرعاة مع بقية القرويين باتجاه الشرق. بقي منظر الحملان الصغيرة حافراً فى ذاكرتي إلى الآن وهى تلاحق ثدي امهاتها وتثغوا بصوت حزين كئيب، أو هكذا خيل لي..

كل ما كسبه سكان القرية بعرق جبينهم خلال عقدين من الزمن، تخلوا عنه في لحظات من القنوط، وغادروا وهم لا يحملون معهم من الطعام غير ما يكفيهم للوصول إلى الحدود الإيرانية عبر الطريق الطويل الوعر، سيراً فوق الثلوج ووسط الرياح الباردة.

هذه الحالة تنطبق على عديد من سكان قرى كردستان بعد انهيار القيادة الكوردية وفرارها الي ايران.

وتكرر نفس المشهد فى قرية ليربير وقرى اخرى على خط الممر الطويل المتعرج الذى يقود عبر جبال متوجة بالثلوج الغزيرة إلى (كادر). والذى يطلب لحظات توقف علي حافة معظم المقابر ثم يتابع السير.

وصلنا المدينة الكوردية (شنوى) مساء 1975 /3/27 وقادنا حرس الحدود الايراني الي مسجد شنوي المكتظ باللاجئين جئين القادمين من وراء الجبال الغربية في طوابير طويلة من نساء وشيوخ واطفال ومرضى ونساء حاملات . ثم نقلنا البوليس الايراني في اليوم التالي إلى مدينة (نه غه ده).

وفي اول لقاء في (نه غه ده) مع ملا مصطفى بعد الهزيمة، وكان قد وصلها قبل انتهاء شهر آذار/مارس، وكنت مع والدى، تكلم عن سروره لكونه نجا من الفساد المستشري في كردستان واعتبر عبوره الحدود وإنهاء "الثورة" بمثابة عناية الية تغمدته. لقد شعرت على الفور انه لم يعد له تماس مع واقع المعاناة التي يعيشها الشعب الكوردي، كان يعيش في عالمه الخاص ووفق منطقته الشخصي. وقد تعود ان يكون محقاً في كل شيء. وكل هزيمة تعتبر نصراً رغم التناقض المذهل مع الواقع المائل أمامه.

كان فريق القيادة الكوردية المنهار والمتواجد في (نه غه ده) يعرف مدى الكارثة التي جلبوها على الشعب، وكانوا يتوقعون رد فعل انتقامي من الشعب الكوردي، لذا كانوا متحصنين في داخل المدينة والحراس يحيطون بملا مصطفى واولاده وهم في حالة استنفار كاملة. كان هناك خوف من الشعب الكوردي - الذي شعر ان القيادة

خدعته، تخاذلت وهربت لتتجو - وخوف من عملاء نظام بغداد . لكن المشكلة هي ان القيادة الكوردية كانت قد اتخذت خطوة سلامتها من أي انتقام جماهيري كوردي، عن طريق دفع الشعب الكوردي بسرعة فائقة إلى داخل القفصين: العراقي و الإيراني ، بحيث لا يتمكن من التحرك ضدها . فقرار الهزيمة وقر لحكومة طهران وبغداد السيطرة على الشعب الكوردي وحركته على جانبي الحدود . أي ان قرار الهزيمة وبتلك السرعة فوتت الفرصة على الجماهير الغاضبة من التحرك ضد قيادتها، وربما تشكيل قيادة أخرى تواصل النضال .

كان الإعلام الحزبي الموالي لملا مصطفى قد خلق حالة من الرضى الوهمي للذات، وعندما نسفته الحقائق والوقائع نفساً، بقي داخل الوهم ولايقبل الخروج إلى عالم الواقع، بل يصّر على أن الذي حصل - هزيمة 1975 - هو إنقاذ ومن هبات العناية الإلهية . الاعلام الحزبي المضلل كان واحداً من أسباب كوارث الأمة وهزائمها والحائل دون تطور الوعي والروح الانتقادية، كان إعلاماً مبنياً على التملق والمبالغات لتطويع الجماهير لقيادة دكتاتورية غير ملتزمة بالمبادئ الوطنية .

مدينة (نه غه ده) كانت تعج باللاجئين، وفيها تعرضنا مع والدي والعائلة لعملية اغتيال بتاريخ 1975/5/27 . كنا نسكن في منزل على مشارف المدينة . وعلى بعد حوالي 15 متراً وبحلول الظلام فتح مجهول النار علينا وأفرغ من كلاشينكوفه 30 طلقة دفعة واحدة تجاهنا، لقد وردت معلومات تشير إلى وقوف (فارس باوه) وراء محاولة الاغتيال، فقد كانت السلطات العراقية قد اشترته بعد بيان آذار عام 1970 كما هو الحال مع آخرين.... كنا نسكن في منزل نوافذ غرفها الامامية كبيرة وبلا ستائر، وكانت المصابيح الكهربائية مضاءه . المكلف بعملية الاغتيال كان يرانا، في حين كان هو في الظلام ولا نراه نحن.... خلفنا كان مخيم مكتظ باللاجئين وقد أصيبت ربة بيت بارزانية برصاصة قاتلة . واختفى الجاني .

وفي 1975/10/12 بدأت قافلة من السيارات بالتحرك صباحاً من (نه غه ده) إلى عظيمية - كرج - قرب طهران وقد وصلناها بعد منتصف الليل بقليل . واستمرت حياة الذل في قصور فخمة وبرواتب من حكومة الشاه محمد رضا بهلوي .

في أواخر عام 1974، كنت قد أنهيت كتاباً عن بدايات ظهور الطريقة النقشبندية في بارزان، وطلبت من ملا مصطفى أن يمنحني نسخة من كتاب كان جدّ والدي قد كتبها بخط يده في غاية الروعة، لأعمل فوتوكوبى لصفحة واحدة فقط كنموذج، قلت له انني اريد طبع كتاب عن تاريخ بارزان في القرن التاسع عشر إلى بدايات الحرب العالمية الأولى. امتعض كثيراً ولم يتقبل الفكرة. كانت صدمة بالنسبة له. وبما انه وكما وصفته الدعاية الحزبية المضللة بالزعيم الوطني التقدمي والثوري والتحرري، فانه تفادى إظهار العداء المكشوف لكتابة التاريخ وتدوين التراث وغطى نياته الحقيقية بحجة احترام رغبات الاسلاف من عائلتنا والرضوخ لما ألفوا عليه من عادات. وكانت حجة مكشوفة لم أسمع بها من قبل: "الا تعلم أنه محرّم على أفراد عائلتنا تأليف الكتب". قالها بلهجة تنم عن شديد كرهه لكتابي هذا. انه لم يطلب القاء نظرة ومعرفة ما يحتويه من مضمون. لم يهتم بالمادة على الاطلاق، فالمشكلة بالنسبة له انني كتبت كتاباً وهذه جريمة في حدّ ذاتها، كان هذا أمراً غير مقبول. كان يعمل على ابقاء الجميع في "قفص الجهل" وقد فرض "الجهل الكلي" على البارزانيين. فالشيء الوحيد المقبول هو ذلك الذي يصدر منه. وماعدها محرّم. لم تغيره صدمة الهزيمة الوطنية، لابل غاص أكثر في سلبياته. وجدته شديد الكراهية لنبش الماضي، فقد كان يعرف أن نبش الماضي يكشف أموراً يريد هو إخفائها. بقي هو هو منتصراً وزعيماً وقائداً مظفراً في جميع المجالات ومن المحرمات ان يجادل في شيء. وعندما سألت عدداً من أقربائي في العائلة عمداً، اذ كنت على يقين بعدم صحة ما قاله. سألتهم عن مدى صحة النظرية الجديدة "أنه محرّم على أفراد عائلتنا تأليف الكتب، ابتسموا وقالوا انهم لم يسمعوا بهذه النظرية وهي غير صحيحة اطلاقاً. الهدف هو تكريس الجهل.

لقد أيقنت أن ما جرى و يجري هو تطبيق مخطط لعقم ثقافي عام في المجتمع الكوردستاني، وقد عانت منه مناطق بادينان أكثر من مناطق سوران، لكون الأولى وقعت تحت سيطرته المباشرة لعقود من الزمن، بينما نجت منها أجزاء كبيرة من مناطق سوران إلى حد كبير وتمكنت من انتاج ثقافة مستقلة تماماً عن نمط الفكر الحزبي المؤمم، ومن هنا تبدأ التغييرات السياسية في السليمانية، بعدها ينتقل التغيير إلى المدن الكوردية الأخرى. هذا الافقار الحضاري المخطط له من فوق والمصحوب بنشر الفساد الناجم عن طول الاستتار بسلطة مطلقة ولا مسؤولية،

ومن أخطر مضاعفاتها ضرب قيم الوطنية والنزاهة والاجتهاد والثقة بالعدالة في المجتمع، ونتج من هذا خلق مجتمع انتهازي خنوع يميل بقوة نحو الارتزاق والعمالة. فخوف النخبة الحاكمة من الفكر المستقل يجعلها تستفز إلى حدود العداء من كل دراسة تاريخية لكشف خفايا الماضي. إن أية سلطة ترفض تبلور أفكار جديدة، اجتماعية وسياسية واقتصادية خارج حقل تسلطها المباشر، تجنح للعنف وتعميم الإذعان ومعاداة الحريات.

ربما كان بداية شهر شباط، لا أتذكر بالضبط، جاء مساءً أحد حراس مسعود (خدر دولمري)، وقال أن مسعود أبلغه أن آوي (إبراهيم كاباري)³³⁷ ليلة واحدة عندي في البيت وأن أصحابه صباحاً بسيارتي إلى كرج لكي يعود إلى سوريا، فقد جاء بمهمة سياسية خاصة من حافظ الأسد وجلال الطالباني، والمبرر حسب قول مسعود أن بيته مراقب لذا لا يريد أن ينام في منزله، لم أفهم لأن المنزل الذي كان يسكن فيه ملاصق للمنزل الذي كنت أسكن فيه والمسافة بين باب منزله ومنزلي لا يتعدى ثمانية أمتار. كان إبراهيم كاباري قد عمل مع أجهزة مخابرات عديدة منها أخيراً الباراستن، وكانت الصلات بين الباراستن والسافاك الإيراني متشابكة، وفي الصباح الباكر رافقته إلى كرج، ونزل من السيارة وعدت أنا إلى المنزل. حيث كان المفروض ان يعود إلى سوريا حسب قوله وقول مسعود... مضت عدة أسابيع، وبالضبط في 19/2/1976 كنت اتناول غدائي في البيت، إذا بعميل السافاك الإيراني وهو من اصل كوردي، اسمه بياتي - مسؤول فرع كرج للسافاك المختص بالأكراد اللاجئيين - يدق جرس المنزل حوالي الساعة الثانية عشر والنصف بعد الظهر، كان يريدني على عجل، قلت له انني أتناول غدائي الآن واقترحته عليه الدخول ومشاركتي الغداء، رفض والحّ على الذهاب معه فوراً وقال تلقينا أوامر من طهران بلزوم حضورك الفوري ولا مجال لانهاء الغداء. شعرت بأن شيئاً ما قد حصل. عدت لأرتدي سريعاً ونزلت، ورفض عميل السافاك أن يصحبني أحد. كان وحيداً في سيارته، وبعد السير بنحو كيلومتر نزولاً نحو كرج، أوقف السيارة أمام الرصيف ودخلها عميل آخر كان في

337 حسب رأي مسعود ملا مصطفى أن (إبراهيم كاباري) كان قد جاء الى العراق بعد بيان II آذار 1970 «مرسلاً من قبل المخابرات السورية وقد حدد واجبه وهو القيام بعمل يؤدي إلى الإخلال بالعلاقات بين السلطة والثورة». ص: 269 من كتاب البارزاني والحركة التحررية الكوردية- ثورة أيلول... لكنه انضم الى الباراستن فيما بعد. وبعد سقوط الثورة لجأ إلى إيران ومنها عاد الى سوريا ثم رجع إلى إيران وعاد إلى سوريا حيث سجن لما يقارب العقدين، ويقيم في أربيل منذ أن أطلق سراحه. الخط المائل من تعليق المؤلف.

الانتظار، لم اره من قبل، جلس على المقعد الخلفي. ثم تابع السافاكي قيادة سيارته وأجتاز كرج ودخل الطريق السريع المؤدي إلى طهران. لم يقل لي لماذا أنا مطلوب. وربما كان يجهل حقيقة الأمر. كان البوليس السريّ مخيفاً إلى درجة كبيرة أفقد عدداً من اللاجئين الكورد القدرة على المقاومة السيكلوجية فانخرطوا إما خوفاً أو طمعاً في المال، في سلك العمالة لهذه المؤسسة القمعية. اجتازت السيارة الطريق السريع الفاصل بين عظيمية وطهران، ثم اتجهت شمال طهران، وبعد أن توقفت السيارة في زاوية هادئة من الشارع، قال لي عميل السافاك، الآن عليك النزول وركوب السيارة السوداء الواقفة مشيراً بيده إليها. نزلت من السيارة وفتح لي باب السيارة الواقفة سائقها. ثم أخذ بالتوجه نحو الشمال إلى ان وقف أمام باب مبنى ثان، ثم نزل ودق جرس المنزل، فُتِحَ باب حديدي وأشار الرجل علي بالدخول. وقادني إلى غرفة في الطابق الاول من المنزل لم أشهد فيها احداً، وقال انتظر هنا. كان واضحاً أن المنزل يحتله رجال السافاك. وبعد عدة دقائق دخل الغرفة عميل السافاك المعروف (تاجداري) وهو من أذربيجان، دعاني إلى الانتقال إلى غرفة ثانية في نفس الطابق.

دخلت الغرفة واذا بي أمام خمسة من عملاء السافاك متجهمين وجالسين حول مائدة مستطيلة. جلست على كرسي في الوسط، وكانوا قد تهيؤوا للتحقيق.

تركزت الأسئلة على من يزورني ومن هم أصدقائي وهل لي نشاط سياسي. وعندما نفيت ذلك تغيرت ملامحهم ولهجتهم وبالأخص، كما بدا لي " العميل الأكبر رتبة تاجداري" إلى لهجة عصبية. كنت بكامل وعي. وشعرت على الفور باستخدام التهيب لانتزاع الاعترافات مني. فكنت ادور بالموضوع بعيداً عن السياسة، وهنا ازدادت عصبية عملاء السافاك ونهض تاجداري من مقعده بعصبية ظاهرة مهدداً، ودار حول المائدة مقترياً لضربي. لكنني بقيت جامداً وأصررت على عدم علمي بالشأن السياسي. لم يضربني، انما ترك الغرفة وهو يهدد، وعاد بعد عدة دقائق ليوجه أسئلة أكثر دقة. لكنني أنكرت من جديد أي صلة بالسياسة. هنا أغتاض الجميع ونهض تاجداري من جديد متظاهراً أكثر من المرة الاولى بأنه سيفترسني، وما أن يصل خلفي، تيقنت من ان ضربات متلاحقة ستتزل بي. لكن ما ان يستقر خلف المقعد الذي كنت جالساً عليه، لم ينفذ تهديده. ثم ترك الغرفة من جديد وهو يلفظ كلمات قدرة، ثم عاد بعد حوالي دقيقتين غاضباً:

- ليس هناك شيء يخفى عنا . أنت تكذب، أنك عدو لدود لنظام الشاه الذي آواك واحترمك، ان لم تقل الحقيقة فسترى كيف نتعامل معك . ووجه أسئلة دقيقة بشأن مهمة مبعوث كوردي كان قد جاء من سوريا (إبراهيم كاباري) . من جديد أنكرت علمي بمهمته السياسية . أستشاط الجميع غضباً وأخذوا بتوجيه أسئلة متضاربة وتهديدات دفعة واحدة بقصد إخافتي وخلق حالة من الارباك الفكري الشديد، إذ لم أعرف من أجيّب . لكنني كنت بكامل الوعي من أن هذا هو أسلوب السافاك في انتزاع الاعترافات . نهض تاجداري من جديد لضربي بملامح غاضبة:

- هذه المرة ستنتال الضربات اذ بدونها لن تعترف . أيقنت انه سيضربني هذه المرة، لكنه ما ان وصل خلف المقعد الذي أجلس عليه، لم يبادر إلى الضرب . واستمر هدوئي واصراري على عدم التدخل في الشأن السياسي .

استمر التحقيق معي إلى منتصف الليل، دون انقطاع . وكرر (تاجداري) سيناريو مغادرة الغرفة ثم العودة بعد بضع دقائق ليوجه اسئلة في غاية الدقة .

وعندما كان يغيب ويسود هدوء نسبي لعدة دقائق، كان تفكيري يعود إلى الكلمات التي تفوه بها ابن عم لي في كوردستان في قرية (زرارا) وهو يقول :

- لا تتركوا هذه الارض، ان تركنا أرضنا، سوف نواجه وضعاً نتمنى فيه الموت ولا ننالها! وفي قرارة نفسي كنت أقول له " كم كنت على حق" .

- وكنت مصمماً على عدم الاعتراف حتى لا يكون هناك ضحايا بسبب اعترافاتي!

ولم أكن اتصور ان الآخرين لا يتصرفون من هذا المنطلق . فقد أعطوا اسمي للسافاك وأعطوا جميع المعلومات لهم .

وعندما يأس عملاء السافاك من الحصول على ما يريدون، والساعة تشير إلى منتصف الليل، وبعد كل ما قاموا به من تهديد ووعيد لم ينالوا ما يريدون، أخيراً هجم علي (تاجداري) وأمسك بذراعي قائلاً بغضب شديد :

- انك لم تر كيف نعذب سآريك الآن كيف نعذب.

أيقنت من انه سيأخذني إلى غرفة تعذيب. وقادني أمام باب، فتح الباب واذا بي ولدهشتي كان مسعود ملا مصطفى جالساً وقربه عميل السافاك الإيراني المسؤول عن ملف القضية الكوردية (مييني). وعلى الفور قال لي مسعود بالنص الحرفي، لأنه كان محيطاً بما كان يجري معي من تحقيق، لم يستغرق وقوفي سوى ثواني :

"Min hemi tisht ye bo goti, tosh bo bibeje"

لقد قلت لهم كل شيء وأنت أيضا قل لهم .

ما أن أكمل مسعود كلامه حتى سحبني (تاجداري) على الفور وبعنف وأغلق الباب، ولم يترك مجالاً للكلام مع مسعود وقال بغضب:

- أكذب علينا الآن، أنت كذاب، أنت عدو لنا، انك ناكر جميل. نحن نعرف كل شيء، اننا اردنا ان نمتحن اخلاصك وعرفانك بالجميل الذي أغدقته حكومة الشاه المعظم عليك، لكن علمنا الآن انك عدو لنا، واستمر في التهديد والوعيد .

واتضح لي ان (تاجداري) عندما كان يغادر غرفة التحقيق التي كنت فيها، يغلق الباب، ويدخل الغرفة التي كان فيها مسعود ويأخذ منه المعلومات التي يريدتها عنى، ثم يعود إلى حيث كنت قيد التحقيق، ويطرح عليّ أسئلته الدقيقة، وكنت أجهل وجود مسعود في غرفة أخرى في نفس الطابق، وإنه يعطيهم المعلومات لكي يحققوا معي. فعلاً كان السافاك على علم بمهمة المبعوث الكوردي الآتي من دمشق (إبراهيم كاباري)، والذي أرسله مسعود إلى المنزل الذي كنت أسكن فيه، ومعلوماته كانت مستقاة من المصدر الرئيسي.

ثم سمح لنا السافاك بالعودة لكن تهديداته لي استمرت.

التقيت في اليوم الثاني بملا مصطفى مساءً، واستغربت من أقواله وموقفه الغريب، وشعرت بهوة عميقة تفصله عن قضية تهديدات السافاك، فقد عبّر عن ثقة الإيرانيين

اللامحدود بشخصه، وحملني المسؤولية بعبارات لا تمت إلى الواقع بصلة إطلاقاً، مثل لا يجب أن تخرج كثيراً من البيت. واتضح انه لا يريد أن يرى الحقائق على الأرض ولم يقل شيئاً عن موقف ابنه مسعود المتخاذل، والأخير لزم الصمت حتى النهاية.

ثم ظهر من جديد (إبراهيم كاباري) وقال أن السلطات الإيرانية قبضت عليه، والآن أطلقت سراحه وسيعود إلى سوريا. وعند العودة إلى سوريا، سجنته السلطات السورية.

وطلب مني مسعود ان لا افشي ما حصل لأي انسان آخر. وعندما قلت له سوف أكلم محمد خالد أجب بسرعة : لا...لا..أبدأ .

رغم معاداة السافاك لي وتهديداته المستمرة، رفض ملا مصطفى خروجي، فقد كان يفضل ابقائي في القفص وتلك كانت عادة مدمنة لديه. والفضل في خروجي من ايران يعود إلى إدريس ملا مصطفى، والذي كان يختلف عن والده وأخيه مسعود باحساسه بالمعاناة الرهيبة التي يسببها السافاك للاجئين بشكل عام ولعدد محدود منهم بشكل خاص. فقد أقتع السافاك بمنحي وثيقة خروج من إيران بحجة المعالجة بعد جهود مضمّنية. في حين كان مسعود يرافق والده العليل في واشنطن بجواز سفر إيراني.

وقبل مغادرة ايران بيومين استدعاني عميل السافاك الإيراني (تاجداري) مهدداً: "عليك ان تعلم أن الحكومة الايرانية تملك أطول ذراع في الشرق الأوسط، ستصلك أينما كنت، إن قمت بنشاط معادى لإيران في الخارج". قلت له انا ذاهب إلى المعالجة ولا أنوي القيام بنشاط سياسي.

وصلت إلى لندن بوثيقة ايرانية (Laissez-passer) في نهاية شهر ديسمبر/كانون الأول عام 1976 وطلبت اللجوء السياسي في شهر جانفيير /كانون الثاني دون تأخير بداية عام 1977. لم أعد إلى إيران الا بعد انهيار عرش الشاه وطرده من قبل الشعوب الإيرانية.

إن أوضح ظاهرة في سلوك ملا مصطفى السياسي من عام 1970 والى وفاته عام 1979 هو أنه، هياً استمراريته لما بعد رحيله .والياً من خلال وسائل الدعاية المرئية والمسموعة والمقروءة ،نرى تراثه حاضراً باستمرار في كوردستان الواقعة تحت نفوذ ابنه مسعود .هذا الإرث لا يزال حياً وبيث في كل مناسبة لاعادته إلى اذهان الجماهير الكوردية كتراث يقدس ،لهذا الإرث مفعول " فرض تكلس ذهني،" ومعوق لإيجاد معرفة جمعية ملمة بحقيقة ما جرى للحركة الكوردية وفشلها عام 1975 وخفاياها المالية وعلاقاتها الخارجية ،كما أنه مصدر لاستمرار الفساد والإفساد في المجتمع حالياً ،ويحرف مسار المجتمع الكوردي في المجابهة الشجاعة والصريحة مع ماضيه ،ويقتل الروح الانتقادية في المجتمع .ان الترويج لتراث جلب المذلة والهزيمة للشعب الكوردي ،وتقديمه كقدوة يحتذى به ،أمر خطير هو دون شك لا يخدم إيقاظ الوعي التاريخي الكوردي عن المرحلة التي امتدت من عام 1961 والى يومنا هذا . .وهنا لأغرابة في كون عدد من المؤلفين الذين كتبوا عن ملا مصطفى وتطرفوا في تمجيده مع الإبن ،بعد الإعلان عن المنطقة الآمنة من قبل قوات الحلفاء الغربيين، ثبت انهم من العملاء المحترفين لنظام صدام حسين وقد اميط القناع عن وجههم بعد اكتشاف سجلاتهم التي أثبتت عمالتهم للنظام البعثي .

ونظراً لتحاليف - صدام - مسعود الغير معلن ،فقد عمل صدام حسين على تعزيز نفوذ مسعود وحزبه في كوردستان ،وزوده خلال ثلاثة عشر عاماً بالمال والسلاح وإرسال الدبابات لنصرة حليفه في معاركه الداخلية ضد خصومه وتسليمه مفاتيح العاصمة أربيل بعد أن أحتلها الجيش العراقي في 31 آب 1996.

تقييم الـ C. I. A. لنتائج اتفاقية الجزائر 1975

نتائج الاتفاقية الإيرانية العراقية³³⁸

سعى الشاه منذ زمن إقناع العراق بالموافقة على وجهة نظره لتحديد الحدود بين البلدين، بالأخص فيما يخص مجرى نهر شط العرب. وكان الشاه يريد ترسيخ نفوذه في المنطقة والحدّ من تأثير العراق ووقف تدخلاته في البلدان المجاورة، إضافة إلى القضاء على نفوذ القوى اليسارية الخارجية النشطة في بغداد. ويبدو أن اتفاقية الجزائر حققت أولى هذه الأهداف، لكن يحوم الشك حول تحقيق البقية من أهدافه. فقد تحرر العراق من ورطة التمرد الكوردي ومن احتمالات المواجهة مع إيران. لقد زادت بشكل كبير خيارات خطط السياسة الخارجية العراقية.

وندرج هنا توقعاتنا عن آثار اتفاقية الجزائر بالنسبة للمشاركين وبلدان أخرى في المنطقة وبالنسبة للدول العظمى.

اتفاقية الجزائر

1. شاه إيران ورجل العراق القوى صدام حسين التكريتي وقعا اتفاقا في 6 آذار هدفها حلّ الخلافات الحدودية المزمّنة والتي في عدة مناسبات أدت إلى مناوشات جدّية خلال العام الماضي. نال الطرفان فوائد هامة من الاتفاقية. بينما الخاسر الأكبر هم المتمردون الأكراد العراقيون.

2. الاتفاقية مبنية على المسؤولية المتبادلة في نقطتين:

- تحديد خط الحدود البرّي والمائي
- التحكم التام في الحدود ومنع تسلل المخربين

338 قدم التقرير في (1 مايس 1975)

وصف الجانبان الاتفاقية بأنه من غير الممكن تجزئتها، فخرق مادة واحدة فيها يلغي الاتفاقية كلها".

3. التصريحات وأعمال الطرفان منذ 6 آذار توحى بوجود تفاهم سرّي، لم يكشف مضمونه بعد. فالشاه بوضوح وعد بسحب المساعدات العسكرية الإيرانية للأكراد. ولا يشار إلى ذلك علناً في الاتفاقية بسبب نفي طهران المتواصل منح مثل هذه المساعدة. وجود اللاجئين الكورد في إيران قد نوقش على الأكثر. كلا الطرفين كما يتضح وافقا على وقف الدعاية المعادية. كما إن نشاط القوى الخارجية في الخليج تم بحثها في الاتفاقية، وأصبح هذا الموضوع هدفاً لتصريحات الموظفين الرسميين للحكومتين ولأجهزة إعلام البلدين منذ إبرام الاتفاقية.

4. تمثل تنازل بغداد الرئيسي في موافقتها على معادلة طهران في تحديد خط الحدود المتنازع عليه جنوبي النهر وفق مبدأ Thalweg (وسط ممر الملاحة). في الماضي ألح العراق على معاهدة 1937 والتي تحدد خط الحدود على الشاطئ الإيراني لشط العرب، حيث منح العراق السيطرة التامة على الملاحة في النهر - ومنها الوصول إلى مصفى عبادان الإيراني وميناء خرم شهر. لكن لم تتمكن بغداد في كل الأحوال العمل وفق هذا الادعاء.

5. المادة المتعلقة بالمراقبة الدقيقة للسيطرة على الحدود هي في صالح الطرفين. بموجبها سيتوقف إرسال المخربين الذين تلقوا تدريباتهم في العراق إلى إيران لإثارة المشاعر المناهضة للحكومة ضمن الأقليات، بالأخص وسط سكان خوزستان العرب. ولن يكون بمقدور المنشقين الإيرانيين تصعيد نشاطهم انطلاقاً من الأراضي العراقية. إن النتيجة الهامة لهذه المادة هي بالتأكيد، وقف المساعدة العسكرية للأكراد. كان هذا هو الهدف العراقي والتنازل الإيراني الرئيسي.

6. سحب المساعدات الإيرانية قلصت من خيارات الأكراد إلى الاحتفاظ بمستوى واطئ في عمليات حرب الأنصار، والاستسلام لبغداد أو المغادرة إلى المنفى، بينما الاتفاقية وفرت لبغداد - التي تخلصت من نزاع داخلي أضعفها - فرصة استثمار مصادر أكثر لأغراض التطور.

7. بعض المؤشرات توحى بأن الشاه كان يعتقد أن الاتفاقية تنطوي على ضمان من صدام حسين يدعو على الأقل تجميد الوضع العسكري بصورة وقتية في العراق وإمكانية البدء بالمفاوضات مع الأكراد. لكن مباشرة بعد التوقيع على الاتفاقية أمرت بغداد بشن الهجوم العام. استمر الهجوم حوالي الأسبوع عندما تمكن الشاه ترتيب وقف إطلاق النار بيومين قبل الاجتماع المقرر لوزراء الخارجية في طهران في 15 آذار من أجل تطبيق الاتفاقية. انتهى مفعول وقف إطلاق النار إلى جنب عرض بغداد العفو عن المتمردين الأكراد في 1 نيسان/ابريل، حيث أكمل العراق احتلاله العسكري لكوردستان العراق برمته، ولم تجابه إلا القليل من المقاومة. جددت بغداد بطلب من طهران، مدة العفو إلى نهاية شهر نيسان/ابريل - ثم بعد لمدة 20 يوماً إضافياً - وهي الفترة التي تمكن خلالها الأكراد العودة إلى العراق.

8. جرى التخطيط والسيطرة الحدودية بشكل جيد تحت إشراف لجنة من وزراء الخارجية. وتم إجراء مسح لشط العرب وبإشراف الطرفين وأعيد تثبيت نقاط السيطرة للبلدين لمراقبة تطبيق اتفاقية الجزائر. وعقد اجتماع ثان لوزراء الخارجية في أواسط شهر نيسان/ابريل واجتماع ثالث مقرر أن ينعقد في أواسط شهر مايس. ونوقشت مشكلة اللاجئين وإمكانية تعاون أوسع. وزار صدام حسين طهران في نهاية شهر نيسان، ومن المتوقع أن يردّ الشاه الزيارة في وقت متأخر هذا الربيع.

دوافع الاتفاقية

9. "لأمد طويل كان العراق موضع شك واهتمام إيران العدائي نظراً للخلافات العرقية والدينية والسياسية، واعتبر الشاه بغداد بمثابة عامل مساعد للطموحات السوفيتية في الخليج ومصدر تخريب في المنطقة. ولبعض الوقت استخدم الشاه الأكراد لتحويل اهتمام بغداد ومصادرها بعيداً عن سياسات الخليج، وتشجيع الفوضى السياسية، وبشكل غير مباشر لترقية مصالح إيران في تعديل الحدود. لم يعتبر الشاه أبداً المساعدة للأكراد بأنها التزام جاد، ولم يدعم هدفهم في الحكم الذاتي بسبب خوفه من نشوء نفس المشاعر لدى أكراد إيران.

10. في الصيف الماضي أخذت المعادلة الكوردية منحى جديداً عندما قررت

بغداد استخدام جيشها المسلح بالأسلحة الروسية لتحقيق "الحل النهائي" للمشكلة الكوردية. شنت بغداد حملتها ضد معازل المتمردين الكورد ووظفت ضدهم 80 % من قوات الجيش العراقي.

11. ولوقف الهجوم العراقي والاحتفاظ بالورقة الكوردية، أرسل الشاه في شهر أغسطس المدفعية الإيرانية ووحدات دفاعية مباشرة إلى داخل العراق للقتال. أوقف التدخل الإيراني والطقس السيئ التقدم العراقي. لكن فشل الكورد في إعادة سيطرتهم على الأراضي التي خسروها خلال الشتاء، كما جرت العادة خلال السنين الماضية.

12. لقد جعل الفشل الكوردي الجيش العراقي في وضع جيد لإعادة الهجمات في الربيع. وهنا واجه الشاه احتمال زيادة الالتزام العسكري الإيراني علاوة على الدعم السابق. وكان الشاه مهتماً باحتمال تصاعد إمكانية مجابهة عسكرية شاملة مع العراق وما ينجم عن هذه السياسة من عواقب كبيرة، هنا قرر عدم التورط إلى أبعد من هذا.

13. التوصل إلى هذا القرار بني على أن موقفه في التوصل إلى صفقة سيضعف باستمرار عند بدء الحملة العراقية المتوقعة في الربيع، هنا قام بما هو أفضل له في الجزائر. إن التنازل العراقي في شط العرب - وهو ليس أمراً هيناً في حد ذاته - كان الأقل مما هو ضروري لهذا التحول الفجائي في التوصل إلى حل مع خصم لدود.

14. لقد شعر الشاه إن تورطاً أكثر في القتال مع الأكراد سوف يضع في خطر هدفاً أكثر أهمية - التقرب والتعاون مع الدول العربية المعتدلة. فتوسيع التدخل العسكري الإيراني يسبب له مشاكل في العالم العربي في وقت يسعى إلى تحسين العلاقات مع الرئيس المصري أنور السادات وزعماء معتدلين آخرين. لقد شعرت الحكومات العربية بالضغط العراقي للتدخل لضمان نهاية للتدخل الإيراني. كانت القاهرة بشكل خاص تقول أن وضع نهاية للمجابهة سيساعد في جلب العراق إلى التيار العربي السياسي الرئيسي ويقلل من اعتمادها على الاتحاد السوفيتي. وكان الشاه قلقاً حول تزايد نفوذ موسكو في بغداد، ومن الوارد إن حجج القاهرة أثرت على الشاه.

وفيما يخص موقف العراق

15. "الاستمرار في الحملة العسكرية ضد الكورد، كان يحمل في طياته مخاطر لصدام حسين وربما أودت به إلى السقوط. وكما حصل في الأعوام السابقة، سببت السياسة المتبعة تجاه الكورد، انشاقاً ضمن المجموعة الحاكمة في بغداد. فقد التزم رجل العراق القوي شخصياً بالحل العسكري، هيئته كانت على المحك. وكانت هناك مشاكل جدية تظهر ضمن العسكر حول الخسائر الكبيرة والموقف غير الكفوء تجاه التدخل الإيراني. ورغم أن الحملة العسكرية استحوذت على الاهتمام الوطني، إلى أن الحاجة إلى الموارد والتزود بالسلاح قيدت حرية بغداد في تعاملها مع موسكو.

16. "وشعر صدام حسين أن ليس في مقدوره إنهاء الحملة والاعتراف بالفشل. وبما أن الحاجة المباشرة هي تحييد إيران، هنا قرر دفع الثمن المطلوب والقبول بوجهة نظر الشاه فيما يخص شط العرب."

ثم تشير المذكرة السرية إلى التوقعات عن دوام بقاء الاتفاقية:

17. الجانبان كل من طرفه يطبق مواد الاتفاقية ولهما مصلحة في الوقت الحاضر في احترام بنود الاتفاقية.

18. لكن المشاكل قد تنشأ. في الحقيقة تاجر الشاه بالوعود في الجزائر، وهناك ضمانات قليلة لالزام العراق بجميع الوعود حال سيطرتها على مشكلتها الكوردية.

19. لقد فقدت إيران العامل المؤثر بشكل كبير على العراق عندما سحبت قواتها منه وأوقفت المساعدات عن الأكراد وأغلقت حدودها. وإذا ما اختارت بغداد الاتصال من الاتفاقية، سيصعب على طهران إحياء المقاومة الكوردية بشكل مؤثر داخل العراق.

20. ولدينا شك كبير في استمرارية بقاء التصالح. فإيران والعراق منافسان طبيعيين في منطقة الخليج.

- إنهما الدولتان الأكثر كثافة بالسكان.
- كلاهما أثرياء في المصادر الطبيعية ولكل جيشه المسلح تسليحاً جيداً.
- كلاهما، الشاه وصدام حسين لهما وجهات نظر مختلفة حول إدارة الشؤون السياسية في المنطقة وكلاهما يطمحان في تبوء مركز الزعامة والسيادة في المنطقة.

21. ويبدو أن الاحتكاك سيعود إذا ما أصرّ العراق التدخل في شؤون دول الخليج، بالأخص إذا استمر في الضغط على جارته الكويت للتنازل عن أراضيها المحاذية لميناء ام قصر العراقي. في كل الأحوال كلا البلدين سيسعيان في خضم المنافسة كسب الحلفاء في الخليج، كل لتعزيز موقفه السياسي والعسكري.

وتمضي المذكرة إلى الإشارة لنتائج الاتفاقية بالنسبة لإيران:

على الصعيد الداخلي

22. كانت اتفاقية الجزائر واحدة من قرارين رئيسيين هاميين اتخذها الشاه في بداية شهر آذار، والتي تعكس النمط الاستبدادي المتزايد في حكمه - القرار الثاني كان القانون الذي أصدره بتبني نظام الحزب الواحد في إيران. كما يبدو انه لم يستشر أحداً قبل الإيقاع بالأكراد. لقد أصبح معظم مستشاريه من نوع "رجال نعم" وفي الواقع ليس هنالك نقاش مفتوح حول المواضيع السياسية، هناك قلة من الضمانات التي تحول دون الوقوع في الأخطاء، وليس هناك آلية لتصحيح الأخطاء بمعزل عن تصوراتته هو.

23. قرار الشاه فيما يخص الأكراد له عواقب أمنية محلية. فالعديد من ضمن الأكراد البالغ عددهم حسب التقديرات 150000 لاجئ كوردي في إيران يشعرون بالمرارة مما يعتبرونه خيانة، وبعض من أكراد إيران البالغ عددهم 1.5 مليون نسمة عبروا عن استيائهم من قرار إيران المفاجئ بسحب الدعم من بني جلدتهم في العراق.

24. نعتقد ان قوات الأمن الإيرانية ستكون قادرة على معالجة المشاكل الكامنة من مصدرين. فإيران اتخذت خطوة احتياطية عن طريق نزع سلاح المقاتلين الكورد الذين عبروا الحدود قبل غلقها وعزلهم عن اللاجئين المدنيين. لاترغب طهران بقاء اللاجئين في المخيمات وستحاول دمجهم في المجتمع الإيراني، على الأكثر في مناطق غير كوردية. هناك احتمال ان يقاوم البعض الجهود التي تهدف إلى إسكانهم في مناطق تختلف كثيراً عن موطنهم الجبلي.

25. أرسلت طهران بطلب من بغداد الموظفين إلى مخيمات اللاجئين الكورد لتطمينهم بأن العفو سيضملمهم إن عادوا إلى العراق. وقد تلقينا عدة تقديرات مختلفة عن عدد الذين اختاروا العودة إلى العراق. تدرك بغداد كما تدرك طهران من أن الكورد يشكلون مشكلة أمنية محتملة لإيران، ومن الممكن أن لا يكون العراق مهتماً كثيراً بإزاحة هذا العبء عن كاهل الشاه.

على الصعيد الخارجي

26. لقد قوت الاتفاقية المنافس الرئيسي والقادر على تحدى إيران في الخليج. وكنظام يرعى عمليات التخريب، راديكالي ومتجاوب مع النفوذ السوفيتي. اعتبر الشاه هذا النظام ومنذ زمن طويل بمثابة تهديد لأمن إيران. قد تستفيد إيران من تأييد بعض الزعماء العرب الذين تصوروا أن الاتفاقية ستؤدي ببغداد نحو الاعتدال في مواقفها الراهنة، لكن آخرين - الكويتيين والسوريين والعمانيين - قلقون من أن بغداد قد تركز اهتمامها على العداوات وخلافات الحدود. رحب الزعماء الترك بالاتفاقية لأنها وضعت نهاية لمساعدات إيران للأكراد الانفصاليين. كانت انقره متخوفة من توسع القتال أو أن ينخرط 3 ملايين من أكراد تركيا في حركة الحكم الذاتي.

27. سيحاول الشاه - بمساعدة زعماء عرب آخرين - ضمان الاعتدال في سياسات بغداد. وبوضعه نهاية لمساعداته للأكراد وتطبيع العلاقات مع العراق، عزز بذلك موقف الزعماء العرب الذين كانوا يحثون صدام حسين على تقليص روابطه مع موسكو. كما ان الاتفاقية تساعد على قطع دابر دعايات الزعماء العرب الراديكاليين من أن إيران عدو لدود للعرب.

28. ولكي يتمكن الشاه من تقليص النفوذ السوفيتي في العراق، سيتوجب عليه أن يثبت لبغداد ولعرب آخرين، أنه ليس آلة لخدمة الخطط الأمريكية في المنطقة. وسبق له وان انضم إلى دول أخرى في المنطقة مطالباً بجعل أمن الخليج مسؤولية دول الساحل. وقد يكون الآن راغباً في توسيع هذا الخط، خاصة أن الملك فهد - حيث يعتقد الشاه انه أكثر تعاوناً في مجال أمن المنطقة من الملك فيصل - وله تأثير أكبر في المملكة العربية السعودية.

29. أشار صدام حسين إلى إمكانية اتفاق أمنى جماعي في الخليج في عدد من اللقاءات الصحفية منذ التوقيع على الاتفاقية. وذكر إن الاتفاقية توقع نوعاً من التعاون الأمني الإيراني العراقي. إن هذا التصريح يذهب أبعد من الإعلانات الإيرانية حتى هذا اليوم. ونشر بلاغ بعد زيارة إلى بغداد لرئيس الوزراء الإيراني في نهاية شهر آذار يؤكد على "الحفاظ على الخليج من جميع التدخلات الخارجية" وأعدت الصحافة الإيرانية الخاضعة للحكومة هذه النظرة عدة مرات منذ التوقيع على الاتفاقية. فانسحاب الأساطيل البحرية، السوفيتي والأمريكي، يبقي القوة البحرية الإيرانية القوة الوحيدة الهامة في الخليج.

30. وقد يكون الشاه راغباً في الإعلان عن معارضته لدور البحرية الأمريكية في الخليج بشكل أكثر قوة مقابل تعاون إقليمي أكثر في الأمور الأمنية أو من أجل موقف واضح لتقليل النفوذ السوفيتي في العراق. لكن من المشكوك فيه في هذا الوقت بالذات أن يعمل لضمان إزاحة الوجود الأمريكي كلية من البحرين.

31. يحمل الشاه شكاً عميقاً في السياسة الخارجية العراقية من أنها ستستمر في سياسة خلق جبهة معادية لإيران في الخليج الفارسي. وإذا ما استمرت بغداد دعم السياسات التخريبية والراديكالية العربية، ربما سيعتبر الشاه نفسه في وضع جيد ليلح على مصر والجزائر - كلا الحكومتين شجعنا التصالح مع بغداد - للانضمام لجهود إيران لوقف "مغامرات السياسة" العراقية. انه متخوف من أن المعتدلين العرب سيتوخون التفاهم مع العراق والى حدود التعاون مع بغداد للحد من النفوذ الإيراني في الجزيرة العربية.

32. إن قرار الشاه في إنهاء دعمه للأكراد أثار الشكوك حول موقف طهران لدى البعض من زعماء العرب المحافظين والذين يتمتع الشاه بعلاقات جيدة معهم. على سبيل المثال، عُمان، التي تساءلت على مدى جدية الدعم الإيراني في قتال ضفار. مسقط، ربما كانت متجاوبة مع شائعات مفادها إن الانسحاب الإيراني من ضفار هو ضمن بروتوكول سرّي في اتفاقية الجزائر. لقد أكدت عُمان، بشكل خاص لطهران عن حاجتها للمساعدة الإيرانية. لم يظهر من الشاه ما يوحي بالانسحاب من عُمان.

33. حسين ملك الأردن عميق الاهتمام بالاتفاقية. ويأمل من ورائها إقناع العراق بتبني سياسة الاعتدال تجاه الأكراد والتوصل إلى حلٍ بموجبه يتمكن البارزاني الاحتفاظ بموقع الزعيم ضمن مجموعته الكوردية. الآن يخشى حسين من المساعي التخريبية العراقية، ويتساءل فيما إذا كان التقارب قد أعطى للعراقيين إجازة التصرف كما يريدون في الخليج.

34. إن اتفاقية الجزائر التي تمت أثناء إحدى اجتماعات قمة الأوبك يمكن أن تعزز جهوداً أخرى لاستمرار الوحدة في صفوف المنظمة حيث إنها تزيح قضايا قد تؤدي إلى التفرقة. وربما يعتقد الشاه أن الاتفاقية قد عززت دوره في المنظمة بالأخص مع الدول العربية المنتجة للنفط، والتي كانت في حالة تدهور العلاقات الإيرانية العراقية، قد تجد من المفيد سياسياً معارضة سياسات طهران في أوساط الأوبك.

النتائج بالنسبة لبغداد

35. عززت نهاية التمرد الكوردي نفوذ صدام حسين بإزالتها الفرصة التي كان من الممكن أن يستغلها نقاده. حكومة البعث الحالية، التي سيطرت على الحكم في 1968 هي حكومة ائتلافية فيها التعامل صعب بين العناصر العسكرية والمدنية. فصدام حسين الذي قرر استخدام الوسائل العسكرية مع المشكلة الكوردية، يقود الجناح المدني لحزب البعث. والرئيس البكر يمثل الجناح العسكري في القيادة، ويعاني جدياً من المرض، غير نشط وتم إخضاعه. وباشتداد المعارك، تعرض قرار القتال إلى نقد أكثر شدة، وأصبح النزاع يعرف بـ "حرب صدام".

36. التنازل أمام مطالب الشاه فيما يخص ساحل شط العرب كان شيئاً ماساً بالكرامة الوطنية، لكن بتحرر الحكومة من الأكراد وتقلص فرص الحرب مع طهران، ربح العراقيون أكثر مما أعطوا. ولم تبرز ردود فعل شعبية معروفة ضد تنازلات صدام حسين إلى إيران، ولم تظهر انتقادات داخل القيادة لاستغلال هذا الأمر. لكن يبقى الاحتمال وارداً، ففي حالة تعثره في مسائل أخرى، فإن تنازله في قضية مجرى المياه، قد يبرز إلى الصدارة للإساءة إليه.

37. ورغم أن المسائل المتعلقة بتعقيدات المسألة الكوردية يجب مواجهتها، لكن الآن بإمكان صدام حسين إعادة توجيه طاقات النظام. داخلياً، سيركز صدام حسين على اصلاح ما أصاب الاقتصاد من أضرار جزاء القتال، وقد اعترف بخسارة عشرة ألف من القوات العراقية. تسريح الاحتياط سوف يحرر الأيدي العاملة، والعودة إلى الوظائف المدنية والمساعدة على حلّ النقص في الطعام والمواد الاستهلاكية. بإمكان بغداد الآن، تخصيص مصادرها المالية للإسراع بالتطور الصناعي وبذل مساعي التخريب في دول الخليج وسوريا.

الكورد

38. وفيما يخص التعامل مع الأكراد، العراق حرّ نسبياً لفرض إرادته. ولن تمنح بغداد أية مساومات للطموحات الكوردية في الحكم الذاتي غير مجلس تشريعي وتنفيذي شكلي، كالذي تشكل في الصيف الأخير. وبذلت بغداد جهوداً لتعريب كوردستان خلال إعادة التوطين، وترى في هذا حلاً للمشكلة على الأمد الطويل.

39. المقاومة الكوردية على قياس عام 1974 هو الآن خارج التوقعات. علامات أولية تشير إلى أن ثلث القوات النظامية الكوردية المؤلفة من 30000 تنوي الاستمرار في أسلوب حرب الأنصار، ومن المعتقد أن الأكراد أخفوا كميات كبيرة من السلاح والذخيرة في الجبال قبل الحملة العراقية في شهر آذار. ويحتمل أنهم أخفوا كميات إضافية من السلاح والتجهيزات من إيران في المستودعات قبل غلق الحدود في الأول من شهر ابريل/نيسان. وقد يحاول الأكراد بناء خطوط للتجهيز من الحدود السورية. رغم إن دمشق تملك وسائل مباشرة للضغط على بغداد عوضاً عن تسليح الأكراد العراقيين.

40. يأمل بعض اللذين استسلموا من الأكراد بعد نضال طويل بأن إيران قد تعاود منح المساعدات العسكرية في حالة تعثر تطبيق اتفاقية الجزائر. مثل هذا التوقع يبدو غير وارد، رغم التقارير التي تفيد في كون إيران تدرّب بعض الأكراد ضد احتمال الانهيار. ورغم عمق الشكوك المتبادلة في العلاقات الإيرانية العراقية. لكن لكليهما مصالح هامة في الحفاظ على سلامة العلاقات الجديدة، على الأقل للأمد القريب.

41. إن أفول الحظ الكوردي يقابله الفوضى داخل القيادة، ملا مصطفى بارزاني هو الآن في بداية السبعينات، المسجد لحركة الحكم الذاتي، تنحى الآن. لقد حطمت اتفاقية الشاه سمعته وسلطته إلى حيث لا رجعة. وليس بين ما تبقى من قياديي التمرد من يملك من المنزلة ليحل محله. إن القيادة المركزية الكوردية قد تختفي ببساطة، وقد تحاول عدة مجموعات متمردة مستقلة الاستمرار في المقاومة ضد بغداد.

42. الظاهر انه بدون دعم كبير للتمرد ضد بغداد، ستقتصر العمليات في إطار إنهاء الوحدات الحكومية وضرب الأهداف الاقتصادية. وفي إطار الوضع الذهني الحالي لديهم، قد يضرب الأكراد المنشآت النفطية العراقية - لهذا السبب أزيل ذلك من قائمة أهداف التمرد نتيجة لإصرار الإيرانيين المتخوفين من أن الإرهابيين العراقيين قد يشنون عمليات انتقامية ضد المنشآت النفطية في عبادان.

العلاقات بين الولايات المتحدة والعراق

43. نهاية التمرد الكوردي يزيح العراقيين أمام تحسين العلاقات بين العراق والولايات المتحدة. العراقيون كانوا يعتقدون أن الولايات المتحدة تتعاون مع إيران وإسرائيل في تزويد الكورد بالمساعدات العسكرية.

44. ترى بغداد إن دور الولايات المتحدة كمؤيد رئيسي لإسرائيل هو العائق الأساسي لبناء علاقات أفضل مع واشنطن، وان اتفاقية الجزائر لم تؤثر على هذا. حالياً ربما لا يرى العراق أية مصلحة في وضع نهاية لموقفها الحالي المتمثل في الدولة العربية الوحيدة التي قطعت العلاقة مع الولايات المتحدة ضمن دول أخرى عام 1967 بسبب الحرب العربية الإسرائيلية، والتي لم تعد إقامة العلاقات مع واشنطن.

45. غياب العلاقات الدبلوماسية لم تعق النمو التجاري السريع بين العراق والولايات المتحدة. ففي شهر شباط، على سبيل المثال، وقع العراق على عقد بقيمة \$225 مليون لشراء طائرات البوينغ، وهذا يجعل من العراق ضمن الأسواق الأسرع نمواً بالنسبة لمنتجات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط. لا يزال العراق يحدد الاتصالات الرسمية مع الدبلوماسيين الأمريكيين الموجودين في قسم المصالح في السفارة البلجيكية. في الواقع نشك في تجاوب العراق مع أي مساعي لتحسين العلاقات السياسية إلا إذا حصل تغير واضح في السياسة الأمريكية العامة الشرق أوسطية.

النظرة السوفيتية

46. حسب معلوماتنا، ليس للسوفييت دور في الاتفاق الإيراني العراقي. ربما لموسكو مشاعر متضاربة حول نتائج اجتماع الجزائر، ورغم أن الاتحاد السوفيتي كرر نصائحه بتسوية الخلافات بين إيران والعراق وضمان الحكم الذاتي للأكراد، من المحتمل أن موسكو مهتمة الآن بما تجلبه الاتفاقية من آثار على علاقة بغداد بالاتحاد السوفيتي.

47. موسكو تدرك انه من المحتمل أن يستفيد العراق من تقليص التوتر في المنطقة لشراء البضائع الغربية والتكنولوجيا المتطورة، وفي الوقت ذاته تقليص الاعتماد والتعاون مع الاتحاد السوفيتي وأوروبا الشرقية. وحتى قبل اتفاق الجزائر، لمح السوفييت إلى ما اعتبروه مؤشراً من أن العراق يتجه نحو الغرب. موسكو على علم من ان الشاه يريد أن يبعد العراق عن الاتحاد السوفيتي وإيقاف نمو نفوذ السوفييت في منطقة الخليج.

48. لاتفاق الجزائر، من ناحية أخرى، نواحي إيجابية حسب وجهة نظرة موسكو، فنهاية الحرب الكوردية أزاح الخطر على نظام ارتبطت به موسكو بمصالح حيوية والكتلة السوفيتية بمصالح وعلاقات جيدة معه، رغم ظهور بعض المشاكل في هذه العلاقة بعض الأحيان. علاوة، لاتواجه موسكو الاحتمال غير المرغوب في أن تجد نفسها مرغمة على دعم العراق في حرب شاملة ضد إيران - حيث طورت موسكو علاقات تجارية مربحة معها.

49. السوفييت يدركون انه للأمد القصير لا يستطيع العراق الاستغناء عن قطع الغيار للسلاح السوفيتي حيث جهزت به قوات بغداد وتعتمد عليه بشكل تام تقريباً. سيبقى العراق معتمداً على الاتحاد السوفيتي للتجهيزات، قطع الغيار، مساعدات تقنية وعمليات التدريب، هذا رغم أن إعادة التجهيز الآن سيكون أقل إلحاحاً. يقوم حوالي 500 من المستشارين السوفييت بمهام التدريب للجيش إضافة إلى 400 - 500 يعملون في مجال القوة الجوية العراقية. ومن المحتمل إن القدرة المعززة التي أظهرها الجيش العراقي كانت إلى حد كبير نتيجة لتدريبات السوفييت ومشورتهم. إن شراء طائرات الميك الإضافية MIG-23 وصواريخ سكود، متمماً دفعة الاستلام السابقة للسلاح المتطور TU-22, FROGS, و SA-6s لدلائل إضافية على نية بغداد في استمرار التعامل مع موسكو للتزود بالأسلحة المتطورة.

50. وعلى أي حال لم يبد السوفييت الرغبة في تلبية كل ما أراه العراقيون. ففي العام الماضي، أرجأ السوفييت لمدة شهرين قبل الموافقة على طلب بغداد للمزيد من الذخيرة، وهذا ما زاد من اهتمام بغداد بموضوع الاعتماد على دولة واحدة لتلبية حاجاتها العسكرية. وكان لهذا أثر على قرار بغداد لتنويع مصادر التجهيز. ومنذ ذلك الوقت سعت بغداد للحصول على السلاح من الغرب. فرنسا، التي ابتاعت سابقاً للعراق المروحيات وناقلات ومدرعة ودبابات خفيفة، حسب التقارير أنها تعرض الآن بيع طائرات الميراج.

51. وتدرك موسكو ان هناك نفوذاً قوياً فاعلاً في العراق لمنع أي ابتعاد هام عن موسكو. ويعرف السوفييت ان العداوات التاريخية، فقدان الثقة والمصالح المتضاربة ستشكل موانع إقامة علاقات مستقرة بين بغداد وطهران.

52. وفي ذات الوقت سيستمر الاتحاد السوفيتي الحفاظ على علاقات ودية مع إيران كعنصر أساسي لسياستها في منطقة الخليج الفارسي. ومع أن الاتفاق قد يقود إلى تحسن في العلاقات، إلا أن للسوفييت مبرراتهم في الاعتقاد بأن الاتفاقية تنذر بتغيير في موازين القوى في منطقة الخليج ومن شأنها تحديد أكثر للنفوذ السوفيتي في المنطقة.

نتائجها على العلاقات العربية الإسرائيلية

53. ترى إيران أن الاتفاقية تساهم في تعزيز مساعيها في التقرب من الدول العربية. فالشاه الذي يطمح إلى تبوأ الزعامة الإقليمية، لا يرغب أن يصنف كمعادٍ للعرب ومؤيد لإسرائيل. علاوةً قد يكون رأيه أن ميزان القوى انحاز لصالح العرب. وربما يتوقع تعديل في السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل. لا يريد الشاه أن يؤخذ على حين غرة.

54. علاقات إيران الدبلوماسية والاقتصادية والمخابراتية مع إسرائيل مبنية على قاعدة عملية وليست على اعتبارات عاطفية أو أيديولوجية. إحدى هذه الاعتبارات تتمثل في كون إسرائيل نافعة تجاه العالم العربي، كما هو دور الأكراد تجاه العراق، فقد أبقّت العرب ضعفاء ومنشغلين، وطالما بقيت إسرائيل قوية عسكرياً وقادرة على امتصاص الطاقات العربية، سيعتبر الشاه أن العلاقة مع إسرائيل هي في مصلحته وسيحتفظ بعلاقة هادئة معها.

55. بالنسبة لتل أبيب، فإنّ أساس علاقاتها مع إيران هو استمرار تدفق البترول الإيراني - والذي يلبي نصف الحاجة المحلية. إن مصالحة طهران مع بغداد ليس لها في حدّ ذاتها تأثير على العلاقات الإيرانية الإسرائيلية، رغم إنها زادت من شكوك إسرائيل حول رغبة الشاه تزويدها بالبترول في حالة اندلاع حرب عربية - إسرائيلية.

56. ومنذ أواسط الستينيات، ساعدت إيران وشجعت إسرائيل على مساعدة التمرد الكوردي. منحت إسرائيل مساعدات مالية ومادية وأرسلت خبراء عسكريين وأمنيين لتدريب القبليين الأكراد في مواقع في كردستان العراق وإيران. وعدد قليل من الأكراد ربما تدربوا في إسرائيل. هذه المساعدة كانت ممكنة بفضل التجاوب الإيراني وبدونها كان الاحتمال قليلاً في استمرار تل أبيب دعمها للأكراد.

57. إن انهيار التمرد الكوردي وتقليص التوتر الإيراني العراقي سوف يحرر الكثير من القوات المسلحة العراقية لتستخدم ضد إسرائيل عند حصول حرب أخرى. ففي

شهر تشرين الأول/أكتوبر 1973، فإن رغبة طهران - خلال فترة التوتر مع بغداد - لإعادة العلاقات الدبلوماسية مع العراق، سمحت للعراقيين إرسال فرقتين مدرعتين إلى الجبهة السورية. نعتقد انه خلال هذا الصيف قد يستطيع العراقيون المساهمة من جديد بفرقتين مدرعتين إضافة إلى عدد من الطائرات في أية حرب قد تتجدد بين العرب وإسرائيل.

58. وقد يكون مشاركة العراق أكثر تأثيراً مما كان عليه عام 1973. ففي ذلك الوقت، أعاق قلة ناقلات الدبابات الجهود العراقية على الجبهة السورية وعدم كفاءة النظام اللوجستي وصعوبات التنسيق في العمليات مع السوريين. اتخذت بغداد مباشرة بعد حرب تشرين/أكتوبر خطوات لزيادة التجهيزات المتعلقة بنقل المدرعات وتحسين قيادتها والسيطرة على العمليات. ويبدو أنّ النظام اللوجستي هو أكثر فعالية، ويعود هذا بشكل رئيسي إلى الخبرة المكتسبة من الحرب مع الأكراد.

59. وفي كل الأحوال، وعلى رغم التعاون الحالي بين الجانبين، على بغداد الأخذ بالاعتبار من أن إيران تشكل تهديداً عسكرياً رئيسياً وعلى هذا الأساس توظف قواتها. الوحدات العسكرية العراقية ستعود إلى مناطقها الاعتيادية. لقد عانى الجيش العراقي خسائر فادحة في الأرواح كما خسر في مجال التجهيزات العسكرية بنوع من الاعتدال خلال العام الذي جرى فيه القتال مع الأكراد، لكنه لن يجد الا القليل من الصعوبة لإعادة تأهيل الوحدات العسكرية وتهيئتها ضد إسرائيل.

60. إن حجم القوات التي يساهم فيه العراق في الجبهة ضد إسرائيل يحدد من خلال علاقات بغداد مع المشاركين العرب في الجبهة عندما تتدلع الحرب. نداءات بغداد العالية النغمة "لتحرير" الأراضي التي احتلتها إسرائيل لا يجب أن يفهم منها كالتزام جدّي في جولة أخرى من القتال. إن لم يؤمن العراقيون بعزم دول المجابهة العربية في حوض الحرب، لن تكون بغداد مستعدة لبذل مساهمة عسكرية قصوى، وكما كان في عام 1973، مصداقية التزامها يكون عرضة لتقلبات العلاقات السياسية العراقية مع الأطراف العربية المشاركة.

تأثير العراق إقليمياً

61. تناسب اتفاقية الجزائر ذلك النمط الذي برز في العام الماضي المتمثل في مساعي العراق لإعطاء صورة من الاعتدال السياسي في المنطقة وعدم التدخل في الشؤون الداخلية لجاراتها. ولسنا الآن في وضع يمكننا التكهّن بحقيقة هذا المنحى. فانطباعنا الأولى هو أن تودد بغداد لبعض الدول العربية والآن إيران، يعكس التجاوب مع الضغوط الداخلية والخارجية - على سبيل المثال الحاجة لإنهاء التمرد الكوردي- ولا تشير إلى تحول جذري في سياستها الخارجية على الأمد القريب.

62- فأعماله الماضية لا تشجع على التصديق في قبول صدام حسين للوضع الجديد. كما ان شخصيته الجذابة وديناميكيته قد أثرت بشكل إيجابي حتى على بعض الزعماء العرب المحافظين وكما يبدو ضمنهم شاه إيران، فسجله يظهره كبعثي ثوري ذي نشاط مركز ويتدخل في شؤون الدول الأخرى.

63. نعتقد إن القيادة البعثية العراقية ستبقى ثورية في المستقبل وملتزمة بالتخلص من الأنظمة المعتدلة والمحافظّة في الجزيرة والخليج. وقد يصبح العراق أكثر مكرراً في تكتيكه. ونميل أكثر إلى أن بغداد ستنتهج سياسة ذات إطارين. التقرب من جيرانها على الصعيد الدبلوماسي، بينما تستمر التدخل في شؤونها. في الوقت الراهن وتمشياً مع روح المصالحة المنبثق عن اتفاقية الجزائر، قد تمتنع بغداد من التدخل السافر، كما فعلت في العام الماضي، مثل دعم محاولة الإطاحة بحكومة اليمن الشمالية ونصب حكومة بعثية مكانها.

سياسة التخريب والدبلوماسية

64. بعد التخلص من القتال ضد الأكراد، قد يقرر العراق تركيز طاقاته على العمليات السريّة الهادفة إلى توسيع نفوذها داخل دول الجزيرة والخليج. لم تبلغ بغداد قبلاً هذه الدرجة من الاستعداد المالي لتخطو في هذا الاتجاه. واردات العراق النفطية - بلغت عام 1974، 6.5 بليون دولار - وتنمو باطراد، وفي نهاية هذا العقد فإن العراق قد يتجاوز إيران في حقل إنتاج النفط.

65. وتمشياً مع خط الاعتدال الجديد، فقد تحاول بغداد التركيز أولاً على بناء نفوذ سرّي من خلال الخلايا البعثية المنتشرة في البلدان الخليجية الصغيرة وزيادة دعمها للمنشقين المحليين، إضافة بإمكان العراق صرف الأموال بحرية للتأثير على الموظفين والسياسيين المحليين، كما ان السفارات العراقية ستجنّد موظفين إضافيين في حقلّي المخابرات والأمن.

66. ونتوقع في الوقت ذاته من أن صدام حسين مقتنع من أن اتفاقية الجزائرّ حيدت موقف إيران المعارض في السابق، وسوف يبذل مساعي جديدة لإيجاد نوع من الاتفاق العسكري المشترك بين الدول العربية في الخليج الفارسي. ونعتقد ان مثل هذا المقترح سيجابه نفس المقاومة الإيرانية والسعودية المتواصلة، إضافة إلى امتناع الدول الخليجية الصغيرة.

67. يمكن معرفة نوايا بغداد خلال كيفية تعاملها مع جاراتها، فالمحك الأساسي يتمثل في طريقة حلها لمشاكلها مع الكويت وسوريا ودورها في دعم المتمردين العمانيين ومع منشقين آخرين.

لاتزال القوات العراقية تحتل شريطاً من أراضي الكويت منذ سيطرتها على تلك الأراضي في آذار عام 1973. يخشى الكويتيون من ان بغداد - المتحررة من الوضع الكوردي - ستصعد من ضغطها عليهم للتنازل عن جزيرتين بالقرب من ميناء ام القصر. ويتوقع الكويتيون كلا التوجهين، مبادرة دبلوماسية عراقية وإظهار العضلات على طول الحدود. وهناك تطرق إلى عدد من الزعماء العرب ضمنهم السادات وبومدين أظهروا رغبتهم في التوسط في النزاع، كما إن تجاوب بغداد سيلقى الضوء على موقفها العام.

لم تظهر بغداد ميلاً في الامتناع عن أعمال التخريب ضد النظام البعثي السوري المنافس. مثل هذه الأعمال كانت سبباً في تقليص سوريا الأخير لتدفق المياه وتقييد الملاحة العراقية خلال ميناء لاتاكيا.

ولإظهار التزامها بمبدأ عدم التدخل، بإمكان العراق وقف دعمها للمتمردين في إقليم ظفار العماني. نعتقد إن العراقيين سيقومون بدورهم في إبقاء التمرد العماني حياً، منسقين جهودهم مع المتمردين في اليمن الجنوبي في حين يبقون أنفسهم في الظل. ويعتقد العراقيون أن بمستطاعهم نفي التمويل سلاحاً وأموالاً وتدريبات. وقد تغير بغداد من تكتيكها نحو التخريب السياسي والإرهاب في شمالي عمان، متذرعين بإمكانية عودة المتمردين إلى حرب العصابات عندما يعود الإيرانيون إلى بلدهم.

إن كانت اتفاقية الجزائر هي المحك في العلاقات العراقية الإيرانية، ستتهي بغداد دعمها للانفصاليين الإيرانيين. ففي وقت راعت بغداد جبهة تحرير خوزستان لإثارة مشاعر انفصالية ضمن العرب الإيرانيين وجبهة التحرر البلوشية للقبائل البلوشية القاطنة في جنوب شرقي إيران. كما إن العراق تدخل في الشؤون البلوشية في باكستان.

العواقب بالنسبة لسوريا

68. سيكون تعامل بغداد مع سوريا موضع رقابة تامة. حالياً العلاقات بين الاثنيين في أسوء ما يكون. إضافة إلى العداء التاريخي بين البلدين، لدى دمشق وبغداد التنافس في الادعاء بزعامة الحركة البعثية. كما ان خبر الاتفاق العراقي الإيراني لم يكن موضع ترحيب دمشق: تفضل سوريا رؤية بغداد منهمكة مع الكورد. يتوقع السوريون تصعيد العراقيين الهجوم الدعائي ضد مشاركة سوريا في مفاوضات السلام في الشرق الأوسط وأنها تشعر أكثر استعداداً في قلب النظام السوري.

69. يبدو أن لدى السوريين ما يبرر القلق. ففي وسط شهر آذار علق بشكل خفي موظف هام في حزب البعث العراقي من ان اتفاقية الجزائر تحرر بغداد لمتابعة عدد من الخطط لتحقيق أهداف ضمنها إيجاد حكومة جديدة في دمشق عقائدياً أكثر انسجاماً مع بغداد. وتتبأ الموظف تصعيد في عمليات التخريب والتجسس ضد الحكومة السورية.

70. في بداية نيسان/أبريل، برز موضوع سابق، عندما حمّل العراقيون دمشق خرق اتفاقية بتحويل المياه من نهر الفرات. نفى السوريون التهمة لكنهم أوضحوا في الخفاء أنهم اتخذوا الخطوة تلك لتحذير بغداد لكي تتوقف عن التدخل في الشؤون السورية المحلية. وقبل بضعة أسابيع قبضت السلطات السورية على 250 - 300 من أعضاء حزب البعث المحليين بتهمة التآمر مع العراق لطرد الرئيس الأسد.

المملكة العربية السعودية

71. الاتفاقية تمنح الزعامة الجديدة في الرياض حرية أكثر لنشيدان علاقات أفضل ومعقدة مع إيران. في العام الماضي خلال فترة التوتر بين طهران وبغداد، كان العراق يجد من السهل انتقاد مثل هذا التحرك من قبل السعوديين كمؤشر غير ودي تجاه التضامن العربي. وعلى رغم المؤشرات في حرارة العلاقات العراقية السعودية - صدام حسين والأمير فهد كما قيل سيتبادلان قريباً الزيارات وتسوية مشاكل الحدود - السعوديون يخشون من ان العراق الذي تحرر من التورط الكوردي، هو الآن قادر على تركيز انتباهه نحو شؤون الخليج الفارسي.

رهان مصر

72. إن دور مصر في تأمين الاتفاق العراقي الإيراني يهدف إلى بذل جهود أكثر لتحسين علاقاتها مع طهران وبغداد. فالسادات يعتمد بشكل كبير على المساعدات الاقتصادية لكلا البلدين، بالأخص إيران. وأكثر من هذا يعتبر إيران شريكاً هاماً والعراق هدف رئيسي لمساعيه لإدخال عنصر الاعتدال في الشرق الأوسط.

73. كان النزاع الإيراني العراقي عاملاً معرقلاً كبيراً أمام مساعي الاثنين. شعر السادات دون ريب إن علاقاته الجيدة مع طهران تهدد المساعدات العراقية وتعرقل مساعيه في إيجاد الاعتدال على معارضة العراق لمفاوضات السلام بين العرب وإسرائيل. وأياً كان، مادامت طهران متخاصمة مع دولة عربية، تكون مصر معرضة للنقد من الراديكاليين لعلاقاتها الجيدة مع إيران. كما ان السادات على أتم العلم بأنّ تسوية مشاكل العراق مع إيران ونهاية الحرب الكوردية يحرر القوات العراقية

وستتمكن من المشاركة في حرب شرق أوسطية أخرى، وربما لديه آمال من أن تحسين العلاقات مع بغداد سوف يقنع العراقيين بالمشاركة في حظر النفط حالة اندلاع الحرب. (رغم اللغو، بغداد لم تدعن كثيراً لقرار حظر الأوبك عام 1973.)

74. وأياً كانت آمال السادات، لا يبدو ان بغداد ستعوض جهود وساطة القاهرة بتبني موقف مرن ضد مفاوضات العرب مع إسرائيل. إذ تجد بغداد فائدة في موقفها المتصلب في حين لا يترتب عنه سلبيات حقيقية، على الأقل مادامت المفاوضات متعثرة. وقد يحسب العراقيون ان بإمكانهم الانضمام إلى الفريق المفاوض عند الشعور بتحقيق تقدم بشأن التسوية.

75. في الوقت الراهن العراقيون متحالفون مع مجموعات الفدائيين الراضين في المشاركة مع منظمة التحرير الفلسطينية في المفاوضات، بل يفضلون القيام بالدور المعاكس. ويبررون هذا الموقف، لكونه يضعهم في طليعة العالم العربي - الصفوة التي لا تقبل المساومات مع العدو. وفي حالة تخلى مصر أو سورية عن المنحى السلمي للتوصل إلى تسوية، سيسارع العراق إلى القول للعرب الآخرين بأن موقفه هو صائب. وستقوم بغداد باستغلال وتسخير الراديكالية المتوقعة في الرأي العام العربي ضد إسرائيل والغرب.

الآمال الجزائرية

76. نظراً لدور بومدين في ترتيب اتفاقية الجزائر ورغم بعده عن خط الجبهة، لاريب إنه يتوقع استلام مساعدة مالية ودعم سياسي لمقترحاته بشأن نظام اقتصادي جديد. ويحتاج للمال من أجل تمويل خطة التطوير الطموحة للسنوات الأربع، وتفيد التقارير أن الجزائر طلبت 50 مليون دولار من العراق وربما حاولت أيضاً مع إيران. وفي الشؤون الدولية، يأمل بومدين من العراق وإيران دعم آرائه بشأن المناقشات حول البترول مع المستهلكين لتشمل إطار جميع المواد الخام - وليس فقط البترول، وإخضاع الأسعار النفطية لنسبة معدل التضخم العالمي، وعلى جميع الدول النامية العمل على تحول راديكالي في النظام الاقتصادي العالمي في شهر سبتمبر القادم خلال الدورة الخاصة السابعة للهيئة العامة للأمم المتحدة." انتهى تقرير وكالة المخابرات المركزية.

المحتويات

- 9 -1 ملا مصطفى وصدام حسين (اللاعبان في الميدان)
- 73 -2 هزيمة الانتصار (1970 - 1975)
- 117 -3 استدرار الاهتمام الأمريكي
- 139 -4 الـ C.I.A. من الرفض إلى التداول (اصطفاف سياسي جديد)
- 165 -5 الضغط العسكري بموازات الدبلوماسية الإيرانية
- 219 -6 التخلي عن الشعب الكوردي (نهاية اللعبة)
- 255 -7 دبلوماسية صناعة الأوهام
- 277 -8 لاختيار غير الاستسلام!
- 297 -9 ملحق: تقييم الـ C.I.A. لنتائج اتفاقية الجزائر 1975

